المكتبة الأندلسية
٢٢

# البيان المغرب
## في أخبار الأندلس والمغرب

لابن عذارى المراكشي

الجزء الثاني

تحقيق ومراجعة
ج. س. كولان
و
إ. ليفي بروفنسال

دار الثقافة
بيروت – لبنان

الطبعة الثانية

١٤٠٠ هـ. — ١٩٨٠ م.

# فِهرِس الأبواب والفُصُول

# الجزء الثانى من الكتاب، فى أخبار الأندلس

## ذكر صفة الأندلس وأوّليّتها

P. ٢ أمّا صفة الأندلس، فإنّها جزيرة مركّنة، ذات ثلاثة أركان، قريبة من شكل المثلّث: الركنُ الواحدُ منها عند صنم قادس، والركنُ الثانى فى بلاد جلّيقيّة، وهو مقابل لجزيرة برطانية [1] حيث الصنم المشبّه بصنم قادس. والركنُ الثالثُ بناحية الشرق، بين مدينة أربونة ومدينة برذيل حيث هو قُرْبُ البحر المحيط الغربىّ من البحر المتوسّط الشأمىّ. وكاد البحران هناك أن يجتمعا فى ذلك الموضع. فتصير الاندلس فى جزيرة لولا يسيرُ ما بقى منها، وهو مسيرةُ يوم كامل. وفيه مدخلٌ يقال له الأبواب، وفيه تتّصل الأندلس بالأرض الكبيرة. فالأندلس كلّها محدَقةٌ بالبحر: البحر المحيط الغربى، والبحر المتوسّط القبلىّ، ويَصْعَدُ منه قليلٌ الى ناحية الشرق؛ فحدُّ الأندلس فى الشرق والغرب وبعض الجوف البحر المحيط. وحدُّها فى بعض القبلة والشرق البحرُ المتوسّط، إلاّ أنّه [2] يتوسّط الأرضَ كلّها. وقيل [3] إنّه في [3] آخر الأقاليم [4] السبعة.

وقيل إنّ أوّل من نزل الأندلس بعد الطوفان قومٌ يُعرفون بالأندلش (بشين معجمة)؛ فسمّيت بهم الأندلس (بالسين غير معجمة). وقيل إنّهم كانوا P. ٣ مجوساً، فأراد الله قنعهم [5] منها، فحبس المطرَ عنهم حتّى غاضت مياهُم وعيونهم وأنهارُهم، وخرجوا منها، وافترقوا فى البلاد، وأقامت خاليةً مائة سنة، من حدّ إفرنجة الى البحر، ثمّ دخلها بعد ذلك قومٌ من الأفارقة، أجلاهم صاحبُ

---

1) B. فرطاجنة. 2) A. et B. لأنّه. 3—3) Manque dans A.
4) A. الإقليم. 5) B. خلعهم.

إفريقية من الجوع ؛ فلما نزلوا الأندلس، وجدوا أنهارها قد جرّت، فملكوها نحو مائة وخمسين سنة. وعَدَدُ ملوكهم أحد عشر مَلِكاً. ودارُ ملكهم مدينة طالِقَة. ثمّ غلبت عليهم الإشبانية، حتّى أخرجوهم عن الملك. وصار المُلكُ اليهم ؛ وبهم سُمّيت إشبيلية ؛ فبنوها وسكنوها ؛ وخربت طالِقَة. وهجم عَجَمُ رُومة، فكانوا ملوكاً، حتى دخل البشترلقات على الرُّومانيّين، وقد بعث الله المسيح — عليه السلام : — فبعث الحَوَاريّين الى البلدان كلّها. وظهر دين النصرانيّة وغلب. ثمّ كان دخول البشترلقات من رُومة. وكانوا يملكون إفرَنجة. ويبعثون عُمّالهم اليها. ودارُ مُلكهم مَارِدة ؛ فكانت عدّة ملوكهم سبعة وعشرين ملكاً [1].

ثمّ ظهر بإشبيلية إشبَان ؛ وكان رجلاً ضعيفاً حرّاثاً ؛ فوقف به الخَضِر — عليه السلام ! — وهو يحرث ؛ فقال له : « إذا غلبتَ على إيلياء، فارْفُقْ بأولاد الأنبياء ! » فقال له : « كيف يكون هذا، وأنا ضعيفٌ، من غير بيتِ مُلكٍ ؟ ». فقال له : « يُقَدِّر ذلك مَنْ قَدَّرَ فى عصاك ما قَدَّرَ ! ». فلما نظر الى عصاه، إذا بها قد أورقت ؛ ففزع. وغاب عنه الخَضِر. ووقع ذلك بنفس إشبان ؛ فلم يزل يصطنع الرجال حتّى علاّ [2] اسمه، وشاع [3] ذكره : وتغلّب على الأندلس ؛ فخرج فى السُّفُن الى إيلياء ؛ فغنمها وهدمها [4]، وقتل فيها مائة ألف من اليهود، وباع منهم مائة ألف ؛ وانتقل رخامها الى الأندلس. وكان مُلكه نحو عشرين سنة ؛ وبعد سنتَين من ملكه، غزا إيلياء. ويقال إنّ إشبان اسمه إصْبَهان، لأنّه وُلِدَ بإصْبَهان ؛ فسُمّى بها، والله أعلم. فعِدّةُ ملوكهم خمسة وخمسون ملكاً. P. 4

ثمّ دخل القُوطُ الأندلس، وقطع الله مُلْكَ رُومة منها. وعِــدّةُ ملوك القُوطيّين ستّة عشر مَلِكاً، آخِرُهم لُذْرِيق، الذى دخل عليه المسلمون. وجعلوا دار مُلكهم طُلَيْطُلة. ووَجَدتُّ فى بعض كُتُب العَجَم أنّ آخر ملوك الأندلس كان يسمّى وَخْشَنْدَش [5]، ولم يكن فى النصرانيّة أحكم منه ولا أحسن [6] إصابةً

---

1) A. ajoute منهم. 2) B. عَلَظَ. 3) Manque dans A. 4) B. ومَلكها
5) Vocalisation fournie par B. 6) B. أشدّ.

لسُنَّتهم؛ وعلى سُنَّته أمْضَت[1] النصرانيّة أحكامها، وهى الأربعة الأناجيل، التى يَحْلِفون بها وينتهون الى ما فيها. وقالوا إنّ لُذْريق، الذى دخلت عليه العرب والبربر، وثب على وَخْشَنْدَش هذا وقتله، وغلب على مُلْك الأندلس. ودانت له طُلَيْطُلة وغيرها.

وفى كُتُب العَجَم: إنّ رُذْرِيق هذا لم يكن من بيت المملكة، وإنّما كان زعيمًا؛ وكان من عُمّال المُلْك بقُرْطُبة؛ وقتل وَخْشَنْدَش بعد ما خالف[2] عليه. فغيّر الحُكْم، وأفسد سُنَنَ المُلْك. وفتح البيت الذى كان فيه التابوت. وكان[3] إذا مات المَلِكُ منهم، يُكْتَب اسمُه، وكَمْ وَلِيَ، ويُوضَع فى ذلك البيت مع تاجه؛ ولا سبيل بَعْدُ عندهم لفتحه. فلمّا فتحه رُذْرِيق، أنكرت النصرانية ذلك عليه. وجعلوا له مثله ذهباً وفضّةً، ولا يفتحه؛ فلم يقبل ذلك منهم، وعزم على فتحه؛ ففتحه، ووجد فى البيت تيجان الملوك وتابوتاً فيه صُوَر العرب متنكّبة قسيّها. وفى رؤوسها عمائمُها، وعليها مكتوبٌ: «إذا فُتِح هذا البيت، وأُخرجت هذه الصُّوَر. دخل الأندلُسَ قومٌ فى صُوَرِهم، فغلبوا[4] عليها!» فلما دخلت العربُ والبَرْبَرُ مع طارِق، والتقوا برُذْرِيق[5]، أسلمَتْه النصرانيّةُ، وانهزمت عنه حتّى قُتِل. وكان دُخولُ طارِق بعد سنةٍ من ولاية رُذْرِيق؛ فقتله طارِق بنَرْطَاجَنّة من كُوَر الجزيرة؛ وافتتح البلاد حتّى انتهى طارِق لى طُلَيْطُلة؛ فوجد بها مائدةَ سُلَيْمان — على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام! — ووجد P. ٥ فيها صُوَر العَرَب والبربر على خيولهم، وهى الصُّوَر التى وُضِعت على القَصْر بقُرْطُبة. وقيل أيضاً إنّها طلسمات، كانت العرب قد نصبتْها على مساجد الأندلُس؛ فنقلها عبد الرحمن بن مُعاوية الى القَصْر بقُرْطُبة.

وهذا القَدْرُ كافٍ هُنا من صِفَة الأندلس وذِكْرِ ملوكها الأوّلين.

---

1) Manque dans A. 2) B. ﺍﻟّﺎ.

3) Tout le passage qui suit est corrompu dans A.

4) Manque dans A. 5) A. بالجزيرة.

## ذكر دخول المسلمين إلى الأندلس وانتزاعها من أيدى الكفار

أمّا دخول المسلمين لها، فذُكِرَ فيه أربعة أقوال:

أحَدُها أنّ الأندلس، [1]أوّلُ من[1] دخلها عبدُ الله بن نافع بن عبد القيس، وعبدُ الله بن الحُصَيْن الفِهْرِيّان. من جهة البحر، فى زمن عثمان – رضه – قال الطّبرىُ: أتَوْها من برّها وبحرها؛ ففتحها الله تعالى على المسلمين فى وإفرَنجة، وازداد فى سلطان المسلمين مثل إفريقية؛ ولم يزل أمـر الأندلس لإفريقية، حتّى كان زمن هشام بن عبد المَلِك؛ فمنع البربر أرضهم، وبقى من فى الأندلس على حالهم. هذا نَصُّه[2]. وإنّ ذلك كان سنة ٢٧ من الهجرة الكريمة.

وثانيها أنّ موسى بن نُصَيْر افتتحها عام ٩١. وهو قول الطّبَرىّ أيضاً. فيظهر منه أنّه جاز بنفسه، وتولّى هذه الغزوة والفتح.

وثالثها أنّ طَرِيفاً دخلها وفتحها فى عام ٩١.

ورابعُها أنّ طارقاً أوّلُ من دخلها، سنة ٩١، ودخل موسى بعده سنة ٩٢.

فهذا الخلاف واقعٌ فى هؤلاء الأربعة مَوَاضِعَ: قيل إنّ أوّل من دخلها الفِهْرِيّان؛ ثمّ ابنُ نُصَيْر؛ ثمّ طَرِيف؛ ثمّ طارِق؛ فظهر من هذا ان الفِهْرِيَّين أثّرا فيها فى زمن عثمان – رضه – وغنما من جهة البحر، وطَرِيفاً دخلها سنة ٩١ مُغيراً ومخرباً، ونُسِب فعلُه الى موسى بن نُصَيْر، نِسْبَةَ فِعْلِ المأمورِ الى الآمِر؛ فصدّق عليه إضافته لموسى، P. 6 فيكون قول الطّبَرىّ صادقاً؛ وصدّق عليه أيضاً قول الرازىّ بأُخرى وأُولى، وطارق دخلها دخول المُستَفْتِح لها، المكافِح، سنة ٩٢، [3]وموسى دخلها بعد ذلك مُتمّماً للفتح[3].

وقال عَرِيب: إنّ المِلْح يُلْيَان، صاحبَ الجزيرة الخضراء، دَاخَلَ موسى ابن نُصَيْر، صاحبَ إفريقية، عام ٩١، على يد طارِق بن زِيَاد عامِل موسى على طَنْجة وما والاها؛ فراسَلَ يُلْيَان موسى، يُزَيِّن عنده دخول الأندلس، ويُقَرِّب

---

1—1) Manque dans A. 2) A. نصّهم 3—3) Manque dans A.

له أمرها. وقيل: بل، سار اليه بنفسه فى البحر، حتّى اجتمع بـه فى ذلك؛ فاستشار موسى الوليدَ بن عبد الملك، إمّا مراسلةً (وهو الأكثر الأظهر[1]) وإمّا بأن[2] نهض بنفسه اليه[3]؛ فأشار الوليد بأن يختبرها بالسرايا، ولا يُغَرِّر بالمسلمين؛ فبعث موسى بن نُصَيْر عند ذلك رجلاً من البربر، يسمّى طَرِيفاً ويكنّى أبا زُرْعة، فى مائة فارس وأربعمائة راجل؛ فجاز فى أربعة مراكب، حتّى نزل فى ساحل البحر بالأندلس، فيما يُحاذِى طَنْجة، وهو المعروف اليوم بجزيرة طَرِيف، سُمِّيَتْ باسمه لنزوله هنالك؛ فأغار منها على ما يليها الى جهة الجزيرة الخضراء، وأصاب سبياً ومالاً كثيراً، ورجع سالماً. وكانت إجازتُه فى شهر رمضان من سنة ٩١.

وقد اتّفق الجميع فيما يظهر على أنّ مُتَوَلِّى كِبْر فتح الأندلس وجُلِّهِ ومُعْظَمِهِ طارِقُ بن زِيَاد. وقد اختُلِف فى نسبه؛ فالأكثرون على أنّه بَرْبَرِيٌّ من نَفْزة، وأنّه مَوْلًى لموسى بن نُصَيْر، من سبى البربر. وقال آخرون إنّه فارِسىٌّ.

قال صالح بن أبى صالح: هو طارِقُ بن زِيَاد بن عبد الله بن رَفْهُو بن وَرْفَجُوم بن ينترغاسن بن وَلْهاص بن يَطُوفَت بن نَفْزاو؛ وكأنّهم أيضاً اتّفقوا على أنّ طارقاً كان عامِلاً لموسى، قبل محاولة الأندلُس، على المغرب الأقصى، وتَرَكَ عنده رهائن برَابِر المغرب فى سنة ٨٦ من الهجرة. وقيل أيضاً إنّ طارِقاً جاز الى الأندلس • برهائن البربر سنة ٩٣.



قال ابن القَطّان: فالأكثرون يقولون: كان مستقرّه بطَنْجة، ومنهم من يقول بِجِلْمَاسَة، وإنّ سَلاً وما وراءها من فاس وطَنْجة وسَبْتة كانت للنصارى؛ وكانت طَنْجة لِيُلْيَان منهم؛ فكان طارِق إذًا نائباً عن موسى بن نُصَيْر. واختلفوا أيضاً هُنا هَلْ إنّما سار الى الأندلس عن أمر موسى، أو سار اليها لأمْرٍ دَهِمَه، لم يمكنه إلّا إنفاذه. والقول الأوّل هو المشهورُ المتّفَقُ عليه.

---

1) Le membre de phrase entre parenthèses manque dans A.

2) Manque dans A. 3) A. ajoute على خلاف فى ذلك

قال الرازىُّ عن الواقِدىّ: إنَّ الوليد بن عبد الملك استعمل موسى بن نُصَيْر على إفريقية، واستعمل موسى بن نُصَيْر طارِق بن زياد على طَنْجة. وكان يُلْيان مجاوراً له بالجزيرة الخضراء التى تَلِى طَنْجة؛ فداخَلَه طارِق حتّى صار معه الى الرِّضَى، ووعده يُلْيان بإدخاله الأندلس هو وجنوده. وكان اجتمع لطارِق اثنا عشر ألفاً من البربر؛ فأجمع طارِق على غزو الأندلس، بعد أن أخذ إذن ابن نُصَيْر مولاه فى ذلك؛ فكان يُلْيان يحتمل أصحاب طارِق فى مراكب التجار التى تختلف الى الأندلس. ولا يشعر أهل الأندلس بذلك، ويظنّون أنَّ المراكب تختلف بالتجار. فحمل الناس فوجاً بعد فوج الى الأندلس. فلما لم يبقَ إلّا فوجٌ واحدٌ، ركب طارِق ومن معه. حتّى أجاز البحر الى أصحابه وتخلّف يُلْيان بالجزيرة الخضراء، ليكون أطيب لنفسه ونفوس أصحابه. فنزل طارِق جبلاً من جبال الأندلس، يوم الاثنين لخمس خَلَوْن من رجب سنة ٩٢، كما تقدَّم ذكرُ ذلك. فسُمِّيَ ذلك الجبل باسمه الى اليوم.

وذكر عيسى بن محمَّد، (١ من ولد أبى المُهاجِر ١)، فى كتابه السبب فى دخول طارِق الأندلس. وهو أنَّ طارقاً كان والياً لموسى على طَنْجة؛ وكان يوماً جالساً، إذ f. 4 نظر الى مراكب قد طلعت فى البحر؛ فلما أرست، خرجوا اليها، فنزعوا أرْجُلَها. وأنزلوا أهلها؛ فقالوا: «اليكم جئنا عامدين!» وعظيمهم معهم يُقال له يُلْيان. فقال طارِق: «ما جاء بك؟». فقال له: «إنَّ أبى مات، فوثب على مملكتنا بَطْرِيقٌ يُقال له لُذْرِيق؛ فأهانَنى، وأذلَّنى؛ وبلغنى أمرُكم؛ فجئتُ اليكم أدعوكم الى الأندلس، وأكون دليلاً لكم!» فأجابه طارِق الى ذلك، واستنفر اثنى عشر ألفاً من البربر. فحملهم يُلْيان فى المراكب فوجاً بعد فوج، كما تقدَّم ذكرُه.

وذكر غير هؤلاء أنَّ السبب فى ذلك أنَّ طَنْجة وسَبْتة والخضراء وتلك النواحى كانت فى مملكة صاحب الأندلس، على نحو ما كانت السواحل كلّها

---

1—1) Manque dans B.

بالعدوة وما قرب منها للرّوم. يسكونها، إذ كان البربر يرغبون عن سكنى المُدُن والقُرَى، وإنّما بُغيتُهم سُكْنَى الجبال والصحارى، إذ كانوا أصحاب إبل وسوائم. وكان النصارى فى صُلْحهم. وكانت السُنّة فى الأندلس فى ملوك النصارى أن يستخدموا بنى بَطَارِقتهم وكبار رجالهم: فالرجال منهم يخدمون خارجاً، والنساء جَوَارٍ يخدمْنَ داخلاً. وهاكذا سُنّتهم الى اليوم فى الرجال خاصّة، يخدمون صبياناً يتأدّبون بأدَبِهم، ويتعلّمون سُنَنَهم؛ فإذا أدركوا وكبروا، ألحقوهم برجالهم وأهليهم. وكان مَلِك الأندلس من القُوطيّين يُسمّى رُذْرِيق، قد مدّ يده الى ابنة يُلْيان، وكانت عنده؛ فاغتصبها نَفْسَها؛ فأرسلت الى أبيها، ودسّت اليه. فلما بلغه ذلك، أحفظه، وكتمه، وارتصد به الأيّام؛ ونصب له الغوائل، حتّى كان من دخول العَرَبِ المَغْرِبَ ما كان. وأرسل رُذْرِيق الى يُلْيان فى بُزَاة وطيور وغيرها؛ فأرسل اليه: «لأوْرِدَنّ عليك طيراً لم تسمع قطّ بمثلها»، وهو ينوى الغَدْر به؛ فحينئذٍ دعا طارقاً الى ما كان من جواز البحر.

P. ٩ واختلفت الروايات فى قتال طارِق أهْلَ الأندلس. فقيل إنّ رُذْرِيق زحف الى طارِق بجميع أهل القُوّة من أهل مملكته بنفسه، وهو على سرير مُلْكه على بَغْلَيْن يحملانِهِ، وعليه تاجه وجميعُ الحلية التى كانت تلبسها الملوك. حتّى انتهوا الى الجبل الذى فيه طارِق. فخرج اليهم طارِق بجميع أصحابه رَجّالةً، ليس فيهم راكبٌ إلاّ القليل؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً حتّى ظنّوا أنّه الفناء. ثمّ صرف الله وجوه أعدائه؛ فانهزموا؛ وأُدرك رُذْرِيق؛ فقُتل فى وادى الطين. ومضى حتّى دخل قُرْطُبة. وفتح الله الأندلس على المسلمين. هاكذا ذكر عيسى فى كتابه.

وذكر الواقِدىّ أنّهم اقتتلوا من حين طلعت الشمس الى أن غربت؛ فلم تكن قطّ بالمَغْرِب مقتلةٌ أعظم منها؛ بقيت عِظامُهم فى المعركة دهراً طويلاً لم تَذْهب.

وذكر الواقِدىّ أيضاً، عن عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، قال: سَمعْت

رجلاً من أهل الأندلس يُحَدِّث سعيد بن المُسَيِّب ويذكر له قِصَّتهم. فقال: «لم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة أيّام، حتّى أَوْطَئُوهم غلبةً.» ثمّ ارتحل المسلمون الى قُرْطُبة، وهى مدينة الأندلس التى كان بها رُذَرِيق، وبينها وبين الساحل مسيرةُ خمسة أيّام. وكان سلطانُ رُذَرِيق الى أَرْبُونة ثغرِ الأندلس، وهى إذ ذاك أقصى مملكة الأندلس، ممّا يَلِى إفْرَنْجة، ومن أَرْبُونة الى قُرْطُبة ألف مِيل. وكان الذى أصابه طارِق ومن معه من السَّبْى، فى أوّل فتح لهم، عشرة آلاف رأس، وكان سُهْمانُهم من الذّهب والفضّة لكلّ واحد من الرجال مائتا دينار وخمسون ديناراً.

P. 10 وذكر الرازىّ أنّه، لما بلغ رُذَرِيقَ خَبَرُ طارِق ومن معه، ومكانُهم الذى هم فيه، بعث اليهم الجيوش جيشاً بعد جيش، وكان قد قوّد على أحدهم[1] ابْنَ أُختٍ[2] له يُسَمَّى بَنْج، وكان أكبر رجاله، فكانوا عند كل لقاء يهزمون ويقتلون، وقُتل بَنْج، وهُزم عسكره، فقَوِىَ المسلمون، وركب الرجّالـة الخيل، وانتشروا بناحيتهم التى جازوا بها، ثمّ زحف رُذَرِيق اليهم بجميع عساكره ورجاله وأهل مملكته، وهو على سرير ملكه كما تقدّم. فلما انتهى الى الموضع الذى فيه طارِق، خرج اليه، فاقتتلوا على وادى لَكُّه[3] من كورة شَذُونة يومَهم ذلك، وهو يوم الأحد لليلتين بَقِيتا من رمضان، من حين بزغت الشمس الى أن توارت بالحجاب، ثمّ أصبحوا يوم الاثنين على الحرب، حتّى الى المساء. وتمادت أيّامهم كذلك الى يوم الأحد الثانى، فتمّت ثمانية أيّام. وقتل الله رُذَرِيق ومن معه، وفتح للمسلمين الأندلس، ولم يُعرف لرُذَرِيق موضعٌ، ولا وُجدت له جثّةٌ، وإنّما وُجد له خُفٌّ مُفَضَّضٌ، فقالوا إنّه غَرِقَ، وقالوا إنّه قُتل، والله أعلم.

ثمّ تحرّك طارِق الى مَضِيقِ الجزيرة، ثمّ نهض الى مدينة إسْتِجّة، فوجد فيها فَلَّ العسكر، فقاتلوه قتالاً شديداً، حتّى كثر القتل والجراح فى المسلمين، ثمّ نصرهم الله، وقطع دعوة العُجْمة، وقذف الله الرُّعْب فى قلوب المشركين، إذ

1) A. عليه.   2) B. أخ.   3) B. لك.

تُجْمَعَ عليهم البلادُ؛ فهرب أكثرهم الى مدينة طُلَيْطُلة، وتركوا مدائن الأندلس وراءهم قليلة الأهل.

وقدم يُلْيَان على طارِق من الخضراء مُسْتَنْزِهِ؛ فقال له: «قد فتحت الأندلس؛ فخُذْ من أصحابى أدِلّاء، ففَرِّقْ معهم جيوشك وسِرْ أنت الى مدينة طُلَيْطُلة!» ففرَّق جيوشه من إسْتِجة.

## •ذكر ما افتتح طارِق بن زِيَاد من بلاد الأندلس سنة ٩٢ من الهجرة

P. 11

أوّلُ فتوحاته جبَل الفتح المسمّى بجبَل طارِق، وذلك لما جاز المسلمون ونزلوا فى المرسى، وهم عَرَبٌ وبَرْبَرٌ، حاولوا الطلوع فى الجبل، وهو حجارة حرش؛ فوَطَّؤوا للدوابّ بالبَرَاذِع وطلعوا عليها؛ فلمّا حصلوا فى الجبل، بنوا سُوراً على أنفسهم يسمّى سور العَرَب. وقيل إنّهم فتحوا من حينهم حِصْن قَرْطَاجَنّة، وكان فى سفح هذا الجبل من نَظَرِ الجزيرة الخضراء. فلما بلغ ذلك ملوك الأندلس، نفروا الى رُذْرِيق. وكان جبّاراً طاغية؛ فاستنفر النصرانيّة. فقيل إنّه بعث الى المسلمين الجيش بعثاً بعد بعث؛ فكانوا عند كلّ لقاء يهزمون ويُقتلون. فقَوِى المسلمون، وركب رجالُهم، وانتشروا فى البلاد. وبعد هذا زاحفَهم رُذْرِيق بنفسه. وقال آخَرونَ: بل زاحفَهم لأوّل مرّة بنفسه. ثمّ اختلفوا أيضاً كَمْ أيّامُ المزاحفة التى أعقبها الفَتْحُ وانهزم آخرَها رُذْرِيق؛ فقيل: يومٌ كاملٌ، وقيل: يومان، وقيل: ثلاثة، وقيل: ثمانية؛ واختلفوا هَلْ ظُفِرَ برأس رُذْرِيق أم لا؛ فقيل: ظُفِر به، وقيل: مات غريقاً.

## فتح قُرْطُبة

بعث طارِق مغيثاً، مَوْلى عبد الملك بن مروان، من إسْتِجة الى قُرْطُبَة فى سبعمائة فارس؛ وهى من مدنهم العظام؛ ولم يكن معه راجلٌ إذ كان الرجال

قد رَكِبوا. فلما بلغ مُغيثٌ شَقُنْدة وقَرْيةَ طَرْسَيْل، وهى على ثلاثة أميال من قرطبة، بعث الأدِلّاء كَىْ يُلْقُون مَنْ عنده خَبَرٌ؛ فألفوا راعىَ غَنَم؛ فاتوا به الى مُغيث، وهو فى الغيضة؛ فسأله عن قُرْطُبة؛ فقال له: «انتقل عنها عظاء أهلها، ولم يَبْقَ فيها إلّا بَطْرِيقُها فى أربعمائة فارس من حُماتهم مع ضعفاء أهلها.» ثمّ سأله عن حصانة سُورها؛ فأخبره أنّه حصينٌ، إلّا أنّ فيه ثُغْرة فوق باب الصورة، وهو باب القنطرة؛ ووصف لهم الثغرة[1].

P. ١٢

فلمّا جنّ الليل، تحرّك مُغيث بمن معه، وعبروا النهر، وقابلوا السُّور، وراموا التعلّق به؛ فتعذّر عليهم؛ فرجعوا الى الراعى، وأتوا به معهم؛ فدلّهم على الثغرة؛ فراموا التعلّق بها؛ فصَعُبَ عليهم، حتّى صعدَ رجلٌ من المسلمين فى ذِرْوتها، ونزع مُغيث عمامته، فناوَله طرفَها، وارتقوا بها حتّى كثروا بالسور؛ ثمّ جاء مُغيث الى باب القنطرة، وهى يومئذ مهدومةٌ، وأمر أصحابه بالحَوْم على أحراس السور؛ فكسروا الأقفال، ودخل مُغيث بمن معه. فلمّا بلغ المَلِكَ الذى بها دخولُهم، خرج فى كُماة أصحابه، وهم نحو الأربعمائة؛ فدخلوا كنيسةً بغربىّ المدينة؛ فتحصّنوا فيها؛ فحاصَرَهم مُغيث، وكتب الى طارق بالفتح. وتمادى على حصار العُلُوج فى الكنيسة المذكورة ثلاثة أشهر. فبيْنا هو ذاتَ يومٍ جالسٌ، إذ قيل له: «خرج العِلْجُ (يعنى المَلِكَ) هارباً وَحْدَه، وهو ينوى التحصّن فى جبل قُرْطُبة، ليلحق به أصحابُه!» فأتبعه مُغيث وحده دون احد من أصحابه؛ فلمّا برز له وأبصره هارباً. وتحته فرسٌ أصفر، وهو يتبعه، خرج من طريقه؛ فأتى خندقاً؛ فوثب به الفرس، وسقط فى الخندق، واندقّت عُنُقُه؛ فأقبل مُغيث، والعلج جالسٌ على تُرْسه مستأسراً؛ فأسره. ولم يؤسر من ملوك الأندلس غيرُه، لأنّ منهم من عقد لنفسه أماناً، ومنهم من هرب الى أقاصى البلاد مثل جِلِّيقِيّة وغيرها. ورجع مُغيث الى بنيّة العُلُوج؛ فاستنزلهم أسراً، وضُرِبت أعناقهم صبراً؛ وسمّيت كنيسةَ الاسرى. وأبقى العلج صاحبَ قُرْطُبة، ليقدم به على أمير المؤمنين.

P. ١٣

---

1—1) B. .القنطرة ووصفها لهم

## فَتْح مالَقة

بعث اليها طارِق من إسْتِجَّة جيشاً، وقوّد عليه قائداً، وجعل معه دليلاً من رجال يُلْيَان، فاستفتحها وجميعَ أعمال رَيُّه. ولجأ عُلوجُها الى جبال رَيُّه الشامخة المنيعة.

## فتح إغْرَناطة قاعِدة إلْبِيرة

بعث اليها طارِق الجيش من إسْتِجّة، فحاصرها حتّى افتتحها.

## فَتْح مَرْسِيَة

ثمّ تقدّم هـذا الجيش بعد فتح إغْرَناطة الى تُدْمِير، وهى مُرْسِيَة، وإنّما سُمِّيَتْ تُدْمِير باسم العِلْج صاحِبها، وكان اسمُها أُورْيُولة، وهى كانت مدينتها القديمة. فقاتل العِلْجُ تُدْمِير المسلمين قتالاً شديداً، وكان فى قوّة. ثمّ انهزم فى فَحْص لا يستُرُهم شىء، فوضع المسلمون فيهم السلاح حتّى أفنوهم، ولجأ من بقى منهم الى مدينة أُرْيولة. وكان تُدْمِير بصيراً بأبواب الحرب، فلمّا رأى قِلّة[1] من معَهُ من أصحابه، أمر النساء، فنَشَرْنَ شعورَهُنّ، وأعطاهنّ القَصَب، ووَقَفْنَ على سور المدينة، ووقف معهُنّ بقيّةُ الرجال. ثمّ قصد بنفسه الى جيش المسلمين كهَيْئَة الرسول، واستأمن، فأُمِّنَ وانعقد له الصلحُ ولأهل بلده، فافتتحت مدينة تُدْمِير صلحاً. فلمّا انعقد الصلح وتمّ، أبرز لهم نفسه وقال: «أنا تُدْمِير صاحبُ المدينة.» ثمّ أدخلهم البلد، فلم يروا فيه أحداً عنده مَدْفَعٌ، فندِمَ المسلمون وأمْضَوْا على ما أعطوه من الأمان، وكتبوا بالفتح الى الأمير طارِق، وأقام بتُدْمِير رجال من أهل العسكر، وصاروا مع أهلها، وتقدّم مُعْظَم الجيش الى طُلَيْطُلة، فلَحِق بطارِق، وهو عليها.

---

1) Mauvaise leçon dans A.: فئة

# فَتْح طُلَيْطُلة

وألفى طارِق طُلَيْطُلَةَ خاليةً، ليس فيها إلاّ اليهود فى قوم قلّة، وفرّ عِلْجُها مع أصحابه، ولحق بمدينة خَلْفَ الجبل. وتبعهم طارِق، بعد ان ضمّ اليهود، وخلّى معهم بعض رجاله وأصحابه بطُلَيْطُلة؛ فسلك الى وادى الحِجارة؛ P. 14 ثمّ استقبل الجبل؛ فقطعه من فجّ تُسَمَّى به الى اليوم؛ فبلغ مدينةً خَلْفَ الجبل، تُسَمَّى مدينة المائدة.

ثمّ فتح مدينة المائدة؛ فوجد فيها مائدة سليمان بن داوودَ — عليهما السلام! وكانت من زَبَرْجَدَة خضراء، حافاتُها وأرجُلُها منها؛ وأصاب بها مالاً وحَلْياً كثيراً؛ ثمّ انصرف الى طُلَيْطُلة. هاكذا آثَرَ الناسُ هذا كلّه، على أنّ طارِقاً صنعه. وقال آخَرون: بل، أقام طارِق حيث كانت الوقعة، وجاز اليه موسى. وقيل: بل، وجده بقُرْطُبة.

وفى سنة ٩٣ من الهجرة، دخل موسى بن نُصَيْر الأندلس فى رمضان، بعد دخول طارِق بسنة، ومضى غازياً فيها، مفتتحاً لحصونها هذه السنة وسنة أربع وبعض سنة خمس؛ فافتتح جميع حصونها، وهزم جميع من لقيه من أمرائها؛ فلم يَلْقَ كَيْداً من أحد، ولا انهزمت له رايةٌ، حتّى انتهى الى مدينةٍ من مُدُن إفْرَنْجة، يُقال لها لَوْطُون[1]، وقد ملك ما سِوَاها ودونها الى أقصى بَرْشِلُونة. فلمّا انتهى الى مدينة لَوْطُون، ضاق المسلمون، وخافوا أن يُحاطَ[2] بهم؛ فكلّموه فى ذلك؛ فقفل بهم راجعاً. قال مُؤلّف «كتاب بَهْجة النَّفْس»: ورأيتُ فى بعض كُتُب العَجَم أنّ المسلمين انتهوا الى مدينة لَوْطُون قاعدة الإفرَنْج، ولم يَبْقَ لأهل الإسلام شىء لم يتغلّبوا عليه ممّا وراء ذلك، إلاّ جبال قَرْقُوشة[3] وجبال بَنْبَلُونة وصَخْرة جِلّيقيّة؛ فامّا الصخرة، فلم يبقَ فيها مع مَلك جِلِّيقِيَّة سوى ثلاثمائة رجل،

1) Vocalisation fournie par B. 2) A. يخاطر.

3) Vocalisation dans B.: peut-être قرقشونة (Carcassonne).

تلفوا بالموت والجوع والحصار، فلمّا لم يبق منهم إلاّ ثلاثمائة رجل، ورأى ذلك المرتّبون معهم على حصارهم، استقلّوهم، فتركوهم، فلم يزالوا يزدادون حتّى كانوا سَبَبَ إخراج المسلمين من جِلّيقِيّة، وهى قَشْتِيلة. وأمّا قَرْقُوشة، فذكر عبدُ الملك ابنَ حبيب أنّها افتتحت فى زمن هشام بن *عبد الملك صلحاً. وكان الافتتاح P. ١٥ كما ذكرتُه فى بقيّة سنة ٩٢ وبعض سنة ٩٣ من الهجرة.

وكان السبب فى جواز موسى بن نُصَيْر الى الأندلس أنّه أُغْرِىَ بطارِق عبده. وذُكِرَ له ما أفاء الله عليه، فكتب له موسى بأقبح السبّ، وأمرهُ ألاّ يتجاوز قُرْطُبة، حتّى يقدم عليه. قال ابن القطّان: قيل: إنّما حمله على الجواز للأندلس تَعَدِّى طارِق ما أمره به ألاّ يتعدّى قُرْطُبة، على قول، أو مَوْضِعَ هزيمة لُذْرِيق، على قول. وقيل أيضاً: إنّما حمله على ذلك الحسدُ لطارِق على ما أصاب من الفتوح والغنائم. وقيل أيضا: إنّما جاز باستدعاء طارِق ايّاه، فكان جوازهُ فى رمضان، كما تقدّم.

قال الرازىّ: وحدّث الواقدىّ عن موسى بن علىّ بن رَبَاح، عن أبيه، قال: خرج موسى بن نُصَيْر فى عشرة آلاف من إفريقية، مغضباً على طارِق، وتقدّم يُريد الأندلس، فدخلها، ونــزل الجزيرة. فقيل له: «اسْلُكْ طريق طارِق!» فقال: «لا، والله، أسلك طريقَه!» فقال له الأدلاّء من الأعلاج: «نحن نَدُلُّك على طريق هى أشرف من طريقه، وعلى مدائن هى أعظم خطراً من مدائنه، لم تُفتح، يفتحها الله على يديك إن شاء الله!» فامتلأ موسى سروراً، فساروا به الى مدينة شَذُونَة، فافتتحها عنوةً، وهى أوّل فتوحاته.

## فَتْح قَرْمُونَة

ونهض موسى مع أدِلاّئه من شَذُونَة الى قَرْمُونة، ولم يكن بالأندلس أحصن منها ولا أبعد من أن تُنال بحصار أو قتال. فسأل موسى عن أمرها، فقيل له: «لا تُؤْخَذ إلاّ باللطف والحِيَل!» فقدّم اليها عُلُوجاً كانوا من أصحاب يُلْيان

وغيرهم؛ فأتوهم فى هَيْئة المنهزمين، ومعهم السلاح؛ فأدخلوهم المدينة؛ فلمّا علم موسى بدخولهم، بعث الخيل اليهم ليلاً؛ ففتحوا لهم باب المدينة، وهو الباب المعروف بباب قُرْطُبة؛ فوثبوا على الأحراس؛ فقتلوهم. ودخل المسلمون المدينة عنوةً.

## فَتْح إِشْبِيلِيَة

P. 16 لمّا فتح موسى قَرْمُونة، تقدّم الى إِشْبِيلِيّة، وهى من أعظم قواعد الأندلس شأناً، وأتقنها بياناً، وأكثرها آثاراً. وكانت دار مُلْك رُوم رُومة قبل غلبة القُوطيّين على الأندلس؛ فلمّا غلب القُوطيُّون عليها، استوطنوا طُلَيْطُلة، وأقرّوا بها مُلْكهم؛ وبقى بمدينة إشبيلية علماء أهل رُومة وكُتّابهم ورؤساؤهم. فاحتلّ بها موسى بن نُصَيْر، وحاصرها أشهراً؛ ففتحها الله عليه، وهرب منها عُلوجُها الى مدينة بَاجَة.

## فَتْح مارِدة

وتقدّم موسى الى مدينة مَارِدة؛ وكانت دارَ مُلْك فى سالف الأيّام. وكانت فيها آثار عجيبة، وقنطرة، وقصور، وكنائس، تفوق وصف الناظرين؛ وهى إحدى القواعد الأربع بالأندلس التى ابتناها أُكْتَبِيان قَيْصَر. وهى قُرْطُبة، وإشبيلية، ومارِدة، وطُلَيْطُلة. فخرج أهلها الى حربه نحو الميل منها؛ فحاربهم حتّى صرفهم الى المدينة. فلما انجلت الحرب، وكفّ عن القتال، طاف موسى بالمدينة؛ فرأى نقباً كان لمقاطع الصخر؛ فكمن فيه الرجال ليلاً. فلمّا أصبح، زحف اليهم؛ فخرجوا كخروجهم فى اليوم قبله؛ فخرج عليهم الكمين وزحف اليهم المسلمون؛ فركبوهم؛ فقُتلوا أبرح قتل، ولجأ من نفى منهم الى المدينة؛ فحاصرهم أشهراً. حتّى عمل دبّابةً، فدبّ المسلمون تحتها الى بُرْج من أبراجها؛ فنقبوا صخرةً؛ فلمّا نزعوها، أفضوا الى صخرة صمّاء نبت المعاول عنها وشسوا منها؛ فبيناهم يضربون عليها، إذ استثار العُلُوج عليهم؛ فاستُشْهِد المسلمون تحت الدبّابة. فسُمّى ذلك البُرْج

بُرْج الشُّهَداء، وبه يُعرف الى اليوم؛ فحميت عند ذلك نفوسُ العُلوج، وثابت اليهم أنفسهم. ثمّ خرجت اليهم رُسُلٌ، وتعرّضت للصلح؛ فساروا الى موسى؛ فرأوا رجلاً أبيض الرأس واللحية؛ فكلّموه بما لم يوافقهم عليه ولم يَرْضَهُ؛ فرجعوا عنه، ولم يعقدوا شيئاً؛ ثمّ عاودوه يوماً آخر؛ * فألفوه قد حمّر رأسه ولحيته بالحِنّاء؛ فعجبوا منه، وراعهم ما رأوه؛ ولم يتمّ لهم أمْرٌ؛ ثمّ عاودوا اليه في اليوم الثالث، وذلك يوم عيد الفطر؛ فألفوه قد سوّد رأسه ولحيته؛ فرجعوا الى المدينة، وقالوا لمن فيها: «وَيْحَكم! إنّما تقاتلون أنبياء يتشبّبون بعد المَشيب! قد عاد مَلِكُهم حدَثاً بعد أن كان شيخاً!» فقالوا!: «اذهبوا اليه وأَعْطُوه ما سألكم!» فوصلوا اليه، وصالحوه؛ وانعقد أمرهم على أنّ جميع أموال القَتْلَى يوم الكَمِين وأموالَ الغائبين بجِلِّيقِيَّة وأموالَ الكنائس، ذلك كلّه للمسلمين. ثمّ فتحوا له الباب من يومهم ذلك، وهو مستهلّ شوّال من سنة ٩٤ من الهجرة. P. 17

## فَتح إِشْبِيلِيَة ثانيةً

وذلك، لمّا اشتغل موسى بن نُصَيْر بحصار مارِدة، ثار عَجَمُ إشبيلية، وارتدّوا، وقاموا على من كان فيها من المسلمين. وتجالب فلُّهم اليهم من مدينتَيْ لَبْلة وبَاجَة؛ فقتلوا من المسلمين نحو ثمانين رجلاً. وبلغ الخبر بذلك الى موسى بن نُصَيْر؛ فلمّا استتمّ فتح مارِدة، بعث ابنه عبد العزيز بجيش الى إشبيلية؛ فافتتحها، وقتل أهلها.

## فَتْح لَبْلة

لمّا استتمّ فتح إشبيلية، تقدّم عبد العزيز بن موسى بجيشه الى لَبْلة؛ فافتتحها، وانصرف الى إشبيلية؛ فدخلها أيضاً.

# ذكر اجتماع الأمير أبى عبد الرحمن موسى ابن نُصَيْر مع مَوْلاه طارِق بن زِيَاد على طُلَيْطُلة

(1) اتّفق الأكثرون على أنّ التقاءهما كان على طُلَيْطُلة (1). وذكر الطَّبَرِىّ أنّه كان على قُرْطُبة. وذكر الرازىّ أنّ طارِقاً خرج من طُلَيْطُلة لمّا بلغه مسيره اليه، فلقيه بقربة من طَلَبِيْرة. وكان موسى، لما فرغ من أمر مارِدة، نهض يريد طُلَيْطُلة، فخرج اليه طارق معظّماً له، ومبادراً (2) لطاعته، فوبخه موسى، وغضب عليه. وقيل إنّه وضع السوط على رأسه، وقيل إنّه ضربه أسواطاً كثيرة وحلق رأسه. ثمّ سار به الى طُلَيْطُلة، وقال له: «ايتِنِى بما أصَبْتَ وبالمائدة!» فأتاه بها، وقد اقتلع رِجلاً من أرْجُلها، فقال له: «أين الرِّجْل؟» فقال له: «هاكذا وجدتُها!» فأمر موسى، فعُمِل لها رِجْلٌ من ذَهَب، وأدخلها فى سفَط.

واختلفت الروايات لِمَ فعل موسى مع طارِق ما فعل من السخط عليه، فقيل: إنّما فعل ذلك بغياً ونفاسةً عليه، واستدلوا على ذلك بادّعائه خِصَالَ طارِق وأخْذِ المائدة عند الخليفة. ومنهم من عذره وقال: إنّما فعل ذلك به لتفرّدِه دون رأيه، وهو مولاه، وعلى توغّله بالمسلمين، وتغريره بهم. واتّصل بهذا فى كتاب الرازىّ أنّ الوليد بعث الى موسى رسولاً، فأخذ بعنان دابته، وأخرجه من الأندلس، ومعه طارِق ومُغِيث. وخلّف ابنه على الأندلس، وأبقى معه وزيراً حبيب بن أبى عَبْدة بن عُقْبة بن نافِع.

ولمّا التقى موسى بطارِق، وجرى له معه ما جرى، تقدّم من طُلَيْطُلة الى سَرَقُسْطة، فافتتحها، وافتتح ما حولها من الحصون والمَعاقِل. وذكروا أنّ موسى خرج من طُلَيْطُلة غازياً، يفتح المدائن، حتّى دانت له الأندلس. وجاءه أهل جِلِّيقِيّة يطلبون الصلح، فصالحهم. وفتح بلاد البَشْكُنِس، وأوغل فى بلادهم حتّى أتى قوماً كالبهائم. وغزا بلاد الإفْرَنْج. ثمّ مال حتّى انتهى الى سَرَقُسْطة،

---

1—1) Manque dans B. 2) A. احضرى.

فأصاب فيها ما لا يعرف قدره. وبين سَرَقُسْطة وقُرْطُبة مسيرة نحو شهر. وافتتح هنالك حصوناً كثيرة. [1]وكانت أساقفةُ الروم تَجِد صفة موسى فى كُتُبهم؛ فإذا رأوه، قالوا: «هو، والله!» فأعطوه المَعْقِل[1]. ولم يُهزم له جمعٌ قطُّ.

وقال يوسُف بن هشام: انتهى موسى الى صَنَمٍ؛ فوجد فى صدره مكتوباً: «يا بنى إسماعيل! فإلى هنا مُنتهاكُم! وإن سألتم الى ما ذا ترجعون، أخبرْناكم: ترجعون الى اختلاف •ذاتِ بَيْنِكم، حتّى يضرب بعضُكم رقابَ بعض، [2]وقد فعلتم[2].» P. 19

قال اللَّيْث: ولقد جاء رجلٌ الى موسى بن نُصَيْر؛ فقال له: «ابْعَثْ معى أدُلُّك على كنز!» فبعث معه رجالاً؛ فوقف بهم على موضع؛ فقال: «اكْشِفوا عن هذا!» فكشفوا؛ فإذا[3] حوضٌ مُتْرَعٌ من الياقوت والجوهر والزَّبَرْجَد ما لم تَرَ عَيْنٌ مثلَه قطُّ؛ فلما رأوا ذلك، بُهِتوا وأرسلوا الى موسى ليحضُرَ.

## ذكر ما أفاء الله على فاتِحى الأنْدَلُس

من ذلك مائدة سليمان — عليه السلام! — قيل إنّها كانت من ذهب وفضّة خليطَيْن، مطوَّقةً بثلاثة أطواق: طوق لؤلؤ، وطوق ياقوت، وطوق زَبَرْجَد، وإنّها حُمِلت على بَغْل عظيم لا بغل أقوى منه؛ فما بلغ بها مرحلةً حتّى تفتّحت قوائمه؛ ومنها ياقوتة ذى القَرْنَيْن وجدها بارِدة؛ ومنها البيتان اللّتان فتح فى طُلَيْطُلة، وُجد فى إحداهما أربعة وعشرون تاجاً عدد ملوكهم، لا يُدرى ما قيمة تاج منها، وعلى كلّ تاج اسمُ صاحبه ومبلغُ سِنّه؛ وفيه وُجدت المائدة؛ وكان السبب فى حصولها بطليطلة أنّ مَلِك الرُّوم، لمّا زحف الى بيت المَقْدِس ليقاتل بنى إسرائيل، أخـذ بلادهم وسبى ما فيها، ووجـد فيها مكارم الأنبياء — عليهم

---

1—1) A. dit simplement: وكان موسى تجده الأساقفة فى كتبهم

2—2) Manque dans A.

3) Début d'une lacune de deux feuillets dans le ms. A.

السلام !— منها عصا آدم، والتابوت الذى فيه بقيّةٌ ممّا ترك آلُ موسى وآلُ هارون، وعصا موسى ونَعْلاه، ومائدة سليمان، وهى من ذهب، قد كُلِّل أعلاها وأسفلُها بالدُّرّ والياقوت. فحُمِل جميع ذلك الى رُومة. فلمّا مرّ مَلِكُ الرُّوم بِمِصْرَ، رغب اليه أهلُها أن يجعلها عندهم يتبرّكون بها، وقالوا له: «رُومة تبعد عنّا!» وكانوا قد أمدّوه، وقاتلوا معه بنى إسرائيل؛ فطلبوا منه شيئاً من تلك المكارم؛ فدفع لهم المائدة؛ فحملتها الأساقفة الى الإسكندريّة. فلمّا غزا عمرو بن العاصى بِمِصْرَ، هربوا بها الى مدينة إطْرابُلُس. فلمّا نزل عمرو بن العاصى بَرْقة، هربوا بها الى مدينة قَرْطاجَنّة. فلمّا دخل المسلمون طَنْجة، هربوا بها الى مدينة طُلَيْطُلة، ولم يكن لهم أمنع منها؛ ولا وجدوا حيث يهربون بها بَعْدَها.

قال أبو شبّة الصَّدَفىُّ: لقد نظرتُ الى رجُلَيْنِ يحملان طَنْفَسةً منسوجةً بالذهب والفضة واللؤلؤ؛ فلمّا ثقُلت عليهما، أنزلاها؛ ثمّ حملا عليها الفأس؛ فقطعاها بنصفَيْنِ؛ فأخذا نصفاً، وتركا نصفاً. فلقد رأيتُ الناس يمُرّون على نصفها؛ فلا يلتفتون اليه اشتغالاً بما فى أيديهم ممّا هو أرفع منها.

وحدّث عبد الحميد عن أبيه، قال: قدمت الأندلس امرأةٌ عطّارةٌ؛ فخرجت منها خمسمائة رأس من السبى؛ فأمّا ما خرجت به من الذهب والفضّة والجوهر والآنية، فذلك ما لا يُحاط بعلمه. قال: وقدم علينا شيخٌ من المدينة، جيّدُ التجربة واللسان؛ فجعل يحدّثنا عن الأندلس؛ فقُلْتُ له: «كيف علمتَ هذا؟» قال: «لأنّى، والله! كنتُ ممّن اشترى بها بحبّات فُلْفُل أقلّ من القبضة ما يُساوِى عَدَداً.»

وأقام موسى بالأندلس سَنَتَيْن وشهراً؛ ثمّ رجع الى إفريقية، وتحته بَغْلٌ أشْهَب يسمّى الكَوْكَب. ولمّا انصرف عن قُرْطُبة متوجّهاً نحو إفريقية، حوّلَ وجهه الى قُرْطُبة، فقال: «واهاً لَكِ! يا قُرْطُبة! ما أطْيَبَ تُرْبَتَكِ، وأشْرَفَ بُقْعَتَكِ، وأعْجَبَ أمْرَكِ! ولَعَنَكِ اللهُ بعد الثلاثمائة سنة!» ثمّ مضى حتّى وصل الخضراء، وأمر بالعَجَل؛ فحملت الذهب والفضّة والجوهر والمتاع وأصناف متاع

الأندلس. وكان دخول موسى الأندلس سنة ٩٣، وهو ابن ستّين سنة؛ وأقام والياً بإفريقية ستّ عشرة سنة، وقتل منها سنة ٩٥.

## ومن أخبار الأمير أبى عبد الرحمن موسى بن نُصير – رحمه الله تعالى!

لمّا دخل موسى إفريقية، وجدها قد قحطت قحطاً شديداً؛ فأمر الناسَ بالصيام والخروج الى المُصَلّى، الرجال على حِدَةٍ، والنساء على حِدَةٍ، والصبيان على حِدَةٍ، وكذلك جميع البهائم مع أصنافها. فاجتمعوا فى موضع واحد، ودعا الله تعالى، ودعا الناسُ معه، وبكى، وبكوا، وبكى الصبيان والنساء، وصاحت البقر والعِجَل والغَنَم والخرفان وأهلُ الذِمّة. فأقاموا كذلك حتّى انتصف النهار. ثمّ خطب الناسَ؛ فلم يَلْبَثْ أنْ سُقُوا سقْياً شافياً.

وخرج موسى من إفريقية، واستخلف عليها عبد الله ابنَه. وحمل موسى معه من إفريقية من وجوه البَرْبَر مائة رجل وعشرين مَلِكاً من ملوك الرُّوم؛ فخرجوا معه بأصناف ما كان فى كلّ بلد من طرائفها وذهبها وفضّتها وجوهرها وياقوتها، ما لا يُحصى ولا سُمِع بمثله، حتّى انتهى الى مِصْر؛ فلم يَبْقَ بها شريفٌ، ولا فقيهٌ، ولا عظيمٌ، إلاّ ودفع الى سليمان بن عبد الملك عشرة آلاف دينار. ثمّ خرج من مِصْرَ؛ فتوجّه الى فِلَسْطين؛ فتلقّاه آلُ رَوْح بن زِنْباع الجُذاميّ؛ فنزل بهم؛ فنحروا خمسين جملاً. ثمّ خرج من عندهم، وترك بعضَ أصحابه وصغارَ ولده عندهم، وأفرغ على آل رَوْح بن زِنْباع كثيراً من الكسى والوصائف والوصفان، وغير ذلك من الأموال.

وكان موسى، قَبْلَ خروجه من المَغْرِب، قدم عليه ولدُه مروان من السوس الأقصى، وهو يجرُّ الدنيا جرّاً. ولمّا وصل رسولُه الى أبيه، يعلمه به وبما يأتى به من السَّبْى، خرج اليه فى وجوه الناس يتلقّاه؛ فلمّا التقيا، قال مروان بن موسى: «مُرُوا لكلّ من يلقانى مع أبى بوصيفة وصيفة!» فلما أمر بذلك، سمع موسى

صياحَ الناس وضجيجَهم، ورأى حركاتهم؛ فقال: «ما هذا؟» فقالوا: «ابنك مروان أمر للناس بوصيفة وصيفة!» فقال لهم: «مُرُّوا لهم انتم بوصيف وصيف!» فانصرفوا الناس كلّهم. ومع كلّ واحد منهم وصيفٌ ووصيفةٌ.

وكان الوليد بن عبد الملك مَرِض مَرَضَهُ الذى مات منه. وكتب الى موسى يأمره بشدّ السَّيْر اليه ليدركه قبل الموت. وكتب اليه سليمان أن يبطوْ فى سيره. فعمل موسى بكتاب الوليد، ولم يعمل بكتاب سليمان، وجدّ فى سيره. فغضب عليه سليمان، وقال: «والله! لئن ظَفِرْتُ بــه، لأُصَلِّبَنَّهُ!» وكان سَبَبُ أمر الوليد لموسى بالعجلة ليُحْرِمَ سليمان ما جاء بــه؛ وكان أَمْرُ سليمان له بترك الاستعجال ليُحْرِمَ الوليد وولده ما جاء به. فقدم موسى قبل موت الوليد وأتاه بالطرائف من الدُّرّ والياقوت والزَّبَرْجَد، والوصفاء والوصائف، ومائدة سليمان، والتيجان المكلّلة لدُرّ والياقوت. فاستغرب الوليد ذلك، وأمر بمائدة سليمان؛ فكُسرت، وعمد الى أرفع ما كان فيها من الجوهر وكلّ ما كان فى التيجان وغيرها؛ فجعله فى بيت المال. ثمّ لم يلبَثْ [1]أن مات وأفضت الخلافة الى سليمان أخيه؛ فبعث فى موسى؛ فعنّفه بلسانه، وقال: «والله! لأَفُلَّنّ غَرْبَك! ولأفرِّقَنّ جَمْعَك! ولأصغِّرَنّ مِنْ قَدْرِك!» فقال موسى: «أمّا قولُك تَفُلُّ من غَرْبِى وتخفض[2] من قَدْرى، فإنّ ذلك بيد الله، وإلى الله لا إليك! وبه أستعين عليك!» فأمر به سليمان؛ فوُقِّف فى يوم صائف شديد الحرّ؛ وكان موسى رجلاً ضخماً[3]، بادناً، ذا نسمة؛ فوَقَف حتّى سقط مَغْشِيًّا عليه؛ فنظر سليمان الى عمر ابن عبد العزيز — رضه —؛ فقال له: «يا أبا حفص! ما أُرانى إلاّ وقد بَرَرْتُ فى يمينى وخرجتُ عنه!» فقال عمر: «أَجَلْ! يا أمير المؤمنين!» فقال سليمان: «مَنْ يضُمُّه اليه؟» فقام يزيد بن المُهَلَّب؛ فقال «أنا يا أمير المؤمنين أضُمُّه إلىّ!» [4]قال: «فضُمَّه إليك ولا تضيِّق عليه!»[4] فانصرف يزيد، وقدّم

1) Ici reprise du ms. A. 2) B. وتحط. 3) A. عظيماً.

4—4) Manque dans B.

اليه دابّـةً ، فركبها موسى ، وأقام عنده أياماً حتى حَسُنَ ما بينه وبين سليمان . وافتدى منه موسى بمال كثير ، قيل : ألف ألف دينار ، وقيل غير ذلك . ثمّ إنّ يزيد بن المُهَلَّب سهر ليلةً عند موسى ، فقال له : « يا أبا عبد الرحمن ! فى كم كنتَ تعتدُ من مواليك وأهل بيتك ؟ » فقال له موسى : « فى كثير ! » فقال يزيد : « يكونون ألفاً ؟ » فقال له موسى : « ألف وألف وألف الى منقطع النَّفَس ! » فقال له يزيد : « كنتَ على ما وصفتَ ، وألقيتَ بيدك الى التهلكة ! أفلا أقمتَ فى قرار عزّك وموضع سلطانك ، وامتنعتَ بما قَدِمْتَ به ؟ فإن أعطيتَ الرضَى ، وإلاّ كنتَ على عزّك وسلطانك ! » فقال له : « والله ! لو أردتُ ذلك ، لَمَا نالوا من أطرافى طَرَفاً ! ولاكنّى آثرتُ الله ورسوله ! ولم أرَ الخروج عن الطاعة والجماعة ! » P. ٢٠

وذُكر أنّ سليمان قال لموسى : « ما الذى كنتَ تفزع اليه عند حروبك ومباشرة عدوّك ؟ » قال : « كنتُ أفـزعُ الى التضرُّع والدعاء والصبر عند اللقاء ! » قال : « فأىُّ الخيل رأيتَها فى تلك البلاد أسْبَق ؟ » قال : « الشُّقْر ! » قال : « فأىُّ الأمَم كانوا أشدَّ قتالاً ؟ » قال : « هُمْ أكثر من أن أصِفَهم ! » قال : « أخبِرْنى عن الرُّوم ! » قال : « أُسُدٌ فى حصونهم ، عِقْبانٌ على خيولهم ، نساءٌ فى مواكبهم ، إن رأوا فرصةً انتهزوها ، وإن رأوا غلبةً ، فأوْعالٌ تذهب فى الجبال ، لا يرون الهزيمة عاراً . » قال : « فأخبِرْنى عن البَرْبَر ! » قال : « هم أشبه العَجَم بالعَرَب لقاءً ونجدةً وصبراً وفروسيّةً ، غيْرَ أنّهم أغْدَرُ الناس ، لا وفاءَ لهم ولا عَهْدَ ! » قال : « فأخبِرْنى عن الأنْدَلُس ! » قال : « ملوكٌ مُتْرَفون ، وفُرْسانٌ لا يجبنون . » قال : « فأخبِرنى عن الإفْرَنْج ! » قال : « هناك العَدَدُ والعُدَّة ، والجَلَد والشدّة ، والبأس والنجدة ! » قال : « فأخبِرْنى كيف كانت الحرب بينك وبينهم : أكانت لك أو عليك ؟ » فقال : « أمّا هذا ، فوالله ! ما هُزِمَتْ لى رايةٌ قطُّ ، ولا بُدِّد جَمْعى ، ولا نُكِبَ المسلمون معى ، منذ اقتحمتُ الأربعين الى أن بلغتُ الثمانين ! » فضحك سليمان ، وعجب من قوله . ثمّ دعا سليمان بِطَسْتٍ

من ذهب، فجعل يردّد بصره فيه، فقال له موسى: «إنّك لتعجب من غير عجب! والله! ما أحسبُ أنّ فيه عشرة الاف دينار! والله! لقد بعثتُ الى أخيك الوليد بتَنُّور من زَبَرْجَد أخضر، كان يُصَبُّ فيه اللبن، فيخضرّ وتُرى فيه الشعرة البيضاء، ولقد قُوِّمَ بمائة ألف مثقال، وإنّه لَمِنْ أدنى ما بعثتُ به اليه! ولقد أصبتُ كذا وأصبتُ كذا!» وجعل يعدِّد ما أصاب من الدُّرّ والياقوت والزَّبَرْجَد، حتّى بُهِتَ سليمان من قوله.

P. ٢١ وخرج سليمان يوماً يتصيّد، ومعه موسى بن نُصَيْر، فمرّ فى مُنْبَتٍ له بذَوْد غَنَمٍ يكون فيها نحوُ ألف شاةٍ، فالتفت الى موسى، وقال له: «هل كان لك مثل هذا؟» فضحك موسى وقال: «والله! لقد رأيتُ لأدنى مَوالىّ أضعافَ هذا!» فقال سليمان: «لأدنى مَواليك؟» فقال: «نَعَمْ والله! نعَمْ والله!» وردّدها مراراً، (1 ثمّ قال 1): «وما هذا فيما أفاء الله عليّ! لقد كانت الألف شاة تُباع بعشرة دراهم، كلّ مائة بدِرْهم! ولقد كان الناس يمرّون بالبقر والغنم، فلا يلتفتون اليها! ولقد رأيتُ الذَّوْد من الإبل بدينار! ولقد رأيتُ العِلْج الفارِه وامرأتَه وأولادَه يُباعون بخمسين درهماً!» قال: فعجب سليمان.

ثمّ حجّ سليمان، وخرج موسى معه، وكان موسى من أعلم الناس بالنجوم. فلما احلّ بالمدينة، قال لبعض إخوانه: «لَيَمُوتَنَّ بعد غَدٍ رجلٌ قد ملأ ذِكْرُه المشرق والمغرب!» (2 فظنّ الرجل أنه الخليفة 2)، فمات موسى فى اليوم الثانى. وصلّى عليه مسلمة بن عبد الملك. وكان مولد موسى سنة ١٩، فى خلافة عمر بن الخطّاب – رضه –. قيل إنّه من لَخْم، وقيل: من بَكْر بن وائل.

وقال ابن بَشْكُوَال فى «كتاب الصِّلة» له: إنّه موسى بن نُصَيْر بن عبد الرحمن بن زيد. وقال غيرُه: كان نُصَيْر ولاه معاوية بن أبى سُفيان على خيله، فلم يقاتِلْ معه عليّاً، فقال له: «ما منعك من الخروج معى على علىّ؟ ويدى عليك، ولم تكافِئنى عليها؟» فقال: «لم يُمكنّى أن أشكرك بكُفْرِ مَنْ هو

1—1) Manque dans A. 2—2) Manque dans A.

إنّه على رأس مَلِككم وإمامكم!» فأعلَمَ بذلك زيادٌ حبيب بن أبي عَبْدة؛ ثمّ
تحدّثا بذلك حتّى علمه خيارُ الجند؛ فلم يكن له همٌّ إلاّ كَشْف ذلك، حتّى رأوه
عياناً. فقالوا «قد تنصّر!» ثمّ هجموا عليه، فقتلوه. [1]وأكثرُ الناس على أنّ هذه
الحكاية لا تصحّ، وإنّما قتلوه بأمر سليمان لِما بذلك إذ نكب والدَه[1].

وقال الواقديّ: إن التى نكح بعد خروج أبيه هى ابنة رُذْريق؛ فجاءته من
الدنيا بما لا يُوصف. فلما دخلت عليه، قالت له: «ما لى لا أرى أهل *مملكتك P. ٢٣
يعظّمونك، ولا يسجدون لك، كما كان أهل مملكة أبى يفعلون له؟» فأمر
بباب، فنُقب فى ناحية قصره، وجعله قصيراً؛ فكان يأذن للناس منه؛ فيدخل
الداخل مُنْكِباً رأسه قُبالتَه لقصَر الباب؛ وقد جعل لها مجلساً، تنظر منه الى
الناس إذا دخلوا عليه من حيث لا يَرَوْنها. فلما رأتهم على ذلك، ظنّت أنّهم
يسجدون له. فقالت لعبد العزيز: «الآن قَوِىَ مُلْكُك!» وبلغ الناس ما أراد
بذلك الباب؛ فثار به حبيب بن أبى عَبْدة الفِهْرىّ، وزياد بن عُذْرة البَلَوىّ،
وزياد بن نابغة التّميمىّ، ومن معهم من الناس؛ فقتلوه. وقيل أيضا: إنّما
قتلوه لأنّه خلع طاعة سليمان بن عبد الملك، إذ بلغه قَتْلُ أخيه وما صُنع بأبيه.

قال الرازىّ: لما قتل موسى بن نُصَيْر، استخلف ابنه عبد العزيز على
الأندلس؛ فضبط سلطانها، وسدّ ثغورها، وافتتح مدائن كثيرة. وكان من خير
الوُلاة، إلاّ أنّ مدّته لم تطُلْ، لوثوب الجُنْد عليه وقتلِهم له، لأشياء نقموها عليه.
وكان قتله صَدْرَ رجب من سنة ٩٧، بمدينة إشبيلية، بمسجد رُفينة[2]. ولما دخل
المحراب، قرأ فاتحة الكتاب؛ ثمّ قرأ سورة الواقعة[3]؛ فعلاه من خلفه زيادُ
ابن عُذْرة البَلَوىّ بالسيف؛ فقتله، وهو يقول: «قَدْ حَقَّتْ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الفَاعِلَةِ!»
فكانت ولايتُه سنةً واحدةً وعشرةَ أشهُر.

وذَكَر أيضاً أنّ سليمان بعث الى الجُنْد بأمرهم بقتله، عند سخطه على أبيه،
وأنّهم، لما قتلوه، حزّوا رأسه. وقدم به على سليمان حبيبُ بن ابى عَبْدة *الفِهْرىّ. P. ٢٤

1—1) Manque dans A. 2) B. رُبينة. 3) B. الحاقة.

فقيل إنّه عرض الرأس على والده، وهو فى محبسه، فتجلّد لحَزّ المصيبة، وقال: «هنيئاً له الشهادة[1]! قتلتم، والله! صوّاماً قوّاماً!» قال الرازىّ: فكانوا يعدّون فعل سليمان هذا بموسى وابنه من كبار زلّاته التى لم تزل تُنقم عليه. ومكث أهلُ الأندلُس شهوراً لا يجمعهم والٍ، حتّى اجتمعوا على أيّوب بن حبيب اللَّخمىّ، ابن أخت موسى بن نُصَيْر.

## ذِكْر ولاية أيّوب بن حبيب الأندلُس

ثمّ اجتمع أهلُ الأندلُس على تقديم أيّوب هذا، يؤمّهم لصلاتهم؛ وكان رجلاً صالحاً. وأقاموا مدّةً دون أمير، ونقلوا دار السلطان الى قُرْطُبة. فتقدّم أيّوب ابن حبيب، واحتلّ بقصر قرطبة؛ وكان مُغيث قد اختطّه لنفسه. فذُكر أنّ موسى ابن نُصَيْر، حين أقلعه رسولُ الوليد، رجع فى قفوله على طريق طارِق ليختبر الأندلُس؛ فنزل قرطبة وقال لمُغيث: «إنّ هذا القصر لا يصلح لك، وإنّما يصلح للعامل الذى يكون بقرطبة.» فتنحّى عنه يومئذٍ. ونزله بعد ذلك أيّوب ابن حبيب. فكانت ولايته ستّة أشهر.

## ولاية الحُرّ بن عبد الرحمن الثَّقَفىّ

لما وَلِى سليمانُ بن عبد الملك محمّدَ بن يزيد، مولى ابنة الحكم بن العاصى، إفريقيةَ، كانت الأندلُس وطَنْجة الى صاحب إفريقية. فوجّه محمّدُ بن يزيد الحُرّ ابن عبد الرحمن هذا عاملاً على الأندلُس، فى أربعمائة رجل من وجوه إفريقية. فبقى الحُرّ والياً * عليها ثلاث سنين؛ فنقل الحُرّ هذا الإمارة من إشبيلية الى قُرْطُبة. وكان قدوم الحُرّ الأندلُس سنة ٩٩ من الهجرة. P. ٢٥

---

1) B. الجنّة

## ولاية السَّمْح بن مالِك الخَوْلانى

ثم ولّى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز – رضه – السَّمْحَ بن مالك على الأندلس، وأمره أن يحمل الناس على طريق الحق، ولا يعدل بهم عن منهج الرفق، وأن يخمّس ما غلب عليه من أرضها وعقارها، ويكتب اليه بصفة الأندلس وأنهارها. وكان رأيُهُ نَقْلَ المسلمين منها وإخراجهم عنها، لانقطاعهم عن المسلمين واتّصالهم بأعداء الله الكفّار؛ فقيل له: «إنّ الناس قد كثُروا بها، وانتشروا فى أقطارها؛ فاضْرِب عن ذلك!» فقدم السَّمْح الأندلس، وامتثل ما أمره به عمر – رضه – من القيام بالحق، واتّباع العدل والصدق؛ فانفرد السَّمْح بولايتها؛ وعزلها عمر عن ولاية إفريقية، اعتناء بأهلها، وتهمّماً بشأنها.

وكان المسلمون، إذ فتحوا قُرْطُبة، وجدوا بها آثار قنطرة فوق نهرها، على حنايا وثاق الأركان من تأسيس الأمم الدائرة، قد هدمها مدود النهر على مرّ الأزمان. فتقدّم الى فضيلة النظر فيها عمر بن عبد العزيز – رضه – عند ما اتّصل به خَبَرُها؛ فأمر السَّمْح بابتنائها؛ فصُنعت على أتمّ وأعظمَ ممّا بُنى عليه جسرٌ من حجارة سور المدينة.

وفى سنة ١٠١، ورد كِتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على السَّمْح بن مالك بالأندلس، يأمره ببناء القنطرة بصخر السُّور، وبناء السور باللَّبِن، ويأمره بإخراج خُمُس قُرْطُبة. فخرّج من الخُمُس البطحاء المعروفة بالرَّبَض. فأمر الخليفة عمر أن يتخذ بها مقبرةً للمسلمين؛ فتمّ ذلك.

وقُتل السَّمْح – رحمه الله! – بطَرَسُونة، وذلك أنّه غزا الروم فى سنة ١٠٢؛
P. ٢٦ فاستُشْهِد – رحمه الله! – يوم عَرَفة؛ فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر. وقيل: ثمانية أشهر؛ وقيل: ثلاث سنين.

## ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافِقىّ الأندلس

ثم قدّم أهلُ الأندلس على أنفسهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافِقىَّ هذا؛ فدخلها فى شهر ذى الحِجّة سنة ١٠٢.

## ولاية عَنْبَسة بن سُحَيم الكَلْبىّ

ثمّ ولّى يزيد بن أبى مُسلم عاملُ إفريقية على الأندلس عَنْبَسة بن سُحَيم هذا، فدخلها فى شهر صفر. فلما قُتل يزيد بن أبى مُسلم، كان على إفريقية محمّد بن يزيد، مولى الأنصار، على ما ذكره الطَّبَرىّ، بتقديم أهل إفريقية، وإقرار يزيد بن عبد الملك إيّاه.

وفى سنة ١٠٣، كان العامل على إفريقية من قِبَل يزيد بن عبد الملك بِشْر بن صَفْوان، أخو حَنْظَلة؛ فأقرّ عَنْبَسة على الأندلس؛ فكانت ولاية عَنْبَسة كلّها أربع سنين وثمانية أشهر؛ وقيل غير ذلك.

وفى سنة ١٠٥، خرج عَنْبَسة غازيًا للرّوم بالأندلس، وأهلُها يومئذٍ خيارٌ، فضلاء، أهلُ نيّةٍ فى الجهاد وحِسْبةٍ فى الثواب؛ فألحّ على الروم فى القتال والحصار، حتّى صالَحُوه. وتُوُفّى عَنْبَسة فى شعبان سنة ١٠٧؛ فكانت ولايته كما ذكرنا.

## ولاية يَحْيَى بن سَلَمة الكَلْبىّ

وذلك أنّه، لما تُوفّى عَنْبَسة، قدّم أهلُ الأندلس على أنفسهم رجلاً من العَرَب، يُقال له عذرة، الى أن ورد بعد شهرَيْن يحيى بن سَلَمة الكَلْبىّ واليًا من عند أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، فى آخر سنة ١٠٩؛ فكانت ولايته P. ٢٧
سنتَيْن وستّة أشهر.

وماتَ بِشْر بن صفوان بإفريقية؛ فولّى هشام بن عبد الملك مكانَه عُبَيْدة ابن أبى الأعْوَر السُّلَمىّ.

## ولاية حُذَيْفة بن الأحْوَص

ثمّ ولى الأندلس حُذَيْفة بن الأحْوَص الأشجعىّ؛ وقيل: القَيْسىّ؛ ولاّه عليها عُبَيْدة بن عبد الرحمن السُّلَمىّ عاملُ إفريقية من قِبَل هشام بن عبد الملك، فى سنة ١١٠؛ فكانت ولايته ستّة أشهر.

## ولاية عثمان بن أبى نِسْعة

ثمّ ولّى عُبَيْدة بن عبد الرحمن بن أبى الأَعْوَر السُّلَمىّ على الأندلس عثمان ابن أبى نِسْعة الخَثْعَمىّ، فقدمها فى شعبان سنة ١١٠، وكانت ولايته خمسة أشهر، وقيل: ستّة أشهر، ثمّ عُزِل وانصرف الى القَيْرَوان، فمات بها.

## ولاية الهَيْثَم بن عُبَيْد الكِنانىّ

ثمّ ولى الأندلُس الهَيْثَم بن عُبَيْد الكِنانىّ، فى صدر سنة ١١١، وكانت ولايته عشرة أشهر، وقيل غير ذلك، وهو الذى غزا مُنّوسة[1]. وأقام واليًا عشرة أشهر، كما ذكرنا، وقيل: سنةً وشهرَيْن، ثمّ تُوفّى.

## ولاية محمّد بن عبد الله الأَشْجَعىّ

ثمّ قدّم أهلُ الأندلس على أنفسهم محمّد بن عبد الله الأشجعىّ، فكانت ولايته شهرَيْن، وقيل غير ذلك.

## * ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافِقىّ ثانيةً f. ٣٨

ثمّ ولى الأندلس عبد الرحمن هذا ثانيةً، فكان دخوله اليها فى صفر سنة ١١٢، فأقام واليًا سنتَيْن وسبعة أشهر، وقيل: وثمانية أشهر. واستُشْهِد فى أرض العدوّ فى رمضان سنة ١١٤.

## ولاية عبد الملك بن قَطَن

ثمّ ولى عبد الملك بن قَطَن بن نُفَيْل بن عبد الله الفِهْرىّ، فدخلها فى شهر رمضان المذكور الذى تُوفّى فيه عبد الرحمن الغافِقىّ. فألفاه قد استُشهد. وقيل: دخلها فى شوّال من سنة ١١٤. وكانت ولايته سنتَيْن، وقيل غير ذلك.

---

1) B. سَنُوسة.

حُرَيْث، وعزله عن كُورة رَيّة؛ فغضب ابن حُرَيْث، وكاتَبَ أبا الخَطّار حيناً. فقال أبو الخَطّار: «أنا الأميرُ المخلوع! فأنا أقوم بالأمر!» وقال ابن حُرَيْث: «بل أنا أقوم به، لأنّ قومى أكثر من قومك!» فلما رأت جُذام ما يدعو اليه ابن حُرَيْث، قدّموه وأجابوه؛ فأصفقت يَمَنُ الأندلس وحِمْيَرُها وكِنْدَتُها على تقديمه والطوع له، وانحازت مُضَر ورَبيعة الى يوسف بقُرْطُبة حضرة المُلْك. وأقبلا حتّى نزلا شَقُنْدة.

P. ٣٧

وكان الصُّمَيْل مع يوسف الفِهْرىّ، وهو الذى سأله الناسُ أن ينظر لهم فى والٍ يَلِى عليهم، لشُغْلِ أمير المؤمنين مروان بن محمّد بالمشرق عنهم وبُعْدِهِ عنهم. فاختار لهم يوسفَ بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عَبْدة بن عُقْبة بن نافِع الفِهْرىّ؛ وكان يومئذٍ بِالْبِيرة؛ فرضِيَه الناسُ كما ذكرنا. ووقع اختلافٌ بعد ذلك فى أمره بين مُضَر واليَمَن؛ فانضوت اليَمَن الى أبى الخَطّار، من جميع البلاد والأقطار، وزحف بهم الى يوسف الفهرىّ بقرطبة؛ فكَرِهَ يوسف الفتنة، وخاف البغضاء والشحناء. فنزل الصُّمَيْل بن حاتِم بالحلاّت، وشكّ السلاح والآلات؛ وأقبل أبو الخَطّار بمن معه، ونزل موضعه؛ فالتقت بشَقُنْدة الفِئتان، وتصادمت الفرقتان؛ فلا تَسْمع إلاّ صَهِيلاً وصَلِيلا، ولا ترى إلاّ قتيلا، حتّى تكسّرت الخَطِّيّة وتفلّلت المَشْرَفِيّة، والتفّت الساق بالساق، وانضمّت الأعناق الى الأعناق؛ فلم يُعْهَد حربٌ مثلها فى المسلمين، بعد حرب الجَمَل وصِفّين، الى أن انهزمت اليَمانيّة مع أبى الخطّار بعد حِين. وهرب أبو الخَطّار، وركب ظَهْرَ الفِرار؛ واستتر فى رَحًى للصُّمَيْل هنالك؛ فظُفِر به وقُتل إذ ذلك. فرأَسَ الصُّمَيْلُ بن حاتِم فى الناس، وشهر بالنجدة والبأس؛ وصرف يوسف الفِهْرىّ اليه الأمور، وأوقف عليه الرياسة والتدبير. فكان ليوسف الاسْم، وللصُّمَيْل الرَّسْم.

## مَقْتَل أبى الخَطّار

ولما أُخِذ أبو الخَطّار، وأرادوا قتله، قال: «ليس علىّ فَوْتٌ! ولاكن دونكم

ابْنَ السَّوداء !» يُريد ابن حُرَيْث. فدَلّ عليه، وقتِلا جميعاً. وكان ابن حُرَيْث يقول: «لو أنّ دماء أهل الشأم سُبيتْ، *لشَرِبتُها فى قَدَح!» فلما استُخرِج P. ٣٨ من تحت الرَّحَى ليُقتل، قال له أبو الخَطّار: «يا ابن السَّوْداء! هل بقى فى قَدَحك شىءٌ لم تشربه؟» ثمّ قُتِلا. وأُتِىَ بالأسرى؛ فقعد لهم الصُّمَيْل، وضرب أعناقهم جميعاً.

ثمّ أتبَعَ اللهُ الأندلس بعد ذلك بالوباء والموت فى السنة الثانية، حتّى كاد الخلقُ أن ينقرض منها.

ووُلِّىَ يوسف عن (1رِضًى من1) عامّة الجُنْد من مُضَر ويَمَن والشأم؛ فصَفَتْ له الأندلُس بعد يوم شَقُنْدة، وخلصت له القلوب والأنفس. وعاد الصُّمَيْل بن حاتِم قائده الأعلى، وقِدْحُه المُعَلَّى، يقرِّب منه ما شاءه، ويدفع عنه ما ساءه، الى أن تمكّن بالدولة، وملَك رِقاب تلك الجملة. فشَرِقَ به يوسف وقَلِق، وخشى من جانبه وأَرِق[2]؛ فرأى أن يبعده من مكانه، ويولّيه بعض سلطانه؛ فولّاه سَرَقُسْطة وبلادَها سنة ١٣٢؛ فكان فيها الى أن قام عليه فيها الحُبابُ بن رَواحة من بنى زُهْرة بن كِلاب؛ فحاصَرَه مُدّة من سبعة أشهر. وقعد يوسف عن إغاثته، واعتذر بشدّة الأندلس فى ذلك الوقت ومجاعته، رغبةً فى تلافه وهلاكه، وحِرْصاً على الراحة منه لاستحواذه واستملاكه، الى أنَ اجتمع قومُه بإلبيرة وجيّان، وساروا الى نُصْرته، وتفريج كُرْبته.

وقيل إنّ الذى قام على يوسف بسَرَقُسْطة تميمُ بن مَعْبَدٍ الزُهْرىُّ وعامِرٌ العَبْدَرىُّ. فغزاها يوسف فى سنة ١٣٨؛ فكان عليها، الى أن دخل عبد الرحمن الداخِل الى الأندلس.

وفى سنة ١٣٠، كانت وقعة شَقُنْدة، واجتُمع على يوسف. وكان يومَ ولايته ابنَ خمس وسبعين سنة؛ وملك تِسْعَ سنين. وكان قبل ولايته مُعْتَزِلاً فى بادية، من أهل الديانة والإظهار للخير.

---

1—1) Manque dans A. 2) Manque dans A.

وفى سنة ١٣١، أمحلت الأندلس، وعمّ المَحْلُ، وتمادى الى سنة ١٣٦. وذلك سنةُ مَحْل وسنةُ غَيْث. واتّصل المحلُ الشديدُ سنةَ ٠أو اثنين؛ ثمّ سُقِىَ الناس سنة ١٣٣، وعادت الى بعض الصّلاح.

P. ٣٩

وفى سنة ١٣٣، ثار أهلُ جِلِّيقِيّة، وتردّدت الغارات عليها. ثمّ استحكم الجوع والقحط فى سنة أربع وثلاثين وسنة خمس وبعض سنة ١٣٦؛ فخرج أكثرُ الناس الى طَنْجة وزويلة[1] وريف البحر فى العَدْوة؛ وكانت إجازتهم من وادى شَذُونة، وهو المعروف بوادى بَرْباط؛ [2]وبه سُمِّيت السنة[2].

## تسمِيَةُ من ثار على يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرىّ بالأنْدَلُس

منهم: عبد الرحمن بن عَلْقَمة اللَّخْمىّ، ثار عليه بأَرْبُونة؛ فحارَبَه، ولم يمكث فى حربه إلّا يسيراً حتّى أمكنه الله منه وثار عليه عُرْوةُ بباجة؛ فوجّه اليه يوسف مَنْ هزمه وقتل أصحابه. وثار عليه تَمِيم بن مَعْبَد سنة ١٣٦. وفى سنة ١٣٧، اجتمع تَمِيم بن مَعْبَد وعامِر بن عمرو بن وَهْب بسَرَقُسْطة؛ فتولّى محاربتهما الصُّمَيْلُ بن حاتِم. وفى سنة ١٣٨، خرج يوسف بنفسه الى تَمِيم بن مَعْبَد وعامِر ابن عمرو بسَرَقُسْطة؛ فحاصَرَها، ثمّ ظفر بهما وقتلهما. وفى هذه السنة، انقضَتْ أيّامُ يوسف بن عبد الرحمن الفهْرىّ.

## جامِعُ أخبار بنى أُمَيّة بالمَشْرِق

وذلك أنّ جميع خُلَفائهم من لَدُن مُعاوية الى آخرهم أربعة عشر رجلاً. وكانت مُدّة دولتهم، منذ خَلَص الأمر الى مُعاوية الى أن قُتِل مروان بن محمّد، احْدَى وتسعين سنةً، وتسعة أشهر، وخمسة أيّام، منها أيّامُ ابن الزُّبَيْر تسع سنين واثنان وعشرون يوماً. ثمّ تفرّقت بنو أُميّة فى البلاد هرباً بأنفسهم. وهرب

---

1) *Sic* dans A. et B. Peut-être: وآزيلة ?    2—2) Manque dans B.

P. ٤٠. عبدُ الرحمن بن مُعاوية بن هشام بن عبد الملك الى *الأندلس؛ فبايعه أهلُها، وتجدّدت لهم بها دولةٌ استمرّت الى بعد الأربع والعشرين والأربعمائة. والناسُ يعتقدون أنّ دولتهم كانت انقطعت من حين قتل مروان الى أنّ جدّدها عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٦ أو نحوها؛ وقيل إنّها كانت متّصلة، لم تنقطِعْ من زمن عُثْمان — رضَه — الى زمن المُعْتَدِّ بالله بقُرْطُبة آخِرِ خُلَفائهم سنة ٤٢٤. وهذا القول يَنْبَنِي على ما قاله بعضُهم إنّ عَهْدَ عبدِ الرحمن بن حبيب صاحبِ إفريقية من قِبَل بنى أُميّة وصل الى يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرىّ المتغلِّب على الأندلُس، الذى دخل عبدُ الرحمن بن مُعاوية وهو أميرُها. فتأمّلْ هذا؛ فإنّه، إنْ صَحّ، نُكْتةٌ غريبةٌ [1]، وفائدةٌ عجيبةٌ.

قال أبو محمّد بن حَزْم: وانقطعت دولة بنى مروان بالمشرق بمروان بن محمّد الجَعْدىّ [2]. وكانت، على علاّتها، دولةً عربيّةً، لم يتّخذ ملوكُها قاعدةً لأنفسهم، إنّما كان سُكْنَى كلِّ أميرٍ [3] منهم فى داره وضَيْعته التّان كانتا له قبل الخلافة، ولا أكثروا احتجان الأموال، ولا بناء القصور، ولا طلبوا مُخاطبة الناس لهم بالتّمويل والعبوديّة والملك [4]، ولا تقبيلَ أرضٍ، ولا يدٍ، ولا رِجْلٍ؛ إنّما كان غَرَضُهم الطاعة الصحيحة والتولِيَة والعَزْل فى أقاصِى بلاد الدنيا؛ فكانوا يعزلون العُمّال، ويولّون الأُخَرَ فى السِّنْد والهند [5]، وفى خُراسان، وفى أرمينيّة، وفى العراق، وفى اليَمَن، وفى المغرب الأدنى والأقصى وبلاد السُّوس وبلاد الأندلُس؛ وبعثوا اليها الجيوش، وولّوا عليها من ارتضوا من العُمّال، وملكوا أكثر الدنيا. فلم يملك أحدٌ من ملوك الدنيا ما ملكوه من الأرض، الى أن تغلّب عليهم بنو العبّاس بالمشرق، وانقطع بها [6] مُلْكُهم. فسار منهم عبد الرحمن بن معاوية الى الأندلس، وملكها هو وبنوه، وقامت بها دولةُ بنى أُميّة نحو الثلاثمائة سنة. فلم يَكُ فى دُوَل الإسلام أنبل منها، ولا أكثر نصراً *على أهل الشرك، ولا أجمع P. ٤١ لخلال الخير؛ وبهدمها انهدمت الأندلُس الى الآن، وذهب بهاء الدنيا بذهابها.

---

1) Manque dans A. 2) Manque dans A. 3) B. أمرئ.

4) Manque dans A. 5) B. والصين ...... 6) Manque dans A. Peut-être: بهاء ?

قال ابو محمّد: وانتقل الأمرُ بالمشرق الى بنى العبّاس، فكانت دولتهم أَعْجَمِيّةً: سقطت فيها دواوينُ العرَب، وغلب عَجَمُ خُراسان على الأمر، وعاد الأمْرُ مُلْكاً عَضُوضاً كِسْرَوِيًّا، إلّا أنّهم لم يُعلنوا بسَبِّ أحـد من الصحابة – رضهم – بخلاف ما كانوا عليه بنو أُميّة من استعمال ذلك فى جانب علىّ – رضه –، وكفاهم ذلك قبحاً وباطلاً، حاشا عمر بن عبد العزيز – رضه – ويزيد بن الوليد، فإنّهما لم يستجيزوا ذلك. وافترقت فى دولة بنى العبّاس كلمة المسلمين، فتغلّبت فى البلاد طوائـفُ من الخَوَارج وشِيعةٍ ومُعْتَزِلةٍ، ومن ولدِ إدريس وسليمان ابنى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب – رضهم –، ومنهم من بنى أُميّة تغلّبوا على الأندلس، وكثير من غيرهم. وفى خلال هذه الأُمور من اختلاف الكلمة، تغلّب الكنّار على نحو نصف الأندلس، وعلى نحو نصف السِّنْد، فأمّا ما لم يملكه العبّاسيّون، فهو ما وراء الزاب من بلاد المغرب وتِلِمْسَان وأنظارها، فوليها محمّد بن سليمان الحسنىّ، وفاس وأنظارها، كان فيها شيعةٌ، ثمّ آل مُلْكُها الى إدريس، وأمّا تامَسْنا، ففيها أولاد صالح بن طَرِيف على ضلالتهم، وأمّا سِجِلْماسَة، فنزلها رئيسُ الصُّفْرِيّة. هذه هى البلاد المتّفق عليها، وأمّا المختلَف فيها، فإفريقية، قيل إنّه كان فيها عبد الرحمن بن حبيب ثائراً، وفى الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرِىّ.

## P. ٤٢ ذِكْرُ دُخول عبد الرحمن بن مُعاوية بن هشام الى الأَنْدَلُس وهُروبه من الشأم

قال الرازىّ[1]: وفى سنة ١٣٦، ابتدأ عبد الرحمن بن معاوية بمُداخلة مَوَاليه من الأمويّين بالأندلس. وفى هذه السنة، تفرّق ولدُ معاوية، وولدُ هشام، وكلّ من فيه بقيّةٌ من ولد مروان وأُميّة. فخرج عبد الرحمن بن معاوية مختفياً

---

1) A. الرواة.

من موضع الى موضع، وهَمُّهُ الأندلس، لما كان فى نفسه من أمرها ومن الأثر المَرْوِى عنه فيها. فوصل الى مِصْر، ثمّ سار منها الى بَرْقة، فبقى فيها مستتراً مدّةً. ثمّ رحل عنها، فأوغل فى المَغْرِب. قال بَــدْر مَوْلاه: «فأدْرَكْتُه فى الطريق، وجَهَّتْنى اليه أمُّ الأصبغ أختُه شقيقتُه بدنانير[1] وشىء من الجوهر يستعينُ بها على النفقة والوصول، فوصل الى إفريقية، وصاحبُها عبد الرحمن بن حَبِيب، ومعه يهوديٌّ قد خدم مَسْلَمَةَ بن عبد الملك، وسمعه يُحَدِّث بخبر القُرَشىّ الذى يكون من بنى أُميّة يتغلّب على الأندلس، اسمه عبد الرحمن، ذو ضفيرتَين[2]، فنظر الى عبد الرحمن، فوجده بضفيرتَين[3]، فقال لليهودىّ: «وَيْحَك! هذا هو المذكور، وأنا قاتِلُه!» فقال له اليهودىُّ: «إن يَكُ ذلك، لم تَقْتُلْه!» ثمّ صار ابن حبيب يقتل الواصلين إليه من بنى أميّة، ويأخذ أموالهم. فهرب عبد الرحمن عن القَيْرَوان، ونجا يريد الأندلس، ويُشغل نفسه بها لما كان عنده من الروايات فى علم الحِدْثان من قِبَل مَسْلَمة بن عبد الملك أخى جدّه وغيره. فسار حتّى أتى تَادلَا[4] من قبائل المغرب، فنالَه عندهم تضييقٌ وأخبارٌ يطول ذكرُها. ثمّ هرب من عندهم حتّى أتى نَفْزة، وهُمْ أخوالُه، فإنّ أمّه كانت من سَبْيِهم. قال بدر: «فجُزْتُ * الى الأندلس، واجتمعتُ بعُبَيْد الله بن عثمان بساحل إلْبِيرة، فى آخر P. ٤٣ سنة ١٣٦، ثمّ انصرفتُ فى سنة سبع بعدها، وأقمتُ عنده مدّةً، ثمّ كررتُ منصرِفاً الى الأندلس فى مَوالى[5] عبد الرحمن.

* حدّث عبد الرحمن، قال: «دخلتُ الأندلس، وأنا أضبَطُ جِلْيَةَ مَسْلَمة ابن عبد الملك، فإنه أتى جدّى هشاماً يوماً، فوجدنى عنده صبيّاً، فأمر جدّى بتَنْحِيَتى عنه، فقال له مسْلَمة: «دَعْهُ يا أمير المؤمنين! فإنّه صاحب بنى أُميّة ومُحْيِي دولتهم بعد زوالها!» فلم أزَلْ أُعْرَفُ لى مَزِيّةٌ من جدّى بَعْدُ.»

قال الرازىُّ: وفى سنة ١٣٧، ثار الحُبَحَاب بن رَوَاحة بجهة سَرَقُسْطة،

---

1) A. بديناريْن.  2) A. ضفرتين. B. ظفيرتين.  3) A. بضفرتين. B. بظفيرتين.
4) A. بلاداً.  5) B. مولاىَ.

وتظافر معه على ذلك عامِرُ بن عمرو العَبْدَرِىّ من بنى عبد الدار بن قُصَىّ؛ وكان قد هرب من قُرْطُبة خوفاً من يوسف؛ وكان علم هذا أحد رجال مُضَر، ⁽¹وقد فشا¹⁾ بالأندلس نجدةً وشرفاً وعلماً وأدباً؛ وكان يَلى المغازى بالصوائف من قِبَل يوسف الفِهْرىّ؛ وكان سلطانُ الفِهْرىّ يومئذٍ قد ضعُف لأجل المَحْل المتوالى بالأندلس. وكان الصُّمَيْل قد لزم الثَّغر فى تلك الأعوام، لأنّه كان أشْبَهَ من غيره فى الخَصْب؛ فلما خاف عامِرٌ هذا على نفسه من الفِهْرىّ والصُّمَيْل، خرج فارًّا بنفسه، وقصد الحُبَاب بن رَوَاحة، واستجاشا. فأجابهما رجالٌ من اليمانية وناسٌ من البَرْبر؛ فحصَرَا الصُّمَيْل بسَرَقُسْطة حصاراً شديداً، حتّى يَئِسَ من الحياة، وهمّ بالإلقاء بيده؛ وكتب الى يوسف يسأله الإمداد؛ فلم يجد فى الناس مُنْهِضاً. فلما أبطأ عليه مَدَدُ يوسف، واشتدّ الحصار، كتب الى قومه من جُنْد قِنَّسْرِين ودِمَشْق، يعظِّم عليهم الخَطْب، ويُناشدهم الرَّحِم؛ فقام له بذلك عُبَيْد بن علىّ الكلابىّ؛ وأكثرُ كِلاب وهَوَازن وغَطَفان والأَزْد تُقَدِّم رِجلاً وتؤخِّر أخرى *ولم يكن لهم رأسٌ يجمعهم. فلما نهض عُبَيْد بن علىّ ومضى داعياً فى الجُنْدَيْن الى نَصْر الصُّمَيْل، تحرّكت جماعةُ كِلاب ومُحارِب، إلاّ كعب بن عامِر وعُقَيْل وقُشَيْر والحَرِيش²⁾؛ فإنّهم كانوا مُنافسين لبنى كِلاب، لأنّ الرياسة يومئذ بالأندلس كانت فيهم؛ وكان بَلْج قُشَيْرِيًّا؛ فضَمَّهم³⁾ الصُّمَيْل.

*P. ٤٤*

ولم يجتمع من هذه القبائل إلاّ نحو أربعمائة فارس؛ فاستقلّوا أنفسهم؛ صَمَّموا، وخفّ معهم يومئذٍ قومٌ من بنى أُميّة فى نحو ثلاثين فارساً؛ وخرج معهم أبو عثمان عُبيد الله بن عثمان مولاهم، وخرج أيضاً معهم عبد الله بن خالد بن أبان بن أسْلَم، مولى عثمان بن عفّان – رضه –؛ وكان عبد الله وعُبيد الله يتواليان حمل لواء بنى أُميّة بالأندلس بَعْدُ، ويتعاقبان فى ذلك؛ وكان لهما ولبنى أُميّة فى هذا المجتمع يومئذٍ بلاءٌ معروفٌ مشهورٌ، وإنّما أرادا أن يُقدِّما بذلك يداً عند الصُّمَيْل، لما كانا بَنَيَا عليه من اطّلاعه على أن

---

1—1) B. وقُرَيْش. 2) A. et B. ش ,وا. 3) A. فعمّهم ; B. فضمّهم.

عبد الرحمن بن معاوية، وكانا واثقين بالصُّمَيْل، وأنّه، إن لم يُجِبْهما، كتم عليهما، وكذلك فعل، فإنّه كتم عليهما كتماناً[1] عجيباً. فكان هذا [2]هو الذى[2] دعاهم الى إمداد الصُّمَيْل واستنقاذه لاعتداد اليد عليه، فخرجوا، ورأّسوا على أنفسهم ابن شِهاب استئلافاً له، ومشى الجميع. فلما بلغوا وادى طُلَيْطُلة، بلغهم أنّ الحصار اشتدّ وأضرّ بالصُّمَيْل، وأنّهُ على الهلكة، فقدّموا رسولاً من قِبَلهم، وقالوا له: «ادخُلْ فى جملة الحاربين للسُّور. فإذا قربتَ منه، ارْمِ بهذه الأحجار!» وفى كلّ واحد منها بيتان، وهُمَا [وافر]:

أَلَا أَبْشِرْ بِالسَّلَامَةِ يَا جِدَارُ  أَتَاكَ الغَوْثُ وَانْقَطَعَ الحِصَارُ

أَتَتْكَ بَنَاتُ أَعْوَجَ مُلْجَمَاتٍ  عَلَيْهَا الأَكْرَمُونَ وَهُمْ نِزَارُ

ففعل الرسول ذلك. فلما وقعت الحجارة، أُتِىَ بها الصُّمَيْلُ أو ببعضها، • فقرئت عليه، وكان أُمِّيًّا. فلما سمع ما فيها، قال: «أبْشِروا يا قوم! فقد جاءكم الغوث، وَرَبِّ الكَعْبة!» ومضى القومُ يستجيشون[3] كلّ من استجاب لهم، ومعهم الأمويّون، وفى جملتهم بَدْر رَسولُ ابن مُعاوية. وكان عبد الرحمن قد بعث اليهم خاتَمَه ليكتبوا به عنه الى كلّ من رجَوْا نَصْرَه، فكتبوا عنه للصُّمَيْل، يذكرون له أيادِىَ بنى[4] أُميّة عنده، ويَعِدُه، ويمنّيه. فلما سمع العَبدرى والعُذْرِىُّ بالمَدَد الواصل اليه، ارتفعوا عنه، وانكشف وجْهُ الصُّمَيْل، فخرج، وتلقّى القوم، ووصلهم على أقدارهم، وكساهم، وقفل معهم بماله وحَشَمِه. فلما زال الصُّمَيْل عن سرَقسطة، دخلها الحُبْحاب وملكها. P. ٤٥

ثمّ أطلع الأمويّون الصُّمَيْلَ على قصّة ابن مُعاوية، وعرضوا عليه بَدْراً رسولَه، فأحسن اليه وقال لهم: «أُرَوِّى فى أمره.» وأقبل قافلاً حتّى دخل قُرْطُبة. وانصرف الأمويّون الى منازلهم، وبَدْرٌ معهم. وقد كان الصُّمَيْل اتّفق مع الأمويّين على نُصْرة ابن مُعاوية، وأن يزوّجه من ابنته. ثمّ رجع فى قوله، وقال:

---

1) A. كتماً.  2—2) A. مما.  3) A. يستحثّون.  4) Manque dans B.

« تأمّلتُ الأمر، فوجدتُه صَعْبَ المرام؛ فبارَكَ الله لكما فى رأيكما ومَوْلاكما!
فإنْ أُحبَّ غير السلطان، فله عندى أن يؤاسيَهُ يوسفُ، ويزوِّجه ويَحْبُوه!
انطَلِقا راشِدَيْن!» فانقطع رجاؤهم يومئذٍ من رَبِيعة ومُضَر، ورجعوا الى اليَمَن.
قال بَدْر: فلم نَمُرّ بيَمَنِيّ إلاّ دَعَوْناه، فوجدْنا قوماً قد وغَرَتْ صدورُهم، يتمنَّوْن
سبيلاً لطلب ثأرهم؛ ثمّ رجعنا الى جُنْدنا، فابتعْنا مركباً، ووجّهْنا فيه أحد عشر
رجلاً مع بَدْر. قال: ومضى يوسف حتّى أتى طُلَيْطُلة، وأمضى بعثَيْن الى جِلِّيقِيّة
والبَشْكُنْش، وأراد القفول الى قُرْطُبة؛ فلم يبعد حتّى أدركه الرسول بهزيمة الجيش
وقَتْلِ عامّته. فبينا هو ينظر فى ذلك، إذ أتاه رجلٌ من عند ولده من قُرْطُبة،
يعلمه أنّ فتًى من قُرَيْش، من ولد هشام بن عبد الملك، نـزل بساحل
P. ٤٦ * المُنَكَّب؛ فاجتمع اليه موالى القوم والأمويّة؛ فانتشر الخبر فى العسكر، وشمِت
به الناس لِمَا فعل بالقُرَشيّين؛ فانفضَّ الناسُ من العسكر، وتنادَوْا بِشِعارِهم،
وتقدّموا الى كُوَرهم. فأصبح يوسف، وليس فى عسكره غير قَيْس والصُّمَيْل؛
فقال للصُّمَيْل: «ما الرأى؟» قال: «بادِرْهُ الساعةَ، قبل أن يستعجل أمره!»
فساروا الى قُرْطُبة، فكلّما رجَوْا أن يجتمع لهم بمَنْ يخرجون لاستئصال شوكة
ابن معاوية، لم يَتَّجِهْ لهم عَمَلٌ.

وفى سنة ١٣٨، دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس فى غُرّة ربيع
الأوّل؛ وهو أبو الملوك. وكان خروجه من المركب بموضع يُعرف بالمُنَكَّب؛ ثمّ
نزل بقَرْية طُرّش[1] من كورة إلْبِيرة. فأقبل اليه جماعةٌ من الأمويّين، وقد
أُعِدّ للأمير ما يصلحه من المركَب والمنزِل والملبَس. فغلُظ أمرُ ابن معاوية، وأقبل
الناس من كلّ مكان إليه. فكتب يوسف الفِهْرىّ الى جماعة الأمويّين، يحذّرهم
ويخوّفهم؛ فقالوا له: «إنّما أقبل ابنُ معاوية إلينا وإلى جماعة مواليه، يُريد
المال، ليس فيما يظنّ الأمير – أصلحه الله! – ولا فيما رُفع اليه.» واعتذروا له

---

1) B. طُلُّش.

بما أمكنهم. وأقبل وجوهُ الناس الى ابن معاوية، وقالوا له: «خفنا مَكْرَ الصُّمَيْل، ولم نأمن غائلته؛ فعرّفنا الفِهْرىُّ بكذا وكذا.» وكان ابن معاوية يَبِيتُ فى الجبال.

ومضى يوسف بن بُخت الى جُنْد الأُرْدُنّ؛ فأخذ بيعة جميعهم؛ ومضى عبدُ الله بن خالد الى جُنْد حِمْص؛ ومضى تمّام بن عَلْقَمة الى أهْل فِلَسْطِين؛ وأقبل الناس من كلّ مكان. فلما ضاقت الأحوال بالفِهْرىّ، ولم يأتِهِ من الأجناد إلّا اليسير، أدار له الصُّمَيْلُ الرأىَ، وأمره بالمكر بابن معاوية والمخادعة له، ورجا ذلك منه لحداثة سنّه، وقال له: «هو قريبُ عَهْدٍ بزوال النعمة؛ فهو يغتنم ما تَدْعوه اليه؛ ثمّ أنت بعد ذلك متَحَكِّمٌ فيه وفى الذين سَعَوْا له بما تُحِبُّ!» فأجمع رأيه على تأنيسه بأن يزوِّجه ابنته، ويسكنه فى P. ٤٧ أىّ الجندَيْن شاء، من دِمَشْق أو الأُرْدُنّ، أو يسكن بينهما، ويصير إليه أمْرُ الكورَتَيْن. وبعث اليه بكسوتَيْن ومَطِيّتَيْن وخمسمائة دينار، ووجّه اليه كاتِبَه خالد بن يزيد، وقال له: «اعرفْ أمره وأىّ جُنْد عنده، وتأمّلْ أخباره وأخبار من معه!» فخرج فى الليل مع أصحابه، وأصبحوا على ابن معاوية بالمال والكسوة والمطيّتَيْن. ووجّه أيضاً الى بدْر فرساً ومائة دينار وكسوة. فقبل ابن معاوية الهديّة، وكَرِهَ التزويج؛ فتكلّم خالد بكلام غليظ لابن معاوية إذ أبى التزويج؛ فأمر به؛ فضُمَّ الى وثاق، ورُدَّ غيرُه الى يوسف؛ ولم يَرُدَّ عليه جواباً.

وكان يوسف قد كتب الى ابن معاوية كتاباً. وهذه بعض فصول منه: «أمّا بعد، فقد انتهى الينا نزولُك بساحل المُنَكَّب، وتأبُّش من تأبَّش اليك ونزع نحوك من السُّرّاق وأهل الخَتْر[1] والغَدْر ونقْض الأيمان المؤكَّدة، التى كذبوا الله فيها وكذبونا! وبه — جلّ وعلا! — نَسْتَعِينُ عليهم! ولقد كانوا معنا فى ذَرَى كَنَفٍ ورفاهيَة عيش، حتّى غمصوا[2] ذلك، واستبدلوا بالأمن خوفاً، وجنحوا الى النقض! والله من ورائهم محيطٌ! فإن كُنتَ تريد المال وسَعَة الجناب،

---

1) B. الختل 2) B. غمطوا

فأنا أولى لك ممن لجأتَ اليه! أكنفُكَ، وأصِلُ رَحِمَك، وأُنزلك معى إن أردتَ وبحيث تريد! ثمّ لك عهدُ الله وذِمّتُه فى ألاّ أغدِر بك، ولا أُمكِّن منك ابن عمّى صاحب إفريقية ولا غيرَه!» فى كلام كثير.

قال ابن عيسى: فحدّثنى تمّام بن علقمة أنّ عبد الرحمن، لما أتاه كتابُ الفِهْرىّ بما فيه وبتزويجه ابنته، أشار عليه كلُّ من أتاه من العَرَب والأمويّين ألاّ يقبل ذلك منه، إلاّ أن يعتزل له عن المُلك ويُبايعه، وإلاّ حاكمه الى الله؛ وقالوا له: «إنّما بكر بـسك، ولا يَفِى لك بشىء، لأنّ وزيرَه ومالِكَ أمره الصُّمَيْلُ، وهو غيرُ مأمونٍ!»

P. ٤٨ قال: فلما انكشف * أمرُنا عنه بما أظهرْنا من الإبابة وبحبس كاتبه خالد ابن يزيد، رأينا أن نشهَر أمرَنا. فخرجْنا الى جِدار بن عَمْرو وإلى جُند الأُرْدُنّ، واجتمعنا اليه؛ فأتيناه فى ثلاثمائة فارس من جماعة الأمويّين، وممّن أقبل اليه من وجوه العَرَب. ثمّ كاتبْنا أهلَ قِنّسْرين وفلَسْطين. فلما أقبلت الينا رُسُلهم بما أردْنا، نهضْنا اليهم؛ وكُنّا قد وطّنّا على الموت، وعزمنا على أن نُقتَلَ دونه، وعقدنا له لواء. وأقمنا معه ستّة أشهر، نبرمُ له أموره، ونُكاتب لـه الناس. وكنّا خرجْنا اليه فى زىّ حسن عند خروجنا اليه بساحل البحر؛ ثمّ انتقل من إلْبِيرة الى كُورة رَيّة، الى شَذُونة، الى مَوْرُور، الى كُورة إشبيلية، والناسُ يتلقّونه بالبِشر والترحيب، ويُعطُونه من الانقياد والطاعة أوفى نصيب. قال تمّام: فدخلْنا رَيّـة فى ستّمائـة فارس، وخرجْنا منها فى ألفى فارس؛ وخرجنا من إشبيلية الى قُرْطبة فى ثلاثة آلاف فارس. فلما اجتمعت لنا الجموع، وبلَغنا ما يريد الفِهْرىّ من الخروج الينا، كتّب الأمير عبد الرحمن الكتائب، وعبّأ الأجناد، وخرج اليه؛ ودعا برجل من الأنصار، فعقد لواءه؛ وارتحل فى جنوده، حتّى احلّ بقَريةٍ على نهر قُرْطُبة يوم الاثنين لِستٍّ خَلَوْنَ من ذى الحجّة.

وخرج الفِهْرىّ الى المُصَارَة. وأقاما ثلاثـة أيّام متناظرَيْن، والنهرُ حاجزٌ بينهما بحمله؛ ثمّ أصبح النهرُ يوم الخميس، وقد حُسِرَ ماؤه. فعبأ الأمير عبد

الرحمن كتائبه، وتهيّأ للحرب؛ فقدّم على قبائل العرب أحداً من قوّاده، وعلى البَرْبَر كذلك، وهو إبراهيم بن شَجَرة. وترجّل حُماةُ بنى أُميّة، فحفّوا بالأمير، والأمير على فرسه متنكّباً قوسه؛ فجاوز النهر، واقترب من المُصَارة؛ فتجاوز العسكران، وتقارب المُضطَرِبان. وأقاما بقيّة يومهما فى سكون وهدوّ، والرسلُ تختلف من قِبَل يوسف، يرجو عقد *الصلح. فلما أصبح يوم الجمعة، التقى الجمعان، واستحرّت الحرب والقتال. فمشى العَلاء بن جابر العُقَيْلىّ الى الصُّمَيْل؛ فقال له: «يا أبا جَوْشَن اتّقِ الله! فوالله! ما أُشْبِهُ هذا اليوم إلّا بيوم المَرْج! وإنّ عارَه لباقٍ علينا الى اليوم؛ فإنّ الأمور يُهْتَدَى لها بالأقران[1] والأمثال: أُمَوىٌّ وفِهْرىٌّ، وقَيْسٌ واليَمَنُ! وهذا يوم عيد، ويوم جمعة؛ ويوم المَرْج أيضاً يومُ جمعة! والأمر، والله: علينا، لا شكّ فى ذلك! فاتّقِ الله، واغتنمْ لنا الأمر لنكون فيه أعِزّاء لا أتباعاً!» وكان العَلاء هذا من وجوه قَيْس. ثمّ انهزم الفِهْرىُّ وأصحابُه، واستقبل القصر؛ فاعترض له عبد الأعْلَى بن عَوْسَجة، وحال بينه وبين دخوله، وردّه عنه؛ فولّى منهزماً الى سفح جَبَل قُرْطُبة. واستولى الأمير عبد الرحمن يومَه ذلك على المُلْك، وتمّت له بَيْعة العامّة بقُرْطُبة. وتمادى يوسف الفِهْرىُّ فى الفِرار الى إلْبِيرة.

P. ٤٩

## خلافة عبد الرَّحْمٰن بن مُعَاوية بن هشام بن عبد الملك

نَسَبُه: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحَكَم بن أبى العاصى بن أُميّة. كُنْيَتُه: أبو المُطَرِّف. أُمُّهُ: بَرْبَرِيّة من سَبْيِ المَغْرِب، تُسَمّى رَاحاً أو رَدَاحا. وفى عبد شَمْس بن عبد مَنَاف يلتقى نسبُه بنسب رسول الله –صلعم–. مَوْلِدُه: بموضع يُعرف بدَيْر حسينة[2] من دِمَشْق سنة ١١٣؛ مات أبوه وتركه صغيرَ السِّنّ. وتُوُفّى يوم الثلاثاء لستٍّ بَقِينَ من ربيع الآخر؛ وقيل: لعشرٍ خَلَوْنَ من جُمادى الأولى سنة ١٧٢؛ ودُفن بقصر

---

1) B. بالاشباه.    2) B. حسنة.

قرطبة؛ وقد بلغ تسعاً وخمسين سنة؛ وقيل: ستين سنة. فكانت مدّةُ خلافته ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ونصفاً؛ ودخل الأندلس وهو ابن خمس وعشرين سنة أو نحوها. بويع له بقرطبة يوم * الأضحى من سنة ١٣٨. P. ٥٠

وُزراؤه أربعةٌ: عبد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالد، ويوسف بن بُخت، وحسّان بن مالك. حُجّابه خمسةٌ: تمّام بن علقمة، ويوسف بن بُخت، وعبد الكريم بن مهران، وعبد الحميد بن مُغيث، ومنصور فتاه. قُضاته خمسةٌ: يحيى بن يزيد النُّجيبيّ، ومعاوية بن صالح، وعبد الرحمن بن طَريف، وعمر بن شَرَاحِيل، والمُصْعَب بن عِمْران. وكان له قاضٍ خامسٌ فى صوائفه يُسمّى جِدار ابن مَسْلَمة بن عمرو المَذْحِجيّ. نَقْشُ خاتمه: عبد الرحمن بقضاء الله راضٍ. صِفَتُه: طويلُ القدّ، أصْهَب[1]، أعْوَر، خفيف العارضَيْن، بوجهه خالٌ، لـه ضَفِيرتان. وكان يُسمّى، صَقْر بنى أميّة. وَلَدُه الذكور أحد عشر، والإناث تسعٌ.

وفى سنة ١٣٩، خرج الأمير عبد الرحمن طالباً للفِهْرىّ والصُّمَيْل. فلما اتّصل بالفِهْرىّ قصدُه اليه، لاذَ عنه، وزال عن إغْرَناطَة؛ فاقتفى الأمير عبد الرحمن أثره، حتّى إذا أوفى عليه، عاد الى إغْرَناطَة متحصّناً بها؛ ونزل الأمير عبد الرحمن عليه وحاصره. فلما تمادى به الحصار، سأل الفهرىّ الأمان، وأن يُعطِى ابنَيه رهناً؛ فأعطاه الأمير الأمان، وقبل منه ذلك، وكذلك للصُّمَيْل. وانصرفا فى جُمْلته الى قُرْطُبة، على أن يسكن الفِهْرىّ منزلَه بالمدينة، والصُّمَيْل دارَه بالرَّبَض. واستوسق الأمر للأمير عبد الرحمن، وأمر بلعن المُسَوِّدة وقطع الدعاء لأبى جعفر المنصور[2]. ودخل يوسف الفِهْرىّ فى عسكر الأمير كأحد رجاله؛ فأنزله على ماله، وأطلق له عيالَه

وفى هذه السنة، وُلد هشام بن عبد الرحمن المُلَقَّبُ بالرِّضَى؛ وذلك لأربع خلون من شوّال.

1) B. طويل القواصب.　　2) B. السفر.

وفى سنة ١٤٠، تودّع الأمير عبد الرحمن بقُرْطُبة؛ فلم تكن له فيها حركةٌ. ودخل رجالٌ من المشرق ومن بنى أُميّة فى هذه السنة؛ فأنزلهم الأمير، وأكرمهم، وأحسن جوائزهم.

P. ٥١ وفى سنة ١٤١، هرب الفِهْرىُّ من قُرْطُبة، ناكثاً، ناقضاً للأيمان بعد توكيدها؛ فاجتمع اليه الناس، وبلغ جمعه عشرين ألفاً من البَرْبَر وغيرهم. فلما رأى كثرة ما اجتمع له، تحرّك من مَارِدة، يريد الأمير عبد الرحمن. فلما بلغ الأمير خبره، برز من القصر، وتقدّم الى المُدَوَّر. وكان عبد الملك بن عمر المروانىُّ عاملاً بإشبيلية، وابنُه بكورة مَوْرُور؛ فحشدا من كان قِبَلَهما من أهل الكورَتَيْن، وتوافى الحشدان؛ فبرز به. واتّصل بالفِهرىّ خروجُ الأمير الى المُدَوَّر وتوافِى الحشود على عبد الملك؛ فتوقّع الفِهرِىُّ التشبُّك بين العسكرَين؛ فصرف راياته الى عبد الملك؛ فالتقيا، ووقعت بينهما حربٌ شديدةٌ؛ فانهزم يوسف، وتفرّق أصحابه عنه، وأُتبِعوا بالقتل. واتّصل الفتح بعبد الرحمن، وهو بالمُدَوَّر منتظراً لتوافى الحشود؛ فأغناه عاجلُ الفتح؛ وفرّ الفِهْرىُّ بنفسه مختفياً.

وفى سنة ١٤٣، كان هلاكُ يوسف الفِهْرىّ ومقتلُه بناحية طُلَيْطُلة؛ وكان قد نهض اليها، وتردّد بناحيتها شهوراً؛ فاغتاله بعضُ أصحابه، وقتله، واحتزّ رأسه، وتقدّم به الى الأمير عبد الرحمن؛ فشكر الله على موته، وأمر بنصب رأسه على جِسْر قُرْطُبة، وأمر بقتل ابنه المرتهن، ونصب رأسه مع رأس أبيه. وتُوفِّى الصُّمَيْل فى الحبس؛ وقيل إنّه خُنِقَ؛ وقيل إنّ الذى قتل الفِهْرىّ عبدُ الله ابن عمرو الأنصارىُّ، لقيه على أميال من طُلَيْطُلة، بقريةٍ من قُراها. فلما عرفه، قال لمن معه: «هذا الفهرىُّ! وفى قتله الراحة له ومنه!» فتقدّم اليه؛ فقتله، واحتزّ رأسه، وتقدّم به الى الأمير. فلما قرب من قُرْطُبة، وأُعلم الأمير بخبره، أمر أن يتوقّف به دون القنطرة، وأمر بقتل ابنه المرتهن، وأُخرج رأسه الى رأس أبيه؛ ووُضِعا فى قناتَيْن، وقُدِّمَ بهما الى باب القصر.

P. ٥٢ واختُلِف فى أمر يوسف الفِهْرىّ، فقال بعضهم إنه لم ينكث بَغياً، وإنّما خوفاً، فخرج هارباً، فأخرج الأمير الخيل فى طلبه، فأدركته بنَحْص البَلُّوط، ثمّ أفلت، وحشد ولدُه البَرْبَرَ بالشرق كُلِّه، وأقبل فى جمع عظيم يريد قُرطبة، فخرج اليه الأمير، فالتقوا بمَخاضة الفَتْح، فكان القتال بينهم حتّى كاد الأمير عبد الرحمن أن ينهزم، وقيل إنّه انهزم نَحْوَ الميل، فثبت ابنه سليمان فى آخر الناس، ثمّ تراجع الأمير حتّى انهزم يوسف، ومضى فى طلبه الى قَلْعة رَبَاح.

وقال بعضهم: إنّ يوسف، لما هرب الى طُلَيْطُلة، قبض الأمير عبد الرحمن على أبى الأَسْوَد ابنه، فسجنه. وقام على يوسف مَوَالٍ له، فقتلوه، وأتوا به الى الأمير عبد الرحمن، فقال لهم: «عرفتم من هو؟» قالوا: «نعم! هو يوسف الفِهْرىّ!» قال: «أنتم لم تحفظوا مَوْلاكم، فكيف تحفظوننى وتنتظمون فى طاعتى؟» فأمر بضرب أعناقهم، وأمر بأبى الأَسْوَد الى السجن، وكان السجن يومئذٍ يخرج الناس منه الى النهر لِمَا يكون من الحاجة مع الموكّلين بهم، فادّعى وَلَدُ الفِهْرىّ العَمَى، وفشا له ذلك، فكان يقول: «من يقود الأعمى؟ يرحمه الله!» وكان يختلف اليه مولى اسمه مُفَرِّج يقضى حوائجه ويلقاه على النهر تحت القنطرة. فلما اطْمُئِنَّ اليه، ولم يُسْتَنْكَر خروجه، وشاع عليه العَمَى، قال لمُفَرِّج مولاه: «ٱبْتَعْ لى فَرَسًا أنجُ عليه!» ففعل وأعدّه له، فهرب عليه، ولحق بطُلَيْطُلة. فغزاه الأمير عبد الرحمن ولقيه مِراراً، فكان آخِر هزيمته إيّاه بقَسْطَلُونة، ومضى الى رَكَّانة، ولم يزل بها حتّى مات. فقام القاسم بن يوسف، أخو ابى الأسود، فأعقب على زوجه، وتولّى ما كان أبو الأسود يتولّاه، فخرج اليه الأمير، فأجابه على أن يردّ اليه أمواله، ويستوثق منه بالعهود، ففعل الأمير ذلك، وانصرف معه الى قُرْطُبة

P. ٥٣ وثار على الأمير عبد الرحمن عبدُ الغافِر اليَمانىّ بإشبيلية، وتغلّب على ما جاوَرَ قُرْطُبة، فخرج اليه الأمير، فخالفه عبد الغافر ونهض يريد قُرْطُبة، رجاءَ أن يجِدَها خالية، والإمام عبد الرحمن فى الثغر يسدّ خَلَله، ويحسم عِلّله، فقدم

مسرعاً حين وافاه الخبر، ولم يَلْوِ على ما تعذّر، ومحلّةُ عبد الغافر على وادى قَيْس[1] قد ملأت السهل والوعر. فداخل الإمامُ عبدُ الرحمن البربرَ، وكانوا العدد الوافر الأكبر، فنزع الأكثر منهم اليه، وصاروا فى حزبه ولَدَيْه. ووقعت الهزيمة على عبد الغافر، وأخذ من معه فى الفرار والنفار، فلم يرفع الإمام عنهم سيفا، وقتل منهم ثلاثين ألفا. وكانت هزيمة فى مدّ الدهر مذكورة، والحُفْرة التى جمعت رؤوسهم بذلك المكان مشهورة. ومن «كتاب بَهْجة النَّفْس» قال: لما كان فى النيل، تسرّع عبد الغافر الى ناحية لَقَنْت، وأسرع الأمير القتل فى جملته. ولم يذكر عَدَداً.

وثار على الأمير عبد الرحمن حَيْوة بن مُلاَمِس، وتغلّب على إشبيلية وإسْتِجة وأكثر الغَرْب، وحشد جموعاً، فخرج اليه الأمير، وقاتله أيّاماً، حتّى همّ الأمير بالهزيمة. ثمّ إنّ حَيْوة انهزم ومضى الى ناحية فِرِّيش، وكتب راغباً فى العفو.

وفى سنة ١٤٦، ثار العلاء بن مُغيث الجُذَامىّ بباجَة، ودعا الى طاعة أبى جعفر المنصور، [2]ونشر الأعلام السود[2]، فاتّبعه الأجناد، وتطلّعه العباد، الى أن كادت دولة الأمير أن تنصرم، وخلافته أن تنخرم. فخرج اليه من قُرْطُبة، وصار بقَرْمُونة، فتحصّن بها مع مواليه وثقات رجاله، فنازَلَه العلاء بن مُغيث منازلةً شديدة، وحاصره بها أيّاماً عديدة، فلما طال الحصار هنالك، وتخلخل عسكر العلاء لذلك، وعلم عبد الرحمن ما هم عليه من الانزعاج، وأنّهم قد همّوا بالإلجام والإسراج، أمر بنار، فأُوقِدَتْ، ثمّ أمر بأغمدة سيوف أصحابه، فأُحرِقَتْ، وقال لهم: «اخرجوا معى لهذه الجموع، خروجَ من لا يحدّث نفسه بالرجوع!» وكانوا نحو سبعمائة من ذكور الرجال، ومشاهير الأبطال، فأخذوا معه سيوفهم بأيديهم، وخرجوا مُصْحِبين الى أعاديهم. فدارت الحرب بينهم طويلاً، الى أن صنع الله جميلاً، وزلزل قوم العلاء وأصحابه، فولّوا منهزمين، وصار أمرهم

P. ٥٤

---

1) B. يسّر (*sic*). 2—2) Manque dans A.

آيـةً للعالمين، وقُتل العلاء فيمن قُتل من اولائك الأقوام، وطِيفَ برأسه في ذلك المَقام.

— وقيل إنّ أبا جعفر المنصور كان أرسل الى العلاء بن مُغيث بولاية الأندلس. فنشر الأعلام السُّود، وقام بالدعوة العبّاسيّة بالأندلس؛ فانحشر اليه الناس. ولمّا ظفر به الإمام على ما تقدّم، أخذ رأسه، وفُرغ وحُشِىَ مِلحاً وصَبِراً، وحُمل معه لواء أبى جعفر المنصور، وأُدخل فى سَفَط؛ وبعثه مع رجال، وأمرهم أن يضعوا السفَط بمكّة؛ فوافقوا المنصور بها حاجًّا فى تلك السنة؛ فجُعل السفَط عند باب سُرَادِقه. فلما نظر الى ما فيه، قال: «إنّا لله! عرّضنا بهذا المسكين للقتل! الحمد لله الذى جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان!» يعنى عبد الرحمن. هذا مساقُ السالِمىّ فى «دُرَر القلائد».

— ومن «بَهجة النفس» قال: وكانت ثورة العلاء بموضع يُقال له لَقَنْت من عَمَل باجَة. فأظهر سِجِلّ المنصور ولواءه، وجمع الى نفسه من أجابه، ونهض الى باجة، فأخذها، وتغلّب منها على جميع الغَرْب، وخرج يريد الأمير عبد الرحمن؛ فسار حتى انتهى الى المُدَوَّر. وكان الأمير يومئذٍ قد خرج غازيًا الى شَرْق الأندلس؛ فرجع إذ بلغه أمر العلاء؛ فلما دنا من قُرْطُبة، أمر من كان معه من أهل إشبيلية أن ينزلوا فى المُدَوَّر، إذ كان قد اتّهمهم لمَيْل أهل إشبيلية الى العلاء؛ ثمّ نهض، وكتب سرًّا الى بَدْر مولاه يأمره بقتلهم، كان الظفرُ له أو عليه. ومضى العلاء؛ فالتقى معه. فكانت بينهما حروبٌ وزحوفٌ. ثمّ قُتل العلاء بقرية من قَرْمُونة، وفضّت جموعه. وقُتل من ° أصحابه نحو ستّة آلاف. وأمر الأمير بحزّ رأس العلاء ورؤوس أشراف أصحابه؛ وقُرطت فيها صكوكٌ بأسمائهم، وجُعلت فى أوعية؛ وندب الأمير بها قومًا توجّهوا بها الى القيروان؛ فطرحوها فى الليل فى الأسواق. فتسمّع الناس أمرها، واتّصل الأمر بأبى جعفر؛ فانكسرت حِدّته. [1]وقيل إنّ الذى هزم العلاء بَدْر مولى عبد الرحمن بن معاوية، والله أعلم[1].

P. ٥٥

1—1) Manque dans B.

وفى سنة ١٤٧، وجّه الأمير عبد الرحمن بَدراً مولاه وتمّام بن عَلْقَمة فى جيش كثيف الى طُلَيْطُلة، وبها هشام بن عُرْوة[1] (2 ثائرٌ، فحاصراه[2]) حتّى سَئِمَ أهل طُلَيْطُلة الحصار، فكاتبوا بَدْراً وتمّاماً، وسألوهما الأمان على أن يُسلموا لهما ابن عروة[1]، وهشام[3] بن حَمْزة بن عُبيد الله بن عمر بن الخطّاب، وحَيْوَة ابن الوليد، وكانوا يداً واحدةً. فأسلموهم اليهما، وخرج بهم تمّام الى قُرْطُبة، فلقيه عاصم بن مُسْلِم، فقبض منه الأسرى، وعهد اليه عن الأمير أن يكرّ الى طُلَيْطُلة والياً عليها، ويُقْبِلَ بَدْرٌ الى قُرْطُبة. وأقبل عاصم بالأسرى، فلما احتلّ بقرية حَلْزة، خرج اليه ابن الطُّفَيْل، ومعه حجّامٌ وجِبابُ صوف وسِلاَلٌ، فحلق رؤوسهم ولِحاهم، وألبسهم جِباب الصوف، وأدخلهم فى السِّلاَل، وحملهم على الحُمُر، فأتى بهم على تلك الحال الى خُشُب قد أُعدّت لهم، فصُلبوا فيها. وكُتب الى البلدان بفتح طُلَيْطُلة.

وفى سنة ١٤٩، ثار سعيد اليَحْصُبىّ المعروف بالمَطَرىّ بكُورة لَبْلَة، واجتمعت اليمانيّة اليه، ولاذوا بحَقْوَيْه. ثمّ سار الى إشبيلية، وتغلّب عليها قَسْراً، ولم يجد أهلُها فى مدافعته نَصْراً. فكثُر عَدَدُه، وتأزّر عَضُدُه، وعاد عسكره مهولاً، قد أخذ وعوراً وسهولاً. فسار اليه الأمير عبد الرحمن فى جيوش عظيمة المدَد، مجهولة العدَد، حتّى نزل عليه بقَلْعة زَعْوَاق، وكان المَطَرىّ قد تحصّن بها، ولاذ بجانبها، *فحصره فيها حَصْراً، وأرهقه من أمره عُسْراً، حتّى خرج منعرِّضاً للعرب فى جماعة من فرسانه الأكابر، ومن اختصّه من أولائك البرابر، فلم تنشب الحرب بينهم إلاّ قليلاً، وقُتِلَ المَطَرىّ ومن معه تقتيلاً. وجىء برأسه الى الأمير عبد الرحمن، فأمر للعين برفعه[4] فى طَرَف سِنان. P. ٥٦

وفيها، قتل الأمير عبد الرحمن أبا الصَّبّاح بن يحيى اليَحْصُبىّ. وكان قد ولاّه إشبيلية، ثمّ عزله عنها، فجمع اليه أهلَ الخلاف وثار عليه، فوجّه اليه الأمير مَوْلاه تمّاماً مُلاطِفاً له، فقدم معه قُرْطُبة فى أربعمائة رجل على غير عهد،

---

1) A. غزرة   2—2) Manque dans A.   3) B. وعثمان.   4) A. فرفع فى الوقت.

فاوصله تمّام اليه؛ فعاتبه؛ فأغلظ له أبو الصبّاح فى الجواب؛ فامر بقتله؛ ثمّ أمر بإخراج رأسه والهتف عليه.

وفى سنة ١٥٠، هاجت فتنة البَرْبَر بشَنْت بَرِيَّة.

وفيها، غزا بَدْر الى الثغر، وتقدّم الى أَلَبَة؛ فحاربها؛ فأذعنت له، وأدّت اليه الجزْيَة. وأمر بامتحان الرجال بتلك الناحية، واختبار بصائرهم؛ فاستقدم منهم مَن اطّلع له على سوء سريرةٍ وشُبْهةٍ فى الثغر.

وفى سنة ١٥٢، ثار رجلٌ من البَرْبَر، ادّعى أنّه من ولد الحسن بن علىّ – رضه –؛ وكان أصله من مِكْناسة العُدْوة؛ وكانت أمّه تُسمّى فاطمة؛ فادّعى أنّه فاطِمىٌّ؛ [1]وتجمّع له الغوغاء[1]. فخرج اليه الأمير من قُرْطُبة، وخلّف بها ابنه هشامًا؛ فتقحّم الجبال أمامه بمن كان معه، وانصرف الأمير الى قُرْطُبة. فأقبل الفاطِمىُّ، وقتل عامِلَ شَنْت بَرِيَّة؛ وغلُظ أمرُه. فكان الأمير يرسل الى قتاله بعض القبائل؛ فيتعلّق بالجبال الشواهق.

وفى سنة ١٥٣، خرج الأمير عبد الرحمن لغزو الداعى الفاطِمىّ؛ فهرب وركب الوَعْر؛ فانصرف الأمير. فرجع الفاطِمىُّ؛ فغزاه بَدْرٌ بالصائفة؛ فوجده بجهة شُبَطْرَان؛ فأبعد رجاء أن يدركه. فدخل المَفَاوِز، وانقطع أثره. ومضى هذا الفاطمىُّ الى مَدَلِّين؛ وكان عامِلُه أبو زَغْبَل الصِّدْفُورىُّ. فتمادت فتنتُه من سنة ١٥٠ الى سنة ١٦٠، الى أن اغتاله بعضُ أصحابه؛ فقتله، وعفّره هناك وجدّله. P. ٥٧

وفى سنة ١٥٤، تهدّن الإمام عبد الرحمن بقُرْطُبة، ولم يكن له بها حركة.

وفى سنة ١٥٥، خرج الإمام عبد الرحمن من قُرْطُبة؛ فحلّ بشَنْت بَرِيَّة. وقدم عليه هلالٌ من أبناء المَدْيُونىّ؛ فكتب له عهدًا على قومه، وأقرّه على موضعه؛

1—1) Manque dans A.

وكان راس البَرْبَر فى شَرْق الأندلس. وقلّة أمْرَ الفاطِمىّ المتقدِّم الذكر، فكان فى ذلك الراحة منــه، وتفرّقت بفعله ذلك كلمة البَرْبَر، وانحلّت عقدة الفاطمىّ، وانصرف من شَنْت بَرِيّة الى الجَوْف.

وفى سنة ١٥٦، ثار على الأمير عبد الرحمن عبدُ الغافِر اليَحْصُبىّ، وخلع طاعته. وكان الأمير بناحية الشَرْق، فكتب اليه بَدْر من قُرْطُبة، فطوى المراحل اليه، ثمّ تقدّم الى إشبيلية، فوضع السيف فيه وفى أصحابه، فقُتِلوا قتلاً ذريعاً. وأفلت عبد الغافر، فركب البحر، ونجا الى المَشْرِق.

وفى سنة ١٥٧، خرج الأمير عبــد الرحمن الى ناحية الغَرْب، واحتــلّ بإشبيلية، وقتل بها خلقاً كثيراً ممّن كان بسبيل عبد الغافِر، وقطع آثارهم، ووطّد الطاعة. ثمّ انصرف مُعْجِلاً، لأنّه إنّما قصد امتحان أهل إشبيلية وتمحيصهم. [1] وقيل: كان ذلك سنة ١٥٨ [1].

وفى سنة ١٥٩، غزا الإمام عبــد الرحمن قورية، وقصد فى طريقه ذلك البَرْبَر الذين غدروا بأبى زَغْبَل ومكّنوه من الفاطمىّ، فقتله، فدوّخ بلد البَرْبَر، وقتلَ منهم خلقاً كثيراً وأذلّهم. وأخذ[2] أبا مَزْكانة المَصْمُودىّ، وهو عبّاس ابن قَلْعُوش.

وفى سنة ١٦٠، أُخرجت الصائفة الى الفاطِمىّ، وكان فى أحواز شَنْت بَرِيّة، فعُورض بالخيل، وقُطِعَتْ عاديته.

وفى سنة ١٦١، وقيل سنة ١٦٢، دخل الى الأندلس عبد الرحمن بن حَبيب الفِهْرىّ المعروف بالصِقْلَبىّ، فنزل كُورة تُدْمِير، فاستقرّ بها، ولم تَبْدُ منه فى تلك الســنة عادية، وإنّما لُقِّبَ بالصِقْلَبىّ لأنّه كان طويلاً، أشْقَرَ، أزْرَق، أمْعَر. P. ٥٨

1—1) Manque dans B.  2) Manque dans A.

وفيها، حمل نهر قُرْطُبة حملاً عظيماً، حتّى سدّ حَنَايا القنطرة وهدم بعضها وزَلْزَلَها؛ وبقى كذلك يومَيْن [1].

وفى سنة ١٦٣، ثار عبد الرحمن بن حبيب الفِهْرِىُّ، المتقدِّم الذكر فى السنة قبل هذه، فى ناحية تُدْمِير؛ فغزاه الأمير عبد الرحمن؛ فهرب ابن حبيب وتعلّق بالوعر؛ فجال العسكر فى كورة تُدْمِير، وتقدّم الى كورة بَلَنْسِيَة، بعد أن أحرق المراكب بساحل البحر. ثمّ إنّ مِشْكَاراً البَرْبَرِىَّ فتك بابن حبيب الصِّقْلَبِىّ وقتله.

وفيها، ثار ابن شَجَرة بمَوْرُور؛ فخرج اليه بَدْر يوم الأضحى؛ فألفاه على غِرّة، فقتله، وكتب الى الإمام بالفتح. وقيل: بل كان ذلك فى سنة ١٦٢.

وفى سنة ١٦٤، غزا الإمام عبد الرحمن الرُّمَاحِسَ بن عبد العزيز [2]؛ وكان على شُرَط مروان بن محمّد؛ فلحق بالأندلس؛ فولّاه الإمام الجزيرة؛ فخلع طاعته؛ فخرج اليه واحلّ بالجزيرة؛ فوجد الرُّماحِس فى الحمّام؛ فلم يشعر إلّا وخيل الإمام تجوس الديار؛ فأعجل الرُّماحِس عن لبس ثيابه، وخرج فى ملحفة مُصْبَغة؛ فدخل فى قارب، ونجا الى العُدوة. ووجد الأميرُ عبد الرحمن فى سجنه جماعةً من الأمويّين؛ فأطلقهم.

وفى سنة ١٦٥، ثار على الأمير عبد الرحمن الحسين بن يحيى بن سَعْد بن عُبادة الأنصارىُّ بسَرَقُسْطَة؛ فسار اليه بالجماهير، والعسكر الشهير؛ فحاصره بسَرَقُسْطَة حصاراً، وقدّم لقتاله أحزاباً وأنصاراً، الى أن خرج طائعاً اليه، متراميا عليه؛ فقبل إنابته، ولم يُحْرِم إجابته. فلما عفا عنه، وأغضى عمّا كان منه، أبقاه بسَرَقُسْطَة والياً. وقفل الأمير الى قُرْطُبة سامى اللواء، *قاهر الأعداء. P. ٥٩ ثمّ إنّ الحسين خفر الذِّمّة، وكفر النعمة، وأعلن بالنفاق إعلاناً، وأرسل فى

1) A. يومئذ. 2) A. الرحمن.

الشقاق عاناً؛ فسار اليه الإمام أيضاً، ونازله نزالاً، وأذاق سَرَقُسْطة نَكالاً، الى ان فتحها بنَقْب سورها فتحاً شنيعاً، وقتل الحسين وأصحابه قتلاً ذريعاً. وولّى عليهم علىّ بن حَمْزة، وقفل الى قُرْطُبة ظاهِرَ العزّة.

ومن «كتاب بَهْجَة النّفس» قال: وفى سنة ١٦٧، غزا الإمام سَرَقُسْطة الى حُسَيْن بن يحيى؛ فحاصَرَه حتّى أخذ المدينة عنوةً، وقتل حسيناً بالدمغـة وجماعةً معه؛ وأخرج أهل المدينة عنها الى قرية على ثلاثة أميال ليمين لزِمَته فيهم؛ ثمّ صرفهم اليها بعد أيّام، وقفل الى قرطبة.

وفى سنة ١٦٨، أراد المُغيرة بن الوليد بن معاوية القيام على الإمام؛ وكان وطنُه يومئذٍ بالرُّصَافة؛ فانكشف له يومئذٍ أمره من قِبَل بعض من تعاقد معه؛ فأحضرهم بين يديه، وأقرّوا؛ فأمر بقتلهم، واستبقى الناصِحَ لهم. وتحوّل الإمام عبد الرحمن يومئذٍ من الرُّصافة الى قَصْر قُرْطُبة.

وفى سنة ١٦٩، ثار على الأمير عبد الرحمن محمّد بن يوسف الفِهْرىّ، [1]الذى كان قد تعامَى وهرب[1]؛ وكان قد تحرّك من طُلَيْطُلة وجِهَة الشَّرْق بالحشود. وبلغ الإمام خبره؛ فأمر بحشد الكُوَر، والتقى معه فى مَخَاضة الفتح؛ فكان بينهم زحفٌ وقتالٌ أيّاماً؛ ثمّ انهزم محمّد المذكور[2]؛ فقُتِل رجالـه، وأفنى عدده. [3]وكانت هذه الوقعة يوم الأربعاء مستهلّ ربيع الأوّل من السنة[3]. قال الرازىّ: قُتِل فيها أربعة آلاف رجل، سوى من تردّى فى الوادى، وهلك فى المَهاوِى. وهرب محمّد بن يوسف هذا الى قُورِية.

وفى سنة ١٧٠، خرج الأمير عبد الرحمن الى محمّد بن يوسف الفِهْرىّ، حتّى بلغ قُورِية. ففرّ أمامه، وأدركت الخيل عياله وأصحاباً له؛ فقُتِل من أدرك؛

---

1—1) Manque dans A. 2) A. ajoute ici: ويقال له الأعمى

3—3) Manque dans B.

وأحرقت دوره. وانقطع محمّد بن يوسف وحلة، وانحاش الى غِبَاض. وأوقع الأميرُ ببربر نَفْزة، • فأذلهم، وأذهب عادتهم. ثمّ مات محمّد بن يوسف [1] بقرية رَكّانة من عمل طُلَيْطُلة. P. ٦٠

وفى سنة ١٧١، قام قاسم بن عبد الرحمن الفِهْرىّ، عَمُّ محمّد بن يوسف أخو يوسف الفِهْرىّ [1]، وخلع الطاعة؛ فلما تحرّك أمره، وجّه اليه الأمير عبد الرحمن الجيوش؛ فأذعن له بالطاعة.

وفى سنة ١٧٠ المتقدّمة، أمر الأمير عبد الرحمن بتأسيس المسجد الجامع بحضرة قُرْطُبة؛ وكانت بموضعه [2] كنيسةٌ؛ فأنفق فيه مائة ألف بالوازنة.

وفى سنة ١٧٢، مات الإمام عبد الرحمن بن معاوية — رحمه الله! — وذلك يوم الثلاثاء لستّ بقين من ربيع الآخر من السنة المذكورة.

## ذِكْر بعض أخباره على الجُمْلة

كان الإمام عبد الرحمن فصيحاً، بليغاً، حسن التوقيع، جيّد الفصول، مطبوع الشعر. ممّا أملاه على كاتبه الى سليمان بن الأعرابىّ: « أمّا بعدُ، فدَعْنِى من معاريض المَعَاذير، والتعسُّف عن جادّةِ الطريق! لَتَمُدّنّ يداً الى الطاعة، والاعتصام بحَبْل الجماعة، أو لأُلقِيَنّ [3] بَنَانَها على رضف المعصية نَكالاً بما قدّمت يداك! ومَا ٱللّهُ بظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ [4]! »

وكتب عنه أُمَيّة بن زيد كتاباً الى بعض عُمّاله، يستقصره فيما فرّط من عمله؛ فأكثر وأطال الكتاب. فلما لحظه عبد الرحمن بن معاوية، أمر بقطعه، وكتب بخطّ يده: « أمّا بعدُ، فإن يكن التقصير لك مقدّماً، فعسى الاكتفاء أن يكون لك موخّراً. وقد علمتَ بما تقدّمتَ؛ فاعتمِدْ على أيّهما أحبَبْتَ [5]! »

---

1—1) Leçon de B., plus précise que celle de A. 2) Manque dans A.

3) *Corr.*, p. 36 (d'après Makkari, II, p. 27): لأُزوين. 4) *Cor.* XLI, 46.

5) Voir *Corr.*, p. 36-38.

وثار عليه ثائرٌ؛ فغزاه وظفر به. فبينا هو فى الطريق، إذ نظر الى الثائر، وهو على بغل فى كبوله، وتحت الأمير عبد الرحمن فَرَسٌ له؛ فلما لحقه، قنّع رأسه بالقناة[1]، وقال: «يا بغل! ما ذا تحمل من الشقاق والنفاق!» فقال الثائر: «يا فَرَس! ما ذا تحمل من العفو والإشفاق!» فقال: «والله! لا ذُقْتَ موتاً على يدىَّ!» فأطلقه.

P. ٦١ ومن * شعره البديع الرائق، ما كتب به الى بعض من طرأ عليه من قُرَيْش، وكان قد استقلّ جرايته[2]، واستطال بقرابته، وسأله الزيادة له والتوسعة؛ فكتب اليه بهذه الأبيات [بسيط]:

شَتَّانَ مَنْ قَامَ ذَا امْتِعاضٍ ... بِمُنْتَضَى الشَّفْرَتَيْنِ نَصْلاَ
فَجَابَ قَفْـراً وَشَقَّ بَحْراً ... مُسَامِيـاً لُجَّـةً وَمَحْـلاَ
فَبَزَّ[3] مُلْكاً وَشَادَ عِـزًّا ... وَنَابِراً لِلْخِطَـابِ فَصْـلاَ
وَجَنَّـدَ الجُنْدَ حِينَ أَوْدَى ... وَمَصَّرَ المِصْرَ حِينَ أَجْـلاَ
ثُمَّ دَعَا أَهْلَـهُ جَمِيعـاً ... حَيْثُ انْتَوَوا أَنْ هَلُمَّ أَهْلاَ
فَجَاءَ هَـذا طَرِيـدَ جُوعٍ ... شَرِيدَ سَيْفٍ أُبِيـدَ قَتْـلاَ
فَنَـالَ أَمْنـاً وَنَالَ شِبْعـاً ... وَنَـالَ مـالاً وحَازَ أَهْـلاَ

وذُكِرَ أَنَّ أبا جعفر المنصور قال يوماً لبعض جُلَسائه: «أخبِرونى: مَنْ صَقْرُ قُرَيْش من الملوك؟» قالوا: «ذاك أمير المؤمنين الذى راضَ الملوك، وسكّن الزلازِل، وأباد الأعداء، وحسم الأدواء!» قال: «ما قلتم شيئاً!» قالوا: «فمُعَاوِية؟» قال: «لا!» قالوا: «فعبد الملك بن مروان؟» قال: «ما قلتم شيئاً!» قالوا: «يا أمير المؤمنين! فمن هو؟» قال: «صَقْر قُرَيْش عبدُ الرحمن بن معاوية، الذى عبر البَحرْ، وقطع القَفْر، ودخل بلداً أعْجَمِيًّا، منفرداً بنفسه؛ فمصّر الأمصار، وجنّد الأجناد، ودوّن الدواوين، وأقام مُلْكاً عظيماً

1) *Corr.*: بالعباء: (d'après le *'Iḳd*, II, p. 358). 2) A. et B. جزايته.

3) A. et B. فشدّ

بعد انقطاعه، (1 بحسن تدبيره، وشدّة شكيمته. إنّ معاوية نهض بمركب حمّله عليه عُمَرُ وعثمان، وذلّلا له صَعْبَه؛ وعبد الملك ببيعة أُبْرِم عقدُها؛ وأمير المؤمنين بطلب عترته، واجتماع شيعته. وعبد الرحمن 1) منفردٌ بنفسه، مؤيّد برأيه، مستصحبٌ لعزمه، وطّد الخلافة بالأندلس، وافتتح الثغور، وقتل المارقين، وأذلّ الجبابرة الثائرين!» فقال الجميع: «صدقتَ، والله، يا أمير المؤمنين!»

P. ٦٢

وكان الإمام عبد الرحمن من أهل العلم، وعلى سيرة جميلة من العدل. ومن قوله (2 — رحمه الله! — يتذكّر وطنه 2) [خفيف]:

أيّها الراكبُ الميمّم أرضي ... اقرأ بعضَ السلام عنّي لبعضي

إنّ جسمي كما تراهُ بأرضٍ ... وفؤادي ومالكيه بأرضِ

قُدِّرَ البَيْنُ بيننا فافترقنا ... وطوى البَيْنُ عن جفوني غمضي

قد قضى اللهُ بالبِعادِ علينا ... فعسى باقترابنا 3) سوف يقضي

وله من الشعر كثيرٌ مشهورٌ. وذكر الرازيُّ أنّ الإمام عبد الرحمن، أوّلَ نزوله بمُنْيَة الرُّصافة واتّخاذه لها، نظر فيها الى نخلة؛ فهاجت شجنَه. وتذكّر وطنَه؛ فقال على البديهة [طويل]:

تبدّتْ لنا وسْطَ الرُّصافةِ نخلةٌ ... تناءتْ بأرضِ الغرْبِ عن بلدِ النخْلِ

فقلتُ شبيهي في التغرّبِ والنَّوى ... وطولِ التنائي عن بَنِيَّ وعن أهلي

نشأتِ بأرضٍ أنتِ فيها غريبةٌ ... فمثلُكِ في الإقصاء والمُنتأى مثلي

سقاكِ غوادي المُزْنِ مِنْ صَوْبِها الذي ... يسُحُّ ويستمري السِّماكَيْنِ بالوَبْلِ

وكان — رحمه الله! — قد عقد العهد لابنيه هشام وسليمان. فولى بعده هشام، على ما أذكره.

---

1—1) Ce passage est donné en fin de phrase par B, qui renverse l'ordre de la proposition.

2—2) Manque dans A. 3) B. باجتماعنا.

# خلافة هشام الرّضى بن عبد الرّحمن الداخل

كُنيتُه: أبو الوَليد. مَوْلدُه: سنة ١٣٩. أمُّه تُسَمّى جَمَال. نَقْشُ خاتَمه: «بالله يَثِقُ عَبْدُه هشام وبه يَعْتَصِمُ». صاحبُ شُرْطَته: عبد الغافر بن أبي عَبْدة. وُزَراؤه: ثمانية. كُتّابُه: اثنان: فُطَيْس بن عيسى، وخَطّاب بن زَيْد. قاضيه: المُصْعَب بن عِمْران. صِفَته: أبيض مُشْرَبٌ بحُمْرة، بعينيه *حَوَلٌ. حاجبُه: عبد الرحمن بن مُغيث. بنوه: الذكور ستّة، والإناث خمسٌ.

P. ٦٣

بُويع يَوْمَ الأحد مستهلّ جُمادى الأولى من السنة. وكان عند[1] موت أبيه بمدينة مَارِدة؛ فوافاه الخبر؛ فطَرَقَ، ووصل قُرْطُبة بعد ستّة أيّام. فبايعه الخاصّة والعامّة. وكان أخوه بطُلَيْطُلة؛ [2]وكان أكبر سِنًّا منه[2]؛ فلما اتّصل به خبر أبيه، حشد الحشود، وجنّد الجنود، يريد قُرْطُبة، مخالفاً لأخيه. فلما حصل بجيّان، خرج اليه هشام فى أجناده، والتقى معه بجهة بِلْج؛ فوقعت بينهم حرب شديدة؛ فانهزم سليمان، وأسلم عسكره، وفرّ على وجهه. وقفل هشام الى قُرْطُبة ظافراً فى أجناده.

وتُوفّى هشام ليلة الخميس لثلاث خلَوْن من صفر سنة ١٨٠؛ فكان عُمُرُه أربعين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيّام؛ فكانت مدّة دولته وخلافته سبع سِنين وتسعة أشهر وثمانية أيّام.

وقيل إنّ عبد الرحمن بن مُعاوية – رحمه الله! – لمّا حضرَتْه الوفاة، وابنُه هشام بمَارِدَة، وابنه الآخر سليمان بطُلَيْطُلة، وكّل ابنه عبد الله المعروف بالبَلَنْسيّ، وقال له: «من سَبَقَ اليك من أخَوَيْك، فارْمِ اليه بالخاتَم والأمر! فإن سبق اليك هشام، فله فَضْلُ دينهِ وعَفافِه واجتماعِ الكلمة عليه؛ وإن سبق اليك سليمان، فله فضْلُ سِنّه ونَجْدَتِه وحُبِّ الشّاميّين اليه!» فقَدِم هشام من مارِدَة قبل سليمان؛ فنزل بالرُّصافة، وخاف من عبد الله أخيه، إذ صار

---

1) A. et B. بعد; B. a en marge la correction قبل 2—2) Manque dans A.

متمكّناً من قُرطُبة والقصر والأموال، أن يدافعه. فخرج اليه اخوه عبد الله، وسلّم عليه بالخلافة، ودفع اليه الخاتم، كما أوصاه أبوه، وأدخله القصر.

قال الرازىّ: ولما صار الأمر الى هشام، واتّصل ذلك بسليمان أخيه، أخذ بيعة أهل طُلَيطُلة وما جاورها لنفسه، وغلب عليها. وشَغَلَهُ أمرُ أخيه هشام. فثار سعيد بن الحسين الأنصارىّ بِسَاحَنت من إقليم طَرَطُوشة، وأقبل الى سَرَقُسْطَة؛ فأخرج * منها واليها، وضرب بين الناس، ودعا إلى نفسه وإلى الفتنة؛ فأرسلها مُضَرِيّةً ويمانية. وحشد موسى بن فُرتُون الى سَرَقُسْطَة؛ فأخذها؛ وكان على دعوة المُضَرِيّة؛ فالتقى مع اليمنيين. وكانت بينهم حربٌ؛ فقتل منهم جماعة، ودخل سَرَقُسْطة. ثمّ قدم مَطْرُوح بن سليمان بن الأعرابىّ على دعوة أبيه من بَرْشِلُونة؛ فتغلّب على وَشْقة وسَرَقُسْطة والثغر كلّه. P. ٦٤

وفى سنة ١٧٢، طمحت نفس عبد الله البَلَنْسىّ أخى هشام الى الإمارة؛ وقد كانت فى يده أوّلاً، ولم يَرْضَ منه إلاّ بمُشاركته، وذلك بعد سبعة أشهر من وفاة والدها. وكان هشام يبرّه، ويترضّاه، ويفضّله على الكثير من إخوته؛ فلم يقنعه ذلك، وخرج يريد أخاه سليمان بطُلَيطُلة. فلما بلغ الأمر الى هشام، أشفق من ذلك، وأخرج اليه من يُرْضِيهِ ويَرُدُّه؛ فلم يُدْرِكه. ومضى حتّى قدم طُلَيطُلة.

وفى هذه السنة، خرج هشام الى أخيه سليمان بطُلَيطُلة. فلما نزل عليه، خرج سليمان مستخفيا، وخلّف أخاه عبد الله وابنه داخِلَ المدينة، ونهض يريد انتهاز الفُرْصة؛ فطوى المراحل، حتّى احتلّ بشَقُندة. فخرج أهل قُرْطبة مدافعين له. وبلغ هشاماً خبرُه؛ فلم يَكْتَرِثْ لذلك. ووجّه ابنه عبد الملك يقفو أثره؛ فلما قرب منه، ولّى سليمان منهزماً، وقطع الى غير وجهة حتّى خرج متعسّفاً الى ناحية ماردة؛ وكان عاملُها حُدَيْر المعروف بالمذبوح؛ فخرج اليه؛ فهزمه. وتمادى الأمير هشام فى حصار طُلَيطُلة شهرين وأيّاماً؛ ثمّ قفل عنها.

وفى سنة ١٧٤، انصرف عبد الله البلنسىّ الى أخيه هشام بلا عهد ولا أمان؛ فانزله الإمام هشام عند ابنه الحَكَم.

وفيها، أغزى هشام ابنَه معاوية الى تُدْمِير، وقائداه شُهَيْدُ بن عيسى وتَمّامُ ابن عَلْقَمة؛ فدوّخوا تُدْمِير (وهى مُرْسِيَة)، وبلغوا البحر. وكان سليمان P. ٦٥ (يعنى أخا هشام) قد حصل فى بعض ثغور تُدْمِير؛ فطلب سليمان الأمانَ؛ فاشترط عليه الأميرُ هشام الخروج عن الأندلس، ويُعطيه ستّين ألف دينار؛ فركب سليمان البحر بأهله وولده، واحلّ ببلاد البَرْبَر. فكفاه الله أمر إخوته.

وفى سنة ١٧٥، أغزى هشام بن عبد الرحمن عُبَيْد الله الى سَرَقُسْطة، وبها يومئذٍ مَطْرُوح المذكور؛ فحاصرَها عُبَيْد الله؛ ثمّ احتلّ بمدينة طَرَسُونة، وألحّ عليها بالمحاصرة، حتّى ضاق ذَرْعُ أهل سَرَقُسْطة، وضجّوا من تمادِى الحصار؛ فخرج مَطْرُوح فى بعض الأيّام متصيّداً، ومعه عَمْرُوس بن يوسف وابن صلْتان؛ فلما أرسل بازيه على طائر ونزل على الصيد، تَعَاوَرَاه بسيوفهما حتّى قتلاه، واحتزّا رأسه، وتقدّما به الى ابن عثمان، وهو بطَرَسُونة؛ فتحركَّ الى سَرَقُسْطة؛ فلم يمتنع عليه أحدٌ من أهلها؛ ودخل المدينة؛ فنزلها، وبعث برأس مَطْرُوح الى الأمير هشام.

وفى سنة ١٧٦، أغزى الإمام هشام أبا عُثْمان عُبَيْد الله بن عُثْمان الى ألَبَة والقِلاَع؛ فلقى بها أعداء الله بجموعهم متوَافِين؛ فهزمهم الله على يديه، وقُتِلوا فى السَّهْل والوعر؛ وانتهى ما حِيزَ من رؤوسهم الى تسعة آلاف رأس ونَيِّف.

وفى هذه السنة، غزا يوسف بن بُخت الى جِلِّيقِيَّة؛ فالتقى بِبَرْمُود الكبير، وواضعه الحرب؛ فانهزم عدوُّ الله، وانتهب المسلمون عسكره، وقتل فيهم مقتلةً عظيمةً، وحُزّ من رؤوسهم عشرة آلاف، سوى من لم يُمكن منه ممّن

قُتِلَ فى الوَغـــر. وأتى هذا الفتح قُرْطُبة[1] بعد فتح أبى عثمان. ذكر ذلك الرازىّ وغيرُه.

وفى سنة ١٧٧، أغزى الإمام هشام عبدَ الملك بن عبد الواحد بن مُغيث بالصائفة الى أرض الرُّوم، وهى غزوةٌ شهيرةُ الخبر، جليلةُ الخطر، انتهى فيها الى إفرَنْجة، فحاصرَها، وثَلَم بالمجانيق أسوارهـــا، وأشرف على بلاد المَجُوس؛ وجال * فى بلاد العدوّ، وبقى شهوراً يحرق القُرَى ويخرب الحصون. وأوقع بمدينة أرْبُونَة؛ وكان فتحاً عظيماً، بلغ فيه خُمُسُ السَّبْيِ الى خمسة وأربعين ألفا من الذهب العين. P. ٦٦

وفى سنة ١٧٨، هاجت الفتنة بتاكُرُنّا، وخالف بَرْبَرُها، وغاروا على الناس، وقتلوا وسبوا. فبعث الإمام هشام اليهم الأجناد بعد الإعذار اليهم. فقُتل أكثرُهُم، وفرّ سائرهم الى طَلَبِيرة وتَرْجيلة. وأقامت تاكُرُنّا، وهى إقليم رُنْدة، وبلادُها خالية قفراً سبع سنين.

وفى سنة ١٧٩، أغزى الإمام هشام بن عبد الرحمن عبدَ الكريم بن مُغيث بالصائفة، حتّى انتهى الى مدينة أستُرقة داخل جِلِّيقِيَّة. فبلغه أنّ إذفُونْش قـــد حشد بلاده، واستمدّ البَشْكُنْس وأهْلَ تلك النواحى التى تليه من المَجوس وغيرهم، وأنه عَسْكَرَهم ما بين حَيِّز جِلِّيقِيَّة والصَّخْرة، وأنّه أذِن لسكّان السَّهْل بالتفرّق فى شواهق جبال السواحل. فقدّم عبد الكريم فَرَج بن كِنَانة فى أربعة آلاف فارس؛ ثمّ رحل فى إثره؛ فألفى أعداء الله؛ فواضَعَهم الحرب حتّى هزمهم الله؛ فقتل حُماتَهم، وأسر جماعةً منهم؛ ثمّ أمـــر بعد انحلال الحرب بقتلهم، وبثّ الخيل فى القُرَى؛ فانتسفت جميع ما ألفته من زروعهم، وخرّبت ما مرّت عليه من عمارتهم. وتقدّم بعد ذلك الى وادٍ يُقال له كُونِيَّة[2]؛ فلقى به مُقدّمته

---

1) Manque dans A. 2) Sic in A. et B.; mais voir *Carr.*, p. 30.

وهو فى ثلاثة آلاف فارس فقاتله حتى انهزم عسكره، وأُخِذَ غُنْدُماره[1] أسيراً، وقُتل من أصحابه عددٌ كثيرٌ. وأصاب العسكر جميع ما فى تلك الناحية. وتقدّم مستَنْجِزاً[2] لِإذْفُونْش؛ فلما بلغه قصدُه اليه، تنحّى عن الجبل الذى كان فيه منحازاً عنه الى حصن له، كان قد بناه وأتقنه على وادى نَلُون؛ فتقرّب منه عبد الكريم مُقْتَفِياً لأثره، لا يمرّ بمنزل فيما بينه وبينه إلّا حرّقه، ولا بمال *إلّا أصابه، حتّى أطلّ على الحصن. فانتقل منه الى حِصْن مُلْكه. واحتلّ عبد الكريم بالحصن الذى انتقل منه؛ فألفى فيه الأطعمة وضروب الذُخْر، وبعث فى اليوم الثانى من حلوله به فَرَج بن كِنَانة، فى عشرة آلاف فارس، يقفو أثره؛ فلما قرب منه، انهزم عنه وأسلم جميع عُدّته وذخره؛ فغنم المسلمون جميع ذلك.

P. ٦٧

وفى سنة ١٨٠، تُوفّى الإمام هشام بن عبد الرحمن – رحمة الله عليه! – ودُفن بقصر قُرْطُبة؛ وصلّى عليه ابنه الحَكَم؛ وذلك ليلة الخميس، كما تقدّم ذِكْرُه. وبايع الناسُ ابنه الحَكَم؛ وكان ابنه عبد الملك أسنّ منه.

## ذِكْر بعض أخباره على الجُمْلة[2]

كان – رحمه الله! [3]بَسْط البنان، فصيح اللسان[3]، وسيع الجَناب، حاكماً بالسُّنّة والكتاب؛ قَبض الزَكَوات من طُرُقها، ووضعها فى حقّها؛ لم يأخذه فى الله لومٌ، ولا تعلّق به ظلمٌ. ارتفع أخوه عن مبايعته، وامتنع عن طاعته، واستبدّ بطُلَيْطُلة استبداداً، واستنفر للخلاف والنفاق أجناداً؛ فما زال يشتغل بالفتنة بالاً، ويُذيق الناسَ وبالاً؛ قد عظمت عليه به المحنة، وعُدِمت منه الهُدْنة، حتّى مات الأمير هشام، وحَكَمَتْ بخلافة ابنه الحَكَم الأحكام؛ فحاربَهَ فى تلك الاقطار، الى أن اختطفته الأسنّة والشفار؛ فأُمن بعد ذلك الجانب، ولم يكن فى ذلك التأريخ هنالك مُجانِب.

---

1) A. et B. غدشارة.    2) A. مستجيزاً.    3) A ajoute دون تعيين سنة.
4—4) A. بسيط اللسان، فسيح الجنان.

وهو فى ثلاثة آلاف فارس فقاتله حتى انهزم عسكره، وأُخِذَ غُنْدُماره [1] أسيراً، وقُتِل من أصحابه عددٌ كثيرٌ. وأصاب العسكر جميع ما فى تلك الناحية. وتقدّم مستَنْجِزاً [2] لإذْفُونْش؛ فلما بلغه قصدُه اليه، تنحّى عن الجبل الذى كان فيه منحازاً عنه الى حصن له، كان قد بناه وأتقنه على وادى نَلُون؛ فتقرّب منه عبد الكريم مُقْتَفِياً لأثره، لا يمرّ بمنزل فيما بينه وبينه إلاّ حرّقه، ولا بمال P. ٦٧ إلاّ أصابه، حتّى أطلّ على الحصن. فانتقل منه الى حِصْن مُلْكه. واحتلّ عبد الكريم بالحصن الذى انتقل منه؛ فألفى فيه الأطعمة وضروب الذُّخْر، وبعث فى اليوم الثانى من حلوله به فَرَج بن كِنَانة، فى عشرة آلاف فارس، يقفو أثره؛ فلما قرب منه، انهزم عنه وأسلم جميع عُدّته وذخره؛ فغنم المسلمون جميع ذلك.

وفى سنة ١٨٠، تُوفّى الإمام هشام بن عبد الرحمن – رحمة الله عليه! – ودُفن بقصر قُرْطُبة؛ وصلّى عليه ابنه الحَكَم؛ وذلك ليلة الخميس، كما تقدّم ذِكْره. وبايع الناسُ ابنه الحَكَم؛ وكان ابنه عبد الملك أسنّ منه.

## ذِكْر بعض أخباره على الجُمْلة [2]

كان – رحمه الله! [3] بَسْط البنان، فصيح اللسان [3]، وسيع الجَناب، حاكماً بالسُّنّة والكتاب؛ قَبض الزّكَوات من طُرُقها، ووضعها فى حقّها؛ لم يأخذه فى الله لومٌ، ولا تعلّق به ظلمٌ. ارتفع أخوه عن مبايعته، وامتنع عن طاعته، واستبدّ بطُلَيْطُلة استبداداً، واستنفر للخلاف والنفاق أجناداً؛ فما زال يشتغل بالفتنة بالاً، ويُذيق الناسَ وبالاً؛ قد عظمت عليه به المحنة، وعُدِمت منه الهُدْنة، حتّى مات الأمير هشام، وحَكَمَتْ بخلافة ابنه الحَكَم الأحكام؛ فحاربَه فى تلك الاقطار، الى أن اختطفته الأسنّة والشفار؛ فأمن بعد ذلك الجانب، ولم يكن فى ذلك التأريخ هنالك مُجانِب.

---

1) A. et B. غدشارة.   2) A. مستجيزاً.   3) A ajoute دون تعيين سنة.

4—4) A. بسيط اللسان، فسيح الجنان.

وكان هشام يبعث الى الكُوَر قوماً عدولاً يسألون الناس عن سير العُمَّال، ثمّ ينصرفون اليه بما عندهم، فيقع نظره بهدم ما تكشفه المحنة له منهم. واعترض له يوماً متظلّمٌ من أحد عُمّاله، فبدر الى الشاكى [1]من رجال العامِل مَنْ تَرَخّاه شَنَقةً منه على العامِل. فبعث الى الشاكى[1] وقال له: «احْلِفْ على كلّ ما ظلمك فيه، فان كان ضَرَبَك، فاضرِبْه، أو هتك لك سِتراً، فأهْتِكْ سِتْرَه، أو أخذ لك مالاً، فخُذْ من ماله مثله، إلاّ أن يكون أصاب منك حدّاً من حدود الله!» فجعل الرجل لا يحلف على شىء إلاّ أُقيد منه. فكان زَجْرُه هاكذا لعمّاله. أنفع فيهم من النكال والأدب. وكان كريماً، عادلاً، فاضلاً، متواضعاً، عاقلاً، لم تُعرف منه هفوةٌ فى حداثته، ولا زلّةٌ فى أيّام صِباه. [2]ومن كرمه أنّه كان يَصُرُّ أموالاً فى صرور، ويخرج بها بين المغرب والعشاء يتفقّد المسجد، فإذا وجد واحداً يصلِّى فى مسجد أو لا يُصلِّى، وضع بين يديه صرّةً، حتّى كثرت عمارة المساجد[2] وكان — رحمه الله! — قد نظر فى بنيان قنطرة قُرْطُبة، وأنفق فى إصلاحها أموالاً عظيمةً. وتولّى بناءها بنفسه، وتُعطَى الأجرة بين يَدَيْه. قال ابن وَضّاح: لما بنى هشام القنطرة، تكلّم بعض الناس فيه، وقالوا: «إنّما بناها لنصيْده ونُزْهته!» فحلف حين بلغه ذلك ألاّ يجوز عليها إلاّ لغَزْوٍ أو مَصْلَحَة.

قال القاضى أبو مُعاوية: أدركتُ صدراً من الناس يحكون أنّ أيّام هشام هذا كانت من الدّعة والعافية والهدوء بحيث لم يُعلم لها مِثْلٌ. وكان يحضر الجنائز، ويزاحِم فيها، كأنّه أحد من الناس، تواضعاً. وكان لبعض رجال هشام خصومةٌ فى دار عند القاضى مُصْعَب بن عِمْران، فعجّل عليه القاضى فيها وأخرجه منها، فنهض الرجل الى هشام، وقال له: «إن القاضى عجّل علىّ فى دارى التى كنت أسكنها، وأخرجنى عنها!» فقال له هشام: «وما ذا تُريد منّى؟ والله لو عجّل علىّ القاضى فى مقعدى هذا، لخرجتُ عنه!» انقياداً منه للحقّ — رحمة الله عليه!

P. ٦٨

---

1—1) Omission par tautologie dans A. 2—2) Manque dans A.

## قِصَّة الكِنانيّ مع هشام بن عبد الرحمن – رحمه الله

كان قبل خلافته يقعد فى عِلِّيّة مُطِلّة على النهر، ينظر منها الى الرَّبَض، وتَقَع عينُه على من يخطر. فنظر يوماً فى الهاجرة الى رجل من بنى كِنَانة، وكان من صنائعه، مقبلاً من باديته بجيّان، وكان أخوه سليان والياً عليها، فدعا فتى له وقال له: «أرى الكِنانيّ ضَيِّقاً مقبلاً فى هذه الظهيرة، وما أَحْسِبُ[1] ذلك إلّا لخَطْبٍ أقلقه من أبى أيّوب أخى. فإذا وصلك، فأَدْخِلْه عليّ كما هو.» ففعل الفتى ما أمره. وكانت *مع هشام جاريةٌ له. فلما دنا الكِنانيّ، رفع ستراً كان P. ٦٩ أمامه، فدخلت الجارية خلفه، ثمّ قال له، بعد أن سلّم عليه: «يا كِنانيّ، لا أحسبك إلّا قد دَهِمَك أمرٌ!» فقال له الكِنانيّ: «قتل رجلٌ من بنى كِنانة رجلاً خَطاءً، فحُمِلت الدِّيَة على العاقِلة، فأُخِذت بنو كِنانة عامّةً، وحِيفَ عليّ من بينهم خاصّةً، لمّا عرف أبو أيّوب مكانى منك. فعُذْتُ بك من ظلامتى!» فقال له: «يا كِنانيّ! ليفرِّجْ روعُك وليسكُن جأشُك لا جَرَمَ قد تحمّل هشامٌ عنك وعن قومك جميعَ الدِّية!» ثمّ مدّ يده الى خلف الستر، فأخرج عِقْداً كان على الجارية، ثمنه ثلاثة آلاف دينار، فقال له: «خُذْ هذا العقد، فأَدِّ من ثمنه عنك وعن قومك، وتوسّع فى الباقى!» فقال الكِنانيّ: «يا سيّدى! إنّه لم آتِكَ مُسْتَجْدِياً ولا ضاق لى مالٌ عن أداء ما حُمِّلْتُه، ولاكنّى أتيتك مستجيراً بك لما أُصِبْتُ بالعدوان والظلم، فأحببتُ أن تظهر عليّ من عزّ نصرك!» قال له: «فما وَجْهُ نصرك م» قال له: «أن يكتب الأمير – أصلحه الله! – الى أبى أيّوب فى الإمساك عن أخذى بما لم يجب عليّ، وأن يحملنى محملَ عامّة أهلى!» فقال له هشام: «خُذ العقد لأهلك ولنفسك، الى أن يُيَسِّر الله فيما ذهبتَ اليه من أمرك!» ثمّ أمر هشام بإسراج دابّته من فوره، وركب الى أبيه الأمير عبد الرحمن. فلما مثل بين يدَيْه، قال له: «رجلٌ من بنى كِنانة، هو لى صنيعة،

1) Manque dans A.

عدا عليه أبو أيوب بجبّان فى دِيَة حُمِّلَتْ على العاقلة!» قال الأمير: «فما تحبُّ فى أمره؟» قال: «الكَتْبَ اليه بالكفّ عنه، وأن لا يؤخذ بغير ما لزمه!» فقال الأمير: «أوَ خيرٌ من ذلك! يؤدّى الديةُ عنه وعن قومه من بيت المال، إذ هو منك بهذه المنزلة، وإذ أنت له بهذه العناية!» فأكثر هشام الشكر لوالده؛ ثمّ أمر الإمام بأداء الدية من بيت المال، وبالكَتْب الى أبى أيّوب بترك التعرّض ٢٧٠ للكنانى. ولما حان توديع الكنانىّ لهشام، قال له: «يا سيّدى، إنّى قد بلغتُ فوق الأمنية، وجاوزتُ أقصى غاية العزّ والنصرة! وهذا العقد النفيس قد أغنى الله عنه!» فقال له هشام «يا كِنانىّ، إنّه لا سبيل الى ردّ شىء قد خرج عنّا. فخذه مُبارَكاً لك فيه!»

وهشام هذا هو الذى أكمل سقائف المسجد الجامع بقُرْطُبة، ورفع منَارته القديمة، وبنى الميضاة العجيبة، وعقد من الجسر ما كان تثلّم بالسَّيْل — رحمه الله!

## خِلافة الحَكَم بن هِشام بن عبد الرَّحْمن

كُنيتُه: أبو العاصِى. أمّه: زُخْرُف. مولِدُه: سنة ١٥٤. بويع بعد موت أبيه بليلة، يومَ الخميس لثمان خَلَوْنَ من صَفَر سنة ١٨٠، وهو ابن ستّ وعشرين سنة؛ فكانت خلافتُه ستّاً وعشرين سنة، وأحد عشر شهراً. كُتّابُه: ثلاثةٌ: فُطَيْس، وخَطّاب بن زَيْد، وحَجّاج العُقَيْلىّ؛ حاجِبُه: عبد الكريم بن عبد الواحد بن مُغيث؛ وُزَراؤه وقُوّادُه: خمسةٌ: إسحاق بن المُنْذِر، والعبّاس بن عبد الله، وعبد الكريم بن عبد الواحد المذكور، وفُطَيْس بن سليمان، وسعيد بن حسّان. قُضاتُه: مُصْعَب بن عِمْران، ومحمّد بن بشير، والفَرَج بن كِنانة، وبِشْر بن قَطَن، وعُبَيْد الله بن موسى، ومحمّد بن تَليد، وحامِد بن محمّد بن يحيى. نَقْشُ خاتَمه: «بالله يَثِقُ الحَكَم وبه يعتصم! صِفَتُه: آدَم، شديد الأُدْمة، طويل، أشَمّ، نحيف، لم يخضب. بنوه الذكور: تسعة عشر، والبنات: احدى وعشرون. تُوفّى لأربع بَقِين لذى الحجّة سنة ٢٠٦؛ فكان عُمُرُه اثنان وخمسون سنة.

ولما بلغ موت هشام الرِّضَى الى سليمان وعبد الله ابنى عبد الرحمن بن معاوية، وهما بالعُدْوة، تقدَّم عبد الله، فجاز البحر الى ريف الأندلس.

ولما بويع الحكم بالخلافة، واستوسق له الأمر، وجَّه عبد الكريم بن عبد الواحد غازياً الى دار الحرب، فى جيش عظيم؛ • فاحتلَّ عبد الكريم بالثغر، P. ٧١ وتوافت عليه الجيوش. ثمّ تقدّم، فاحتلّ على شاطئ البحر، وقسم الجيش على ثلاثة أقسام، وقدّم على كـلّ قسم رئيساً، وأمر كلّ واحد منهم بأن يغير على الناحية التى قصدها ووُجِّهَ اليها؛ فمضوا، وأغاروا، واستباحوا، وانصرفوا غانمين ظافرين. ثمّ عادوا ثانيةً الى الإغارة، وجاوزوا خُلُجاً كانت تمدُّ وتحصر؛ وكان أهل تلك النواحى قد تحرّزوا بها، ونقلوا اليها العيال والماشية والأموال؛ فأغاروا عليها، واحتووا على جميع ما وجدوا فيها، وانصرفوا سالمين غانمين.

وفى سنة ١٨١، ثار على الأمير الحَكَم بَهْلُول بن مَرْزوق المعروف بأبى الحجّاج فى ناحية الثَّغر، ودخل سَرَقُسْطة، وملكها. وحلّ به عبد الله بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية؛ وكانت وجهتُه الى إفْرَنْجة.

وفيها، ثار عُبَيْدة بن حُمَيْد بطُلَيْطُلة؛ فنصب الحكم عَمْرُوس بن يوسف لحربه من طَلَبِيرة؛ فكان يتردّد لحربهم؛ ثمّ إنّ عَمْرُوس كاتب رجالاً من أهل طليطلة، واستلطفهم حتّى مالوا اليه؛ فدعاهم الى القيام على عُبَيْدة، والفتك به؛ ووعدهم على ذلك بمَثُوبة جليلة من الأمير؛ فبدروا اليه، وقتلوه، وتوجّهوا برأسه الى عَمْرُوس؛ فأنزلهم عند نفسه بطَلَبِيرة. فلما علم بهم بعض بَرْبَر طَلَبِيرة، وكانت بينهم دِماء، دخلوا عليهم تلك الليلة الدار، فقتلوهم. فبعث عمروس برأس عُبَيْدة وبرؤوس المذكورين، وهم بنو مخشى الى الحَكَم بقُرْطُبة، وكتب اليه بخبرهم. ثمّ إنّ عَمْروس أعمل جهده فى استجلاب أهل طُلَيطُلة بمكاتبتهم، حتّى أدخلوه المدينة. فلما تمكّن منها، بنى القصر على باب جسرها، فأحكمه، وأتقن أمره؛ ثمّ سعى فى قتل رجال طُلَيْطُلة، وقَطْع شرّهم، وحَسْم دائهم، توطيداً للمملكة. فأعدّ للكيد

P. ٧٣ ضَيعاً، أظهر أنّه يذبح فيه البقر، وأمر أن يكون * دخولُ الناس على باب، وخروجُهم على باب. فكان كلُّ من دخل وتجاوزَ الباب قُتِلَ، حتّى أفنى من أشرافهم سبعمائة.

وفى سنة ١٨٢، كان السيل العظيم بقُرْطُبة، ذَهَب برَبَض القنطرة؛ ولم يُبْقِ فيه داراً إلاّ هدمها، حاشى غُرْفةَ عَوْن العطّار. وبلغ السيلُ شَقُنْدة.
وفيها، دخل سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية الأندلس من العدوة، وتندّم متعرّضاً لحرب الحَكَم، فى شوّال منها؛ فانهزم سليمان، بعدما دارت بينهما حربٌ شديدة. وفيها، عاد سليمان ثانياً للقتال؛ والتقى مع الحَكَم أيضاً بَنجيطة [1]؛ فانهزم سليمان.

وفى سنة ١٨٣، خرج سليمان، ومعه برابر اجتمعوا اليه، الى ناحية إسْتِجّة [2]؛ فغزاه الحَكَم، والتقيا بمقربة من إسْتِجّة؛ فدارت بينهم حروبٌ شديدة أيّاماً. ثمّ انهزم سليمان بمن كان معه. ثمّ التقيا أيضاً فى هذا العام؛ فانهزم سليمان.

وفى سنة ١٨٤، حشد أبو أيّوب سليمان بن عبد الرحمن من الشَّرْق؛ فاحتلّ بجيّان، ثمّ بإلْبيرة؛ فاتبعه جماعةٌ من الكُورَتَيْن، والتقى معه الحَكَم؛ فدام القتال بينهم أيّاماً، حتّى همّ الحَكَم بالهزيمة. ثمّ انهزم سليمان، وأفلت. وقُتِل فى المعترك بشر كثير. وبعث الحَكَم أصْبَغ بن عبد الله فى طلبه؛ فلحقه بجهة مَارِدة، وأخذه أسيراً، وأتى به الى الحَكَم؛ فأمر بقتله، وبعث برأسه الى قُرْطُبة.
وفى سنة ١٨٦، أخرج الحَكَم الى عمّه عبد الله البَلَنْسىّ أماناً؛ وهو أوّلُ خروج كان اليه، وأوّلُ مكاتبةٍ كانت بين الحَكَم وبينه بعد حلوله ببَلَنْسِيَة.

وفى سنة ١٨٧، انعقد أمانُ عبد الله البَلَنْسىّ وصُلْحُه بإجراء الأرزاق عليه، وذلك ألف دينار لكلّ شهر، وبإجراء المَعَارِف، وذلك ألف دينار لكلّ عام.

---

1) Orthographe et vocalisation fournie par B.—A.: بيحيطة (?). 2) A. اسجة.

وخرج اليه بهذا الأمان يحيى بن يحيى وابن أبى عامر، فعقد الصلح على ذلك وعلى أن يسكن •عبد الله ببَلَنْسِية. وقدم يحيى وابن أبى عامر بولد عبد الله على P. ٧٣ الحَكَم، فزوّجه أُخْتَه شَنيقة.

## مقتل أهْل الرَّبَض أوّلاً قَبْل هَيْجِهِ ثانيةً

وفى سنة ١٨٩، صلب الإمام الحَكَم اثنين وسبعين رجلاً بقُرْطُبة، منهم أبو كَعْب بن عبد البَرّ، ويحيى بن مُضَر، ومسرور الخادم. وكان السبب فى ذلك أنّهم أرادوا الغدر به، وهمّوا بالخلاف عليه، وطلبوا رئيساً يقومون به. فوقع الخبر على محمّد بن القاسم عَمّ هشام بن حَمْزة، وأطلعوه على أمرهم، ودَعَوْه للقيام معهم، فخذلهم، وأفشى سرّهم، وتقرّب الى الحكم بدمائهم. فتثبّت الحَكَم، وسأله تصحيح ما رفع اليه، فقال له: «هَاتِ أُمَنَاءَكَ!» فأخفاهم عنه، ووجّه عنهم لميعاده، ثمّ قال لهم: «هذا الذى تدعُوَنّنِي اليه لا أَثِقُ بمن سمّيتم، دون أن أسمع منهم كما سمعتُ منكم، فتَطِيب نفسى، وأدخلُ فى الأمر على قوّة وبصيرة!» فأتوه، وسمع مقالتهم، والأُمناء بحيث يرون ويسمعون. فلمّا صحّ عند الحَكَم أمرهم بشهادة الأُمَناء عليهم، أخذهم وصلبهم جميعاً بردّة واحدة. ثمّ أتقن سور قُرْطُبة وحفر خَنْدَقَها، وتوجّه غازياً الى بلاد المُشْرِكين.

ومن قوله [طويل]:

رأيتُ صُدُوعَ الأرْضِ بالسيفِ رافِعاً ... وقِدماً لأَمتُ الشَّعْثَ مُذْ كُنتُ يافِعَا

فَسَائِلْ ثُغورِى هَلْ بها الآنَ ثُغْرةٌ ... أُبادرها مستنْضِيَ السيف دارِعَا

وَشَافِهْ على الأَرض الفضاء جَمَاجِماً ... كأَقحَافِ شريَانِ الهبيدِ لَوامِعَا

تُنَبّئك أنّى لم أكُنْ عن قِراعِهم ... بِوانٍ وأنّى كنتُ بالسّيْف قارِعَا

فإنّى إذا حادوا جزاعا عن الرّدَى ... فلم أكُ ذا حَيْدٍ عن الموت جَازِعَا

حَمَيْتُ ذمارى وانتهكتُ ذِمارَهم ... ومَنْ لا يُحامِى ظلّ خَزْيان ضَارِعَا

P. ٧٤ • ولمّا تساقينا سِجالَ حُروبِنا — سقيتُهُمُ سمًّا من الموت نافِعا
وهلْ زِدتُ أن وفّيتُهُمْ صاعَ قرضِهم — فوافَوْا منايا قُدِّرَتْ ومصارِعا
فهاكَ بِلادى إنّنى قد تركتُها — مِهاداً ولم أتْرُكْ عليها مُنازِعا

[1] وفى سنة ١٩٠، خرج الأمير الحكَم غازيًا الى مارِدَة. فلما وصلها، احتلّها وحاصرَها (وكان بها أَصْبَغ بن عبد الله بن وَانْسُوس ثائِراً) وإذا بالخبر وصله أنّ سوادَ أهل قُرْطُبة أعلنوا بالنِّفاق، وتداعوا الى صاحب السوق بالسلاح؛ وكتب المخلّفون الى الحكَم بما حدث بعده وبما ظهر من ضمائر السَّفَلة؛ فصدر قافلاً، وطوى المراحِل، وقطع الطريق فى ثلاثة أيّام، ودخل القصر. فهدأ الناس، وسكنت الأحوال، وصار الناسُ فى هدوء وسكون من سنة ١٩٠ الى سنة ٢٠٢، والتزموا الدعة اثنى عشر سنة.

وتردّدت الغزوات سبعة أعوام الى مارِدَة، وبها أَصْبَغ بن عبد الله ثائراً متمنّعاً. وكان سببُ ثورته أنّ عدوًّا لأصْبَغ طالَبَه عند الحكَم وأغراه عليه. ثمّ مشى الى أصبغ بمثل ذلك، وروّعه منه؛ فتوقّع العقوبة والسطوة به. فكان ذلك سَبَبَ دخوله مارِدَة وقيامِهِ بها. وتكرّرت الغارات عليه سبعة أعوام؛ فافتتحت فى العام السابع بمحاولة انجلت عن طلب الأمان لأصبَغ فأُمِّن، وخرج من مارِدَة، وصار فى مصفّ الحكَم؛ فسكن قُرْطبة؛ ثمّ فسح له فى الاختلاف الى ضياعه بمارِدة حتى التاث أمْرها، واضطربت حالُها.

وفى سنة ١٩٢، خرج رُذْمِريق صاحب إفْرَنْجة الى جهة طُرْطُوشة؛ فأغزى الحكَم ابنه عبد الرحمن فى جيش كثيف، وكتب الى عَمْرُوس وعَبْدُون عاملى الثّغر بالغزو معه بجميع أهل الثغر. فتقدّم عبد الرحمن بالجنود، وتوافت عليه الحشود، وحفّت به المُطّوّعة. فألفوا • الطاغية خارجاً الى بلاد المسلمين. ودارت P. ٧٥

1) Tout ce qui suit manque dans B, jusqu'à l'année 199.

بينهم حروبٌ شديدة، ثبّت اللهُ فيها أقدام المسلمين. فانهزم المشركون؛ وكانت فيهم مقتلة عظيمة؛ ففنى أكثرُهم.

وفى سنة ١٩٤، غزا الحَكَم الى أرض الشرك. وكان السبب فى هذه الغزاة أنّ عبّاس بن ناصِح الشاعِر كان بمدينة الفَرَج (وهى وادى الحِجَارة). وكان العدوُّ، بسبب اشتغال الحَكَم بمارِدَة وتوجيه الصوائف اليها مـدّةً من سبعة أعوام، قـد عظمت شوكتُه، وقوى أمْرُه. فشنّ الغارات فى أطراف الثغور، يسبى ويقتل. وسمع عبّاس بن ناصِح امرأةً فى ناحية وادِى الحِجَارة، وهى تقول: «واغوثاه يا حَكَم! قد ضيّعْتَنا وأسْلَمْتَنا واشتغلتَ عنّـا، حتّى استأسد العدوُّ علينا!» فلما وفد عبّاس على الحَكَم، رفـع اليه شعراً يستصرخه فيه، ويذكر قول المرأة واستصراخها به؛ وأنهى اليه عبّاس ما هو عليه الثغر من الوهن والتياث الحال. فرثى الحَكَمُ المسلمين، وحمى لنصر الدين، وأمر بالاستعداد للجهاد، وخرج غازياً الى أرض الشرك؛ فأوغل فى بلادهم، وافتتح الحصون، وهدم المنازل، وقتل كثيراً، وأسر كذلك، وقفل على الناحية التى كانت فيها المرأة، وأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم، يصلحون به أحوالهم ويفدون سباياهم؛ وخصّ المرأة وآثرها، وأعطاهم عدداً من الأسرى عوناً. وأمر بضرب رقاب باقيهم، وقال لأهل تلك الناحية وللمرأة: «هل أغاثكم الحَكَم؟» قالوا: «شفا واللهِ الصُّدُورَ، ونكى فى العدوّ، وما غفل عنّا إذ بلغه أمْرُنا! فأغاثه الله وأعزّ نصره!»

وفى سنة ١٩٦، غزا الحَكَم الى بلاد المشركين، وأوغل فيها، وأوقع بهم، وقتل. وفيها، مات تَمّام بن عَلْقَمة الثَّقَفىُّ.

٨ [1] وفى سنة ١٩٩، كانت المجاعة التى عمّت الأندلس؛ ومات أكثر الخلق جَهْداً.

1) Reprise de B.

P. ٧٦ وفى هذه السنة، أغزى • الحَكَم عمّه عبد الله البَلَنسىّ الغزوة الشنيعة المشهورة، وكانت بَبَرشِلُونة: ألفَى المشركين قد حلّوا بها يوم احتلاله، وكان يوم الخميس؛ وأراد من معه مُناشبة الحرب، وتشوّفوا للقتال؛ فمنعهم حتّى إذا كان فى اليوم الثانى، وهو يوم الجمعة وقت الزوال، أمر بتَعْبئة الكتائب، ونَصَبَ الرُدود؛ وقام، فصلّى ركعتَين، ثمّ نادى فى الناس، وركب هو ومن معه، وناهض أهْلَ الشرك. وما أحْسِبُه فعل ذلــك إلاّ فِقهاً وعِلْماً وتأسّياً بحديث النبىّ صلّعم حيث أمر بالقتال فى تلك الساعة: فإنّ فيها تهبّ الأرواح، وتُفْتَح أبواب الجنّة، وتُستجاب الدعوات. فمنحهم الله أكتاف المشركين، وانهزموا. وقتل عامّتهم، وفرّق جَمْعَهم. فلما أقلع عن القتال وانجلَتْ الحرب، نصب قناةً طويلةً، فاثبتت فى الأرض؛ وأمر بالرؤوس؛ فجُمعت وطُرحت حَوَالَيْها حتّى غابت القناةُ فيها [1] ولم تظهر [1].

## ذِكر دُخول الحَكَم طُلَيْطُلة حين خالَفَتْ عليه

وذلك أنّه أظْهَرَ الغزوَ الى بلاد المشركين، وقصد تُدْمِير، وهو يريد فى نفسه طُلَيطُلة. فنزل تُدْمِير، واضطرب فيها، ونازَلَ بعض حصونها. وكتب الى عُمّال الثغر بنزوله فيها وحَرْبه لها؛ فأمِنَ أهْلُ طُلَيطُلة، وانتشروا فى بسائطهم، ونظروا فى زُروعهم، وله عليهم عُيونٌ. فلما صحّ عنده انبساطُهم، جعل يتغرّب من أحواز تُدْمِير. وأخبارُ طُلَيْطُلة تردُ عليه. فلما أمكنته الفُرْصة فيها، جــدّ السير اليها، وطَوَى المراحل؛ فوصل اليها ليلاً، وسبق بقَطِيع من الحَشَم. فدخل طُلَيطُلة ليلاً، ولم يُعْلَم بدخوله، وأهْلُها فى غفلة، وأبوابها منتّحة. وتابع العسكر عليه بمقدار قوّة كلّ أحد. فملكها، وحَالَ بين أهلها وبينها، وقطع الخروج عمّن كان بها الى من كان بخارجها. فاستوسق لـه مُلْكُها دون مؤنة ولا قتال.

---

1—1) Manque dans A.

فاستنزل أهلَها من الجبال الى السّهل، وحرّق ديارها، وسكّنهم فى الصحراء. ثمّ ردّهم اليها.

P. ٧٧ وفى سنة ٢٠٠، أغزى الحكمُ وزيره عبد الكريم بن مُغيث الى بلاد المشركين؛ فدخلها، وتوسّطها، وأهلك معائشها ومَرَافقها، وحطم زُروعها، وهدم مَنَازِلها وحصونها، حتّى استوفى جميع قُرَى وادِى أُرُون. فحشدت اليه الطاغية — دمّرها الله! — واجلبت[1] النصرانيّة من كلّ مكان، وأقبلت الجموع، ونزلت بعدوة نهر أُرُون؛ وصار النهرُ حاجزاً بينهم وبين المسلمين. فلما أصبح، نهض عبدُ الكريم بمن معه الى مَخَائض الوادى؛ ونهض أعداء الله اليهم؛ فقاتلوهم على كلّ مخاضة منها؛ فجالدَهم المسلمون عليها مجالدةَ الصابرين المحتسبين. واقتحم اعداء الله النهر اليهم؛ فاقتتلوا على مخاضته. ثمّ حمل المسلمون عليهم حملةً صادقةً؛ فاضغطوهم فى المضايق، وأدخلوهم على غير طريق؛ فأخذتهم السيوفُ والطَّعْنُ بالرماح [2]والغرق فى المياه[2]؛ فقُتل من المشركين عددٌ عظيمٌ لا يُحصى كثرةً، ومات أكثرُهم بالتردّى ودَرَسَ بعضُهم بعضاً، وصاروا بعد المُطَاعَنة والمجالَدة بالرماح والسيوف الى القَذْف بالحجارة؛ وأكثروا الحُرّاسَ بالمخائض، ووعّروها بالخشب، وحفروا الحفائر، وخَنْدَقوا الخنادِق. ونزلت الأمطار؛ وكان قد فرغ ما كان لأعداء الله من المرافق؛ وضاقت الحال أيضاً بالمسلمين؛ فقفل عبدُ الكريم ظافراً لسبع خَلَوْنَ من ذى القعدة.

ولم يكن فى سنة ٢٠١ صائفةٌ ولا حَرَكَةٌ مشهورةٌ.

## ذِكرِ هَيْج أهْل الرَّبَض ثانيةً فى سنة ٢٠٢

كان من أهل رَبَض قُرْطُبة فى هذه السنة ما نَسْتَعيذُ بالله من الخِذْلان فى مثله، وذهابِ التوفيق. وقد اختلفت الروايات فى سبب قيام الناس وهَيْجهم؛ فنهم

---

1) A. اجلبت.    2—2) Manque dans A.

من يقول إنّ ذلك الهَيْج كان أصلُه الأشَرَ والبَطَر، إذ لم تكن ثَمّ ضرورةٌ من إجحاف فى مال، ولا انتهاك لحُرْمة، ولا تعسُّف فى ملكة، والحالُ تدلُّ على صحّة ذلك: فإنّه لم يكن على الناس وظائفُ، ولا مَغارِمُ، ولا سُخَرٌ، ولا شئٌ يكون سبباً لخروجهم على السلطان، بل *كان ذلك أشَراً وبَطَراً، وملالاً P. ٧٨ للعافية، وطبعاً جافياً، وعقلاً غبيًّا، وسعياً فى هلاك أنفسهم — أعاذنا الله من الضلال والخذلان، وأسباب البوار والخسران!

ولما اهتاجوا وقاموا على السلطان، ناصَبَهم الحَكَمُ القتال، وواضعهم الحرب. وانحاش اليه حاشيتُه وجندُه، وتألّب من كلّ وجه رجالُه. وقامت الحرب بين الجند وعامّة قُرْطُبة على ساق. ثمّ تكاثرت العامّة، وهاجت الدهماء السوداء؛ فلم يزيدوا على أن ظهروا فى ذلك الحين ظهوراً لم يبلّغهم الى أمل فلما اشتغلوا بالقتال، احتِيلَ عليهم بمثل حيلة يوم الحَرّة، وهم لا يشعرون لاشتغالهم بالقتال؛ فخرج عُبَيْد الله بن عبد الله البَلَنسىّ المعروف بصاحب الصّوائف، وإسحاق بن المُنْذِر القُرَشىّ الى باب الجِسْر، مع من أمكنهما من الفرسان والرجّالة، والتقوا مع العامّة، وجالدوهم حتى أزاجوهم وأدخلوهم الجسْر؛ وفُتح بابُ المدينة عند الجِسْر، ودخل الذين سمّينا [1] على باب الحَديد؛ ثمّ اقتحموا على الزُّقاق الكبير، وخرجوا على الرَّمْلة الى مَخَاضةٍ هناك، وجازوا النهر، واجتمعوا مع من توافى عليهم من حشود الكُوَر، إذ كانوا قد أُنْذِروا قبل ذلك بما كان بدا منهم، وظهر من علاماتهم. فلما اجتمعوا، أقبل بَعْضُهم من وراء الرَّبَض، وشرع بعضٌ فى طرح النار فى الدور، ودسّوا من أخبر العامّة بما نزل بهم فى دورهم وذراريهم وعيالهم؛ فلم يَبْقَ أحدٌ منهم دون أهله ومنزله، وانصرفوا راجعين نحوها. فأخذتهم السيوف من أمامهم ووراءهم؛ فقُتلوا قتلاً ذريعاً، وتُتبّعوا فى الأزقّة والطُّرُق، يُقتلون؛ ونجا منهم من تأخّرَ أجله، فنرّ، فلم يَلْوِ على

1) A. ajoute ودخلوا.

أهل ولا ولد. وأُخِذَ منهم ثلاثمائة رجل؛ فصُلِبوا على الوادى ، صفّا واحداً من المَرج الى المُصَارة.

وكان الحَكَم قد عزم على تتبيعهم بالأندلُس، وقَتْلِهم حيث وُجدوا؛ فكَسَّر عليه بعضُ أصحابه، وذَكَّره صُنْعَ الله • له فيهم؛ فارْعَوَى وكَفَّ. فخرجوا أفواجاً بأهاليهم وأولادهم، ولم يعرض لأحد منهم فى شىء من بلاد الأندلس، وهى طاعته ومُلْكُه، ولا نالهم ضُرٌّ بعد وقت المعركة وغَلَيان الحال، كرماً وعفواً من الأمير الحَكم — رحمه الله! — وعفَّ الحَكَم عن الأموال والحُرَم. وتفرّق أهل الرَّبَض فى جميع أقطار الأندلُس، ومنهم من جاز البحر الى العُدْوة بالأهل والولد؛ فاحتلّوا بعدوة فاس، فهُمْ عدوة الأندلُس منها؛ فصيّروها مدينةً. ومنهم أهل جزيرة إقْرِيطِش؛ فذُكِرَ أنّـه لم يخرج منهم طائفةٌ بناحية من نواحى الدنيا إلاّ وتغلّبوا عليها، واستوطنوها على قهر من أهلها. وأكثرُ من هرب من أهل العلم والخير ممّن اتُّهِم أو خاف على نفسه الى ناحية طُلَيْطُلة، ثمّ أمّنهم الحَكَم، وكتب لهم أماناً على الأنفس والأموال، وأباح لهم التفسّح فى البلدان حيثُما أحبّوا من أقطار مملكته، حاشى قُرْطُبة أو ما قرب منها.

P. ٧٩

وفى سنة ٢٠٦، اشتدّ مرضُ الحَكَم بن هشام؛ فأخذ البيعة لابنه عبد الرحمن، ثمّ للمُغِيرة من بعده. وانعقدت البيعة يوم الأربعاء لاحدى عشرة ليلة خلَتْ من ذى الحجّة من السنة. فبويع له ذلك اليوم فى القصر؛ واختلف الناسُ بعد ذلك اليوم الى دار عبد الرحمن بن الحكم يبايعونه؛ وبايعوا المُغِيرة فى دار أخيه عبد الرحمن أيضاً؛ ثمّ ركب المُغِيرة الى الجامع، ونزل فيه يوماً بعد يوم لمبايعة الناس له؛ وكانوا يبايعونه عند المِنْبَر؛ ثمّ بايعوه فى داره. ولما انقضت البيعة لعبد الرحمن والمُغِيرة بعده، أمر الحَكَم بن هشام بهدم الفُنْدُق الذى كان بالرَّبَض؛ وكان مُتَقَبِّلُه من أهل الإضرار والفسق؛ فهُدِمَ. وتُوُفِّى الأمير الحَكَم يوم الخميس لأربع بقين من ذى الحجّة من السنة؛ وصلّى عليه ابنه عبدُ الرحمن؛ ودُفِن بالقصر.

## بعض •أخباره وسيره

P. ٨٠

كان الحَكَم — رحمه الله! — شديد الحزم، ماضِيَ العزم، ذا صولة تُتَّقَى. وكان حَسَن التدبير فى سلطانه، وتولية أهل الفضل والعدل فى رعيّته؛ وكان مبسوط اليد. وكان له قاضٍ كفاه بوَرَعه وعِلْمه وزُهْده؛ فمرض مرضاً شديداً؛ فاغتمّ الحَكَم لمرضه؛ فذكر بعضُ خاصّته أنّه أرِقَ ليلةً أرقاً شديداً، وجعل يتَمَلْمَل على فراشه؛ فقيل له: «أصلح الله الأمير! ما الذى عرض؟» فقال: «وَيْحَكم! إنّى سمعت فى هذه الليلة نادبةً، وقاضينا مريضٌ، وما أراه إلاّ وقد قضى نَحْبَه. فأين لى بمثله، ومن يقوم بالرعيّة مقامه؟» فمات القاضى فى تلك الليلة، وهو المُصْعَب بن عِمْران قاضى أبيه. فولّى بعده محمّدَ بن بَشير.

فكان أقصدَ الناس الى حق، وأبعدهم من جَوْر، وأنفذهم بحُكْم. ورفع اليه رجلٌ من أهل كورة جيّان أنّ عاملاً[1] للحَكَم اغتصبه جاريةً، وصيّرها الى الحَكَم؛ فوقعت من قلب الحَكَم كلَّ مَوْقِع؛ فأثبت الرجل أمره عند القاضى، وأتاه ببيّنة تشهد على معرفة ما تظلّم منه وبمِلْكه للجارية وبمعرفتهم بها. فأوجبت السُنّةُ أن تحضر الجارية؛ فاستأذن القاضى على الحَكَم؛ فأذِن له؛ فلما دخل عليه، قال له: «أيّها الأمير! إنّه لا يتِمُّ عَدْلٌ فى العامّة دون إقامَتِه فى الخاصّة!» وحكى لـه أمر الجارية، وخيّره بين إبرازها للبيّنة ليُشْهَد على عينها، أو عَزْله. فقال له الحَكَم: «أولا أدعوك الى خير من ذلك! تبتاع الجارية من صاحبها بأبلغ ما يطلب فيها.» فقال القاضى: «إنّ الشهود قد شهدوا من كورة جيّان، وأتى الرجل يطلب الحقّ فى مظانّه؛ فلما صار ببابك، تَصْرِفه دون إنفاذ الحقّ له؛ ولعلّ قائلاً يقول: باع ما لا يَمْلِكُ بَيْعَ مقهور!» فلما رأى عزمه على ذلك، أمر بإخراج الجارية من قصره؛ فشهد الشهودُ عنده على عينها، وقضى بها •لصاحبها. وكان هذا القاضى محمّد بن بَشير، إذا خرج للمسجد، وجلس للأحكام،

P. ٨١

1) B. غلاماً.

جلس فى رداء مُعَصْفَر، وشعر مفرّق؛ فإذا طُلِبَ ما عنده، وُجِدَ أفضلَ الناس وأَوْرعَهم.

وكان الحَكَم يقول: «ما تحلى الخلفاء بمثل العدل!» وكانت فيه بطالة، إلاّ أنّه كان شُجاعَ النفس، باسطَ الكفّ، عظيمَ العفو. وكان يُسلِّط قُضاتَه وحُكّامه على نفسه، فضلاً عن ولده وخاصّته. وكانت للحَكَم ألف فَرَس مرتبطةً بباب قصره على جانب النهر، عليها عشرة من العُرَفاء، تحت يدِ كلِّ عريف مائة فَرَس؛ فإذا بلغه عن ثائر ثار فى أطرافه، عاجَلَه قبل استحكام أمره؛ فلا يشعُر حتّى يُحاطَ به. وجاءه الخبر يوماً أنّ جابِر بن لَبِيد مُحاصِرٌ لجَيّان، وهو يلعب بالصَّوْلجان فى القصر؛ فدعا بعَرِيف من أولائك العُرَفاء، وأسرّ اليه أن يخرج بمن تحت يده الى جابِر بن لَبِيد؛ ثمّ فعل كذلك مع أصحابه من العُرَفاء. فلم يشعر ابن لبيد حتّى تساقطوا عليه مُسَرْبلين فى الحديد؛ فلما رأى العدوُّ ذلك، سُقِطَ فى يده، وظنّ أنّ الدنيا قد حُشِرَتْ اليه؛ فولّى بمن معه منهزماً.

وكان الحَكَم فصيحاً بليغاً شاعراً مُجيداً. فمن شعره – رحمه الله! – يتغزّل، وذلك أنّه كان له خمسُ جوارٍ قد استَخْلَصَهُنّ لنفسه ومَلَّكَهُنّ أمره؛ فذهب يوماً الى الدخول عليهنّ؛ فأبَيْنَ عليه، وأعرَضْنَ عنه. وكان لا يصبر عنهنّ. فقال [البسيط]:

قُضْبٌ من البانِ مَاسَتْ فَوْقَ كُثْبانِ ... أعْرَضْنَ عَنّي وقد أزْمَعْنَ هِجْرانِي

نَاشَدتُهُنّ بحَقّي فاعْتَزَمْنَ على ... الهِجْرانِ حتّى خَلاَ مِنْهنّ هيْمانِي

مَلَكْنني مُلْكَ مَنْ ذَلَّتْ عَزيمَتُهُ ... للحبّ ذُلّ أسِيرٍ موثَقٍ عانِي

مَنْ لى بمُغْتَصِباتِ الرُّوحِ من بَدَنِي ... غصبنَنى فى الهَوَى عِزّى وسُلْطانِى

ثمّ إنهنّ عُذْنَ عليه بالوَصْل؛ فقال [خفيف]: ٨٣

نِلتُ كُلَّ الوِصالِ بعد البِعَادِ ... فكأنّي مَلَكْتُ كُلَّ العِبادِ

وَتَناهىَ السُّرورُ إذْ نِلْتُ مَا لَمْ ... يُغْنِ فيه تَكَاثُفُ الأجْنادِ

ومن مليح قوله فيهنّ – رحمه الله! – [خفيف]:

ظَلّ مِن فَرْطِ حُبّهِ مَمْلُوكَا ... ولقد كان قَبْلَ ذاكَ مَلِيكَا
إن بَكَى أو شَكَا الهَوَى زِيدَ ظُلْماً ... وبِعاداً يُدْنِي حِماماً وَشِيكَا
تَرَكَتْهُ جآذِرُ القَصْرِ صَبّاً ... مُسْتَهاماً على الصَّعِيدِ تَرِيكَا
يَجْعَلُ الخَدَّ مائلاً فوق تُرْبٍ ... وَهْوَ لا يَرْتَضِي الحَرِيرَ أَرِيكَا
هكذا يَحْسُنُ التَّذَلُّلُ للحُرِّ ... إذا كان في الهَوَى مَمْلُوكَا

وله – رحمه الله! – أشعارٌ كثيرةٌ في الزّهديّين الفائقين عليه. لا يُجاريه فيها أحدٌ. وقد تقدّم منها ما يستدلّ به على فضله. ولما دَنَتْ وفاتُه، عتب نفسه فيما تقدّم منه عِتاباً، وتاب الى الله مَتاباً، ورجع الى الطريقة المُثلَى، وقال: إنّ الآخرة هي الأبقى [1] والأولى؛ فتزيّن بالتقوى. واعتصم بالعُرْوة الوُثْقَى، وأقرّ بذنوبه واعترف، وأنِسَ الى قوله تعالى إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ [2]. وكان من عباد الله المتّقين، الى أن أتاه من ربّه اليقين. فتُوفّي – رحمه الله! – سنة ٢٠٦.

## خلافة عبد الرّحمن بن الحكم بن هشام

كُنْيَتُه: أبو المُطَرِّف. أُمّه: تُسمّى حَلاوة. مَوْلِدُه: سنة ١٧٦. حاجبُه: عبد الكريم بن عبد الواحد. وُزَراؤه: تسعة؛ رِزْقُ كلّ واحد ثلاثمائة دينار. كُتّابه: ثلاثة: عبد الكريم المذكور، وسُفيان بن عبد ربّه، وعيسى *بن شُهَيد. قُضاته: أحد عشر؛ منهم: يحيى بن مَعْمَر، وقبله مسرور بن محمّد بن بَشير، ثمّ سعيد ابن محمّد بن بَشير، ثمّ يحيى المتقدّم الذكر. وغير هؤلاء؛ وإنّما كثر القضاة في أيّامه لأنّ المشاوَرَ في عزلهم وولايتهم يحيى بن يحيى اللّيثيّ؛ فكان لا يولّي رجلاً إلّا برأيه؛ فكان يحيى بن يحيى، إذا أنكر من القاضي شيئاً، قال له: «استعفِ وإلّا رفعتُ بعزلك!» فكان يستعفي أو يُشير يحيى بعزله، فيُعزَل.

P. ٨٣

1) Manque dans A. 2) *Cor.*, VIII, 38.

نَقْشُ خاتَمِه: «عبد الرَّحْمٰن بقضاء الله راضٍ.» وكان له قبل ذلك خاتمٌ باسمه، فتلف، وأمر بطلبه، فلم يُوجد، فأعاد نَقْشَ خاتم جدّه عبد الرحمن، بعد ان خرج نَصْر الفتى من عند الأمير هذا بالخاتم للنقش، وبعث فى عبد الله بن الشِّمر الشاعر. وقال له: «إنّ الأمير أمر بنقش هذا الخاتم، فقُلْ ما يُنْقَش فيه!» فقال [رمل]:

خـاتَمٌ لِلْمُلْكِ أَضْحَى ... حُكْمُه فى النَّاسِ مَاضِى
عـابِـدُ الرَّحْمٰنِ فِيـهِ ... بِقَضَاءِ الـلّٰـهِ رَاضِى

فاستحسن ذلك الأميرُ عبد الرحمن، وأمر بنقشها فى الخاتم.

صِفَتُه: طويل، أسمر، أقنى، أعْيَن، أكْحَل، عظيم اللحية يخضب بالحِناء والكَتَم. بويع بعد موت أبيه بيوم واحد، وذلك يوم الخميس لثلاث بقين من ذى الحِجّة سنة ٢٠٦. وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وتسعة أشهر. وتوفّى ليلة الخميس لثلاث خَلَوْن من شهر ربيع الآخر سنة ٢٣٨. عمرُه: ثمان وستّون سنة. خلافتُه: احدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر وستّة أيام. بنوه الذكور: خمسة وأربعون، وبناته: اثنتان وأربعون.

وفى سنة ٢٠٧، ثارت بتُدْمير فتنة بين مُضَر ويَمَن، ودامت سبع سنين، فأغزى اليهم الأمير عبد الرحمن فى هذا العام يحيى بن عبد الله بن خَلَف، ثمّ كان يبعث اليهم المرّة بعد المرّة بالقُوّاد، فيفترقون، فإذا قفلوا، عادوا الى الفتنة. وكانت بينهم وبين يحيى بن عبد الله وقيعةٌ تُعرف بوقعة المُضارة P. ٨٤ بلُوْرَقة. انتهى مبلغ القَتْلَى فيهم الى ثلاثة آلاف.

وفيها كان بالأندلس جوعٌ شديدٌ، مات به كثيرٌ من الخلق.

وفى سنة ٢٠٨، كانت الغزاة المعروفة بغزاة ألْبَة والقِلاع. غزاها عبد الكريم ابن عبد الواحد بالصائفة، واحتلّ بالثغر، وتوافت عليه عساكر الإسلام، واختلفوا فى الدخول على أيّ باب يكون الى دار الشرك، ثمّ اجتمعوا على أن يكون

من باب أَلْبَة، إذ كان ذلك الباب أنكى للعدوّ وأحسم لدائه؛ فاقتحموا من فَجّ يُقال له جَرْنيق؛ وكان وراءه بسيطٌ للعدوّ، فيه خزائنُه وذُخْره. فوقع أهل العسكر على تلك البسائط، فاستصفَوْها، وعلى ذخر تلك الخزائن، فانتهبوها؛ واستوعبوا خراب كلّ ما مرّوا عليه من العمران والقُرَى، وأقفروها. وانصرف المسلمون غانمين ظافرين. والحمد لله!

وفى سنة ٢٠٩، توفّى عبد الكريم بن عبد الواحد؛ وكان قد أخذ فى الحركة الى أرض العدوّ؛ فاعتلّ. وعوّض منه الأمير عبد الرحمن بن الحكم أُمَيّة ابن مُعاوية بن هشام. فغزا بالصائفة الى أُوريط؛ فاحتلّ بها، وهى يومئذٍ للإسلام؛ فأخذ أهْلَ الذنوب والريب، وعفا عن الباقين؛ ثمّ تقدّم الى شَنْتَ بَرِيّة وتُدْمِير. وكان أبو الشمّاخ رئيسُ اليَمانيّة يقوم بدعوة الأمين[1] على المُضَرِيّة. وكانت بينهم وقعة بمُرْسية كوقعة يوم المُصَارة بلَوْرَقة، فنى فيها من المسلمين أُمَمٌ. وكان انبعاث هذه الفتنة وسَبَبُها بين المُضَرِيّة واليَمانيّة على ورقة دالية أخذها مُضَرِىٌّ من جنان يَمانىّ؛ فقتله اليمانىّ؛ فكان ذلك سبب الحروب التى دارت بين الفريقين؛ واتّصلت أعواماً؛ وكانت الدوائر تدور أكثرُها على اليَمانيّة والقتلى منهم، وذلك أحد عجائب الدهر.

وفى سنة ٢١٠، أمر الأمير عبد الرحمن ببنيان الجامع بمدينة جيّان. وفيها، كتب الى • عامل تُدْمِير أن ينزل بمُرْسِية ويتّخذها موطناً؛ فكانت حينئذٍ موضع نزولهم وموضع قرارهم؛ وأمر بهدم مدينة أَلُه من تدمير، ومنها ثارت الفتنة أوّلاً. P. ٨٥ وفيها، افتتح فَرَجُ بن مَسَرّة[2] فى أرض العدوّ حصن القلعة؛ وكان مَسَرّة[2] عاملَ جيّان.

وفى سنة ٢١١، ثار طَوْرِيل بتاكُرُنّا؛ فأخرج اليه الأمير عبد الرحمن معاوية ابن غانم فى حشد؛ فظفر به، وقطع عاديته.

---

1) B. الأموين. 2) B. ميسرة.

وفى سنة ٢١٣، غزا عُبَيد الله بن عبد الله البَلَنسِىُّ بالصائفة الى دار الحرب، فجال فى أرض العدوّ حتّى بلغ بَرْشِلُونة، وتردّد فى تدويخها وإنتسافها ستّين يوماً.

وفى سنة ٢١٣، انقطعت الفتنة بتُدْمِير، واستنزل أبو الشمّاخ وغيره من القلاع، وإنقطعت عاديتهم، وصار أبو الشمّاخ من وُلاة الأمير عبد الرحمن ومن ثِقاته.

وفى سنة ٢١٤، ثار الضرّاب بطُلَيطُلة، واسمه هاشم، وسُمِّىَ الضرّاب لأنّه لما أحرق الحَكَمُ طُلَيْطُلة، وأنزل أهلها منها الى السهْل، أخذ رهائنهم. فدخل حينئذٍ هاشم الضرّاب قُرْطُبة، وصار يضرب بالمِعْوَل فى الحدّادين أجيراً، فعُرِف بالضرّاب. ثمّ خرج من قُرْطُبة الى طُلَيطُلة، فاستدعى أهلَ الشرّ والفساد، وألّبهم، فتألّب اليه منهم نفرٌ، فخرجوا يغيرون على العَرَب والبَرْبَر. وتسامع أهلُ الشرّ به، فقطعوا اليه، حتّى اجتمع له منهم جمعٌ عظيمٌ وخلقٌ كثيرٌ، فعلا ذكرُه، وإنتشر صيتُه. وأوقع بالبَرْبَر بشَنْت بَرِيّة، ودارت له عليهم دوائرُ. فأخرج الأمير عبد الرحمن اليه محمد بن رُسْتُم [1]، وأمره بحربه، فحاربه فى هذه السنة.

وفى سنة ٢١٦، توافت الجنود لمحمّد بن رُسْتُم عامل الثغر، فناهض هاشماً الضرّاب. وكان قد تغلّب على جانب الثغر. وكان عبد الرحمن قد استنصر محمّد ابن رُسْتُم فى حقِّه، وكتب اليه يعنّفه، فتقدّم ابن رُسْتُم، والتقى مع * هاشم الضرّاب، P. ٨٦ فوقعت بينهم حربٌ شديدةٌ أيّاماً، ثمّ انهزم هاشم، وقُتل هو ومن كان معه، وكانوا آلافاً.

وفى سنة ٢١٧، حوصرت مَارِدة وضُيِّق عليها، حتّى فرّ عنها خلقٌ كثيرٌ وقُتل منهم كثيرٌ.

وفى سنة ٢١٨، كان الكسوف العظيم، الذى توارت معه الشمس، وبدا

---

1) A. et B. وسيم; de même plus loin.

بالاظلام؛ وكان ذلك قبل زوال الشمس، فى أواخر رمضان. وفيها، استوزر الأمير عبد الرحمن ابنَ شُهَيْد واستحجبه. وفيها، قامت الزيادة فى المسجد الجامع بقُرْطُبَة من الأرْجُل التى بين السوارى الى القبلة.

وفى سنة ٢١٩، غزا بالصائفة أُمَيّة بن الحَكَم الى طُلَيْطُلة وحاصرها؛ ثمّ قفل العسكرُ بعد أن أتلف زروعهم وقطع ثمارهم. وأبقى بقَلْعة رَبَاح مَيْسَرَة الفتَى لمُحاصرة طُلَيْطُلة؛ فخرج جمعٌ عظيمٌ من طُلَيْطُلة يريدون قَلْعة رَبَاح؛ فبلغه خبرُهم؛ فجمع الجموع، وكمن الكائن. فلما قربوا منها، وفرّقوا[1] خيلهم فى الغارة، خرجت عليهم الكائن؛ فقُتلوا، وحُزّت رؤوسُهم؛ فجُمعت بين يدى مَيْسَرة؛ واجتمع منها جملةٌ عظيمةٌ. فلما رأى ذلك، ارتاع وداخله الندمُ؛ فلم يلبث بعد ذلك إلاّ يسيراً حتّى مات ندماً وأسفاً.

وفى سنة ٢٢٠، غزا الأمير عبد الرحمن؛ فجعل صَدْرَ وجهته على طُلَيْطُلة، وولّى أبا الشمّاخ قَلْعة رَباح، وأبقى عنده خَيْلاً كثيفة ورَجْلاً كثيرة لمناهضة طُلَيْطُلة، وتقدّم هو الى كُوَر الغَرْب. وكان سليمان بن مَرْتِين قد تحيّل عليه يحيى المارِدىّ؛ فأخرجه من مارِدَة؛ فكان فى قُنَن الجبال حيناً؛ فحلّ عليه الأمير فى هذه الغزاة، وحاصره حتّى ضاق سليمان بن مَرْتِين فى الحصن؛ فخرج ليلاً؛ فبينا هو يمشى، إذ وافَقَ صخرةً ملساء على وجه الأرض؛ فزلق بـه الفرسُ؛ فسقط، ومات. ووجده رجلٌ؛ فاحتزّ رأسه، وادّعى قتلَه؛ ثمّ عُرِف أمرُه. P. ٨٧

وفى سنة ٢٢١، افتُتحت طُلَيْطُلة. وكان السببُ فى ذلك أنّ ابن مُهاجِر خرج عنها، ونزع الى قَلْعة رَبَاح، واستدعى القُوّاد؛ فخرجوا اليه. فنهض بهم الى أبواب المدينة، وقطع عنهم مرافقَهم. فكان ذلك أقوى الأسباب فى افتتاحها. وكان عبد الواحد الإسْكَنْدَرانىّ بعثه الأمير اليهم؛ فوجدهم قد بلغ بهم الجهد.

1) A. وقربوا.

ثمّ أطلّ عليهم الأمير، فافتتحها قهراً، ودخلها على حُكْمه، وأمر بتجديد القصر الذى كان بناه عَمْرُوس فى أيّام الحَكَم على باب الجِسْر. وقيل إنّ الذى افتتح طُلَيْطُلة الوليدُ بن الحَكَم، وجّهه اليها أخوه عبدُ الرحمن.

وفى سنة ٢٢٢، افتتحها عنوةً، ودخلها فى شهر رجب من هذه السنة على حُكْمه.

وفى سنة ٢٢٣، أغزى الأمير عبد الرحمن بن الحَكَم أخاه الوليد بن الحَكَم الى جِلِّيقِيَّة، فدخل من باب الغَرْب مع قطيع من العسكر، فدوّخها. وكانت له فتوحات كثيرة.

وفى سنة ٢٢٤، أغزى الإمام عبد الرحمن ابنَه الحَكَم الى دار الحَرْب، وأمره بالتجوّل فى جهات الثغور، ليتعرّف أخبارها ومَصالِحها. وأمر بإصلاح قنطرة سَرَقُسْطة. ودخل الحَكَم بالصائفة الى دار الحرب، فدوّخها، وقتل من المشركين ما لا يُحصى. واجتمع من رؤوسهم أكداسٌ كالجبال، حتّى كان الفارس يقف من ناحية، فلا يرى صاحِبَه من ناحية أُخرى من عِظَمها.

وفيها، كانت رُجومٌ بالنجوم، فى جمادى الآخرة، وتناثرت الكواكب من قِبْلةٍ الى جوفٍ، ومن شرقٍ الى غربٍ، بجزيرة الأندلُس.

وفى سنة ٢٢٥ غــزا الإمام عبد الرحمن بنفسه أرض جِلِّيقِيَّة. فنتح حصونها، وجال فى أرضها. وطالت غزاتــه، وتعب كثيراً، فأَرِق فى بعض الليالى، فلما كان فى بعض الليل، حضر عبد الله بن الشِّمر الشاعر، فوصف له أَرَقَه، وأنّــه * تذكّر بعض مَن حنّ اليه، فقال عبد الرحمن بن الشِّمر ٨٨ [متقارب]:

عَدَانِىَ عَنْـكَ مَـزَارُ العِدَى     وقَوْدِى اليهم لُهَـامـاً مَهِيبَـا
وكَمْ قَـدْ تَعَسَّفْتُ من سَبْسَبٍ     وجاوَزتُ بعد دُروبٍ دُرُوبـا[1]
وادَّرِعُ النَّـقْـعَ حتّى لَـبِـسْـتُ مِن بَعْدِ نَضرةِ وَجْهِى شُحُوبَا
ألاقِى بوَجْهِى سُمُومَ الهَجِـيـرِ وَقَدْ كادَ مِنْه الحَصَى أن يَذُوبَا
أنا ابنُ الهِشامِيّن مِن غَالِبٍ     أشُبُّ حُرُوبـاً وأطْفِى حُرُوبَا[2]
وَبِى ادَّرَكَ اللهُ دِينَ الهُدى     فَأَحْيَيْتُهُ واصْطَلَمْتُ الصَّلِيبَا
سَمَوْتُ الى الشِّرْكِ فى جَحْفَلٍ     مَلأْتُ الحُزُونَ بِـهِ والسُّهُوبَا

وفى سنة ٢٢٦، غزا بالصائفة الى جِلِّيقِيَّة من بلاد العدوّ مُطَرِّفُ بن عبد الرحمن، فتوسّط بسيطهم، وذهب بنعمتهم، وكان القائدُ عبدَ الواحد بن يزيد إلاسكَنْدَرَانِىّ.

وفى سنة ٢٢٧، خرج، عُبَيْد الله بن عبد الله صاحب الصوائف، فلما حصل بين أرْبُونة وسَرْطَانِيَة، تَجالبَ الأعداء من كلّ ناحية، وأحاطوا بالعسكر ليلاً، فقاتلهم المسلمون الليل كلّه، فلما انبلج الضوء، أيّد الله المسلمين، وهزم الأعـداء.

وفى سنة ٢٢٨، خرج الأمير عبد الرحمن بنفسه الى أرض العدوّ، وخلّف فى القصر ولده المُنْذِر، وجعل على مَيْمَنَته ولده محمّداً وعلى المَيْسَرة ولده المُطَرِّف. فلقى جيشاً كبيراً من المشركين، فناشبهم الحرب، فأنزل الله نصره على المسلمين، وهزموا المشركين، وأثخنوا فيهم القتل. وأفاء الله على المسلمين من ذرارى أهل P. ٨٦ * بَنْبَلُونة وخيلهم وأسْلِحَتِهم ما عَظُمَ به من الله سبحانه المنُّ. وقفل غزيراً فى منتصف شوّال. وكان خروجُه من قُرْطُبة لتسع بقين من شعبان.

---

1) B. ولاقيتُ بَعْدَ دُروب دُروبا.     2) A. كروبا.

وفى سنة ٢٢٩، خرج الأمير عبد الرحمن لمحاصرة موسى بن موسى بتطيلة، فدوّخ بلاده، ثمّ صالَحَه. ثمّ تقدّم الى بَنْبَلُونة، فكانت له بها وقعة عظيمةٌ على المشركين، فنى فيها أعداء الله، وكان معهم موسى بن موسى، فناله ورجالَه ما نالَهم.

وفيها، ورد كتاب وَهْب الله بن حَزْم عامِلِ الأُشْبُونة، يذكر أنه حلّ بالساحِل قِبَلَه أربعةٌ وخمسون مَرْكَباً من مراكِب المَجُوس، معها أربعة وخمسون قارباً، فكتب اليه الأمير عبد الرحمن وإلى عُمّال السواحِل بالتحفّظ.

## دخُول المَجُوس إشبِيلِيَة فى سنة ٢٣٠

فخرج المَجُوس فى نحو ثمانين مَرْكباً، كأنّما مـلأت البحر طَيْراً جُوْناً، كما ملأت القلوب شجواً وشجُوناً. فحلّوا بأُشْبُونة، ثمّ أقبلوا الى قادِس، الى شَذُونة، ثمّ قدموا على إشْبِيلِيَة، فاحتلّوا بها احتلالا، ونازلوها نِزالا، الى أن دخلوها قسراً، واستأصلوا أهلها قتلاً وأسراً. فبقوا بها سبعة أيّام، يسقون أهلَها كأس الحِمام. واتّصل الخبر بالأمير عبد الرحمن، فقدّم على الخيل عيسى بن شُهَيْد الحاجبَ، واتّصل المسلمون به اتّصالَ العين بالحاجب. وتوجّه بالخيل عبد الله ابن كُلَيْب وابن رُسْتُم[1] وغيرهما من القوّاد واحتلّ بالشَّرَف. وكتب الى عُمّال الكُوَر فى استنفار الناس، فحلّوا بقُرْطُبة، ونفر بهم نَصْرٌ الفَتَى. وتوافت للمَجُوس مَراكبُ على مَراكب، وجعلوا يقتلون الرجال، ويسبون النساء، ويأخذون الصبيان، وذلك بطُول ثلاثة عشر يوماً. ذكر ذلك فى «بَهْجة النَّفْس». وفى كتاب «دُرَر القَلائِد»: سبعة أيّام، كما تقدّم. وكانت بينهم وبين المسلمين مَلاحِمُ. ثمّ نهضوا الى قَبْطيل، * فأقاموا بها ثلاثة أيّام، ودخلوا قُورَة، على اثنى عشر ميلاً من إشبيلية، فقتلوا من المسلمين عدداً كثيراً، ثمّ دخلوا الى طَلْيَاطَة، على ميلَيْن من إشبيلية، فنزلوها ليلاً، وظهروا بالغداة بموضع يُعرف بالنَحّارِين، ثمّ

1) A. et B. وسيم (*sic*) et toujours de même ensuite.

مضوا بمراكبهم، واعتركوا مع المسلمين. فانهزم المسلمون، وقُتل منهم ما لا يُحصى. ثمّ عادوا الى مراكبهم. ثمّ نهضوا الى شَذُونة، ومنها الى قادِس، وذلك بعد أن وجّه الأمير عبد الرحمن قوّاده، فدافعهم ودافعوه، ونُصبت المجانيق عليهم، وتوافت الأمداد من قُرْطُبة اليهم. فانهزم المَجُوس وقُتل منهم نحو من خمسمائة عِلْج، وأُصيبت لهم أربعة مراكب بما فيها، فأمر ابن رُسْتُم بإحراقها وبيع ما فيها من الفَيْء. ثمّ كانت الوقعة عليهم بقَرْية طَلْيَاطة يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر من السنة، قُتل فيها منهم خلقٌ كثيرٌ، وأُحرق من مراكبهم ثلاثون مركباً. وعُلِّق من المَجُوس بإشبيلية عددٌ كثيرٌ، ورُفع منهم فى جُذُوع النّخل التى كانت بها. وركب سائرُهم مَرَاكِبَهم، وساروا الى لَبْلة، ثمّ توجّهوا منها الى الأُشْبُونة، فانقطع خبَرُهم.

[1] وكان احتلالهم بإشبيلية يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خَلَتْ من المحرّم من سنة ٢٣٠[1]. وكان بين دخولهم الى إشبيلية وخروج مَنْ بقى منهم وانقطاعهم اثنان وأربعون يوماً، فقتلهم الله وأبادهم، وبدّد عُدَدَهم وأعدادَهم، وقُتِل أميرهم نقمةً من الله وعذاباً، وجزاء بما كسبوا وعقاباً. ولما قتل الله أميرهم، وأفنى عديدهم، وفتح فيهم، خرجت الكُتُب الى الآفاق بخبرهم. وكتب الأمير عبد الرحمن الى من بطَنْجَة من صِنْهاجة، يُعْلِمهم بما كان من صُنْع الله فى المَجُوس، وبما أنزل فيهم من النقمة والهَلَكة، وبعث • اليهم برأس أميرهم وبمائتَىْ رأس من أنجادهم. P. ٩١

وفى سنة ٢٣١، غزا بالصائفة جِلِّيقِيّة محمّدُ ابن الأمير عبد الرحمن، فحصرها، وحصر مدينة لِيُون، ورماها بالمجانيق. فلما أيقنوا بالهلاك، خرجوا ليلاً، ولجؤوا الى الجبال والغياض، فأحرق ما فيها، وأراد هَدْمَ سورها، فوجد سَعَتَهُ[2] ثمان عشرة ذراعاً، فتركه، وأمعن فى بلاد الشرك قتلاً وسبياً.

---

1—1) Manque dans B. 2) A. فوجده سبع أو.

وفى سنة ٣٢٣، قحطت الأندلس قحطاً شديداً؛ وكانت فيها مجاعةٌ عظيمةٌ، حتّى هلكت المواشى، واحترقت الكروم، وكثُر الجراد.

وفى سنة ٣٢٤، أمـر الأمير بتوجيه العساكر الى أهـل جزيرة ميُورَقة، لنكايتهم، وإذلالهم، ومجاهرتهم[1] بنقضهم العَهْدَ، وإضرارهم بمن مرّ عليهم من مَرَاكب المسلمين. فغزتهم ثلاثمائة مَرْكَب؛ فصنع الله للمسلمين جميلاً، وأظفرهم بهم، وفتحوا أكثر جزائرهم.

وفى سنة ٣٢٤المذكورة، توفّى يحيى بن يحيى؛ فاستراح القُضاةُ من همّه[2].

وفى سنة ٣٢٥، ورد كتاب أهل مَيُورَقة ومَنُورَقة الى الأمير عبد الرحمن، يذكرون ما نالهم من نكاية المسلمين لهم؛ فكتب اليهم كتاباً أذْكُرُ هنا فصولاً منه، وهو: أمّا بَعْدُ، فقد بلغنا كتابكُم، تذكرون فيه أمْرَكم، وإغارةَ المسلمين الذين وجّهناهم اليكم لجهادكم، وإصابتَهم ما أصابوه منكم من ذراريكم وأموالكم، والمَبْلَغَ الذى بلغوه منكم، وما أشْفَيْتُمْ عليه من الهلاك. وسألتُمُ التّدارُك لأمركم، وقَبولَ الجزية منكم، وتجديدَ عهدكم على المُلازمة للطاعة، والنصيحة للمسلمين، والكفتّ عن مكروههم، والوفاء بما وتَحْمِلونَه عن أنفسكم. ورجونا أن يكون فيما عُوقِبتم به صلاحُكم، وقَمْعُكم عن العَوْد الى مثل الذى كنتم عليه. وقد أعطيناكم عَهْدَ الله وذِمّته!»

وفيها، كان سيلٌ عظيمٌ بجزيرة الأندلس، حمـل وادى شَيل، وخرّب فوسَيْن من حَنَايا قَنطرة • إسْتِجة، وخرّب الأسداد[3] والأرحاء. وذهب السيلُ ٩٢ بستّ عشرة قَرْية من قُرَى إشبِيلِيَة على النهر الأعظم. وحمل وادى تاجُه؛ فأذهب ثمان عشرة قَرْيةً؛ وصار عَرْضُه ثلاثين ميلاً.

وفى سنة ٣٢٦، ثار رجلٌ من البَرْبَر، يُقال لـه حَبيب البُرْنُسىّ، بجبال

---

1) Ainsi dans A. et B. Peut-être faut-il lire مجاهدتكم.    2) A. سنّة.

3) A. et B. السداد (sic).

الجزيرة؛ وتأبّش اليه جماعةٌ من أهل الشرّ والفساد؛ فأخرج اليه عبد الرحمن الأجناد. فلما وصلوا اليه، ألفوا البَرْبَر قد قصدوا حبيباً ومن تأبّش اليه؛ فتغلّبوا على المَعْقِل الذى كان انضوى اليه، وأخرجوه عنه، وقتلوا عِدّةً كثيرةً من أصحابه. وافترق بقيّتهم عنه، ودخل حبيب فى غمار الناس. فكتب الأمير عبد الرحمن الى عُمّال الكُوَر بالبحث عنه.

وفى سنة ٢٣٧، قام رجلٌ من المُعَلّمين بشَرْق الأندلس؛ فادّعى النبوءة، وتأوّل القرآن على غير تأويله؛ فاتّبعه جماعةٌ من الغَوْغاء، وقام معه خلقٌ كثيرٌ. وكان من بعض شرائعه النهىُ عن قَصّ الشَّعْر وتَقْليم الأظفار، ويقول: «لا تغيير لخَلْق الله!» فبعث اليه يحيى بن خالد؛ فأتى بـه. فلما دخل عليه، كان أوّلُ ما خاطَبَه به ان دَعَاهُ الى اتّباعه والأخذ بما شرع؛ فشاوَرَ فيه أهْلَ العلم؛ فأشاروا بأن يُستتاب فإن تاب، وإلاّ قُتِل. فقال: «كيف أتوب من الحقّ الصحيح!» فأمر بصلبه. فلما رُفع فى الخَشَبة، قال: «أتقتلون رجلاً أنْ يقولَ: ربّى اللهُ!» فصلبه، وكتب الى الأمير بخبره.

وفى سنة ٢٣٨، تُوفّى الأمير عبد الرحمن بن الحَكَم — رحمه الله! — ليلة الخميس لثلاث خَلَوْن من ربيع الآخر من السنة. وما زال يَقْتَنى المآثِر، ويبنى المكارم والمفاخر، حتّى قبضَتْه شَعُوب، وأرْداه مُرْدِى القبائل والشُّعوب.

## ذكر بعض أخبار على الجُمْلة وسِيَره

لما ولى الأمير عبد الرحمن، بعث فى إخوته وأهله ووزرائـه؛ فبايعوه، وبايعتْه العامّة. ثمّ * صلّى على أبيـه الحَكَم. فلما قضى صلاته وواراه، جلس بالأرض متطأطئًا، ليس تحته وطاء، وجلس من كان معه. ثمّ افتتح القول؛ فقال: «الحمد لله، الذى جعل الموت حتماً من قضائه، وعزماً من أمره، وأجرى الأمور على مشيئته؛ فاستأثر بالمَلَكوت والبقاء، وأذلّ خَلْقَه بالفناء؛ تبارك

P. ٩٣

اسمُه وتَعَالَى جَدُّه[1]! وصلّى الله على محمّد نبيّه ورسوله، وسلّم تسليماً! وكان مُصاننا بالإمام – رحمه الله! – ممّا جلّت به المُصيبة، وعظمت بـه الرزيّة؛ فعند الله نحتسبه، وإيّاه نسأل إلهام الصبر، وإليه نرغب فى كمال الأجر والذخر! وعَهِدَ الينا فيكم بما فيه صلاح أحوالكم ولسنا ممّن يخالف عهده، بل لكم لدينا المَزِيدُ إن شاء الله!» ثمّ قام عنهم، وخرجت لهم الأموال والكسى على قدر أقدارهم.

وكان شاعراً، أديباً، ذا همّة عالية. وكانت له غَزَوات كثيرة، وفتوحات فى دار العدوّ شهيرة، يخرج اليها فى العدد الجمّ، والعسكر الضخم، يخرّب ديارهم، ويُعَفِّى آثارهم، ويفلّ ظاهر الاعتلاء، قاهر الاعداء. لم يَلْقَ المسلمون معه بؤساً، ولم يروا فى مُدّته يوماً عبوساً. وهو أوّلُ من جرى على سَنَن الخلفاء فى الزينة والشكل، وترتيب الخدمة. وكسى الخلافةَ أُبْهة الجلالة؛ فشيّد القصور، وجلب اليها المياه، وبنى الرَّصِيف، [2] وعمل عليه السَّقَائف؛ وبنى المساجد الجوامع بالأندلُس؛ وعمل السقاية على الرَّصيف[2]، وأحدث الطُّرُز، واستنبط عَمَلَها؛ واتّخذ السِكّة بقُرْطُبة. وفخم مُلْكُه. وفى أيّامه دخل الأندلُسَ نفيس الوِطاء وغرائبُ الأشياء؛ وسبقَ ذلك اليه من بَغْداد وغيرها. وعندما قُتِل محمّد الأمين، ابنُ هارون الرشيد، وانتهب مُلْكُه، سبق الى الأندلُس كلُّ نفيس غريب من جوهر ومتاع. وقُصِد بالعِقْد المعروف بعِقْد الشِفَاء[3]؛ وكان لزُبَيْدة أُمّ جعفر.

*ومن مآثره أنّه كان ورد عليـه يوماً أموالٌ من بلاده، لعَطِيّات أجناده؛ فأُدخلت اليه، وجُعلت الخرائط بين يديه. وكان بعث فتيانه؛ فخلا مَجْلِسُه إذ ذاك، ولم يَبْقَ أحد هناك، حاشى فتىً كان بين يديه واقفاً، وعلى خدمته الخاصّة عاكفاً؛ فغَشِيَت الأميرَ عبدَ الرحمن نَعْسة، ظنّها الفتى نُهْزَةً وخُلْسة؛ فقبض على خريطة من ذلك المال، وأسدل عليها كُمّه أسْبَغَ إسدال، والأمير يلاحظه بطَرْف خَفِيّ، ويصمت عنه صَمْتَ بَرّ حَفِيّ؛ ففاز الفتى بماله، وناط به أسبابَ

1) Allusion à *Cor.* LXXII, 3. 2—2) Manque dans B. 3) A. et B. الشيا (*sic*).

امانه. فلما رجع الفتيان، أمرهم الأمير عبد الرحمن برفع تلك الخرائط المبسوطة؛ فوجدوا نقصان تلك الخريطة؛ فتدافعوا فيها إذ ذاك، كــلٌّ يقول لصاحبه: «أنت أخذتَها من هناك!» فقال لهم الأمير: «اسكُتوا عن هذا! فقد أخذها من لا يردُّها، وعايَنَه من لا يقولها!» فكان هذا ممّا عُدّ من كرمه وفضله.

وكانت له جاريةٌ تسمّى طَرُوب، كان بها دَنِفاً؛ فصدّتْ عنه يوماً، وأبْدَتْ هجْرانه. فأرسل فيها؛ فامتنعتْ عليه، وأغلقت على نفسها بيتاً. فأمر ببنيان الباب بالخرائط المملوّة من الدّراهم، استرضاءً لها، واستعطافاً لوَصْلها. فلمّا فتحت الباب، تساقطت الخرائط من كلّ جانب؛ فأخذتها؛ فألْفت فيها نحواً من عشرين ألفاً؛ وأمر لها بِعقْد قيمته عشرة الاف دينار؛ فجعل بعضُ من حضر من وزرائه يعظِّم الأمر عليه؛ فقال له الأمير عبد الرحمن: «إنّ لابسه أنفس منه خطراً وأرفع قدراً! ولَئِن راق من هذه الحَصْباء منظرها، وروصف فى النفس جوهرها، فلقد برأ الله من خلقه جوهراً يغشى الأبصار، ويذهب بالألباب. وهل على وجــه الأرض من زَبَرْجَدها وشريف جَوْهرها أقَرُّ لعَيْن، وأجْمَعُ لزَيْن، من وَجْهٍ أكمل P. ٩٥ اللهُ فيه الحسن * ونضرتَه، وألقى عليه الجمالُ بهْجتَه؟» ثمّ قال لعبد الله بن الشِّمر الشاعر وكان حاضراً: «هل يحْضرُك شىء فى المعنى؟» فأنشد [طويل]:

أتُقْرَنُ حَصْباء اليَوَاقِيتِ والشَّذْرِ ... بِمَنْ يَتَعالَى عن سَنَا الشّمْسِ والبَدْرِ
بِمَنْ قَــدْ بَرَتْ قِدْماً يَدُ اللهِ خَلْقَهُ ... وَلَمْ يَكُ شَيْئاً قَبْلَهُ أبَداً يَبْــرِى
فأكْرِمْ بِــه مِنْ صَنْعةِ اللهِ جَوْهَراً ... تَضَاءلَ عنه جَوْهَرُ البَرِّ والبَحْــرِ

فأعجبت الأميرَ الأبياتُ وطرب لها طرباً شديداً. وأنشد الأميرُ مُرْتَجِلاً [طويل]:

قَرِيضُكَ يَا ابْنَ الشِّمْرِ عَنّى على الشِّعْرِ ... وجَلّ عن الأوْهامِ والذِّهْنِ والفِكْــرِ
إذا شَافَهَتْهُ الأذْنُ أدّى بسحْرِهــا ... الى القَلْبِ إبداعاً يجَلّ عن السِّحْــرِ
وَهَلْ بَرأ الرّحْمَنُ من كُلِّ ما بَــرَا ... أقَــرَّ لِعَيْــنٍ من مُنَعَّمَةٍ بِــكْــرِ
تَرَى الوَرْدَ فَوْقَ اليَاسَمِينِ بخَدِّهــا ... كَمَا فَوْقَ الرّوْضُ المُنَعَّمُ بالزَّهْــرِ
فَلَوْ أنّنِي مُلِّكْتُ قَلْبِي وناظِرِى ... نَظَمْتُهُما مِنْها على الجِيدِ والنّحْــرِ

ثمّ أمر لابن الشِّمر ببَدْرة فيها خمسمائة دينار، فخرج مع الوصيف يحملها له تحت إبْطه. فلما تَوَارَيَا عن الأمير، قال له الوصيف: «أين لذّات العمر، يا ابن الشِّمر؟» فقال: «تحت إبطك يا سيّدى!»

ودخل عليه الغزّال الشاعرُ يوماً، فقال الأمير [كامل]:

جاء الغَزّالُ بحُسْنِهِ وجَمَالِهِ

فقال له الوزير: أجِزْ. ما بدأ به الأمير!» فقال الغزّال [كامل]:

قَالَ الأَمِيرُ مُدَاعِباً بِمَقَالِهِ   جَاءَ الغَـزّالُ بِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ
أَيْنَ الجَمَالُ من امْرِئٍ أَرْبَى عَلَى   مُتَعَدِّدِ السَّبْعِينَ من أَحْوَالِهِ
•وَهَلِ الجَمَالُ لَهُ؟ الجَمَالُ مِنِ امْرِئٍ[1]   أَلْفَاهُ رَيْبُ الدَّهْرِ فى أَغْلَالِهِ ٩٦
وأَعَادَهُ من بَعْدِ جِدَّتِهِ بِلَى   وأَحالَ رَوْنَقَ وَجْهِهِ عَنْ حالِهِ

وهى طويلة.

ومن قول الإمام عبد الرحمن — رحمه الله! — يَصِفُ حالَ المَعْزُول، فأَبْدَعَ [طويل]:

أَرَى المَرْءَ بَعْدَ العَزْلِ يَرْجِعُ عَقْلُهُ   وقَدْ كان فى سُلْطَانِهِ لَيْسَ يَعْقِلُ
فَتُلْفِيهِ جَهْمَ الوَجْهِ ما كانَ وَالِياً   وَيَسْهُلُ عَنْهُ ذَاكَ سَاعَةَ يُعْزَلُ

وكتب اليه بعضُ عُمّاله يسأله عملاً رفيعاً ليس من شاكِلته، فوقّع له فى أسفل كتابه: «مَنْ لم يُصِبْ وَجْهَ مَطْلَبِه، كان الحِرْمانُ أَوْلَى به!» ومثل هذا كثيرٌ ممّا يدلّ على فضله.

## خلافة محمّد بن عبد الرّحمن بن الحَكَم بن هِشام

كُنْيَتُه: أبو عبد الله. أُمُّهُ: بُهَيْر. مَوْلِدُه: فى شهر ذى القعدة سنة ٢٠٧. وزراؤه وقُوّادُه: اثنا عشر. حُجّابُه: اثنان، ابن شُهَيْد وابن ابى عَبْدة. كُتّابُه:

1) Hémistiche de lecture douteuse dans A. et B.

ثلاثة، عبد الملك بن اميّة، وحامد بن محمّد الزّجّالىّ، وموسى بن ابان. قضاته: أحمد بن زِياد، ثمّ عمرو بن عبد الله المعروف بالقُبعة، ثمّ سليان بن أسْوَد الغافِقىّ. نَقْشُ خاتمه: بالله يَثِقُ مُحَمَّدٌ وَبِهِ يَعْتَصِم. صِفَتُه: أبيضُ، مُشْرَبٌ بحُمْرةٍ، رَبْعةٌ، أوقصُ، وافر اللحية يُخضّب بالحنّاء والكَتَم. بنوه: ثلاثة وثلاثون. بناته: احدى وعشرون. بويع يوم الخميس لأربع خلون لربيع الآخر سنة ٢٣٨، وهو ابن ثلاثين سنة وخمسة أشهر. وتوفّى يوم الخميس لليلة بقيت من شهر صفر سنة ٢٧٣. عُمُرُه: خمس وستّون سنة وأربعة أشهر. وكانت خلافته أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً.

P. ٩٧ وفى سنة ولايته، ثار عليه أهل طُلَيْطُلة، وحبسوا العامل عندهم، حتّى أطْلِقَتْ ٠رهائنُهم من قُرْطُبة، وحينئذٍ أطلقوه.

وفى سنة ٢٣٩، خرج الحَكَم ابن الأمير عبد الرحمن الى طُلَيْطُلة بالصائفة. وكانت قَلْعة رَبَاح قد أُقْفِرت، خوفاً من أهل طُلَيْطُلة. فاحتلّها الحَكَم، وأمر ببنيان سورها، واسترجاع من فرّ من أهلها اليها.

وفيها أخرج الأمير محمّد الى شَنْدُلة قاسم بن العبّاس وتمّام بن أبى العَطّاف صاحب الخيل، ومعهما الحَشَم. فلما حلاّ بأنْدُوجَر، خرجت عليهم كائنُ أهل طُلَيْطُلة، ووقعت الحرب، وكثر القتل؛ فانهزم قاسم وتمّام، وأُصيب ما فى العسكر. وفى ذلك يقول صَفْوان بن العبّاس أخو قاسم المذكور [رمل]:

ضَرَطَ القاسِمُ يَوْماً ضَرْطَةً فى القَرْمِيطِ
مَاتَ مِنْها كلُّ حُوتٍ كَانَ فى البَحْرِ المُحِيطِ

وكانت هذه الوقعة فى شوّال.

وفى سنة ٢٤٠، خرج الأمير محمّد بنفسه الى طُلَيْطُلة فى المحرّم. فلما اتّصل بأهلها ذلك، أرسلوا الى أُرْدُنّ بن إذْفُونْش صاحب جِلِّيقِيّة، يُعْلِمونه بحركته

ويستمدّون به. فبعث اليهم أخاه غَتْون[1] فى جمع عظيم من النصارى. فلما اتّصل ذلك بالأمير محمّد، وقد كان قارَبَ طُلَيْطُلة، أعمل الحيلة وَالكَيْد، واستشعر الحزم؛ فعبّأ الجيوش، وكمّن الكائن بناحية وادى سَلِيط؛ ثمّ نصب الرُّدود، وطلع فى أوائل العسكر فى قِلّةٍ من العَدَد. فلما رأى ذلك أهْلُ طُلَيْطُلة، أعلموا العِلْجَ بما عاينوه من قِلّة المسلمين؛ فتحرّك العِلْجُ فرحاً، وقد طمع فى الظفر والغنيمة وانتهاز الفرصة. فلما التقى الجمعان، خرجت الكائن عن يمين وشمال، وتواترت الخيلُ أرسالاً على أرسال، حتّى غَشِىَ الأعداء منهم ظُلَلٌ كالجبال؛ فانهزم المشركون وأهلُ طُلَيْطُلة، وأخذتهم السلاح، هـذّاً بالسيوف، وطعناً بالرماح؛ فقتل الله عامّتهم، وأباد جماعتهم. وحِيزَ من رؤوسهم ممّا كان فى المعركة وحوالَيْها ثمانية الآف رأس، وجُمِعَتْ ورُصِّعَتْ؛ فصار منها جبلٌ عـلاه المسلمون، يُكبّرون ويُهلّلون ويحمدون ربّهم ويشكرون. وبعث الأمير محمّد بأكثرها الى قُرْطُبة، وإلى سواحل البحر، وإلى العُدوة. وانتهى عَدَدُ من فُقِدَ منهم فى هذه الوقعة الى عشرين ألفاً. وكانت فى شهر محرّم من السنة. ٩٥

وفى سنة ٢٤١، شحن الأميرُ محمّد قلعة رَبَاح وطَلَبِيرة بالحَشَم، ورتّب فيها الفُرسان؛ وترك فيها عاملاً حارث بن بَزِيع.

وفيها، جدّد الأمير محمّد طُرُزَ[2] الجامع بقُرْطُبة وأتقن نُقوشَه.

وفيها، حشد الأمير محمّد، ودخل الى ألَبة والقِلَاع، وبلغ الى أقصاها، وافتتح كثيراً من حصون المُشركين.

وفى سنة ٢٤٢، كتب الأمير محمّد الى موسى بن موسى بحشد الثغور والدخول الى بَرْشَلُونة؛ فغزا اليها، واحتلّ بها، وافتتح فى هذه الغزاة حصن طَرّاجة[3]، وهى من آخر أحواز بَرْشَلُونة؛ ومن خُمُس ذلك الحصن زِيدَت

---

1) B. غَشْتُون (Gaston). 2) *Sic* dans A. et B. Peut-être faut-il lire طُرَر.

3) A. طراحة ; B. طرّاخة.

الزوائد فى المسجد الجامع بسَرَقُسْطة؛ وكان الذى أسسه ونصب مِحْرابَه حَنَشٌ الصَّنْعانى – رضه – وهو من التابعين.

وفيها وجّه الأمير محمّد ابنه المُنْذِر بالجيوش الى طُلَيْطُلة، فحاصرها، وأقام عليها يَنْسِفُ معائشها.

وفى سنة ٢٤٣، كانت وقعةٌ عظيمةٌ فى أهل طُلَيْطُلة، وذلك أنّهم خرجوا الى طَلَبيرة؛ فخرج اليهم قائدُها مسعود بن عبد الله العَريف، بعد أن كمّن لهم الكائن؛ فقتلهم قتلاً ذريعاً، وبعث الى قُرْطُبة بسبعمائة رأس من رؤوس أكابرهم.

وفى سنة ٢٤٤، خرج الأمير محمّد بنفسه الى طُلَيْطُلة، وعَدَدُهم قد قلّ، وحَدُّهم قد فُلّ، بتواتُر الوقائع عليهم، ونزول المصائب بهم؛ فلم تكن لهم حربٌ إلّا بالقنطرة. ثمّ أمر الأمير بقطع القنطرة، وجمع العُرَفاء من البنّائين والمُهَنْدِسين، وأداروا الحيلة من حيث لا يشعر أهْلُ طُلَيْطُلة. ثمّ نوزلوا[1] عنها؛ فبينا[2] هم مجتمعون بها، إذ اندقّت بهم، وتهدّمت نواحيها، وانكفأت بمن كان عليها من الحُماة والكُماة؛ فغرقوا فى النهر عن آخرهم. فكان ذلك من أعظم صُنْع الله فيهم.

وفى سنة ٢٤٥، دعا أهل طُلَيْطُلة الى الأمان؛ فعقده الأمير لهم؛ وهو الأمان الأوّل.

وفيها، خرج المَجُوس أيضاً الى ساحل البحر بالغَرْب، فى اثنى وستّين مركباً؛ فوجدوا البحر محروساً، ومَراكِبَ المسلمين معدّةً، تجرى من حائط إفْرَنْجة الى حائط جِلِّيقِيّة فى الغرب الأقصى. فتقدّم مركبان من مَراكِب المَجُوس؛ فتلاقت بهم المراكبُ المعدّة؛ فوافَوْا هذَيْن المركبَيْن فى بعض كُوَر بَاجَة؛ فأخذوهما بما كان فيهما من الذهب والفضّة والسبى والعدّة. ومرّتْ سائرُ مَراكِب المَجُوس فى الريف حتّى انتهت الى مصبّ نَهْر إشبيلية فى البحر؛ فأخرج الأمير الجيوش، ونفر الناس من كل أوْب: وكان قائدُهم عيسى بن الحسن الحاجب.

P. ٩٩

---

1) A. نرلوا Peut-être: تولّوا.  2) B. ajoute: الخائنون.

وتقدّمت المراكب من مصبّ نهر إشبيلية حتّى حلّت بالجزيرة الخضراء، فتغلّبوا عليها، وأحرقوا المسجد الجامع بها؛ ثمّ جازوا الى العُدْوة، فاستباحوا أريافها؛ ثمّ عادوا الى ريف الأندلس، وتوافوا بساحل تُدْمير؛ ثمّ انتهوا الى حصن أُورِيُولة؛ ثمّ تقدّموا الى إفرَنْجة، فشتوا بها، وأصابوا بها الذرارى والأموال، وتغلّبوا بها على مدينةٍ يسكنوها، فهى منسوبةٌ اليهم الى اليوم؛ حتّى انصرفوا الى ريف بحر الأندلس، وقد ذهب من مَراكبهم أكثرُ من أربعين مركباً. ولقيهم مَراكِبُ الأمير محمّد، فأصابوا منها مركبَيْن بريف شَذُونة، فيها الأموال العظيمة. ومضت بقيّةُ مَراكِب المجوس.

وفى سنة ٢٤٦، أغزى الأمير محمّد بن عبد الرحمن الى أرض بَنْبَلُونة أَحَدَ قُوّاده؛ فخرج فى هذه الغزوة خروجاً لم يَخْرُجْ قَبْلَه مِثْلُه جمعاً وكثرةً، وكَمالَ عدّة، وظهورَ هيبة. وكان غَرْسِيَة إذ ذاك متظافراً مع أُرْدُون * صاحب جِلّيقِيّة؛ فأقام هذا القائد يدوّخ أرض بَنْبَلُونة، مُتَرَدِّداً فيها اثنين وثلاثين يوماً، يخرب المنازل، وينسف الثمار، ويفتح القُرَى والحصون. وافتتح فى الجملة حِصْنَ قَشْتيل، وأخذ فيه فُرْتُون بنَ غَرْسِيَة المعروفَ بالأنْقَر، وقدم به الى قُرْطُبة؛ فأقام بها محبوساً نحواً من عشرين سنة؛ ثمّ ردّه الأمير الى بلده، وعُمِّرَ فُرْتُون مائةً وستٌّ وعشرون سنة.

١٠٠

وفى سنة ٢٤٧، قال الرازىّ: غزا محمّد بن السَّلِيم أرض الحرب، وعامِلَ الثغر إذ ذاك عبدُ الله بن يحيى. وكان كَتَبَ موسى بن موسى يذكر ما نالَهُ ونالَ أهلَ بلده فى إداختهم أرض الجِلّيقِيّين، وما وصل إليهم من النَّصَب، وسأل أن يكون دخولُ العسكر على غير ناحيته؛ فأسعف فى ذلك، ودخلت العساكر على غير بلده.

وفى سنة ٢٤٨، تقدّم موسى بن موسى لمقاتلة ابن سالم فى وادى، الحِجارة؛ فنالته جِراحٌ منعتْه الركوب بعدها؛ وكانت سبباً لهلاكه؛ فتوفّى فى هذه السنة.

وفى سنة ٢٤٩، خرج عبد الرحمن ابن الأمير محمّد الى حصون ألبَة والقِلاَع ؛ وكان القائدَ عبدُ الملك بن العبّاس ؛ فافتتحها، وقتل الرجال، وهدم البنيان ؛ وانتقل فى بسائطها من موضع الى موضع يحطم الزروع، ويقطع الثمار. وأخرج أرْدُون بن إذْفُونْش أخاهُ الى مَضِيق النَجّ ليقطع بالمسلمين، ويتعرّضهم فيه ؛ فتقدّم عبد الملك ؛ فقاتلهم على المَضِيق، حتّى هزمهم وقتلهم وبدّدهم ؛ ثمّ وافَتْهم بقيّةُ العساكر، وأظلّتهم الخَيْلُ من كلّ الجهات ؛ فصبر أعداء الله صبراً عظيماً ؛ ثمّ انهزموا. ومنح الله المسلمين أكتافهم ؛ فقُتلوا قتلاً ذريعاً ؛ وقُتل لهم تسعة عشر قُومِساً من كبار قوّادهم.

وفى سنة ٢٥٠، كملت مَقْصُورة المسجد الجامع بقُرطُبة ؛ وبنى فيها الأمير محمّد بياناً كثيراً فى القصر الكبير والمُنَى الخارجة عنه. ولم تكن فى هذه السنة صائفةٌ، استُغْنِيَ * بالغزوة المتقدّمة، وأُرِيحَ العسكرُ فيها. P. ١٠١

وفى سنة ٢٥١، كانت غزوة ألبَة والقِلاَع أيضاً (هزيمة المَرْكَوِيز — أخزاه الله[1] ! —) : خرج الى هذه الغزاة عبدُ الرحمن بن محمّد، وتقدّم حتّى حلّ على نهر دُوَيْرُ. — وتوالت عليه العساكر من كلّ ناحية، فرتّبها. ثمّ تقدّم ؛ فاحتلّ بفجّ برذَنُش[2] ؛ وكانت عليه أربعة حصون ؛ فتغلّب العسكر عليها، وغنم المسلمون جميع ما فيها وخرّبوها ؛ ثمّ انتقل من موضع الى موضع، لا يمرّ بمسكن إلاّ خرّبه، ولا موضع إلاّ حرّقه، حتّى اتّصل ذلك فى جميع بلادهم. ولم يَبْقَ لرُذْريق صاحب القِلاَع، ولا لرُدْمير[3] صاحب توقة، ولا لغُنْديشَلْب صاحب بُرجية، ولا لغُومِس صاحب مسانقة، حصنٌ من حصونهم إلاّ وعمّه الخرابُ. ثمّ قصد الملاّحة، وكانت من أجَلّ أعمال رُذريق ؛ فحطم ما حوالَيْها وعفا آثارها.

ثمّ تقدّم يومُ الخروج على فجّ المَرْكَوِيز ؛ فصدّ العسكرُ عنه، وتقدّم رُذْريق بحشوده وعسكره ؛ فحلّ على الخندق المجاور للمَرْكَوِيز. وكان رُذْريق قد عانى

1) *Sic* dans A. et B. 2) A et B. برذيش. 3) Manque dans A.

تَوْعيره أعواماً، وبخر فيه أهْلَ ملكته، وقطعة من جانب الهضبة؛ فارتفع جُرُفُه، وانقطع مسلكُهُ؛ فنزل عبد الرحمن ابن الأمير محمّد على وادى إبْرُه بالعسكر، وعبّأ القائد عبد الملك للقتال؛ وعبّأ المشركون، وجعلوا الكمائن على ميمنة الدرب وميسرته. وناهض المسلمون جموعَ المشركين بصدورهم؛ فوقع بينهم جلادٌ شديـدٌ. وصدق المسلمون اللقاء؛ فانكشف الأعداء عن الخندق، وانحازوا الى هضبة كانت تَلِيه. ثمّ نزل عبد الرحمن ابن الأمير محمّد، ونصب فُسْطاطَه، وأمر الناس بالنزول وضَرْب أبْنِيَتِهم؛ فأقامت المحلّة. ثمّ نهض المسلمون اليهم؛ فصدقوهم القتال، وضرب الله فى وجوه المشركين، *ومنح ١٠٢ ب المسلمين أكتافهم؛ فقُتلوا أبرح قتل؛ وأُسِرَ منهم جموعٌ. واستمرّوا فى الهزيمة الى ناحية الأهْزُون، واقتحموا نهر إبْرُه بالاضطرار فى غير مخاضة؛ فمات منهم خلقٌ كثيرٌ غرقاً. وكان القتل والأسر فيهم من ضحى يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب الى وقت الظهر. وسلّم الله المسلمين ونصرهم على المشركين. وكان قـد لجأ منهم الى الوعر والغياض، عندمـا أخذتهم السيوف، جموعٌ؛ فتُتُبِّعوا وقُتلوا؛ ثمّ هُتِكَ الخندقُ وسُوِّيَ حتّى سَهُلَ، وسلكه المسلمون غير خائفين ولا مُضْغَطين. وأعظم الله المِنّة للمسلمين بالصُّنْع الجميل، والفتح الجليل. والحمدُ لله ربّ العالمين. وكان مبلغ مـا حِيزَ من رؤوس الأعداء فى تلك الوقيعة عشرين ألف رأس وأربعمائة رأس واثنين وسبعين رأساً.

وفى سنة ٢٥٢، خرج عبد الرحمن ابن الأمير محمّد غازياً الى ألبة والقِلاَع؛ فحارب أهلها، وأفسد زروعها، وغادرها هَشِيماً. وكان أهل هذا الجانب فى ضُعْف ووَهَن شديد ألجأهم الى المنع من التجمّع والاحتشاد، لِمَا نالهم فى العام الفارط من النهب والقتل الذريع.

وفى سنة ٢٥٣، خرج الحَكَمَ ابن الامير محمّد غازياً الى جَرْنِيق؛ فجال فى أرض الأعداء، وحلّ على حصن جَرْنِيق، وحاصره حتّى فتحه عنوةً.

وفيها كانت بالاندلس مجاعةٌ عظيمةٌ متواليةٌ.

وفى سنة ٢٥٤، خرج الأمير محمّد الى مَارِدة، وأظهر أنّ استعداده لطُلَيْطُلة. وكان بمارِدة قومٌ من المُسْتَرِبين. فلما فصل من قُرْطُبة، وتقدّم بالمحلّات الى طريق طُلَيْطُلة، نكب الى مارِدة؛ فاحتلّ بهم، وهُمْ فى أمن وعلى غفلة. فتحصّنوا فى المدينة أيّاماً. ثمّ ناهَضَ القنطرة؛ فوقع القتال، واشتدّ الحرب حتّى غلبوا عليها؛ فأمر الأمير بتخريب رِجْل منها؛ فكان ذلك سَبَباً لإذعان أهل مارِدة؛ • فطاعوا على أن يخرج فرسانُهم، وهم يومئذٍ عبد الرحمن بن مروان، وابن شاكِر، ومكحول، وغير هؤلاء؛ وكانوا أهْلَ بأس ونجدة وبسالة مشهورة. فخرج المذكورون ومن هو مثلهم الى قُرْطُبة بعيالهم وذراريهم. وولّى عليها سعيد ابن عبّاس القُرَشىّ، وأمر بهدم سورها؛ ولم تَبْقَ إلاّ قَصَبَتُها لمن يرد من العُمّال. P. ١٠٣

وفى سنة ٢٥٥، خرج الحكَمُ ابن الأمير محمّد، وقصد مدينة سُرْيَة. وكان قد تغلّب بها سليمان بن عَبْدُوس، وخالَفَ فيها؛ فبادَرتْه الصّائفة، وحلّت به العساكر، وأحدقت بالمدينة، ورُميت بالمجانيق، حتّى هُتِكَتْ أسوارها. فقام أهلها على سليمان بن عَبْدُوس؛ فطاع، ونزل؛ فقُدِمَ به قُرْطُبة؛ فسكنها.

وفى سنة ٢٥٦، غدر عَمْرُوسُ عامِلَ وَشْقة وملكها، وظهرت عاديتُه فى الثَغْر؛ فأخرج الأميرُ اليه قطيعاً من الحَشَم والعُدّة، وقصد بها لاردةَ ابن مُجاهِد المعروف بالتُّدْمِيرىّ؛ فلزمها. وحشد عبد الوهّاب بن مُغيث الحشود، وقدّم عليهم عبدَ الأعلى العريفَ، وبعثه الى وَشْقة. فلمّا بلغ عَمْرُوسَ خبرُه، خرج عن وَشْقة، وأسر بها لُبُّ بن زكريّاء بن عَمْرُوس؛ وكان أحَدَ قَتَلَةِ عامِل السلطان بها موسى بن غَلِنْدُ¹)؛ فقُتِل لُبٌّ وعُلِّق من السور.

1) A. et B. غلند.

وفى سنة ٢٥٧، خرج الى الثّغر عبد الغافر بن عبد العزيز؛ وكان بتطيلة. فقبض على زكريّاء بن عَمْرُوس وعلى أولاده وجماعة من أهل بيته، ونزل بهم على باب مدينة سَرَقُسْطة، وقتلهم بها. وقفل الى قُرْطبة بالرؤوس.

وفى سنة ٢٥٨، كانت فى الثّغر ثَوْرات وَحَرَكات، منها أنّ مُطَرِّفاً وإسماعيل ابنَىْ لُبّ، ويونُس بن زنباط غدروا بعبد الوهّاب بن مُغيث، عامِلِ تَطيلة، وابنه محمّد عامِلِ سَرَقُسْطة. فتقبّضوا عليهما، وملكوا فى هذا العام الثغر. وكان تُوُفّىَ مُطَرِّف فى صَفَر، ودخل إسماعيل سَرَقُسْطة فى ربيع الأوّل.

وفى سنة ٢٥٩، خرج الأمير محمّد بنفسه الى الثّغر، وحلّ فى *وجهته بطُلَيْطُلة، ١٠٤ وأخــذ رهائنهم، وعقد أمانهم، وقاطَعَهم على قطيع من العُشور يؤدّونه فى كلّ عام، وهــو الأمان الثّانى. واختلفت أهواؤهم فى عُمّالهم؛ فطلب قومٌ منهم تَوْلية مُطَرِّف بن عبد الرّحمن، وطلب آخرون تَوْلية طربيشة [1]؛ فولى كلّ واحد منهما جانباً، وتقسّما المدينة وأقاليمها على حُدودٍ مفهومةٍ معلومةٍ؛ ثمّ تنازعا، وأراد كلّ واحد منهما الانفراد بمُلْك طُلَيْطلة. ثمّ غلب الدّاعون الى تقديم طربيشة [1] ابن ماسوية، وتأخير مُطَرِّف المذكور. وكان الأمير محمّد تتلقّاه فى وجهته هذه، فى الارتحال والاحلال، طلائعُ الظّفر، وبوادرُ النّجح والنّصر. وتجوّل فى الثّغر محاصراً لبنى موسى، ومُضَيِّقاً عليهم. ثمّ تقدّم الى بَنْبَلُونة؛ فوَطِئَ أرضها، وأذلّ أهلها، وخرّبها؛ ثمّ قفل؛ فحلّ بقُرْطُبة، ومعه جماعةٌ من الثُّوّار النّاكثين المفسدين. فلمّا أخــذ راحته، أمر بقتل مُطَرِّف بن موسى وبنيه، وأمر بإطلاق كاتبهم، وكان لا ذنب له. فلمّا أُخرج مُطَرِّف وبنوه للقتل، وأُخرج كاتبهم للإطلاق، وكان يُعرف بالأصْبَحىّ، قال: «لا خير فى العيش بعد هؤلاء!» فقُدِّم للقتل قَبْلَهم، ورُفعت رؤوسهم.

---

1) A. et B. طربشة.

وفى سنة ٢٦٠، خرج المُنْذِر بن الأمير محمّد الى سَرَقُسْطة وبنبلونة؛ وكان القائدَ هاشمُ بن عبد العزيز. فاحلّ سَرَقُسْطَة، وانتهب زروعها، وأذهب ثمارها وأشجارها، ونقل أطعمتها الى وَشْقة، وتقدّم الى بَنْبَلُونة؛ فجال فى أرضها، وأتلف معايش أهلها.

وفيها، كانت المجاعة التى عمّت الأندلس؛ ومات فيها أكثرُ الخلق.

وفى سنة ٢٦١، هرب ابن مروان الجِلّيقىّ من قُرْطُبة مع رجال ماردة المُتَزّلين[1] منها، واستقرّوا بقَلْعة الحَنَش. فغزاه الأمير محمّد، وحاصَرَهُ حصاراً قطعه وضيّق عليه مدّةً من ثلاثة أشهر، ألجاه فيها الى أكْل الدّوابّ؛ وقطع عنه الماء، P. ١٠٥ ورماه • بالمجانيق، حتّى أذعن، وطلب الأمان، وشكى ثِقَلَ الظهر وضِيقَ الحال؛ فأباح له الأمير محمّد الرحيلَ الى بَطَلْيَوْس والحلول بها؛ وهى يومئذٍ قَرْيةٌ؛ فخرج إليها، وقفل عنه.

وفى سنة ٢٦٣، خرج المُنْذِر بن الأمير محمّد الى ابن مروان؛ وكان القائدَ هاشمُ بن عبد العزيز؛ وهو الذى كان سَبَبَ هروب ابن مروان، لأنّه قال له من بين الوزراء: «الكَلْبُ خيرٌ منك!» وأمر بصَفْع قفاه، واستبلغ فى خِزْيه؛ فهرب مع أصحابه، وذلك فى خبر طويل. وكان ابن مروان قد ابتنى بطَلْيَوْسَ حصناً، وجعله موطناً، وأدخل فيه أهل ماردة وغيرهم من أهل المكانفة له على الشرّ. فلمّا انتهى الى ابن مروان تحرُّكُ العسكر اليه، تنقّل عن بطلْيَوْس، وحلّ بحصن كَرْكَى[2]؛ واجتمع أهْلُ ماردة إليه فيه؛ فنزل العسكرُ بمَقْرُبة من الحصن. وكان هاشم قد بعث الى مَنْت شَلُوط خَيْلاً ورَجْلاً لضَبْطه. وكان سَعْدُون الرماريّ[3] قد دخل [4]الى بلاد الشِّرْك مُسْتَمِدّاً؛ فجاء[4] بعدد من المشركين، وأظهر أنّه فى قِلّة؛ فكتب بذلك[5] عامِلُ حصن مَنْت شَلُوط الى

1) B. المنتزين.   2) A. et B. كركر.   3) B. المرمارى.

4—4) Lacune dans A.   5) B. وهرب.

هاشم ، فرأى هاشم أنّ ذلك فرصةٌ فى سَعْدُون ، فبادَرَ بالخروج من العسكر على غير تَعْبِئَة ولا أُهْبة ، فى خيلٍ قليلةٍ . وأمحص هاشمٌ ، وجاوزَ الوَعْرَ ، وأبعد عن العسكر ، فأخذت المضايــق عليه ، وناشبوه القتال ، فأخذَتْه جراحٌ ، وقُتِلَ من أصحابه جماعةٌ ، وأُسر هاشم المذكور . ولمّا اتّصل خبر هاشم بالأمير محمّد ، وفع فى جانبه ، وقال : « هذا أمــرٌ جَنَاهُ على نفسه بطَيْشه وعَجَلته ! » ثمّ ردّ ولده عِوَضاً منه . وحصل هاشمٌ أسيراً بيد ابن مروان الذى صنعه فى أَسْره فى قُرْطُبة ، فبرّه ابن مروان ، وأكرمه ، وأحسن إليه ، ولم يعاقبه بما فعل معه .

وفى سنة ٢٦٣ ، خرج المُنْذِر بن الأمير محمّد ، وجعل طريقه على مارِدة . فلمّا انتهى ذلك الى ابن ° مروان ، زال عن بَطَلْيَوْس ، واحتلّ بها قائدُ المُنْذِر٦ · الوليدُ بن غانِم ، فخرب ديارها . وتقدّم⁵ ابن مروان الى بلاد العدوّ .

وفى سنة ٢٦٤ ، حارب المُنْذِر سَرَقُسْطة ، وأفسد مــا ألفى من زروعها ؛ ثمّ تقدّم الى تَطِيلَة والمَواضع التى صار فيها بنو موسى ، فانتسفها ، وأجال العسكر عليها .

وفيها ، دخل البَرّاء بن مالك من باب قُلُنْبِرية الى جِلِّيقيّة بحشود الغَرْب ، وتردّد هنالك حتّى أذهب نعيمهم .

وفيها ، انطلق هاشم من الأَسْر .

وفى سنة ٢٦٥ ، ظهرت الفتنة وظهر الشرّ فى جانب كورة رَيّة والجزيرة وتاكُرُنّا ، وظهر يحيى المعروف بالجَزِيرىّ ، فغزاه هاشم ، فأذعن له ، وقُدِم بــه الى قُرْطُبة .

وفى سنة ٢٦٦ ، خرج عبــد الله بن الأمير محمّد الى كورة رَيّة ونواحى الجزيرة ، وبنى حصوناً فى تلك النّواحى ، ثمّ قفل .

وفيها ، أمــر الأمير محمّد بإنشاء المراكب بقُرطُبة ليتوجّه بها الى البحر

المحيط عبد الحميد الزُّعبَلىّ [1] المعروف بابن مُغيث، وكان قد رفع اليه رافع أنّ جِلّيقيّة من ناحية البحر المُحيط لا سُورَ لها، وأنّ أهلها لا يمتنعون من جيش إنْ غَشِيَهم من تلك النّاحية. فلمّا كملت المَرَاكِب بالإنشاء، قُدِّم عبد الحَميد بن مُغيث عليها. فلمّا دخل البحر، تقطّعت المراكب كلّها وتفرّقت، ولم يجتمع بعضُها الى بعض. ونجا ابن مُغيث.

وفى سنة ٢٦٧، التاثت الحصونُ المبناة بِرَيّة وتاكُرُنّا وجهة الجزيرة. وفيها، ابتدأ شَرُّ النّعين [2] عُمَر بن حَفْصُون، الذى أعيى الخُلفاء أمْرُه، وطالت فى الدّنيا فتنتُه، وعظم شرُّه؛ فقام فى هذه السّنة على الأمير محمّد بناحية رَيّة. فتقدّم اليه عامر بن عامر؛ فانهزم عامر وأسلم قُبّتَهُ؛ فأخذها ابن حَفْصُون، وهو أوّلُ رِواق ضَرَبَه؛ فاستكن اليه أهلُ الشرّ. وعزل الأمير عامراً عن كُورة رَيّة، وولّاها عبدَ العزيز بن عبّاس؛ فهادَنَه ابنُ حَفْصُون، وسكنت الحال بينهما. P. ١٠٧ ثمّ عُزِل عبد العزيز، وتحرّك ابنُ حَفْصُون، وعاد الى ما كان عليه من الشرّ. وخرج هاشم بن عبد العزيز الى كورة رَيّة يطلب كلّ من كشف وجهه فى الفتنة وأظهر الخلاف، وأخذ رهائن أهل تاكُرُنّا على إعطاء الطّاعة.

ومن العجائب فى هذا العام، ما ذكره الرّازىّ وغيرُه. قالا [3]: زُلْزِلت الأرض بقُرْطُبة زلزالاً شديداً، وهاجت ريحٌ عند صلاة المغرب؛ فأثارت سحاباً فيه ظُلُمات ورعد وبرق؛ فصُعِقَ ستّةُ نفر، وانقلبوا على ظهورهم، مات إثنان؛ وخرّ جميع الناس سُجّداً إلّا الإمام، فإنّه ثبت قائماً؛ وكان الرجلان اللذان ماتا أقرب النّاس الى الإمام؛ فاحترق شعرُ أحدهما واسودّ وجهُه وشِقّه الأيسر؛ والآخر ظهر بشِقّه الأيمن سوادٌ؛ والأربعة الصَّرْعَى مكثوا حتّى فرغ الإمام؛ فسُئِلوا عمّا أحسّوا؛ فقالوا: «أحْسَسْنا ناراً كأنّها الموج الثقيل [4].» ووجد أهلُ المسجد رائحة النّار، ولم يُوجَدْ للصّاعقة أثَرٌ فى سقف ولا حائط. واهتزّت لهذا

1) B. الوعكىّ. 2) Manque dans A. 3) B. قالوا. 4) B. لوح ثقيل.

الزلزال القصور والجبال، وهرب الناس[1] الى الصّحارى، ضارعين الى الله تعالى. وعمّ هذا الزلزال من البحر الشاميّ الى آخر الجوف وإلى آخر أرض الثّرْك، لم يختلف فى ذلك مُخْتَلِفٌ.

وفى سنة ٢٦٨، خرج المُنْذِر ابن الأمير محمّد، والقائدُ هاشم بن عبد العزيز؛ فقصد الثّغْر الأقصى، وحطّم سَرَقُسْطة، وافتتح حصن رُوطَة؛ ثمّ تقدّم الى ألْبَة والقِلاع، وافتتح حصوناً كثيرةً[2]، وأخلى حصوناً كثيرةً[2]، خوفاً من معرّة العسكر، وتوقّعاً من تغلّبه.

وفيها، فسد ما بين المُنْذِر وبين الوزير هاشم بن عبد العزيز.

وفى سنة ٢٦٩، قال الرّازى: وفى سنة ٢٦٩، غزا محمّد بن أُميّة بن شُهَيْد إلى كورة رَيّة وكورة إلْبِيرة. وكانوا بحال توحّش ونفار؛ فسكّن أحوال أهلها، وهدّن الناس بها، ونظر فى استنزال رجال بجبال رَيّة وغيرها من بنى ١٠٨ رِفَاعة وغيرهم.

وفى سنة ٢٧٠، استتمّ محمّد بن أُميّة بن شُهَيْد استنزال بنى رِفَاعة. وأتاه فى هذه الغزاة كتابُ الأمير محمّد بتولية عبد العزيز بن العبّاس كورة إلبيرة؛ فولّاه، وقفل.

وفيها، غزا هاشم كورة رَيّة، واستنزل عُمَر بن حَفْصُون من جبل بَرْبَشْتَر وقَدِم به قُرْطُبة؛ فأنزله الإمام، وأوسع له فى الإكرام.

وفى سنة ٢٧١، هرب عمر بن حَفْصُون من قُرْطُبة، ولجأ الى جبل بَرْبَشْتَر؛ فانتدب الأمير محمّد الى حربه؛ وحُوصِر فى السنة الآتية.

وفى سنة ٢٧٢، خرج عبد الله ابن الأمير محمّد، والقائدُ هاشم بن عبد العزيز. وقصد الغَرْب الى ابن مروان، وهو بجبل اشْبَرْغُزّة[3]؛ فنازله وحاربه.

---

1) A. ajoute من المنصور. 2—2) Manque dans B. 3) A. شرعيرة ; B. الشبرغرة.

قال حَيّان بن خَلَف فى عُمَر بن حَفْصُون: هـو كبير الثُوّار بالأندَلُس ونَسَبُه: عُمَر بن حَفْص، المعروف بحَفْصُون، بن عُمَر بن جعفر بن شتيم بن ذُبيان ابن فَرْغَلُوش[1] بن إِذْفُونْش، من مَسَالِمة الذِمّة، من كورة تَاكُرُنَّا من عَمَل رُنْدة. وكان الذى أسلم منهم جعفر بن شتيم؛ فنشا نَسْلُه فى الإسلام. وكان له من الولد الذكور عُمَر وعبد الرحمن؛ فوَلَدَ عمر بن جعفر حَفْصاً. وولد حَفْصُون هذا عُمَرَ هذا الثائرَ الملعونَ؛ فعُمَرُ هذا هو الذى ثار على الأمير محمّد أوّلاً، ثمّ بلغ بعد ذلك فى الشقاق والفِتَن مَبْلَغاً لم يبلغه ثائـرٌ بالأندلُس. واستوطن لأوّل نفاقه حِصْنَ بَرْبَشْتر قاعدةً وحضرةً، وهى أمنع قِلاع الأندلُس قاطِبةً، وذلك فى هذه السنة، وهو تأريخ صعوده الآخر إليها الذى توطّد له مُلْكُهُ فيه، وخالف على السلطان حتّى رَضِى عنه بالمتاركة. واتّصلت أيّامه فى ظهور وعزّة حتى فنّم فيها ثلاثةً من خُلفاء المروانيّين أئمّةِ الجماعة بالأندلُس — رحمهم الله! — أوّلُهم هذا الأمير محمّد، وتخلّف • بعدهم الى آن هلك على يد الرابع منهم، وهو عبد الرحمن الناصر، على ما يأتى مُفَسّراً. P. ١٠٦

وفى سنة ٢٧٣، خرج المُنْذِر بن الأمير محمّد الى كورة رَيّة، والقائدُ محمّد ابن جَهْوَر. فقصد مدينة الحامّة، وفيها حارث بن حَمْدُون من بنى رِفاعة؛ وكان مظاهراً لعُمَر بن حَفْصُون، وكانا قد اجتمعا بالحامّة. فنازَلَهم، وناهَضَهم، وأحدق بهم من كلّ ناحية؛ وأقام محاصِراً لهم شهرَيْن. فلمّا وصل اليهم الضِيق، برزوا الى باب المدينة خارجاً، مستقبلين للحرب. وقام بها؛ فنالته جراحٌ، وشلّت يده؛ ثمّ انهزم هو وأصحابه، وصاروا بين قتيل وفليل. ودخل باقيهم فى الحامّة. فبينا المنذر فى هذه الحال من السرور، إذ أتاه الخَبَر بموت أبيه الأمير محمّد بن عبد الرحمن، ليلة الخميس لليلة بقيت من شهر صَفَر من السنة؛ ودُفِن فى القصر. وأدْرَكَه المُنْذِرُ قبل مُوَارَاتِه وصلّى عليه.

---

1) Vocalisé dans B.

## بعض أخباره وسيره

كان الامير محمّد – رحمه الله! – فصيحاً، بليغاً، عظيم الاناة، منتزِها عن القبيح، يؤْثِرُ الحقّ وأهْلَه، لا يسمع من باغٍ، ولا يلتفت الى قول زائغٍ. وكان عاقلاً، على أخلاق جميلة ومكارمِ حميدة، ذا بديهة ورَوِيّة، يرى كلّ من باشَرَه وحدّثه أنّ له الفضل المستبين فى إدراكه، وفَهْمه، ودقّة ذِهْنه، ولطيف فطنته، وجزالة رأيه. وكان أعلم النّاس بالحساب وطُرُق الخدمة. وكان متى أعْضَلَ منها شىء، رُجِعَ إليه فيه؛ وإذا أخَلّ أحَدٌ من خزّانه وأهْلِ خدمة الحساب بشىء من ذلك، لم يجُزْ عليه بأدنى لحظة أو نظرة. ولقد استدرك على بعض خزّانه فى صَكٍّ يشتمل على مائة ألف دينار خُمُسَ دِرْهَمٍ؛ فردّ الصّكّ، وأمـر بتصحيحه؛ فتجمّع الخَدَمَةُ والكُتّابُ عليه؛ فلم يقعوا على ذلك النُّقصان لدِقّته وخَفَائه؛ فرجعوا إليه معترفين بالتّقصير، وأعطوا الرّسول؛ فردّ الصكّ إليه وأعْلَمَه باعترافهم؛ فعلّم لهم على موضع الخطاء؛ فإذا هو خُمُسَ دِرْهَمٍ. ١٠

وقال هاشِم بن عبد العزيز: كان الأمير محمّد – رحمه الله! – أصحّ النّاس عقلاً، وأحسنهم تمييزًا، وأبصرهم بوجه الرأى. وكان يستشيرُنا؛ فنَجْتَهِدُ ونقولُ ونُحَصِّلُ؛ فإنْ أصَبْنا، أمضى ذلك؛ وإن كان فى الرأى خَلَلٌ، قام فيه بالحُجّة، وأبانَهُ بما تعجز الأوهامُ عنه تنقيحًا وتهذيباً.

وممّا يُحفظ عنه أنّه قال لهاشم فى شىء أنكره عليه من عَدَم التثبّت: «يا هاشم! مَن آثر السُّرْعةَ أنْهَضَتْ به الى الهَفْوة. ولو أنّا أصْغَيْنا الى مَحْوِ زلّاتك، وأصَخْنا الى هَفَواتك، لَكُنّا شُرَكاءك فى الزّلّـة، وقُسَماءك فى العَجَلة! فمَهْلاً عليك، ورُوَيْداً بك! فإنّك إن يُعَجِّل يُعَجَّل لك!» وكان، مع تثبّته وأناته، وافياً لمواليه فى أنفسهم وأعقابهم، لا يكدح عنده كادِحٌ فى شىء عن أحدهم، فيَنْعَه أو يُنسيه.

ولقد ولّى الكتابة عبدَ الملك بن عبد الله بن أُمَيّة اصطناعاً له، وعائدةً

عليه ، فردّ عليه يوماً جواباً يقول فيه : «قد فهمْنا عنك ، ولم نأتِ ما أتيناه عن جهلٍ بك ، لكنّ اصطناعاً لك ، وعائدةً عليك . وقد أبَحْنا لك الاستعانة بأهل اليقظة من الكُتّاب . فتخيّرْ منهم من تَثِقُ به وتعتمدُ عليه . ونحن نُعينك على أمرك بتفقّد كُتُبك والإصلاح عليك ، الى أن تركب الطريقةَ وتُبْصِر الخدمةَ إن شاء الله تعالى !» فحسده على الخُطّة لشَرَفِها مَنْ رأى نفسه أوْلَى بها لاستكمال أدواتها ، فطُولِبَ عليها . وكان أشدّ النّاس فى ذلك هاشِمُ بن عبد العزيز ، يُثير سَقَطاتِه ، ويتتبّع هَنَواتِه ، ويُشنّع عليه ؛ والأمير محمّد بفطنته يتغافل له . فلمّا طال عليه الصّبر ، دعا هاشماً ، وقال له : «قد أكثر أهْلُ خِدْمتنا وأكْثَرْتَ فى هذا الكاتب : تذْكُرون جهله وقَدامته ، وقد ضَمَمْنا إليه من الكُتّاب من يستعين به ، ويستظهر على خدمته بمكانه ؛ وإنّما نَقْفُو بخدمتنا ، ونَسْلُكُ بمَراتبنا طريقَ مَن ابتدأها وأسّسَها ووضع أهْلَها فيها . وإذا كُنّا لا نُخْلِف آباءكم بكم ، P. 111 ولا نُخْلِفُكم بأبنائكم ، فعند من نَصْنَعُ إحسانَنا ونَرُبُّ أياديَنا ؟ أعند أبناء القرّانين أو الجزّارين أو أمثالهم من المُنْتَهِبين[1] ؟ وأنت كنتَ أحقّ بالحضّ على هذا ، وتصويب الرأى فيه ، لِما ترجو من مثله فى أولادك وعَقِبك !» فرجع هاشم الى الشّكر له وتقبيل يده ورِجْله .

وكان — رحمه الله ! — مأمولاً محبوباً فى جميع البُلْدان . وكان محمّد بن أفْلَح صاحبُ تاهَرْت لا يُقدِم ولا يؤخّر فى أموره ومُعْضِلاته إلاّ عن رأيـه وأمْرِه ؛ وكـذلك بنو مِدْرَار بسِجِلْماسة . وكان قَرْولُش[2] مَلِك إفْرَنْجَة يسترجح عقلَه ، فيُهاديه ويُتحفه ؛ وهو (أعنى قَرُولُش[2]) الذى عمل صورة عيسى من ثلاثمائة رطل من ذهب خالص ، وصفّها بالياقوت والزَّبَرْجَد ، وجعل لها كُرْسيّاً من ذهب خالص مفصّص بالياقوت والزَّبَرْجَد أيضاً ؛ فلمّا اكمل ذلك ، سجد له وأسجد له جميعَ أهل إفْرَنْجة فى ذلك التأريخ ؛ ثمّ دفعه الى صاحب كَنِيسة الذّهب برُومة .

---

1) Manque dans A. 2) Leçon proposée (Carolus [Charles le Chauve]) à la place de la leçon فرذلند (Ferdinand) offerte par A. et B.

وكان الأمير محمّد – رحمه الله! – مهتِلاً بأمور رعيّته، مُرافباً لمصالحها. ووضع عن أهل قُرْطُبة ضَرِيبة الحشود والبعوث. وقال ابن حيّان: كانت عِدّة الفرسان المستنفَرين لغزو الصائفة المجرّدة الى جِلِّيقيّة فى مدّة الأمير محمّد مع الولد عبد الرحمن ابنه على هذه التسمية المفصّلة: من ذلك كورة إلبيرة: ألفان وتسعمائة؛ جيّان: ألفان ومائتان؛ قبرة: ألف وثمانمائة؛ باغه: تسعمائة؛ تاكُرُنّا: مائتان وتسعة وتسعون؛ الجزيرة: مائتان وتسعون؛ إسْتِجّة: ألف ومائتان؛ قَرْمُونة: مائة وخمسة وثمانون؛ شَذُونَة: ستّة آلاف وسبعمائة وتسعون؛ رَيّة: ألفان وستّمائة؛ فَحْص البَلُّوط: أربعمائة؛ مَوْرُور: ألف وأربعمائة؛ تُدْمِير: مائة وستّة وخمسون؛ رُيِيَة: مائة وستّة؛ قَلْعة رَبَاح وأوريط: ثلاثمائة وسبعة وثمانون. قال: ونُفِرَ من أهْل قُرْطُبة لهذه الغزوة عَدَدٌ لم يوقَفْ على قدره. وكان هذا العَدَد الذى غزا به بعد أن رفع *الضَّريبة التى كانت على أهـل قُرْطُبة وأقاليمها وغيرها من البلاد؛ وقطع عنهم الحشود التى كانوا يؤخَذون بتجديدها فى كلّ سنة للصّوائف الغازية لدار الحرب، وأسقطها منهم ووكّلهم الى اختيار أنفسهم فى الطّواعيّة للجهاد من غير بعث [1]. فحَسُنَ مَوْقِعُ ذلك منهم، وتَضَاعَف حَمْدُهم له وشُكْرُهم واغتباطُهم بدولته.

وذكر جماعةٌ من المؤرّخين، عن بَقِيّ بن مَخْلَد، أنّه قال: ما كَلَّمْتُ أحداً من ملوك الدّنيا أكْمَلَ عقلاً ولا أبْلَغَ فضلاً من الأمير محمّد. دخلتُ عليه يوماً فى مجلس خلافتـه؛ فافتتح الكلام بحمد الله والثناء عليـه والصلاة على النبىّ صلعم؛ ثمّ ذكر الخلفاء خليفةً خليفةً؛ فحلّى كلّ واحد منهم بحَلْيَتِه، ووَصَفه بصِفَتِه، وذكر مآثره ومناقبه بأفصح لسان وأبلغ بيان، حتّى انتهى الى نفسه؛ فسَكَتَ.

وفى صدر دولته سُعِيَ ببَقِيّ بن مَخْلَد الى الأمير محمّد؛ وذلك أنّه لما قدم بَقِىُّ بن مَخْلَد من المشرق عن رحلته الطويلة بما جمع من العلوم الواسعة والروايات العالية والاختلافات الفِقْهِيّة، أغاظَ ذلك فُقَهاء قُرْطُبة أصحابَ الرأى والتّقليد،

---

1) B. بعث.

الزاهدين فى الحديث، الفارّين عن علوم التحقيق، المُقصِّرين عن التوسُّع فى المعرفة؛ فحسدوه، ووضعوا فيه القول القبيح عند الأمير، حتّى ألزموه البِدعة، وشنّوه[1] الى العامّة. وتخطّى كثيرٌ منهم برَمْيه الى الإلحاد والزَّنْدَقة، وتشاهدوا عليه بغليظ الشهادة، داعين الى سَفْكِ دَمِه؛ وخاطبوا الأمير محمّداً فى شأنه، يعرِّفونه بأمره، ويُكثِرون عليه بكلّ ما يرجون به الوصولَ الى سَفْك دَمِه، ويسألونه تعجيل الحُكْم فيه. فاشتدّ خوف بَقِيّ بن مَخْلَد جِدًّا، واستتر خوفاً على دمه، وعَمِلَ على الفرار عن الأَنْدَلُس إن أمكنه ذلك. فأرشده اللهُ الى P. ١١٣ التعلّق بِحَبْل هاشِم بن عبد العزيز، • وسؤالِه الأَخْذَ بيده؛ وكَتَبَ الى الأمير محمّد، يُنشده الله فى دَمِه، ويسأله التثبُّت فى أمره، والجمْعَ بينه وبين خصومه، وسماعَ حُجّته، فيأتى فى ذلك بما يوفّقه اللهُ له. فألقى الله فى نفس هاشم الإصغاء الى شكواه، والاعتناء بأمره؛ فشمّر له عن ساعده، وأوصل كِتابه الى الأمير محمّد بشرح حاله؛ فعطف عليه، واتّهم الساعين به اليه؛ فأمر بتأمين بقيّ بن مَخْلَد، وإحضاره مع الطالبين له؛ فتناظروا بين يدَيْه؛ فأدلى بَقِيّ بحُجّته، وظهر على خُصومه؛ واستبان الأمير محمّد حَسَدَهم إيّاه لتقصيرهم عن مَدَاه. فدفعهم عنه، ونفثّم اليه بطأطأة قدمه، ونَشْر علمه. وأمـر بإيصاله إليه فى زُمْرة من الفقهاء، والرفع من منزلته؛ فاعتلى ذروةَ العِلْم، ولم يزل عظيمَ القدر عند الناس وعند الأمير محمّد الى أن مات — رحمه الله!

وفى صَدْر دولته، تُوُفّى عالِمُ الأَنْدَلُس عَبْدُ المَلِك بن حبيب، وذلك فى رمضان سنة ٢٣٩. وهو عبد المَلِك بن سليمان بن مروان بن جَيْهَلة بن عبّاس ابن مِرْدَاس السُّلَمِيّ، يُكنَى أبا هارون؛ أوّلهُ من كورة إلبيرة، ونقله الأمير محمّد الى قُرْطُبة، بل نقله أبوه عبد الرحمن بن الحَكَم. وكان محمّد بن عُمَر بن لُبابة يقول: عالِمُ الأندلس عبد المَلِك بن حَبيب، وعاقلها يحيى بن يحيى، وفقيهها عيسى بن دينار. قال ابن وضّاح وغيره: لم يقدم الأندلس أحدٌ أفقهُ

---

1) B. وبغّضوه.

من سَحْنُون، إلاّ أنّه قدم علينا من هو أطْوَلُ لِساناً منه، يعنى ابن حبيب. وكان ابن حبيب أديباً، نحويًّا، حافظاً، شاعراً، منصرِّفاً فى فنون العلم من الأخبار والأنساب والأشعار. وله مؤلّفات حسان فى الفقه والأدب والتواريخ كثيرة. (1قال ابن العَرَبىّ: بضاعتُه فى الحديث مُزْجاةٌ1). وكانت عِلّته التى مات منها الحَصَى. وتُوُفّى وسِنّه أربع وستّون سنة. وكتب الى الأمير عبد الرحمن بن الحَكَم فى ليلة عاشُوراء [بسيط]: ١١٤

لا تَنْسَ، لا يَنْسَكَ الرَّحْمٰنُ، عَاشُورَا ۔ وَآذْكُرْهُ لا زِلْتَ فى الأخبارِ مَذْكُورَا
مَنْ بَاتَ فى لَيْـلِ عَاشُوراءَ ذَا سَعَةٍ ۔ يَكُنْ بِعِيشَتِـهِ فى الحَوْلِ مَحْبُورَا
فَآرْغَبْ، فَدَيْتُكَ، فِيمَا فِيـهِ رَغَّبَنَا ۔ خَيْرُ الوَرَى كُلِّهِمْ حَيًّـا وَمَقْبُورَا

وخرج الأمير محمّد بن عبد الرحمن الى الرُّصافة يوماً مُتَنَزِّهاً، ومعه هاشم ابن عبد العزيز؛ فكان بها صَدْرَ نهاره على لذّته؛ فلما أمسى، واختلط الظلام، انصرف الى القصر، وبه اختلاطٌ. فأخبر مَن سَمِعَهُ وهاشمٌ يقول له: «يا ابن الخلائف! ما أطْيَبَ الدُّنيا لولا الموتُ!» فقال له الأمير: «يا ابن اللَّخْناء! لَحَنْتَ فى كلامك! وهَلْ سَلَكْنا هذا المُلْكُ الذى نَحْنُ فيه إلاّ بالموت؟ فلولا الموت، ما ملكناه أبداً!»

وكان الأمير محمّد – رحمه الله! – غَزَّاءً لأهل الشِّرْك والاختلاف. وربّما أوغل فى بلاد العدوّ السنة الأشهُر والأكثر، يحرّق وينسف. وله وقعةُ وادى سَلِيط، وهى من أمّهات الوقائع؛ ولم يُعرف بالأندلس قبلها مثلُها. وفيها يقول عبّاس بن فِرْناس، وشعره يكفينا من صِفَتها؛ وهو [طويل]:

وَمُخْتَلِفِ الأصْواتِ مُؤتَلِفِ الزَّحْفِ(2) ۔ لَهُومِ الفَلاَ عَبْـلِ القَنَابِلِ(3) مُلْتَفِّ
إذَا أوْمَضَتْ فِيـهِ الصَّوَارِمُ خِلْتَهَـا ۔ بُرُوقاً تَرَاءَى فى الجَهَامِ(4) وَتَسْتَخْفِى

1—1) Manque dans A. 2) A. et B. ومؤتلف الاصوات مختلف الزحف. 3) A. القبائل. 4) B. الظلام.

كَأَنَّ ذُرَى الأَعْلَامِ فى مَيْلَاتِهِ ... قَرَاقِيرُ فى يَمٍّ عَجَزْنَ عن القَذْفِ

وإن طَحَنَتْ أرحاؤها[1] كان قُطْبَها ... حِجَى مَلِكٍ نَدْبٍ شَمَائِلُه عَفْتِ

سَمِيُّ خِتَامِ الأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ ... إذا وُصِفَ الأَمْلَاكُ جَلَّ عَن الوَصْفِ

فَمِنْ أَجْلِهِ يَوْمَ الثلاثاء غُدْوَةً ... وَقَدْ نَقَضَ الإِصْبَاحُ حَبْلَ[2] عُرَى السَّجْفِ

بَكَى جَبَلًا وادى سَلِيطٍ فَأَعْوَلَا ... على النَّفَرِ العُبْدَانِ والعُصْبَةِ الغُلْفِ

دَعَاهُمْ صَرِيخُ الحَيْنِ فاجتمعوا لَهُ ... كَمَا اجْتَمَعَ الجُعْلَانُ لِلْبَعْرِ فى وَقْفِ

P. 115 • فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِبَعْضِهَا ... فَوَلَّوْا على أَعْقَابِ مَهْزُولَةٍ كُشْفِ

كَأَنَّ مَسَاعِيرَ المَوَالِى عَلَيْهِمُ ... شَوَاهِينُ جَادَتْ لِلْغَرَانِيقِ بالنَّسْفِ

بِنَفْسِى تَنَانِينَ الوَغَى حِينَ صَمَّمَتْ[3] ... الى الجَبَلِ المَشْحُونِ صَفًّا عَلَى صَفِّ

يَقُولُ ابْنُ يُولِيش[4] لِمُوسَى وَقَدْ وَنَى[5]: ... أَرَى المَوْتَ قُدَّامِى وَتَحْتِى وَمِنْ خَلْفِى

قَتَلْنَا لَهُمْ أَلْفًا وَأَلْفًا وَمِثْلَهَا ... وأَلْفًا وأَلْفًا بَعْدَ أَلْفٍ إِلَى أَلْفِ

سِوَى مَنْ طَوَاهُ النَّهْرُ فى مُسْلَحِبِّهِ ... فَأُغْرِقَ فِيهِ أَوْ تَدَأْدَأَ مِنْ جُرْفِ

قال أبو عُمَر السَّالِمىّ: كانت أَوَّلُ غَزَوَاته الى بلد العدوّ، وقد حشّد لها وجنّد، وصوّب كيف شاء وصعّد، ألفى العدوّ وقد ضاق بخيله النضاء الواسع، والمكان الدانى والشاسع، وهو متأهّبٌ للقائه! مُتَوَجِّهٌ الى تِلقائه. فخامَرَ الأميرَ محمّداً الجَزَعُ، وشابَهُ الروْعُ والفَزَعُ، وظنّ أن لا منجاةَ من الكُفّار، وأنّ المسلمين هناك طَعْمُ الشّفار؛ فرأى من الحَزْم الأَوْكَد، والنّظر الأَحْمَد الأَرْشَد، الرجوعَ عن تلك الحَرَكةِ، لقوله تعالى: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ[6]؛ فقام رجلٌ؛ فقال: «أيّها الأمير! قال الله تبارَكَ وتعالى: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ الآية[7]. فقال له الأمير محمّد: «والله! ما جَبُنَتْ[8] نفسى، إلّا أنّه لا رأىَ لِمَنْ لا يُطَاعُ، ولستُ أستطيعُ أن أجاهدَ وَحْدِى!» فقال له العُتْبِىُّ: «والله! ما أراه قذف بها على لسانه إلّا مَلَكٌ! فاستَخِرِ اللهَ فى لِبلك

1) B. أركانها. 2) A. B. حلى. 3) A. جمعت. 4) B. برليس. 5) B. نثا.
6) *Cor.*, II, 191. 7) *Cor.* III, 167-168. 8) A. حذرت.

هذا وفى يومك !» فأراه الله فى مُقابلة العدوّ الرّشاد، وألهمه التوفيق والسّداد. فندب الناس الى لقاء أعداء الله ونَصْرِ دينه، وأن يكون كلٌّ على حُسْنِ ظنّه من الظفر ويقينه. فلما انعقدت راياتهم، وتأكّدت على المُقارعة نيّاتهم. قدّم عليهم الأميرُ محمّد ابنه المُنذر، إذ كان مشهوراً بالبأس، محبوباً فى الناس. • فسار المسلمون الى أن التقى الجمعان، والتفّ الفريقان؛ فأعقب الله لأوليائه P. 116 ظفراً ونصراً، وجعل بعد عُسْرٍ يُسْراً. قال: ولم يؤذّن مؤذّن الظّهر إلّا ومن رؤوس الأعداء جملةُ آلافٍ مقطوعةٌ لأعداء الله؛ وذلك من فضل الله. وفى هذا الفتح يقول العُتْبيُّ، يمدح الأمير محمّداً فى قصيد طويل أذكُرُ هنا بعضه، وهو [كامل]:

سَائِلْ عَنِ الثَّغْرِ الصَّوارِمَ تَصْدُقِ ... واسْتَنْطِقِ السُّمْرَ العَوالِي تَنْطِقِ
تَرَكَتْ وَقَائِعَ فى الثُّغُورِ وَقَدْ غَدَتْ ... مَثَلاً بِكُلِّ مُغَرِّبٍ ومُشَرِّقِ
وأَذَاعَ أَرْضَ المُشْرِكِينَ بِوَقْعَةٍ ... تَرَكَتْهُمْ مِثْلَ الأَثَاثِ المُحْرَقِ
جَادَتْ عَلَيْهِمْ حَرْبُهُ بِصَوَاعِقٍ ... تَرَكَتْهُمْ مِثْلَ الرَّمَادِ الأَزْرَقِ

## خِلافة المُنذِر بن محمّد بن عبد الرّحمٰن بن الحَكَم

كُنيتُه: أبو الحَكَم. مَوْلِدُه: سنة ٢٢٩. أمّه: تُسمّى أثل[1]، وَلَدَتْه لسبعة أشهر. وُزَرَاؤه: أحد عشر. كُتّابُه: اثنان: سعيد بن مُبَشّر، وعبد الملك بن عبد الله بن أُميّة بن شُهَيْد. حاجِبُه: عبد الرحمن بن أُميّة بن شُهَيْد. قوّادُه: سبعة. قاضِيه: أبو مُعاوِية عامِر بن مُعاوِية اللَّخْميّ. نَقْشُ خاتَمه: المُنْذِر بقضاء الله راضٍ. صِفَتُه: أسْمَرُ، جَعْدُ الشَّعْرِ، بوجهه أثَرُ جُدَرِى، يَخْضِب بالحِنّاء والكَتَم. أولادُه الذكور: خمسة، والإناث: ثمان. بُويع يوم الأحد لثمان خَلَوْنَ من ربيع الأوّل سنة ٢٧٣، وهو ابن أربع وأربعين سنة، وسبعة عشر يوماً؛ وتُوفّى فى

1) A. أبل.

غَزاةٍ له على بُرْبُشتر يوم السبت للنصف من صَفَر سنة ٢٧٥ . عُمْرُهُ : ستّة وأربعون سنة. خِلافتُه : سَتّانِ إلاّ سبعة عشر يوماً. ودُفن بقصر قُرْطُبة ، وصلّى عليه أخوه عبد الله ، جدّ الناصر.

P. 117

واتّصل به موت أبيه ، وهو على *حِصْن الحامّة يُقاتل المرتدّ اللعينَ عُمَرَ ابن حَفْصون ؛ فقفل الى قُرْطُبة . وتمّت له البيعة فى اليوم الثانى من وصوله ؛ ففرّق العطاء فى الجند ، وتحبّب الى أهل قُرْطُبة والرّعايا بأنْ أسقط عنهم عُشْرَ العام وما يلزمهم من جميع المَغْرَم .

وكانت أكثر حصون رَيّة قد حصلت فى طَوْع ابن حَفْصون ؛ فبعث اليها الامامُ المُنذِرُ الأجنادَ ، فانصرفت الى الطاعة .

ولما بلغ ابنَ حفصون موتُ الأمير محمّد ، وانصرف عنه المُنذِرُ على ما تقدّم ، نهض من فوره ؛ فراسَلَ الحصون التى بينه وبين الساحِل كلّها ، فأجابته وطاعت له . ونهض الى بَاغُه وجَبَل شِبة ، فأخذ من الأموال ما لا يوصف ، كل ذلك منه بلا قوّة ، ولا كثرة من مال ، ولا عَدَد ؛ ولكنّه كان عَذَاباً من الله ونقمةً انتقم بها من عبيده . واتفق له زمان هَرَجٍ وقلوبٍ قاسية فاسدة ونفوسٍ خبيثة ، متطلّعة الى الشرّ ، مُشْرَئبّة الى الفتنة . فلما ثار ، وجد من الناس انقيادا وقبولاً للمُشاكَلة والموافقة ؛ فتألّبَتْ له الدنيا ، ودخل الى الناس من جِهَة الأُلفة ، وقال : « طال ما عنّف عليكم السلطان ، وانتزع أموالكم ، وحمّلكم فوق طاقتكم ، وأذَلّتكم العَرَب ، واستعبدَتكم ! وإنّما أُريد أن أقوم بثأركم ، وأُخرِجكم من عُبودِيّتكم ! » فكان ابن حَفْصون لا يُورِد هذا على أحدٍ إلاّ أجابه وشكره . فكانت طاعةُ أهل الحصون بهذا الوَجْه . وكان أتباعُه شُطّار الناس وشِرَارَهم . فكان يَنِيهم بفتح البلاد ، وغنائمِ الأموال . وكان مع ذلك مُتَحَبّباً لأصحابه ، مُتواضِعاً لألآفه . وكان ، مع شرّه وفسقه ، شديدَ الغيرة ، حافظاً لِحُرْمة ؛ فكان ذلك ممّا يُميل النفوس اليه . ولقد كانت المرأةُ فى أيّامه تجيء بالمال والمتاع من بلد الى بلد منفردةً ، لا يعترِضُها أحَدٌ من خَلْق الله . وكانت عقوبتُه السيف ، يُصَدِّق المرأةَ

١١٨ والرجُلَ والصبيّ أو من ٠ كان على من كان، لا يطلب على ذلك شاهداً أكثر من الشكوى. وكان يأخذ الحقّ من ابنه، ويبِرُّ الرجال، ويُكرِم الشجعان؛ وإذا قدر عليهم، عفا عنهم. وكان يُسَوِّرهم بأسْوِرَة الذَّهَب إذا اختصلوا. فكانت هذه الأشياء كلّها عوناً له. وانتهى ابنُ حفصون بعاديته[1] الى قَبْرة وما أمامها الى قَرْية الجَالِيَة، وأغار على القَبْذِيق من إلبيرة، وعلى أحواز جَيّان، وأسر عبد الله ابن سَمَاعة عامل بَاغُه.

وكان اجتمع الى حِصْن آشَر من حَوْز رَيّة وبِقُرْبة من قَبْرة جَمْعُ الشرّ من أصحاب ابن حَفْصُون. فراعَ أهْلَ قَبْرة أمْرُهم وهَابُوهم. واتّصل بالأمير المُنْذِر خَبَرُهم؛ فأرسل أصْبَغَ بن فُطَيْس فى خَيْلٍ كثيفةٍ الى حِصْن آشَر؛ فحاصَرهم حتّى افتتحه، وقتل من كان فيه. وأخرج الأميرُ المُنْذِر عبدَ الله بن محمّد بن مُضَر وأبْدُون[2] الفَتَى بخيل الى ناحية لُجّانة من قَبْرة؛ وكان بها مسلحةٌ لابن حفصون؛ فنازلوهم وقاتلوهم حتّى أفنَوْهم.

قال الرازىّ: وفى سنة ولاية الإمام المُنْذِر، غزا محمّد بن لُبّ الى ألَبة والقِلاَع ومعه جموع المسلمين؛ ففتح الله للمسلمين، وقتلوا المشركين قتلاً ذريعاً.

وفى هذه السنة، أعْنِى سنة ٢٧٣، فى جُمادى الأولى، أمر الأمير المُنْذِر بسجن هاشم بن عبد العزيز وزيرِ أبيه وخاصّته، وأمر بقتله فى جُمادى الأولى؛ وسَبَبُ ذالك أنّ هاشماً كان يُحْسَد لمكانه من الأمير محمّد وخاصّته به؛ فكانوا يَسْعَوْن بــه عند المُنْذِر، ويكرِّرُون ذلك عليه، حتّى تنافرت النفوس. فلما مات الأمير محمّد، وولى المُنْذِر، أراد أن يَفِى له ويتّبع فيه فِعْلَ أبيه؛ فولاّه الحجابة. ثمّ تمالَوْا عليه، وأكثروا، وحرّفوا[3] عليه الكلام، وتأوّلوا عليه أقبح التأويل، حتّى نفذ قضاء الله فيه. وكان ممّا تأوّلوا عليه أنّ هاشماً أنشد عند مُواراة الأمير محمّد – رحمه الله! – [وافر]:

---

1) A. بعادته. 2) A. وأبدون. 3) A. وصرفوا.

P. 119 •أَعَزِّي يَـا مُحَمَّدُ عَنْكَ نَفْسِي   أَمِينَ اللهِ ذَا المِنَنِ الجِسَامِ
فَهَـلاَّ مَاتَ قَوْمٌ لَمْ يَمُوتُوا   وَدُوفِعَ عَنْكَ لِي كَأْسُ الحِمَامِ

فتأوّلوا أنّه يريد بقوله «لَمْ يَمُوتُوا» المُنْذِرَ. وكتب هاشم من حبسه الى جاريته عاج [طويل]:

وَإِنِّي عَدَانِي أَنْ أَزُورَكِ مُطْبَقٌ   وبَابٌ مَنِيـعٌ بالحَدِيـدِ مُضَبَّبُ
فَإِنْ تَعْجَبِي يا عَاجُ مِمَّا أَصَابَنِي   فَفِي رَيْبِ هذا الدَّهْرِ مَا يُتَعَجَّبُ
تَرَكْتُ رَشَادَ الأَمْرِ إِذْ كُنْتُ قَادِراً   عَلَيْهِ فَلاَقَيْتُ الَّذِي كُنْتُ أَرْهَبُ
وكَمْ قَائِلٍ قَالَ: انْجُ وَيْحَكَ سَالِماً   فَفِي الأَرْضِ عَنْهُمْ مُسْتَرَادٌ ومَذْهَبُ
فَقُلْتُ لَـهُ: إِنَّ الفِرَارَ مَذَلَّةٌ   ونَفْسِي عَلَى الأَسْوَاءِ أَحْلَى وأَطْيَبُ
سَأَرْضَى بِحُكْمِ اللهِ فِيمَا يَنُوبُنِي   وَمَا مِنْ قَضَاءِ اللهِ لِلْمَرْءِ مَهْرَبُ
فَمَنْ يَكُ أَمْسَى شَامِتاً بِي فَإِنَّهُ   سَيَنْهَلُ فِي كَأْسِي وَشِيكاً وَيَشْرَبُ

ثمّ بعث فيه الأميرُ ليــلاً، فقتله، وسجن أولاده وحاشيته، وانتهب ماله، وهدم داره، وألقى أولاده فى السجن، وألزمهم غُرْمَ مائتَىْ ألف دينار؛ فلم يزالوا فى السجن والغُرْم الى موت المُنْذِر وولاية أخيه عبد الله؛ ثمّ أطلقهم عبدُ الله، وصرف عليهم ضِيَاعَهم، وولّى أحدَهم الوزارة والقيادة.

وفيها، كانت الوقعة على أهل طُلَيْطُلَة؛ وكانوا قد جيّشوا البَرْبَر المنفيّين من تَرْجِيلَه، فقُتِل منهم ألوفٌ.

وفى سنة ٢٧٤، خرج الأمير المُنْذِر بجيوشه الى عُمَر بن حَفْصُون؛ فافتتح حصونَه بِرَيَّة، والحصونَ التى بجهة قَبْرة؛ ثمّ توجّه الى حضرته بُرْبُشتر؛ فحاصره فيها، وأفسد ما حوالَيْه، وضيّق عليه؛ ثمّ انتقل عنه الى أَرْجِذُونة، وبها عَيْشُون؛ P. 120 فأقام عليها محاصِراً لها ومُضَيِّقاً على أهلها، •الى أن نبذوا عيشوناً وأَمْلَه، وأسلموه بذنبه؛ فدخلها الأمير المُنْذِر، وقبض على عَيْشُون وأصحابه. وظفر أيضاً ببنى مَطْرُوح، وهم: حَرْبٌ، وعَوْنٌ، وطَالُوت، وافتتح حصونهم بجبل بَاغُه، وأتى بهم

الى الأمير أسرى؛ فبعث ببنى مَطْرُوح الى قُرْطُبَة، وأمر بقتلهم وصلبهم؛ وكانوا اثنين وعشرين رجلاً؛ فصلبوا بأجمعهم؛ وصُلِب مع عَيْشُون فى الخَشَبَة خِنْزِيرٌ وكَلْبٌ. وكان السَّبَبُ فى ذلك أنّ عَيْشُوناً كان يقول: «إذا ظَفِرَ بى، فَلْيَصْلِبْنِى وَلْيَصْلِبْ عن يمينى خِنْزِيراً وعن يسارى كَلْباً!» وكان يَثِقُ بنفسه فى القتال ثقةً شديدةً، ويأْمَنُ من أن يؤخذ لشدّته وشجاعته. فلما يَئِسَ الأمير منه، دَسّ الى بعض أهل أَرْجِذُونة بأن يتحيّل فى أخذ عيشون؛ فأجابه، ووعده بأخذه. فلما كان فى بعض الأيّام، دخل بَيْتَ أحدهم بغير سلاح، وقد استُعِدَّ له بكَبْلٍ؛ فأُوثِقَ به وبُعِث به الى الأمير المُنْذِر.

## شأن عُمَر بن حَفْصُون فى أيّام المُنْذِر – رحمه الله!

ولما كان فى العام الثانى من ولايته وهى هذه السنة المؤرّخة، خرج فى عديده الأكثر، وقصد بَرْبَشْتر. فحلّ عليها أخَلَّ احتلال، وقاتل ابن حَفْصُون بها أشدَّ قتال؛ وانتشرت خيلُه فى تلك الأقطار، واستولت على السّهول والأوعار. ثمّ عطف الأمير الى مدينة أَرْجِذُونة ليُتَبّرها تَتْبِيراً، ويُولِى أهلها يوماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً، لدخولهم فى طاعة ابن حفصون، ونزوعهم الى ما نزع إليه أهْلُ تلك الحصون؛ فخرجت رُسُلُهم الى الأمير؛ فتلقّته بالسمع والطاعة، والدخول فى جمهور الجماعة؛ فتقبّل نزوعهم، وأنّس جميعهم. وتغلّب على القَصَبَة إثْــرَ ذلك؛ وأسر عامل ابن حفصون هنالك. واستمرّ اللعينُ ابنُ حفصون على ضلالته وغيّه، ولم يَثْنِ عِناناً عن عادته وبغيه. فخرج اليه • الأمير ثانيةً وحاصره حصاراً، وقد عدم ابنُ حفصون أعواناً وأنصاراً. فلما رأى الأميرَ أخَذَ بمخنقه، وسدّ أفواهَ طُرُقه، أعمل سوانحَ الفِكر، فى الخديعة والمَكْر، ليعتصم بذلك من تلك الحبال المنصوبة، والأشراك المعترضة المضروبة؛ فأظهر الإنابة الى الطاعة، وشهر النصيحة جُهْدَ الاستطاعة، على أن يكون عند الأمير من خاصّة جُنْده، ويسكن قُرْطُبة بأهله وولده، وأن يُلحِق أبناءه فى الموالى، ويتابع الإحسان قِبَلَهُ ويُوالى. فأجابه

(٣١)

الأمير الى مطلبه بأكيد الأيمان، وكتب لـه بذلك مبادراً عَقْدَ أمان، وقطع
لأولاده أرفع الثياب، وأُوقِرَتْ لهم الدوابّ، بالأموال والأسباب، إسباغاً عليهم
بالإفضال، وتوسيعاً لهم فى الأمانى والآمال. وسأل اللعينُ[1] مائة بغل يحمل عليها
جملة متاعه وعِيَاله، وجعل طَلَبَها قوّة لمكره واحتياله. فأمر الأمير بالبغال أن
تُحمل إليه، وتُوضع بين يديه، وقد جعل عليها عشرة من العُرَفاء بمائة وخمسين
فارساً إتماماً للإكرام، وإنعامًا على إنعام. فأرسل عُمَر بن حَفْصُون جميعَهم الى
بُرْبُشْتر حيثُ أهلُه ووَلَدُه، وطريفُه من المال وَمتْلَدُه. وانحلّ العسكر عن الحصن
إذ ذاك، وقفل القاضى والفقهاء عن تمام الصُّلح من هناك، وظنّهم قـد غلب
أن لا كَذِبَ ولا مَيْن، وأن قد نِيلَ من الراحة من شغبه أملاً وقُرّة عَيْن. فلما
انفضّ جمع ذلك العسكر، وانتفض ذلك المُعَسْكَر، ودخل الليل، وامتدّ للفاتِك
الذَّيْل، هرب عُمَر بن حَفْصون من ذلك الحصن، وسار الى بُرْبُشْتر فى ظِلّ
الأمْن. فلقى العُرَفاء، فناصبهم القتال، وأخذ تلك البغال، وعاد الى سيرته الأولى،
وقال لشيعته: «أنا ربّكم الأعلى!» فأقسم الأمير المُنْذِر أن يَقْصِده ويحلّ عليه،
ولا يقبل منه أو يلقى يده إليه، فأعمل الغَزْوَ الى بُرْبُشْتر، وجمع لها الجمع الأكبر.
P. ١٢٢ فلما احتلّ عليها، أمر ٠ أن يُخَنْدَق بها، ويُحاط بجوانبها، وأن يعتزم لقتالها اعتزاماً،
ويلتزم مُحاصرتها التزاماً.

فظهر من حَزْم الأمير المنذر وعزمه ما يَئِس معه ابن حَفْصون، من البقاء
فى تلك الحصون. فبقى الأمير على حصن بُرْبُشْتر، يرومه رَوْماً، مدّة من ثلاثة
وأربعين يوماً. وكان قد أصابته عِلّة [2] أكربت نفسه، وكدّرت أنسه [2]، فبعث
فى أخيه عبـد الله ليَنوب مَنابه، ويتدرب فى تلك الحال انتدابه. فلما وصل
إليه، وحصل فى المِظَلّة لَدَيْه، خرجَتْ فى الحين رُوحُه، وبكاه من كان يَغْدُوه
ويَرُوحه. فوقع الخَرْم فى العسكر إثْرَ موته، وتفرّق الناس عند فَوْته. ولم يقدر
اخوه عبدُ الله على ضَبطهم، وعَقْدِ ما انحلّ من رَبْطهم. واستطال عُمَر بن حفصون

1) Manque dans A. 2—2) B. أكذبت نفسه وكمدت شمسه.

فى المحلّة، وانتهبها بالجملة. وحُمِل الأمير المُنذِر على جَمَل[1] الى قُرْطُبة؛ فدُفن مع أجداده هنالِك، وصار عند الناس أهْوَنَ مفقود وأيْسَرَ هالِك، إذ كان قد اضطرّهم فى ذلك المقام، وندبهم الى الثبات هنالك والمُقام.

وفى هذه السنة، كان القحط الشديد بالأندلس؛ فاستسقى الناس. فنزل ثَلْجٌ كثيرٌ فى أوّل يوم من يَنَيّر، ولم ينزل غيثٌ. ثمّ استسقوا مراراً؛ فلم يُمْطَروا؛ فخامَرَ النّاسَ القنطُ. فلمّا دخل من فِبْرَيْر بعضُ أيّام، سُقِيَ النّاسُ، وارتفع البأسُ؛ فاستبشروا بفضل الله، وأعلنوا بشكره. فقال العَكِّيُّ فى ذلك، يمدح الأمير المُنْذِر [كامل]:

نَزَلَ الحَيَا المُحْيِى وطابَتْ أنْفُسُ ... إذ كان سُوءُ الظّنِّ فيها يَهْجِسُ
أحْيَى الإلاهُ عِبَادَهُ من بَعْدِ ما ... كانت من القنطِ النّفوسُ تُوَسْوِسُ
مُتلافيًا فيه بعائِدِ رَحْمةٍ ... لَوْلا عَوَائدُها طَوَتْنا الأبْؤُسُ
مَلِكُ الملوكِ تَقَدَّسَتْ أسْماؤُهُ الـ...ـحُسْنى وعَزَّ جَلالُه المُتَقَدِّسُ

ومنها:

• بالمُنْذِرِ المَيْمُونِ طَابَ زَمانُنا ... وبِطِيبِ دَوْلَتِهِ تطيبُ الأنْفُسُ ١٢٣

الى قوله:

خُذْها أمِينَ اللهِ وابْنَ أمِينِهِ ... من شاكِرٍ فى الشُّكْرِ لَيْسَ يُدَلِّسُ

وفى سنة ٢٧٥، تُوفّى الأمير المُنْذِر — رحمه الله! — وقد ذُكر موتُه على حصن برَبَشْتر مُحاصراً للخبيث ابن حَفْصون. وكانت وفاتُه منتصف شهر صَفَر من السنة المذكورة، وهو ابن ستّ وأربعين سنة. وملك سَنَتَيْن إلاّ أيّاماً.

---

1) Manque dans B, qui donne à la place: رحمه الله.

## بعض سِيَره وأَخباره

كان الأمير المُنْذِر – رحمه الله! – يحِبُّ إخوَتَه، ويُكرمهم، ويُدْنِى مجالسهم، ويَصِلُهم، ويُحضرهم مجالس أُنسه. وكان يُجزل العطاء للشُّعراء، فيُنشدونه غازياً وراجعاً. وكان من شُعرائه أحمدِ بن عبد رَبّهِ، والعَكّىُّ، وغيرُهما. ولم يكن أحد من الخلفاء قَبْلَه مِثْله شجاعةً وصَرامةً وعزماً وحزماً. ولقد بلغ فى سنة بذلك ما لم يَبْلُغْه غيرُه فى الدَّهْر. ولقد كـان أبطالُ الرجال وأنجادُهم من أهل الفتنة يُذْعِنون اليه دون مِحْنة، ويُرسلون اليه بالطاعة قبل أن يطلبها. وإنّ الخبر المستفيض عن الشيوخ أنّه، لو عاش المُنْذِرُ عاماً واحداً زائداً، لم يَبْقَ برِّيّة مُنافِقٌ؛ وأخبارُه تدلُّ على ذلك. وأوّلُ أخباره الدالّة على ذلك أنّـه، لما أتاه موت أبيه، لم يمنعه ذلك من التعريج عن القَصْد واختصار الطريق، ولا شغله أمـر مُهِمٌّ ولا أمرٌ جليلٌ عن آخر؛ فجعل طريقه على رَيّة؛ فهذّب أمورها، وولّى عليها سليمان بن عبد الملك بن أخطَل، وعبد الرحمن بن حُرَيْش، وأدخل معهما أهل المَعاقِل من العَرَب والحَشَم. ثمّ جمع فى يوم واحـد مبايعتَه، وإعطاء الجُنْد، وانْظُرْ فيما أسْقَطَ من الأزِمّة عن الرعيّة، وما فَعَلَهُ من الاستحثاد الى أهـل قُرْطُبة بإسقاط العُشور عنهم، والنظرَ فى النّدْب وإخراجِ القائد. وهاكذا كان فِعْلُه فى جميع أسبابه؛ وبحسب ذلك كان انقياد الأشياء له.

P. ١٢٤

## •خِلافة عبد الله بن محمّد بن عبد الرّحمٰن بن الحَكَم

كُنيتُه: أبو محمّد. مَوْلِدُهُ: فى النصف من ربيع الآخر سنة ٢٢٩. أمّه: تُسمّى بَهار وقيل: عشار[1]. حُجّابُه: اثنان: عبد الرحمن بن شُهَيْد وابن السَّلِيم. وُزَراؤه: ستّة وعشرون. كُتّابه: ثلاثة: عبد الله بن محمّد الزَّجّالىّ، وعبد الله بن محمّد بن ابى عَبْدة، وموسى بن زِياد. صِفَتُه: أبيَض، مُشْرَبٌ

1) B. عبار.

بحُمْرة، أصهَب، أزرَق، أقنى الأنف، رَبعةٌ، يُخضِّب بالسواد. بنوه: أحد عشر، أحدُهم محمّد المقتولُ، والدُ عبد الرحمن الناصر. بناته: ثلاث عشرة. بويع فى اليوم الذى مات فيه أخوه المُنذِر فى المحلّة على بُرَبشتر، وذلك يوم السبت فى النصف من شهر صَفَر سنة ٢٧٥. ثمّ نقل الى قرطبة بأخيه المُنذِر ميّتاً؛ فاستتمّ البيعة بقُرْطُبة، ودفن أخاه بعدها. وتُوفّى عبدُ الله سنة ٣٠٠، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة؛ فكانت خلافته خمساً وعشرين سنة، وخمسة عشر يوماً. ومن قول ابن عبد رَبّه فيه [طويل]:

خِلافَةُ عَبْـدِ اللهِ حَجٌّ عَلَى الوَرَى ... فَـلا رَفَـثٌ فِى عَصْرِهِ وفُسُوقُ
تَجَلّتْ دَيَاجِى الحَيْفِ عَنْ نُورِ عَدْلِهِ ... كَمَا ذَرَّ فى جُنْحِ الظَّلامِ شُرُوقُ
وَثَقّفَ سَهْمَ الدينِ بالعَدْلِ والتُّقَى ... فَهَذَا لَـهُ نَصْـلٌ وذَلِكَ فُوقُ
وأَعْلَنَ أَسْبَابَ الهُدَى بِضَمِيرِهِ ... فلَيْسَ لَـهُ إلاَّ بِهِنَّ عُلُوقُ
وَمَـا عَاقَـهُ عَنْهَا عَوَائِقُ مُلْكِـهِ ... وأَمْثالُها عَن مِثْلِهِنَّ تَعُوقُ

وأفضت الخلافة إليه، وقد نجّمها النّكثُ، ومزّقها الشِقاق، وحلّ عُرَاها النِفاق؛ والفتنة مستوليةٌ، والدُّجنة متكاثفةٌ، والقلوبُ مختلفةٌ، وعَصَى الجماعة مُنْصَدِعةٌ، والباطلُ قد أُعلِنَ، والشرُّ قد اشتَهَرَ؛ وقد * تمالأ على أهل الإيمان حِزبُ الشيطان؛ وصار النّاسُ من ذلك فى ظَلْماء لَيْلٍ داجٍ، لا إشراقَ لصباحه، ولا أُفُولَ لنجومه. وتألّبَ على أهْلِ الإسلام أهْلُ الشِرْكِ ومن ضَاهَاهُمْ من أهْل الفتنة، الذين جرّدوا سيوفهم على أهل الإسلام؛ فصار أهلُ الإسلام بين قتيل ومحروب ومحصور، يعيش مجهوداً، ويموت هزلاً؛ قد انقطع الحَرْث، وكاد ينقطع النّسْلُ. فناضَلَ الأمير بجُهْده، وحمى بجِدِّه، وجاهَدَ عدوَّ الله وعدوّه. وانقطع الجهادُ الى دار الحرب، وصارت بلاد الإسلام بالأندلُس هى الثغرُ المخُوفُ؛ فكان قتالُ المُنافقين وأشباههم أوْكدَ بالسُّنّة، وألْزَمَ بالضّرُورة. ١٢٥

فأوّلُ ما تناوَلَه، ونظر فيه، أن وجّه إبراهيم بن خَمِير لأخْذِ بيعة ابن حَفْصُون وبيعة مَن قِبَلَه. فقصد إبراهيم إليه، وطلب طاعَتَه؛ فظهر منه حُسْنُ

مَذْهَب، فأخذ بَيْعَتَه، وصدر عنه، وقَدِم معه حفصٌ ابنُه وجماعةٌ من أصحابه، فأُخِذَتْ عليهم البيعة، وَرِدَّم الأمير مَحْبُوّين بالكرامة والرعاية. فبقى ابن حَفْصُون سامِعاً مُطيعاً مُنْتَهِياً عمّا نُهِيَ عنه، واقفاً عند ما أُمِرَ به. ثمّ تعدّى بعد ذلك حَدَّه، ومدّ يده الى ما نُهى عنــه، فلم يَدَعْ مالاً عند من أمكنه، واستحْوَذَ على أهل الكُوَر فى أموالهم، وأمضى نفســه على عادته الذميمة من الفساد وقَطْع السُّبُل، وذلك فى سنة ولاية الأمير عبد الله.

وفى سنة ٢٧٦، خرج الأمير عبــد الله بنفسه الى بَرْبَشْتَر وحصون رَيَّة، فانتسف معايشَها، وقفل عنها، وقد شدّ تلك الناحية، وأبقى بحاضرة رَيّــة محمّد بن ذَيْنِين[1] من أهل قُرْطُبة، فخرج ابن حَفْصون فى إثره، وتألّف إليه المفســدون، فأتوا الى إسْتِجَة، فاحتلّوها، ثمّ الى حِصْن إسْتَبّة، فأخذوه، فأخرج اليهم الأمير جيشاً، فنزل ابن حفصون، واعترف بذنبه، فعقد له الأميرُ أماناً.

وفى هذه السنة، ولى محمّد ابن الأمير عبــد الله كورة إشبيلية، فخرج فى P. ١٢٦ أيّامه بعضُ عَرَب إشبيلية * الى قَرْمُونة، فضبطوها.

وفيها، ثار [أبو يحيى محمّد بن عبد الرحمن بن] عبد العزيز التُّجيبى المعروف بالأنْقَر.

وفيها، نقض ابن حَفْصون وقصد بيّانة، فحارب أهْلَها. ثمّ أعطاهم العهد، فلما نزلوا اليه، غدرهم، وقتلهم، وأخذ أموالهم، وسبى ذراريهم.

وفيها، انتقض أهل جَيّان، وأخرجوا عاملها عبّاس بن لَقِيط، وملكها ابن شاكر.

وفى سنة ٢٧٧، وُلد عبد الرحمن الناصر.

وفيها، غزا القائد ابن أبى عَبْدة الى جَيّان. وفيها ابنُ شاكر مخالفاً، فحاربه، وحاصره، وقتل جماعةً من أصحابه، وأحرق كثيراً من دور جيّان.

---

1) A. دنين; B. دفين.

وفيها، خرج حفص بن المرّة الى سوّار، وكمن له الكائن، واغار عليه؛ فلمّا خرج سوّار فى طلبه، خرجت عليه الكائن؛ فقُتِل.

وفيها، قُتِلَ ابن شاكِر الثائر بجيّان. وسَبَبُ قتله أنّ ابن حَفْصُون أراد أن يراجع طاعة الأمير، وأن يتقرّب اليه بقتل ابن شاكِر؛ فبعث اليه خيْلاً يُريه أن يمدّه على عدوّه؛ فأقبل المَدَدُ اليه؛ فلمّا خرج اليهم، فتكوا بـه وقتلوه، وبعثوا برأسه الى ابن حَفْصون؛ فبعث به الى الأمير عبد الله. وعند ذلك توجّه ابن حَفْصون الى جيّان؛ فأغْرَمَ أهْلَها الأموال الجسيمة. وأقامت جيّان وإلْبِيرة مُدّةً دون عامل من الأمير.

وفى سنة ٢٧٨، خرج الأمير عبد الله الى بُلايْ من عمل قَبْرة، وبها عدوُّ الله ابن حَفْصون مع جماعة كبيرة من أصحابه أهل الفساد والارتداد. وكانوا قـد أضرّوا بأقاليم قُرْطُبة، وضيّقوا عليهم حتى أغاروا على أغنام قُرْطُبة. فخرج اليهم الأمير مستهلَّ صَفَر، واحتلّ به؛ فناهَضَه وصادَقَه القتال؛ فانهزم هو ومن معه، ولجأ الى حصنه مع ملإٍ من أصحابه، وعُوجِلَ عشيرُه عن الدخول معه، واتّبِعوا؛ فلم يخلص منهم أحدٌ. فبات الأمير قريرَ عيْنٍ، والمسلمون كذلك، وقد أخذوا •عليه تلك اللّيلة البابَ رجاء أن يأتى الصّباح، فيؤْخَذَ داخلَ ١٢٧ الحصن. ثمّ خرج منه مع بعض أصحابه، ونجا ونجَوْا. ولمّا أصبح، أُعلِم السلطان بخبره؛ فأرسل الخيل فى أثره؛ فلم يُعْلَمْ له خبر. ودخل الأمير الحصن يوماً آخَرَ؛ فوجده مُتْرَعًا بالذُخر، مَلْآنَ من العُدَد؛ وكان عَدَد عسكر الأمير ثمانية عشر ألف فارس. وقيل إنّ ابن حفصون ألّبَ أهل حصون الأندلُس كلّها، وأقبل إليه فى ثلاثين ألفاً. ووقعت الحرب بينهم؛ فانهزم عدوُّ الله، وقُتِـلَ أكْثَرُ من كان معه. ودخلت جملةٌ منهم فى محلّة الأمير؛ فأمر بالتقاطهم؛ فأتى بألف رجل منهم؛ فقُتِلوا صَبْراً بين يديه. هاكذا ذُكِر فى «بَهْجة النّفْس».

ثمّ قصد الأمير إسْتِجةَ؛ فنازلهم، وحاربهم، وقتل لهم عدداً كثيراً. فلمّا أخذهم

الجَهْدُ، رفعوا الأطفال على الأيدى فى الأسوار، مستَصْرِخين، ضارعين، راغبين فى العفو؛ فعفا عنهم.

وفى سنة ٢٧٩، غدر أهل أُرْجُذُونة بأحمد بن هاشم. ونقض ابنُ حفصون ما كان انعقد من السلم والطوع.

وفى سنة ٢٨٠، توجّه المُطَرِّف بن الأمير عبد الله بالجيش الى ابن حفصون ببُرْبَشْتر، فحاصرها، وهتك جميع ما حوالَيْها.

وفيها، أمر الأمير عبد الله ببُنيان حِصْن لَوْشة، وأبقى عليه إدريس بن عُبَيْد الله.

وفيها، دخل إذْفُونْش بن أُرْدُون مدينة سَمُّورة وبناها؛ وكانت من بنيان عَجَم طُلَيْطُلة.

وفى سنة ٢٨١، أغزى الأميرُ عبدُ الله عَبْدَ الملك بن أُمَيّة؛ فتقدّم الى حصون ابن مَسْتَنة، ونازَلَ حصن آشَر، وحارَبَه، وقتل من أهله عدداً كثيراً، وهدم حصن السَّهْلة. ثمّ قفل الى قُرْطُبة.

وفى سنة ٢٨٢، غزا بالصّائفة المُطَرِّف ابن الأمير عبد الله. وقادَ الصائفةَ عبدُ الملك بن أُمَيّة. فلمّا كان بمقرُبة من إشبيلية، قبض على القائد عبد الملك، وقتله، *وقدّم على قيادة العسكر أحمد بن هاشم. وأقام العسكر فى الموضع أربعة أيّام، وكتب أماناً لأهل إشبيلية، وأماناً لأهل شَذُونة؛ فدانت له، وقبض جبايتها، ودوّخ تلك البلاد. ثمّ رحل الى إشبيلية؛ فناشَبَهم الحرب؛ فانهزم أهْلُ إشبيلية، ووقع فيهم القتل الى سور المدينة. ثمّ أجازَ الوادى؛ فتتبع القُرى بالنسف والتغيير.

P. ١٢٨

وفى هذه السنة، ضمّ المُطَرِّف ابن الأمير عبد الله إبراهيمَ بن حَجّاج وابْنَ

خَلْدُون وابنَ عبد الملك الشَذُونىّ الى السجن، وأوثقهم فى الحديد. وقطع لسان سَحْنُون الكاتب، وضرب ظهره.

وفيها، أتت جباية إشبيلية. وعند ما أتت، أطلق ابنَ حَجّاج وابنَ خَلْدُون والشَذُونىّ من سجن قُرْطُبة.

## ذكر ثورة بنى حَجّاج بإشْبِيلِيَة

وذلك أنّ إبراهيم بن حَجّاج ترك وَلَدَه رهينةً بقُرْطُبة، ورجع الى بلده إشبيلية؛ فتوزّع كُورَتَها على نصفَيْن: خرج إبراهيمُ بالنصف، وابنُ خَلْدُون بالنصف. وبَقِيَا كذلك أعواماً. وكان الأمير عبد الله قد أخذ فى الضَرْب بينهما، ويكاتِبُ كلَّ واحد منهما بما يراه من صاحبه. فلمّا كان فى بعض الأيّام، كتب إبراهيمُ بن حَجّاج وكُرَيْبُ بن خَلْدُون الى الأمير عبد الله فى مَصالحهما؛ وكتب معهما خَالدُ بن خَلْدُون أخو كُرَيْب كتاباً يُغْرِى فيه بإبراهيم بن حَجّاج عند الأمير، ويقول إنّه فى قَبْضَتهم. فكتب له جوابه على نصّ كتابه. وخرج الحامِلُ بالكُتُب اليهم؛ فسقَطَ له كتاب خالد الذى كان بعث للأمير؛ فأخذه بعضُ فِتْيان القَصْر؛ فقرأه، وعلم ما فيه؛ فدفعه لرسول إبراهيم بن حَجّاج، وقال له: «اسبِقْ به مَوْلاك!» فلمّا وصل الرسولُ والكِتابُ الى إبراهيم، علم حقيقة ما يحتوى عليه ابنا خَلْدُون من سوء الباطن. وكان هذا فى سنة ٢٨٦. فعند ذلك، تلطّف إبراهيم فى طعام، ودعا ابنى خَلْدُون؛ فوَصَلاَ اليه. فلمّا استقرّ المجلس بهم، أخذ إبراهيم فى عِتاب كُرَيْب وأخيه خالِد، وأخرج الكتاب الذى بعث بــه الأمير اليهما، وأوقفهما عليه، وأبلغ فى عِتابهما، وأكثر فى ذلك عليهما. فأخرج خالِدٌ سِكّيناً كانت فى كُمّه؛ فضرب بها رأس إبراهيم بن حَجّاج؛ فرَّق قَلَنسُوَتَه، وضربه فى وجهه. فلمّا صدر منه ذلك، نهض إبراهيم، ودعا من حضر من رجاله؛ فعَلَوْهُما بالسيوف، حتى قتلوهما. وألقى رأسيهما الى أصحابهما ورجالهما؛ فتفرّقوا. وتتبّعهم إبراهيم بالقتل والنهب، ودفن جَسَدَى ابنى

خَلْدُون، وانقاد له جميعُ أهل الكُوَر الملاصقة لإشبيلية. وخاطب عند ذلك الأميرَ عبدَ الله، يتبرّأُ له من دَمِهما، ويقول إنّهما كانا بَخِلافِهِ على النَّكث، وإنّه الآن على الطّاعة؛ وطلب منه ولاية إشبيلية. فأجابه الأمير الى ذلك. وانفرد إبراهيم بولاية إشبيلية؛ فاجتبى الأموال، واصطنع الرّجال، وارتقى فى الأحوال، وامتدّت لفضائله الآمال. وكان له حميدُ آثار، وجميلُ أخبار، فاق بها أهل عصره، وحسن فى الآفاق طيبُ ذكره.

ولم يزل بعد ذلك إبراهيم بن حَجّاج يشتطُّ[1] على الأمير عبد الله، الى أن سأله إطلاق ولده عبد الرحمن الرهين عنده. فلم يسعفه الأمير عبد الله فى ذلك. فنبذ إبراهيم الطاعة عند ذلك، وظاهَرَ ابنَ حَفْصُون، وأمدّه بالمال والرّجال، نكايةً للأمير عبد الله. فقويت شوكةُ ابن حفصون، وازداد بـه طاعيةً؛ وفى خلال ذلك، لم يزل إبراهيم يُدَسِّس ويُرسل من يُشير على الأمير بإطلاق ولده، ويتضمّن له عَوْدَه الى الطاعة، حتّى وافَقَ السّلطانُ على ذلك؛ فأطلق عبد الرحمن ابن إبراهيم، وأعظم الإحسان اليه، وجدّد له التّسجيل على بلده إشبيلية. فعاد إبراهيم الى ما كان أوّلاً عليه *من الطاعة، واستقامت أحوالُ تلك النواحى على يديه. P. ١٣٠

قال حَيّان بن خَلَف: لمّا ملك إبراهيم بن حجّاج إشبيلية وقَرْمُونة وما والاها، ارتفع ذِكْرُه، وبَعُدَ صِيتُه، واتّخذ لنفسه جُنْداً، ورتّب لهم الأرزاق كفعل السلطان؛ فكَمُل فى مَصّافِه خمسمائة فارس. وكان لإبراهيم بن حَجّاج فى بِساط السلطان بقُرْطُبة قومٌ يَقِفُون فى حقّه، ويُعْلِمونه بما عند السلطان من حاله، وينصحونه فى أمره. فعند ذلك، أقلع عمّا كان عليه من موافقة ابن حَفْصون، واعترف بحقّ أمير الجماعة؛ فعامَلَه الأميرُ بما شُهِرَ له من الفضل. وكانت منزلتُه عنده أعلى منزلة، الى أن تُوُفِّى — رحمه الله!

وذكر حَيّان أيضاً قال: كان لإبراهيم بن حَجّاج فى بلده إشبيلية قاضٍ يقوم

1) A. يسط.

بالحُكم، وصاحبُ مَدينة بقيم الحُدُود، جرى فى ذلك كلّه مَجْرَى السلطان فى حضرته. قال: وكان فَظًّا على أهل الرِّيَب، قامعاً لأهل الشرّ؛ وكان مُنجِعاً على البَرّ والبحر، مقصوداً بالغرائب والطُّرَف. وكانت له بإشبيلية طُرُزٌ يُطرَز فيها على اسمه كفِعْل السلطان إذ ذاك؛ وكانت قَرْمُونة تحت مملكته؛ وهو الذى حصّنها وحسّن بنيان سورها؛ وفيها كان مَرْبَط خيله المتّخَذة لركوبه؛ وبينها وبين إشبيلية كان تَرْدادُه سائرَ أوقاته. وكان جواداً، ممدّحاً، يرتاح للثناء، ويُعطِى الشُعراء، ويضاهى فى فعله كبار الأمراء، ويتفقّد أهل البيوتات والشَرَف بالعطاء [1]. وكان أهْلُ قُرْطُبة متعرّضين لسَيْبه، فيكرمهم ويَصِلُهم. وقد انتجعه شاعرُهم الأكْبَر أبو عُمَر أحمد بن عبد رَبّهِ من بين جميع ثُوّار ذلك الوقت بالأندلُس؛ فعرف قدره، وأفضل عليه.

ومن قوله فيه، يَصِفُ تنقُّلَه من إشبيلية الى قَرْمُونة [طويل]:

| | |
|---|---|
| ألَا أنّ إبراهيمَ لُجّةُ ساحِلِ | مِن الجودِ أرْسَتْ فوقَ لُجّةِ ساحِلِ |
| فإشبيلَةُ الزَهْراء تُزْهَى بمجدِهِ | وقَرْمُونةُ الغَرّاء ذاتُ الفَضائِلِ |
| إذا ما تجلّتْ تِلْكَ من نورِ وَجْهِهِ | غَدَتْ هٰذِهِ للناسِ فى زِىّ عاطِلِ |
| وإنْ حلّ هٰذِى فَهْوَ يُوحِشُ هٰذِهِ | فتَهْدِى بِرُسْلٍ نَحْوَه ورَسائِلِ |

٢١

وهى طويلة. ومن قوله أيضاً من قصيد طويل [وافر]:

| | |
|---|---|
| كتابُ الشوقِ يَطْوِيهِ الفُؤادُ | ومن فيض الدُموعِ لَه مِدادُ |
| تخطّ يَدُ البُكاء به سطوراً | على كَبِدِى ويمليها السُهادُ |
| وكَيْفَ وبى فُؤادٌ مستطيرٌ | لِمَن لا يستطيرُ له فُؤادُ |
| أمِنْ يُمْنٍ يكون الجودُ خلواً | وإبراهيم حاتِمُها الجَوَادُ |
| زيارتُه لِمَن يأتيهِ حَجٌّ | ومِدْحتُه رِباطٌ أو جِهادُ |
| وما لى فى التخلّف عنه عذْرٌ | ولى فى الأرض راحِلةٌ وَزَادُ |

1) Tout ce qui suit manque dans B jusqu'à la fin de la seconde citation poétique.

[1] ولأحمد بن عبد رَبِّهِ فى إبراهيم بن حَجّاج أشعارٌ كثيرةٌ، ولغيره من الشعراء. وذكر ابن أبى الفيّاض أنّ محمّد بن يحيى القَلْفاط الشاعر القُرْطبىّ قصد الأمير إبراهيم بن حجّاج بمدحه بقصيدة نونيّة، أوّلها [خفيف]:

أزِفَتْ رِحْلَتِى فَأَهْمَتْ جُفُونَا

ثمّ أخذ فى هجاء عشيرته أهْلِ قُرْطُبة، وكُبَرائها، وعُظَماء دولتها؛ فأفحش عليهم. فلما أنشد القصيدة لإبراهيم بن حجّاج، زها به، وحَرَمه وأساء ذِكْرَه؛ فانصرف خائباً من نواله، جانياً ثمرةَ فِعاله ومَقاله. فلما وصل قُرْطُبة، أخذ يهجو إبراهيم بن حَجّاج بقصيدة أوّلها [كامل]:

لا تُنْكِرِى للبَيْنِ طُولَ بُكاءى

فلما بلغت إبراهيم، أغْضَبَتْه؛ فأوصى من قال له عنه يميناً مغلّظةً: «إنّه إن عاد لما وقع فيه، لآمُرَنَّ بأخْذ رأسه بقُرْطُبة على فراشه!» فارتاع القَلْفاط المذكور لذلك، وكفّ. [2] فكان هذا الفِعْل لإبراهيم فى حقّ P. ١٣٢ •أهل قُرْطُبة أجلَّ مكرمةٍ، وعُدَّ فى جملة فضائله. ولأجْل هذا ساقه القاضى ابن أبى الفيّاض — رحمه الله [2]! — وقد قصده العُذْرِىُّ من الحجاز؛ فراعى حقّه، وأكرم مثواه، وأناله جزيل خيره. ورفع الناس ذكره.

وقد ذكر أبو عامر السالِمىّ فى كتابه المسمى بـ«دُرَر القلائد وغُرَر الفَوائد» أنّ الأمير الرئيس الهُمام الجَوّاد الحَسِيب أبا إسحاق إبراهيم بن حَجّاج سمع بجارية بَغْداديّة اسْمُها قَمَر؛ فوجّه بأموال عظيمة الى المشرق فى ابتياع هذه الجارية، الى أن استقرّت بدار مملكته إشبيلية؛ وكانت كالبدر المُنير، ذات بَيان وفصاحة ومعرفة بالألحان والغناء؛ فوجدها قَمَراً عند اسْمِها؛ وكان لها شِعْرٌ يُسْتَحْلَى ويُسْتَحْسَن. فمن قولها تَرُدُّ على من عاذَلها [بسيط]:

قَالُوا أَتَتْ قَمَرٌ فى زِىِّ أَطْمَارِ ... مِنْ بَعْدِما هَتَكَتْ قَلْباً بِأَشْفَارِ

تُبْنَى [3] علىَ وَجَلٍ تغدو على سُبُلٍ ... تَشُقُّ أمصارَ أرْضٍ بعدَ أمْصَارِ

---

1) Reprise du ms. B. 2—2) Manque dans B. 3) A. B. غلى.

لا حُرَّةٌ هِيَ مِنَ احرارِ مَوْضِعِها وَلَا لَهَا غيرُ تَرْتِيلٍ وأَشعَارِ
لَـوْ يَعْقِلُون لَمَا عَابُوا غَرِيبتهمْ لِلّهِ مِنْ أَمَـةٍ تُزْرِى بأَحْـرارِ
مـا لابْنِ آدَمَ فَخْـرٌ غَيْرَ هِمَّتِهِ بَعْـدَ الديَانَةِ والإخلاصِ للبَارِى
دَعْنِي من الجهْلِ لا أَرضَىَ بِصَاحِبِهِ لَا يَخْلُصُ الجَهْلُ من سَبٍّ ومن عَارِ
لَـوْ لَمْ تَكُنْ جَنَّـةٌ إِلاَّ لجاهلةٍ رَضِيتُ من حكمِ رَبِّ الناسِ بالنَّارِ

ولم تزل مُدّة إبراهيم تتمشّى على أحسن حال وأجزله، وأهذب زىّ وأكمله، تَنَفّسَتْ زيناً لعَصْرِه، وفخراً له بها على أهل مِصْرِه، لم يلحَقْه فى ذلك أحد فى وقته، ولا قَدَرَ على نَيْل مرتبته، الى أن وافته مَنِيّتُه فُجاءةً، وذلك عام ٢٨٨. وولى ابنُه عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجّاج بعد أبيه، وطالت مدّتُه ثلاث عشرة سنة، وتُوُفِّى سنة ٣٠١. وكان أخوه محمّد بن إبراهيم بن حجّاج — رحمه الله — ٭صاحب قَرْمُونة فى حياة أبيه وبعد موته الى أن مات أخوه، ولم P. ١٣٣ يستقرّ بإشبيلية، ولا حكمها. وقيل إنّه دسّ على أخيه عبد الرحمن جاريةً سمّته، فمات من ذلك.

قال ابن أبى الفيّاض: كان محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج صاحبَ قَرْمُونة بعد موت أبيه؛ وكانت له بها دولةٌ حسنةٌ وأيّامٌ صالحةٌ، شُهِرَ فى الفضل ذِكْرُه، وانبسط على ألسنة النّاس شكْرُه، قُصِدَ من الأقطار، ومُدِحَ بجيّد الأشعار؛ فأنال القاصدين، ومنح المادحين. ولما توفّى أبوه، ولى إشبيلية أخوه عبد الرحمن، إذ كان كبيره. وكان محمّد يزيد على عبد الرحمن بأشياء من المحامد، خُصَّ بها فى وقته فحُمِد، وظهر أثر الإمارة فى فعاله فشُكِر وحُمِد. وكانت دولتُه بقَرْمُونة أضْخَمَ من دولة أخيه بإشبيلية وأطْوَلَ، وذلك أربع عشرة سنة بعد موت أبيه. وتوفّى عام ٣٠٢.

قال الرازىّ: افتتح الناصر لدين الله إشبيلية سنة ٣٠١. وكان سَبَبُ ذلك موتَ عبد الرحمن بن إبراهيم بن حَجّاج المتَأَمِّرِى فيها بعد والده، واجتماعَ أهلها من بعده على تقديم أحمد بن مَسْلَمة، ودَفْعَهم لأخى عبد الرحمن محمّد بن إبراهيم

صاحب قَرْمُونة، ومخالفةَ محمّد ومن معه بقَرْمُونة، ولِيَاذَه بسلطان الجماعة. فبعث الناصرُ عسكراً الى إشبيلية؛ فجرَتْ بينهم حروبٌ عظيمةٌ. ثمّ بعث الأمير عبد الرحمن الناصر الى محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج، وأمره بالتضييق على أهل إشبيلية، وعقد له على ذلك، وأشرك معه فيه قاسم بن الوَلِيد صاحبَ شُرْطَته فى ذلك الوقت؛ وكان بينه وبين محمّد صداقة. فخرجا معاً من قُرْطُبة الى قَرْمُونة، ومنها دَنَوَا الى إشبيلية. فتردّد محمّد وقاسم بالجموع على إشبيلية، وملكا أقاليم الشَّرَف، وأقاليم طَالِقة، وإقليم البُرّ وغيرها، وأخذا بمَخْنَق ابن مَسْلَمة صاحب إشبيلية؛ فاستجاش ابن مَسْلَمة برأس النِّفاق اللعين ابن P. ١٢٤ * حَفْصون؛ فأتاه بنفسه، وخرج معه من مدينة إشبيلية، وجاز النهر؛ وكان الجيش بحصن قَبْرة، وفيه محمّد بن إبراهيم بن حجّاج، وقاسم بن وَلِيد؛ فخرجا اليهما بمن معهما من حَشَم السلطان؛ فانهزم ابن حَفْصون، وفرّ على وجهه، حتّى لَحِق بقلعته. فتأمّلَ ابن مَسْلَمة مُتَشَبّه مع ابن عمّه محمّد بن حَجّاج، ودخولَه معه فى وراثة أبيه، وأنّه لا طاقة له به. فأخذ فى إصلاح ما بينه وبين السلطان الناصر؛ فراسَلَه بأن يُعْطِيَه إشبيلية. فوَصَلَهُ الحاجِبُ بَدْرٌ، وتملّك السلطان إشبيلية دون إراقة دَم ولا قتال. فلمّا استقرّ الحاجب بإشبيلية، أحضر أهلها، ووعدهم عن السلطان بكلّ جميل، وأن يُجْرِيَ عليهم عوائدَهم مع بنى حجّاج وزيادةً على ذلك؛ فرضى القوم، وتمّ الأمر للحاجب وابن مَسْلَمة. وأخذ الحاجب فى مخاطبة محمّد بن حجّاج، يعرّفه بتملّك السلطان إشبيلية، وأنّ السلطان أمره بالكفّ عن حصارها. فعند وقوف محمّد على الكتاب، ساءه ذلك، وتغيّر له، وخرج من حصن قَبْرة الذى كان به مع قاسم بن وَلِيد ناكثاً للطاعة؛ وسرى ليلتَه مع جموعه قاصداً بلد قَرْمُونة؛ فلقى فى طريقه أغناماً لأهل قُرْطُبة؛ فأغار عليها، وحملها معه الى قَرْمُونة؛ فدخلها، وأظهر التمنّع بها. فأخرج اليه الناصر لدين الله صاحِبَ الحَشَم؛ فلما وصله وخاطبه بما أمره به السلطان، ردّ عليه الأغنام بجملتها.

ولمّا رجع صاحب الحَشَم الى قُرْطُبة، خرج محمّد بن حَجّاج من قَرْمُونة

بجيشه؛ فوصل إشبيلية عند الصباح؛ فهجم عليها. وكان بعض سورها مهدّماً؛ فطمع فيها؛ فخرج اليه العامِلُ عليها من قِبَل السلطان؛ فهزمه عنها؛ فرجع الى قرْمُونة. فلما علم الناصر بذلك، وجّه عسكراً الى عامِل إشبيلية تقويةً له؛ فحصّن البلد على نفسه، وأمِنَ من عادية محمّد بن حجّاج. ولما طال على الناصر تَمادى محمّد بن حجّاج على العناد، بعث اليه صديقه ابن وَلِيد، طالباً منه العودة الى ١٣٥ الطاعة؛ فلم يزل به حتى أظهر الإنابة له؛ فأنفذ محمّد بن حَجّاج خاصته الى الناصر؛ فوصل إليه؛ فألحقه الناصِرُ بنفسه؛ وشافهه بما ألقاه اليه محمّدٌ، وأعلمه أنّه يَنْعَزِل عن قَرْمُونة ويسكن قُرْطُبة، على أن يترك بها نائبه. فأجابه الناصر لذلك كلّه، ووعده بتتميم أغراضه. فلما وصل الرسول الى محمّد بما ألقاه إليه الأمير الناصر، خرج من قرْمُونة فى شهر رمضان المعظّم من عام ٣٠١، ووصل قُرْطُبة مع وجوه قومه وعدّة من رجال. فأمر لهم الناصر بالكُسَى ووَصَلَهم على أقدارهم ومنازلهم عند محمّد، وأجزل لهم الصِّلَة، وأعطى محمّداً العطاء الجَزْل، وقرّبه من نفسه، وولّاه من حينه خُطّةَ الوزارة، مُنَوّهاً، مُرَفَّعَ الذِّكر. ثمّ خرج الناصر لدين الله غازياً؛ فاغزاه معه وزيراً.

وكان حَبِيبُ بن عُمَر الوالى على قَرْمُونة من قِبَل السلطان قد امتنع بقَرْمُونة. فحاصر الناصر قَرْمُونة، ومحمّدُ بن حجّاج معه وزيراً؛ فسعى به عند السلطان مَن كان يحسُده، وقال له: «إنّما نافَقَ ابنُ عُمَر مع محمّد وبأمره!» فعزله عن الوزارة، وحبسه، وحبس معه ابنَ وَليد صاحِبَ الشرطة. ثمّ أُطْلِقا بعد ذلك. فلم يلبث محمّد بن حَجّاج بعد ذلك إلاّ يسيراً، وتُوُفّى فى شوّال سنة ٣٠٢.

## ومن أخبار عُمَر بن حَفْصُون فى أيّام الأمير عبد الله

وعند ما ولى عبد الله الخلافة، ووافته الكُتُب من البلاد؛ واجتمعت على طاعته جميع العباد، رأى عُمَر بن حَفْصُون على فَرْط عِناده، وعُتُوّه فى الأرض وفساده، أن يدخل فى جماعته، ويلتزم بفروض طاعته. فأرسل ابنه حَفْصاً

الى قُرْطُبة مع جماعة من اصحابه، على أن يعقدوا مع الأمير سِلْماً مُنْتَظِماً، وصُلْحاً مُبْرَماً، لا يُحِيله حال، ولا يلحقه مُحال، على أن يستقرّ عُمَر بن حَفْصُون بِبُرْبَشْتَر على الطوع، ويقيمَ * بها على الطاعة والسمع. فقبل الأمير نزاعه، وسمح بإيغائه هنالك، وأصدر ابنَه ورُسُلَه إصداراً جميلاً، ومنحهم بِرًّا جزيلاً، ووجّه معهم عبد الوهّاب بن عبد الرّؤوف والياً على كورة رَيّة، ومشاركاً لابن حَفْصُون فى عَقْدِه وحَلّه، ومُساهِماً له فى توليته وعَزْلِهِ. فكانا شريكَيْن فى الأمر والنَّهْى، الى أن غلب ابنُ حَفْصُون على عبد الوهّاب، وأخرجه من الكورة مُنْبَتّ الأسباب. واشتدّت معرّتُه، وتأكّدت عاديتُه ومضرّتُه، حتّى همّت القُرَى بالجلاء، والناس بالجلاء. ولم يَبْقَ بالقَنْبانِيَة قَرْيَةٌ إلاّ غَشِيَتْها الخَيْل، وعمّتها الذِلّةُ والوَيْل، قد ملك اللعين إسْتِجّة وأرْجِذُونة، وأجادها ثِقافاً، وصيّر فيهما من الآلات أصنافاً.

فلما رأى الأمير عبد الله ما أحاط بقُرْطُبة من ابن حَفْصُون، ودار عليها من الحرب الزَبُون، أمر بإخراج السُّرادِق الى فَحْص الرَّبَض بشَقُنْدة. فلمّا اشتدّت أطنابُه، ومُدّت حبائله وأسبابُه، بعث ابن حنصون خَيْلاً تَرْعى على شَقُنْدة لعلّها تأخُذَ السُّرادِقَ السُّلطانىّ وتفوزُ به، وتَهَجّمَ على البَلَد وتُحِيطَ بجانبه. فخرجت لم الخيلُ إثْـرَ ذلك، وطردتْهم طرداً من هنالك، ووصلت الى ابن حنصون، فدفعتْه عن الجهة، ومنعتْه من تلك الوجهة، وأوى الى حصن بُلَّيَ بقَبْرة، فجمع له الأمير أهْلَ قُرْطُبة، وسار إليه فى نحوِ أربعة عشر ألفاً. وحشد ابن حنصون نحوَ ثلاثين ألفاً، فصدمه الأمير بمن معه، فنثر عِقْده وفرّق جمعه، فعملت السيوف فى رقابهم، وتبِعَتْ سيلَ أعقابهم، حتى رَوِيَت الأرض من دمائهم. ودخل الأمير عبد الله القِلاع الثائرة عليه، وصارت يومئذٍ فى يديه.

وفى ذلك يقول ابن عبد رَبّهِ [كامل]:

رَامَ ابنُ حَفْصُونَ النجاةَ فَلَمْ يَسِرْ   والسَّيْفُ طـالِبُـهُ فَلَيْسَ بِنَـاجِ
فى لَيْلَةٍ أسْرَتْ بِـهِ فَكَأنّمـا   خِيلَتْ نَقيضَةَ لَيْلـةِ المِعْرَاجِ
مَا زَالَ يُلْقِحُ كُلَّ حَرْبٍ حَامِلٍ   فالآنَ أنْتَجَهَا بِشَـرِّ نِتـاجِ

P. ١٣٦ / P. ١٣٧

رَكِبُوا الفِرَارَ بعُصْبَةٍ قَـدْ جَرَّبوا  ‏ غِبَّ السُّرَى وعَواقِب الإدْلاجِ
وإذا سَأَلْتَهُمْ مَوَالِى مَنْ هُمُ  ‏ قَالُوا: مَوَالِى كُـلِّ لَيْلٍ دَاجِ

ولمّا رجع ابن حفصون الى بُرْبُشْتر، حشد أعوانه، وجدّد للعَرْض ديوانه، وخرج بجمعه الى إلبيرة، وأدار بها حرباً مُبيرة، الى أن تغلّب عليها بأَيْده، وقبض على عاملها بكيده. فأخرج الأمير عبد الله العسكر إليه، وقدّم ابن أبى عَبْدة عليه. فلمّا تدانى الفريقان، وتراءى الجمعان، هجمت خيلُ ابن أبى عَبْدة على خيل ابن حفصون، فعكسَتْهم عكسا، وطمست آثارهم طمسا؛ وأُثقل ابنُ حفصون بالجراح، وآبَ من النصر صِفْرَ الراح، قد ركب الأوعار، واحتمل الخِزْىَ والعار، وبلغ حصن بُرْبُشْتر مفلولاً، خاسراً ذليلاً. ثمّ عاد الى عاده، وسبيل بغيه وفساده. وفى كلّ ذلك كان الأمير عبد الله يهزم جيشه، ويروع بأسه جأشه، حتّى خمدت نيرانُه، وملّت أنصاره وأعوانُه. فلمّا توفّى الأمير عبد الله، وولى الناصر لدين الله، بادر الى الطاعة، والدخول فى الجماعة. ثمّ نكث وخان، حتّى هلكتْه الأزمان.

## جُملة الثُّوَّار ببلاد الأندَلُس فى أيّام الأمير عبد الله، الخارجين عن الجماعة، المُضْرِمين لنار الفِتْنة

أوّلهم ابن حفصون؛ وقد تقدّم ذكرُه. وتأتى بقيّة أخباره بحسب السنين.

وثار سَوّار بن حَمْدُون بحصن مَنْت شاقَر؛ فقام الى جَعْد عامل إلبيرة بمن معه؛ فهزم جمعه، وأخذه أسيراً، وأراه يوماً عسيراً. ثمّ أطلقه من عقاله، وعمّه بإفضاله، *وانصرف الى إلبيرة بلده، ومَقَرِّ أهله وولده. وسار سَوّار الى غرناطة، وأغار على حصون ابن حفصون؛ فاجتمع أهلُ إلبيرة فى نحو ثلاثة وعشرين ألفاً؛ فلقيهم سوّار فى عـدد قليل؛ فلاذوا بالفِرار والنُّفور، وصاروا كالهَبَاءِ المنثور؛ ونيطَت بهم الحُتُوف كَسْفاً، وقُتل منهم على ما ذُكر اثنا عشر ألفاً، وذلك  ٢٨

فى سنة ٢٧٦. وكانت بين سَوَّار هذا وابن حفصون ملاقاة انقلب فيها ابن حفصون مهزوماً، وتولّى مَلُوماً مذموماً، قد أُثقِلَ بالجراح، وقُتِلَ قُوّادُه فى ذلك الكفاح. وكان جَعْد الثائر بالبيرة متّفقاً مع ابن حفصون على النِفاق، منعقداً معه على الفساد فى تلك الآفاق؛ فأعمل جَعْد الحيلة فى الغدر بسَوَّار جُهْدَه، وأظهر فى ذلك نَصَبَه وجهْدَه؛ فأغار على جهته يوماً، وقد أكمن هنالك قوماً. وخرج هو بنفسه فى نفر يسير؛ فاكتسح وأغار، وأنجد فى الجهة وغار. وظَنّ سَوَّار أن ليس وراءه أجنادٌ تُنْجِده، ولا أمدادٌ تُمِدُّه؛ فبرز إليه بأهل المكان، وقد أيقن بالظفر والإمكان. فلمّا انبسط من هنالك كالفَرْخ الأشِر، ثارت الكمائن عليه كالجراد المُنْتَشر، وأحدقت الخيل بسَوَّار؛ فقُتِل تقتيلاً، وعاد عسكره مهزوماً مفلولاً. وأرسل جَعْد صاحبُ إلبيرة الى ابن حفصون برأس سَوَّار، وأعلمه بالكَبْت الشامل لأعدائهم والبَوَار.

وثار سعيد بن جُودِى فى ذلك التاريخ بالعَرَب، وعارض ابن حفصون بالحَرْب والحَرَب، حتى أغَصّه بِرِيقه، وضايقه فى سبيله هناك وطريقه؛ فرجع ابن حفصون الى الحيلة فيه والكَيْدِ، إذ عجز عنه بالقوّة والأيْدِ، حتى قبض عليه، وصار أسيراً لديه، وأقام عنده بِبُبَشْتَر شهوراً مكبولاً، الى أن قَبِل فيه ابن P. ١٣٩ حفصون مالاً جزْلاً قَبولاً؛ فأطلقه من وثاقه؛ فجدّ فى خِلافه على الأمير عبد الله وشِقاقه، الى أن مَكِرَ به مكراً، وقُتل فى دار عشيقةٍ له يهوديّةٍ غَدْراً. وتولّى أمْرَ العَرَب بجانب إلبيرة محمّدُ بن أضْحَى؛ فأمسى على طاعة الأمير عبد الله وأضحى؛ فناصَبَ ابنَ حفصون الحرب، وعارَضه بالطعْن والضرب، الى أن ظَفِرَ به ابنُ حفصون فى تلك المسالك، وصار عنده أسيراً هنالك؛ ففداه العَرَبُ منه بمال جسيم، ومشى من طاعة الأمير على منهاج قويم.

وثار العَرَبُ بإشبيلية ثورةً، وقبضوا على عامِلها عنوةً، وانتهبوا طارِفَه وتَلَدَه، ولم يتركوا إلّا أهله وولده، وقتلوا كثيراً من أعوانه، وعاثوا ما شاءوا فى سلطانه؛ فاجتمعت العساكر من قَرْمُونة وسائر الأقطار، وأحاطت بإشبيلية إحاطة

النَّـسَلَك الدَّوَّار، فغلبوا على القائمين فيها. وقتلوا منهم فرقة؛ فكانت الوقعة المعروفة بالدَّعْفة.

وتغلّب إبراهيم بن حَجّاج على إشبيلية تغلّبا، ونصب لأحواز قُرْطُبة منها حرْباً وحَرَباً؛ وارتبط مع ابن حفصون على العَبَث التامّ، والاحتلال بقُرْطُبة فى ذلك العام. وتغلّبا على الحصون والقِلاع، وجدّا فى الكِفاح والقِراع، الى أن انتقض ما بينهما من السِّلْم المنتظَم، والعهد المُحْكَم المبْرَم. وصالَحَ ابنُ حَجّاج الأميرَ عبدَ الله؛ فأقرّه باشبيلية، وصرف إليه زِمامَها، وأوقـف عليه أعمالها وأحكامها.

وثار دَيْسَم بن إسحاق، وغلب على مدينتَيْ لَوْرَقة ومُرْسِيَة، وما يليهما من كورة تُدْمِير. وكان مَوْدُوداً من طبقات الناس، رفيقاً برعيّته، جَوّاداً، منتجَعاً، له إفضال على الشعراء والأدباء.

وثار عُبَيْد الله بن أُميّة، وملك كورة جيّان، ودخل حصن [ابن عُمَر[1]] وغيره.

ومنهم، عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجِلِّيقيّ، اقتعد مدينتى بَطَلْيَوْس ومَارِدَة؛ ففارق الجماعة، وجاور أهلَ الشِّرْك، ووالاهم على أهل القبْلة. ٤٠.

ومنهم، عبد الملك بن أبى الجَوّاد، اقتعد مدينة بَاجة وملكها، وتحصّن بحصن مارْتُلة، وله حظٌّ من المنعة تشييداً وعُدّةً. وكان معاقِداً لابن مروان، صاحب بَطَلْيَوْس فى هذا التأريخ، وابنِ بَكْر صاحب أُكْشُونَبَة؛ فكانوا متألّبين على من خالَفهم.

وثار ابن السَّلِيم، وهو مُنْذِر بن إبراهيم بن محمّد بن السَّلِيم، بمدينة ابن السَّلِيم، المنسوبة الى جدّه، من كورة شَذُونة؛ فاقتصد فى سيرته، ولم يُظْهِر نبْذَ الطاعة. الى أن قتله مملوكٌ[2] له يسمّى غَلَنْدَه. وخَلَفَه وَلِيدُ بن وَلِيد، وصار الى الطاعة عند هبوب ريحها بالخليفة عبد الرحمن الناصر.

---

1) Rétabli d'après *Muqtabis*, éd. Antuna, p. ٩ (A. ودخل حصن وغيره : B. ودخل حصن كذا وغيره).   2) B. غلام.

ومنهم، محمّد بن عبد الكريم بن إلياس، امتنع بقلعة وَرْد من كورة شَذُونة، وسعى للفتنة سعْيَه، وتمادى، حتى استنزله الناصر فيمن استنزل من الثوّار. ومات بقُرْطُبة.

وثار خَيْر بن شاكر بحصن شُوذَر من كورة جيّان، وظاهرَ زعيمَ الثوّار عمر ابن حَفْصُون؛ فنتك بخَيْر المذكور، وأرسل برأسه الى الأمير عبد الله.

ومنهم، عُمَر بن مُضمّ الهَتْرُوليّ[1] المعروف بالمَلّاحيّ؛ وكان جنّديًّا متدوّنًا عند العامل بحضرتها؛ فوثب عليه؛ فغدره، وضبط القصبة.

[2]ومنهم، سعيد بن هُذَيْل. كانت ثورتُه بحصن المُنْتِلُون من كورة جيّان؛ فبنى قصبته، وحصّنها، وأعلن بالخلاف، حتى استنزله الناصر؛ فلحق بقُرْطُبة الى أن مات[2].

وثار سعيد بن مَسْتَنَة بكورة بَاغُه، واقتعد حصونها؛ فاستفحل أمره وشرّه، وعمّ أذاه، واصطفى من حصونها التى ظهر عليها أربعةً لا مثلَ لها فى الحصانة والمنعة.

وثار بنو هابِل الأربعة: أكبرهم مُنْذِر بن حُرَيْز بن هابِل، وأخوه أبو كرامة هابِل بن حُرَيز، وأخوه عامِر، وأخوه عُمَر؛ • ثاروا ببعض حصون جيّان فى أيّام الأمير عبد الله، وخلعوا طاعته، وأطلقوا الغارة، وأطلعوا أهل الفساد. ثمّ استُنْزِلوا؛ فنزلوا على حكم الأمان؛ فحسُنت طاعتهم وخدمتهم. P. ١٤١

[3]وثار إسحاق بن إبراهيم بن عطّاف العُقَيْليّ بحصن مَنْتِيشَة؛ فبناه وحصّنه وامتنع به، الى أن استنزله الخليفة الناصر الى قرطبة؛ وبها تُوُفِّيَ[3].

ومنهم، سعيد بن سليمان بن جُودِى؛ أمّرته عَرَبُ إغْرَنَاطة وإلْبِيرة؛ فضبط أمرهم، حتى دبّـــر عليه كثيرانٌ منهم بحيلة؛ فقتلاه بها. فلم ينتظم للعرَب هناك أمرٌ بعده.

---

1) A. البتروفى; B. المتروفى.  (2—2) Manque dans B.

(3—3) Manque dans B.

وثار محمّد بن أضحَى بن عبد اللطيف الهَمْدَانىّ، من أكابر أبناء العَرَب بكورة إلْبِيرة، الى أن هلك الأمير عبد الله؛ فاستنزله النّاصر لدين الله عن حصنه، فيمن استنزله من الثوّار. وكان ابن أضحَى هذا مع رُجُولِيّته أديباً بليغاً، يقوم بين أيدى الأمراء فى المحافِل، فيحُسن القول، ويُطيب الثناء. وله أخبارٌ معروفة.

وثار بَكْر بن يحيى بن بَكْر، واقتعد مدينة شَنْت مَرِيّة من كورة أُكْشُونُبة، وبناها حصناً اتّخذ عليها أبوابَ حديد. وكان له ترتيبٌ وأُهْبة، ورجالٌ شجعان، وعُدّةٌ موفورة. وكان يتشبّه – بزعمه – فى سلطانه بإبراهيم بن حَجّاج. وكان له أصحابٌ للرّأى وكُتّاب للعمل. وكان له عهدٌ مؤكّدٌ الى جميع من فى طاعته بإضافة أبناء السبيل، وقرّاء التنزيل، وحفْظِ المجتازين؛ فكان السالكُ بناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه.

وثار ابنا مُهَلّب، من وجوه قبائل البَرْبَر بكورة إلْبِيرة؛ وهما خليل وسعيد؛ ثارا ثورةَ نُظرائهما بجهتهما؛ فأقاما على سبيلهما الى أن استنزل الناصر أولادهما بعد وفاتهما.

وثار سليمان بن محمّد بن عبد الملك الشَذُونىّ بشَرِيش شَذُونة؛ وهو الذى بنى تَبْرِيشَة وحصّنها.

(1 وثار ابنا جُرْج بحصن بَكُور؛ ففسدت سيرتُهما؛ فأخرجا عن الحصن. فمات *عبد الوهّاب، ولحق محمّد بن عبد الرحمن بن جُرْج بابن الشالِيَة؛ وكان مصافياً له؛ فتقبّله، واستخدمه، وبنى له حصن مُورِينة من كورة جيّان؛ فأقام فيه الى أن استنزله الناصر ونقله الى قُرْطُبة 1).

وثار أبو يحيى التُجِيبىّ المعروف بالأنْقَر بمدينة سَرَقُسْطة وأعمالها، وقتل أحمد ابن البَرّاء القُرَشِىّ عامِلَ الأمير على سَرَقُسْطة، واستولى عليها؛ وأظهر التمسّك

(1—1) Manque dans B.

بطاعة الأمير عبد الله، وخاطبه، وهو ينسب ابنَ البرّاء الى الخلاف. فأظهر الأمير تصديقه، وعجّل له على سَرَقُسْطة. فثبت بها قدمُه.

وفى سنة ٢٨٣، أخرج الأمير عبد الله على العسكر هشامَ بن عبد الرحمن ابن الحَكَم الى كورة تُدْمِير، فى أواخر ربيع الأوّل. وكان القائد معه على الجيش أحمد بن أبى عَبْدة. ولمّا احتلّ بوادى بُلُّون، تقدّم قطيعٌ من الخيل؛ فافتتح هنالك حصناً، وغنم ما كان فيه. وتوافت على العسكر حشود أهل الكُوَر. ثمّ انتقل وطوى المراحِل حتّى حلّ بمُرْسِيَة. ثمّ انتقل الى لَوْرَقة. فخرج اليه دَيْسَم بن إسحاق؛ فحارَبَه؛ فهُزِمَ دَيْسَم؛ ورجع الى لَوْرَقة وأقام محاصراً حتّى قفل عنه العسكر. ثمّ خرج دَيْسَم بمن معه؛ فضرب فى الساقة؛ فرُجع إليه؛ فهُزِمَ وأُتْبِعَ حتّى اسنفات[1] بالوَعْر ونجا راجلاً، وأُخِذَ فَرَسُه. وقفل العسكر سالماً. وفُقِدَ فى هذه الغزاة الماء، ومات فيها اثنان وثلاثون رجلاً عطشاً، وهلكت دوابُّ كثيرةٌ.

وفى سنة ٢٨٤، أخرج الأمير عبد الله ابنه أبان الى لَبْلَة. وكان ابن خَصِيب بحصن مُنْت مَيُور، وكان قد ثار به؛ فحاصره، ونصب عليه المجانيق، ورماهم بها حتّى ضَنُوا ودَعَوْا الى الطاعة؛ وانعقد أمانهم. وفى خلال ذلك، دخل ابن حفصون إسْتِجّة الدخلة الثانية؛ فورد كتاب الأمير باستعجال القفول بسبب إسْتِجّة؛ فقفل العسكر. وكانت *مدّةُ هذه الحركة شهرَيْن ونصفاً؛ وهى أوّلُ حركة أبان. P. ١٤٣

وفى سنة ٢٨٥، غزا أبان ابن الأمير عبد الله الى ابن حفصون؛ والقائد ابن أبى عبدة.

وفيها ايضا، غزا عبّاس بن عبد العزيز الى حصن كرَكى وجبل البرّانس؛ وقتل ابن يَامِين وابن مَوْجُول؛ وأخذ حصونَهما.

1) B. رجع الى.

وفيها، تقدّم لُبّ بن محمّد من طُلَيْطُلة الى حيّز جيّان، ونازَلَ حصن قَسْطَلُّونة؛ وكان فيهــا نصارى يحاربون عُبَيْد الله بن أُميّة المعروف بابن الشالِيَة؛ فأخذ الحصن، وقتل العَجَم. ووافاه فيــه قتلُ أبيه محمّد بن لُبّ فى محاصرته لسَرَقُسْطة.

وفيها، كانت المجاعة الشديدة التى سُمّيت السَّنةُ بها «سَنَةَ لَمْ أظُنّ».

وفى سنة ٢٨٦، أظهر ابن حفصون النّصرانيّة؛ وكان قبل ذلك يُسرُّها؛ وانعقد مع أهل الشِّرْك وباطَنَهم[1]، ونفر عن أهــل الإسلام، ونابَذَهم؛ فتبرّأ منه خلقٌ كثير. ونابذه عَوْسَجة بن الخَليع، وبنى حصن قَنِيط، وصار فيه موالياً للأمير عبد الله، محارباً لابن حفصون. واتّصلت عليه المغازي من ذلك الوقت، ورأى جميعُ المسلمين أنّ حربه جهادٌ؛ فتتابعت عليه الغزوات بالصوائــف والشواتى، ولا يَنِى القوّاد عنه فى الحلّ والترحال. وفى ذلك قال ابن قُلْزُم للقائد ابن أبى عَبْدة [متقارب]:

فَفِى كُلِّ صيفٍ وفِى كُلِّ مَشْتَى ... غَزَاتانِ مِنْكَ عَلَى كُلِّ حالِ
فَتِلْكَ تُبِيدُ العَدُوَّ وَهٰــذِى ... تُبِيدُ الإمامَ بِهــا بَيْتَ مَــالِ

وفى سنة ٢٨٧، كانت الصّائفة متّجوِنة ما بين كورة مَوْرُور وكورة شذونة وكورة رَيَّة.

وفيها، قتل القائدُ ابن أبى عَبْدة طالبَ بن مَوْلُود المَوْرُورِيّ.

وفيها، صُلب إسحاق وصاحبُه؛ وكانا من رجال ابن حفصون؛ وفيهما جرى المَثَلُ فى الناس: «غَرَرْتَنى[2] يا إسحاق!» وذلك أنّ أحدهما قال هذه الكلمة لصاحبه، وهو يُرْفَع فى الخَشَبة.

وفى سنة ٢٨٨، قُبضت رهائنُ ابن حفصون. وتجوّلت الصائفة بشَذُونة [١٤٤] وغيرها من الكُوَر.

---

1) B. وناظمهم. (2) B. غررت بى.

وفيها، عظم السَّيْل بقُرْطُبة، وانهدم رِجْلٌ من قنطرتها.

وفيها، خرج من قُرْطُبة أحمد بن مُعاوية ابن الإمام هشام الى فَحْص البَلُّوط. ثمّ تقدّم الى تَرْجيلُه؛ فأقام فيها مُدّةً يسيرةً. وانحشدت إليه الحشود؛ فدخل الى سَمُورة وبها قُتِل فى شهر ربيع الأوّل.

وفى[1] سنة ٢٩١[2]، كان غزو أبان ابن الإمام عبد الله [رحمه الله] (الى رَبّه)؛ [وقاد الخيل أحمدُ بن محمّد بن أبى عَبْدة. وفصل يوم الخميس لخمس خَلَوْن من جمادى الآخرة؛] ونهض حتّى احتلّ بوادى نسقانية[3]، واضطرب فى هذه المحلّة. وخرج إليه عمر بن حفصون؛ (ثمّ التَقَيا؛) فوقعت بينهما حربٌ شديدةٌ؛ ثمّ انكشفت الهزيمة على أصحاب[4] ابن حفصون؛ فقُتل منهم عددٌ كثيرٌ؛ ثمّ أضرم قُرَى وادى نسقانية وما حوالَيْها نارا[5]. [ثمّ انتقل وحلّ على وادى يِنُش المجاور لبُبَشْتر، ووقعت الحرب بين أهل العسكر وبين ابن حفصون؛ فانهزم ابن حفصون، وقُتل له رجالٌ، وعُقرت له خيلٌ. واتّصل الحريق فى جميع قُرَى تلك الناحية. ثمّ انتقل الى محلّة طَلَجيرة؛ فأقام بها أيّاماً، P. ١٤٥ يحارب فيها ابن حفصون كلّ يوم، وينال منه. وفى هذه الأيّام، *أحرقت مُنْيةٌ لجعفر بن عمر بن حفصون. وفى هذه الغزاة، حُورِبت طُرُش والرجل[6]، وقُتل أخو زيني وجماعةٌ من حُماة ابن حفصون. ونُصب المنجنيق على الرجل؛ فأثّر فيه

1) Ici commencent les passages du fragment de ʿArīb (ms. de Gotha) incorporés par Dozy au texte du *Bayān*. Sont signalés, comme dans le tome Ier: entre parenthèses ( ), les passages du *Bayān* qui ne figurent pas dans le ms. de ʿArīb; entre crochets carrés [ ], les passages importants de ʿArīb qui ne figurent pas dans les mss. du *Bayān*. Le manuscrit de Gotha sera signalé dans les notes de l'appareil critique par l'initiale G. 2) A. et B.: ٢٨٩. 3) A. et B. بشَقانية. 4) A. et B. انجلت عن هزيمة اللعين. 5) A. et B. donnent à la suite pour la fin de l'année 291: وعمّ الإحراق جميع القرى التى على الوادى، وولّى مدبراً. ثم انتقل الى حصن طُرُش بناحية وشة؛ فحاربه ونصب عليه المجانيق، على حصن الرجل. وكانت مدّة هذه الغزاة ثلاثة أشهر.
6) Vocalisation incertaine.

وثلم فى سوره. ثمّ تقدّم القائد أحمد بن محمّد بن أبى عَبْدة من حصن لَوْشة الى حصن الخُشَن، فى جرائد الخيل، وأتى أبانَ ابن الإمام عبد الله – رحمه الله – معسكِراً بمحلّة لَوْشة؛ فحارَبَ حصنَ الخُشَن، وقتل عدداً من أهله، وأسر منهم جماعةً، وانصرف بالرؤوس والأسرى الى لوشة. ثمّ قفل بالعسكر، ودخل قُرْطُبة يوم الجمعة لخمس بقين لرمضان؛ فكانت هذه الغزاة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً.

وفيها، خرج لُبُّ بن محمّد الى بايش[1] من أحواز آلَبة، وذلك فى رمضان؛ فافتتح حِصْنَ بايش وما يليه، والعِلْجُ إذْفُنْش يومئذٍ على حصن غَرْنُون محاصراً لأهله. فلما بلغه دخولُ لُبّ بن محمّد بحصن بايش، ولّى هارباً.

وفيها، ثمّ فى ذى الحجّة، خرج لُبُّ بن محمّد الى ناحية بَلْيَارِش؛ فافتتح حصنَ لحروبه (؟)، وحصن إيلاس، وحصن قَشْتِيل شَنْت، وحصن مُولة، وقتل بهذه الحصون نحواً من سبعمائة عِلْج، وسبى بها نحواً من ألف سبية.

وفيها، توفّى جعفر بن يحيى بن مُزَيْن الفقيه من أهل قرطبة؛ وكانت له روايةٌ عن أبيه وغيره. وفيها، توفّى أحمد بن هاشم القائد بمدينة غرناطة، ودُفن هنالك، وهو ابن أربع وسبعين سنة. وفيها، توفّى إسحاق بن عبد الله الطيب. وفيها، مات عامر بن مُوَصِّل الأصْبَحِىّ بحصن ناجِرة]

وفى سنة ٢٩٣، [كان خروج الصائفة الى عمر بن حفصون. وتجوّل العسكر على حصونه؛ فهتك بعضها. وقُورِطــع البعضُ على وظيف يؤدّونه. وفيها،] كانت الوقعة (العظيمة) على [عمر] بن حفصون بوادى بُلُّون [من جيّان.] وكان قــد [2]توافى إليه أهلُ الخلاف والخلعان، * وخرج مغيراً على المسلمين؛ ١٤٦ فهزمه الله، وقتل كثيراً ممّن كان معه. وأدبره فى شرذمة قليلة، وأفنى أكثر رجاله فى ذلك المعترك[2].

---

1) A lire sans doute بانش (Banos). (2—2) Bayân: توافت اليه حشود عظيمة لنوافى آجالهم؛ فأفنوا فى ذلــك المعترك وقُطعت دوابُّهم؛ وأفلت اللعين فى شرذمة قليلة.

[وفيها، خرج لُبُّ بن محمّد لمحاصرة مدينة سَرَقُسْطة، وأخذ فى ردم الخَنْدَق[1] المجاوِر لسورها وشرع فى البُنيان عليها. فلما كمل له ردمُ الخَنْدَق[1] وبُنيانُ ما فيه، رحل عنه وأَدخل ندبةً فيه من رجاله.

وفيها، توفّى عبد الله بن قاسم بن هِلال، وكانت له رحلةٌ، وأَدخل الأندلُسَ كُتُبَ داوود العَبّاسىّ[2] وغيره. وفيها، توفّى الوزير سليمان بن محمّد بن وَانْسُوس، وعبد الرحمن بن أُميّة بن عيسى بن شُهَيْد المعروف بدُحَيْم، وتوفّى أَخَوَاه عثمان ابن أُميّة وعيسى بن أُميّة.]

وفى سنة ٢٩٣، كان خروج الصائفة الى فهْر بن أَسَد، وهو بحصن تُشْ من كورة جَيّان، فافتُتِح الحصن، وأُخذ فِهْراً أسيراً، وقدم به الى قُرْطُبة، فأَمر الامام عبد الله — رحمه الله — بصلبه عند القصّابين فى ربيع الآخر.

[وفيها، عُزِل محمّد بن أُميّة بن شُهَيْد عن المدينة، ووليها محمّد بن غانم، فكانت ولايتُه شهوراً، ثمّ عُزِل، وولى مكانَه موسى بن محمّد بن حُدَيْر.

وفيها، حُبِس حزمير القُومِس، وعُذِّب وأُدهِق حتّى مات].

وفى جمادى الآخرة، دخل [القائد] أَحمد [بن محمّد] بن أَبى عَبْدة حصن نَيِط من تَاكُرُنّا، وندب فيه جيشاً، واستنزل من كان فيه من بنى الخَلِيع، وأَدخل فيه الحشَمَ[3].

[وفيها، توفّى يُونُس بن هاشِم بن عبد العزيز. وفيها، توفّى دَيْسَم بن إسحاق صاحب تُدْمير. وفيها، قُتِل يحيى بن قَسِىّ[4]، ومحمّد بن إسماعيل، وأَيّوب ابن سنيان بطَلَبَطْلَة]

P. ١٤٧

وفى سنة ٢٩٤، كان غَزو أبان ابن الإمام عبد الله — رحمه الله — الصائفة الى الجزيرة. وقاد الخيل أحمد بن محمّد بن أبى عَبْدة، وحلّ بالجزيرة

1) Correction proposée au lieu de la leçon du ms. الفرق conservée par Dozy.
2) G. العَبّاسى. 3) G. غلاماً. Rétabli d'après le texte du *Bayân*. 4) G. قطم.

يوم الجمعة لتسع بقين من رجب. ثمّ تقدّم الى حصن لَوْزة يوم السبت لِآنسلاخ رجب؛ فحارَبَ الحصن وحاصره، وقتل جماعةً ممّن فيه؛ ثمّ تقدّم الى حاضرة ريّة، فيها مساوِر[1] بن عبد الرحمن؛ فأُحرقت أرباضُ الحاضرة وحوُصِر من كان فيها؛ فدعا مُساوِر الى السِّلْم، وبذل الرهائن. فأُجيب الى ذلك، وقُبضت رهائنُه؛ ثمّ تقدّم القائد الى السّاحِل؛ فجال عليه أجمع، وخرج على حصون إلْبيرة، وقفل منصرفاً الى قُرْطُبة؛ فدخلها يوم السبت لليلتَيْن خلَتا من ذى القعدة.

وفيها، خرج لُب بن محمّد الى جانب بَنْبَلُونة؛ فبذّل فى نهوْره، وشرع فى البنيان بحصن هريز[2]؛ فحشد إليه العِلْجُ شانجُه جميعَ أهل بلده، وكابده بالمكامن؛ ثمّ وجّه اليه خيلاً يسيرة؛ فلمّا سمع الصيحة، بدر الى الركوب؛ فلقى بكمين، فهزمه؛ ثمّ بكمين، فهزمه؛ ثمّ أحدقت به الكمائن. فقُتل وقُتل من كان معه، ممّن آثر الشهادة؛ وذلك فى ذى الحجّة لاثنتى عشرة ليلة بقيت منه. فتزل تِطيلَة أخوه عبد الله بن محمّد. وكان لبٌّ، يومَ قُتل، ابنَ ثمان وثلاثين سنة.

وفيها، ظهر محمّد بن عبد الملك الطّويل فى الثغر، ودخل حصن بَرْبَشْتر وحصن القَصْر وحصن بَرْبَطانِيَة.]

وفى سنة ٢٩٥، كان غزاة أبان ابن الإمام عبد الله [— رحمه الله — بالصائفة] الى جهة رَيّة؛ وقاد [الخيل] (أبو العبّاس) [أحمد بن محمّد] بن أبى عَبْدة؛ [فقصد بُبَشْتر، وحارب ابنَ حفصون، ونكاه، وأنزل به؛ وحارب ما حوالَيْه من الحصون.] ١٤٨.

وفيها، غدر [سعيد بن الوليد المعروف بـ] ابن مَسْتَنَة، وتخلّى عن حصن بَلْدة الى [عمر] بن حفصون، وظافره، وأبدى ما كان بضميره من العصيان.

---

1) G. مشاور. 2) Lecture douteuse; peut-être هرين.

[وفيها، ولي المدينة محمّد بن عُبَيْد الله بن أبي عثمان، وذلك يوم خميس؛ فاستعفى عنها، فأُعفي يوم الجمعة ثاني ولايته، وولي مكانَه عليُّ بن محمّد المعروف بالباسُهْ، وكان عليها ثلاثة أيّام. ثمّ عُزِل وأُعيد إليها موسى بن حدَيرْ، فكان والياً عليها الى آخر أيّام الإمام عبد الله، وأقرّه أمير المؤمنين — رحمه الله — الى سنة ٣٠٣.

وفيها، دخل محمّد بن عبد الملك الطّويل حصن مَنْتِشُون ومدينة لَارِدة في المحرّم.

وفيها، دخل محمّد بن عبد الرحمن التُّجيبيُّ مدينة شَبْة.

وفيها، خرج محمّد بن عبد الملك الطّويل الى بَرْبَطَانِيَة، فافتتح حصوناً جمّةً، وسبى سبياً كثيراً.

وفيها، توفّي الفقيه يحيى بن عبد العزيز بن الخرّاز، والفقيه محمّد بن غالب ابن الصفّار، ومحمّد بن يحيى بن أبي غسّان صاحب السوق. وولي أحكامَ السوق يحيى بن سعيد بن حسّان. وفيها، توفّي موسى بن محمّد بن موسى بن قُطَيْس الخازن.]

وفي سنة ٢٩٦، كان غزو أبان [ابن الإمام عبد الله بالصائفة الى حصون رَيّة وغيرها.] وقاد الخيل معه أحمد بن محمّد بن أبي عَبْدة؛ فقصد ناحية بُبَشْتر، [ونازل ابن حفصون، وحاربه ونكاه]؛ وتحرّك عيسى بن أحمد [القائد غازياً] الى حصون سعيد بن مَسْتَنة؛ [فنازَلَه أيضاً]، حتى قتل القائد أحمد ابن محمّد من بُبَشْتر. ثمّ نازل حصن لُكّ من حصون ابن مَسْتَنة؛ فأقام عليه P. ١٤٦ •حتّى افتتحه.

[وفيها، خرج محمّد بن عبد الملك الطويل الى بَلْبَارِش في شهر رمضان؛ فقتل هنالك مقتلةً عظيمةً. ووفد عليه رُسُلُ أهل حصن رُوطة، يرغبون الصلح ويسمحون بالرهائن والجزية؛ فلم يجبهم الى ذلك؛ فخرجوا هاربين من الحصن،

وأخلوه. وتقدّم إليه، فهدمه. وفيها، تغلّب على حصن مُنت طَرْوَش، وهو المعروف بجبل الحجارة.

وفيها، توفّى محمّد بن سليمان بن تَلِيد المَعَافِرىّ قاضى مدينة وَشْقة. وفيها، توفّى عُبيد الله بن محمّد بن أبى عَبْدة؛ وكان حجّ قبل وفاته بثلاثة أعوام، هو ويحيى بن سعيد بن حسّان صاحب السوق. وفيها، توفّيت السيّدة ابنة مُطَرِّف ابن الأمير عبد الرحمن بن الحَكَم — رحمهما الله —. وفيها، توفّى أحمد بن حفص بن رفاع الفقيه المُقْرِئ.]

وفى سنة ٢٩٧، [كان غزو العاصى ابن الإمام عبد الله — رحمه الله — الغزاة المعروفة بغزوة رَيّة وفِرّيرة. وقاد الخيل أحمد بن محمّد بن أبى عَبْدة. وفصل يوم الخميس لتسع بقين من شعبان؛ فتقدّم الى بَلْدة؛ فحاربها. ثمّ احتلّ على نهر طَلْجِيرة؛ فدارت بينه وبين أصحاب ابن حفصون حربٌ، عُقِرت فيها خيلُ السلطان، وقُتل عددٌ من أصحاب ابن حفصون. ثمّ تقدّم الى حصون إِلْبيرة؛ فنزل على حصن شُبيلَش؛ فكانت هنالك حربٌ شديدةٌ، ونالت بعضَ حُماة العسكر جراحٌ. وتجوّل فى كورة إِلْبيرة، وحلّ بمحلّة بَجّانة؛ ثمّ نزل على كُورة جيّان؛ فنازل حصن المُنْتُلون يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى القعدة؛ فأقام عليه محاصراً أيّاماً؛ ثمّ ضحّى فيه يوم الأحد، وقفل يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجّة، ودخل قُرْطُبة يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خَلَتْ من ذى الحجّة.

وفيها،] افتُتحت يَابسة؛ واستُنْزِل منها محمّد بن يحيى بن سعيد [ابن بَزِيل.] ١٥٠ ر.

*(وفيها، كان سيلٌ عظيمٌ غرقت منه أركانُ بيت الله الحرام، وفاضت بئرُ زَمْزَم؛ ولم يُرَ مثلُ هذا السيل فى قديم الأزمان.)

وفيها، اجتمع [عمر] بن حفصون، و[سعيد] بن مَسْتَنَة، و[سعيد] بن هُذَيْل، وضمّهم عسكرٌ واحدٌ؛ فضربوا بناحية جيّان وأغاروا؛ فأصابوا وغنموا[1]،

1) *Bayān*: وأخذوا المواشى والدوابّ.

وانصرفوا الى حصن جريشة ؛ فأتبعهم القائد أحمد بن محمّد بن أبى عَبْدة ؛ فلحقهم، وهزمهم، وقتل جماعةً منهم، [فيهم تسريل العَجَمىّ، من قُوّاد ابن حفصون.]

[1]وفيها، افتتح القائد أحمد بن محمّد بن أبى عَبْدة حصن الزبيب، وابتنى حصن ترضيض تضييقاً على ابن هُذَيْل، وحصّن قلعة الأشْعَث، ووضع فيه نَدْباً من الرجال. وشتّى القائدُ هذه السنة بجبل ارسش[2] من كُورة قَبْرة. وكانت له فى هذه الشتوة حَرَكات بالّغت فى نِكاية أهل النفاق[1].

[وفيها، خرج محمّد بن عبد الملك الطويل الى بار بَنْلَيَارش ؛ فافتتح حصن أورْيُوالة، وأصاب من المشركين ثلاثمائة سبيّة، وقتل كثيراً منهم، وهدم الحصن وحرقه. وتقدّم الى حصنَىْ غَلْنَيْر والغيرّان ؛ فهدمهما. وكان مبلغ الفَىْء فى هذه الغزاة ثلاثة عشر ألفاً.

وفيها، قتل إبراهيم بن حجّاج ابنَ عمّه أحمد بن سيد بن عمر بن عُمير، وهو ابن خمس وأربعين سنة.

وفيها، وذلك يوم الخميس لسبع بقين من ذى الحجّة، اعتقل موسى ابن محمّد بن حُدَيْر صاحب المدينة إبراهيمَ ومحمّداً وسعيداً بَنِى الأمير محمّد — رحمه الله — وابن أخيهم محمّد بن عبد الملك ابن * الأمير محمّد — رحمه الله — P. ١٥١ وحبسهم فى دار مُطَرِّف ابن الأمير عبد الله. وكان سببُ ذلك انّ الإمام عبد الله — رحمه الله — عهد اليه ألّا يترك أحـداً يجوز القنطرة إذا كان له خروجٌ للصيد. وكان يصيد الإمام فى تلك الجهة بعدوة النهر. فخرج الإمام فى هذا اليوم متصيّداً. وخرج هؤلاء من المدينة متروّحين ؛ فردّهم واعتقلهم. فلما انصرف الأمير — رحمه الله — من صيده أُنهِى اليه أمرُهم وما فعله فيهم ؛ فاستحسن ذلك منه، وشكر له، وعهد اليه بإطلاقهم.]

---

1—1) *Bayân*: وشتّى القائد. وفيها، بنى القائد أبو العبّاس على ابن هذيل حصن مرصيص.

2) *Muqtabis*, éd. Antuña, p. ١٤٦: جبل اروس. Il faut lire probablement بقلعة ارش برّية. أيْرُش.

وفى سنة ٢٩٨، خرج العاصى ابن الإمام عبد الله [رحمه الله] بالصائفة. وقاد الخيل أحمد بن محمّد بن أبى عَبْدة؛ [فتقدّم] الى [حصن] بُبَشْتر وغيره من حصون الساحل [بكورة رَيّة. ثمّ تقدّم بالعسكر الى كُوَر إلْبيرة؛ فحطم زرعها، وهشم ثمارها.]

وفيها، [أقام عيسى بن أحمد بن أبى عَبْدة فى قطيع من الخيل بمدينة بَيّانة؛ ف]ـأغار [عمر] بن حفصون و[سعيد] بن مَسْتَنة فى بسيط قَبْرة وقُرَى قرطبة، (وأخذوا الغنائم؛) فخرج عيسى بن أحمد طالباً لهما؛ [1] فالتقى بهما على نهر أُلْيَة؛ فدارت بينهم حربٌ شديدةٌ، وانهزم عمر بن حفصون وابن مَسْتَنة؛ فقُتل من أصحابهما خلقٌ كثيرٌ، وافترقوا أيادِى سَبَا. وبعث عيسى بن أحمد من رؤوسهم عدداً كثيراً [1].

[وفيها، غزا الوزير عبّاس بن عبد العزيز الى مدينة قَلْعة رَبَاح؛ وكان أهلُها قد خالفوا، وخلعوا الطاعة؛ فافتتحها. وكان فَضْلُ بن سَلَمة، خَتَنُ سعيد ابن مَسْتَنة، قد خالَف بحصن •أشَر؛ فتقرّب أهلُ حصن أشَر بقتله الى الإمام عبد الله — رحمه الله! — فقدِم منهم قومٌ برأسه الى باب السُدّة؛ فشكر لم ذلك. P. ١٥٢

وفيها، خرج عبّاس بن أحمد بن أبى عَبْدة قائداً على خيل كثيفة الى المُنْتِلُون لحرب سعيد بن هُذَيل. وفيها، تَدَاعَى البَرْبَرُ الطُّنْجيُّون الذين كانوا غزوا مع القائد أحمد بن محمّد بن أبى عَبْدة الى النزوع الى مدينة بَلْدة الى ابن حفصون؛ وتداعى الطُّنْجيُّون الذين كانوا مع عبّاس بن أحمد على المُنْتِلُون الى النزوع الى ابن هُذَيل؛ فخرجوا عن العسكر، ولحقوا بأهل الكفر والخلعان. ثمّ دارت الدائرة على هؤلاء وهؤلاء فى الموضعَيْن جميعاً لأمور أحدثوها، واستدرجهم الله — عزّ وجلّ — بها؛ فقُتلوا ببُبَشْتر والمُنْتِلُون. وعاد من بقى منهم الى الطاعة. وكان صاحب الصائفة العاصى ابن الأمير عبد الله؛ وكان

---

[1]—[1] Bayan: فأدركهم وهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ لواءهم وافترقوا على غير طريق.

فصوله لهذه الغزاة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلـة خلت من شعبان، وهو يوم النصف من أبْرِيل. وكانت فى هذه الغزاة أمراضٌ ووباء.

وفيها، خرج محمّد بن عبد الملك الطّويل الى أرْغُون يريد بَنْبَلُونة وأن يجتمعَ هنالك مع عبد الله بن محمّد بن لُب. فانتهى الى حصن البَرْبَر، فأحرق ما حوالَيْه، وهدم كنائسَ تلك المواضع، وذلك فى شهر رمضان. وعرج عن ملاقاة ابن لُبّ وعن القَصْد الى بَنْبَلُونة، وانصرف، فاحتلّ حصناً من حصونه يُعرف بشار قشتيلُه، فأنذر بأنّ ابن شانْجُه يريد الهجم عليه، فخرج فى بعض أصحابه متسلّلاً. فلمّا أيقن أهلُ العسكر بهروب ابن الطّويل، تخاذلوا، فكان سبباً لانهزام أهل الحصن. فلمّا بلغ عبدَ الله بن لُبّ الخبرُ، وانّ ابن الطّويل كعّ عن ملاقاة شانْجُه، نزل بمن معه من المسلمين على حصن لوازة من حصون شانْجُه، فقتل *جماعةً منهم وكرّ راجعاً، فالتقى ببعض الخيل التى كان فيها شانْجُه، فقتل فيهم وسبى. P. ١٥٢

وفيها، استُشهد إبن أبى الخُصَيْب التُطيلى، واسمه نِعْم الخَلَف، وكان نبيلاً أديباً، وفقيهاً محدِّثاً.

وفيها، مات إبراهيم ابن الإمام محمّد - رحمه الله - وفيها، توفّى معاوية ابن محمّد بن هشام القُرَشى، وعثمان ابن الأمير محمّد - رحمه الله -، ومُطَرِّف ابن أحمد بن مُطَرِّف ابن الأمير عبد الرحمن - رحمه الله -، وأبان بن عبد الملك ابن الأمير عبـد الرحمن - رحمه الله -. وفيها، توفّى محمّد بن أميّة بن عيسى بن شُهَيْد الوزير، صاحب المدينة. وفيها، توفّى سعيد بن عبد الرحيم الشَّنْذُونى الكاتب، وأبو يحيى يزيد بن محمّد التُجيبى الخازن، وموسى بن العاصى بن ثَعْلَبة، وأبو مروان عُبيد الله بن يحيى بن أبى عيسى، وأصبغ بن عيسى بن فُطَيْس، وإبرهيم بن حجّاج صاحبُ إشبيلية، وهـو ابن ثلاث وستّين سنة، وعمر بن قُومِس الكاتبُ، وريّان الفَتَى صاحب الطِّراز، وأفلح الوصيـف.]

[وفى سنة ٢٩٦، كان غزاة القائد أحمد بن محمّد بن أبى عَبْدة الى حصن مـنْتَجَالَة من حصون ابن هُنَيْل، بالقرب من جبل المُنْتِلُون، وذلك فى صدر المحرّم؛ فحاصره أشدّ الحصار، حتّى افتتح الحصن.

وفيها، غزا بالصّائفة أبان ابن الإمام عبد الله – رحمه الله – وقاد الخيل عبّاسُ بن عبـد العزيز الوزير. وفصل يوم الاثنين لتسع بقين من شعبان، وقصد حصن بُبَشْتَر، وحارب ابن حفصون، وأوقع به. ثمّ خرج بإثره أحمد ابن محمّد بن أبى عَبْدة؛ فتولّى القيادة مكانه، واستقدم عبّاس بن عبد العزيز الى قرطبة؛ فقصد القائد حصون ابن حفصون، وحارب من كان فيها.]

وفى هذه السّنة، كُسفت الشّمس [1] [جميعاً قبل وقت الغروب، وذلك يوم الأربعاء لليلة بقيَتْ من شوّال؛] وظهرت النّجوم. وبدر أكثر أهل المساجد؛ فأذّنوا لصلاة المغرب، وصلّوا. ثمّ انجلى ذلك، وعادت الشّمس مُضيئةً. ثمّ توارت للمغيب [2].

[وفيها، خرج محمّد بن عبد الملك الطّويل الى وادى بَرْشِلُونة؛ فأغار بوادى طَرّاجة. فخرج عليه العِلْج شُنير [3]؛ فأخذ عليه المضايق. فلمّا كرّ عسكر المسلمين، ألفوا أعداء الله على تلك المضايق؛ ففتح الله للمسلمين عليهم، وقتلوا فيهم مقتلةً عظيمة.

وفيها، توفّى عبد الله بن أبى زيد صاحبُ الخيل. وفيها، توفّى أصبَغ بن مالك الزّاهد الفقيه. وفيها، هلك العِلْج إذْفُنْش؛ وكانت مدّة أيّامه أربعاً وأربعين سنة؛ وولى ابنه غَرْسِيَة مكانه.]

---

1) Le *Bayān* place cette éclipse sous l'année précédente.

2) *Bayān*: وعمّت الظلمة وصلى أكثر الناس المغرب؛ ثم انجلت الشمس وأضاءت قدر نصف ساعة قبل؛ ثم توارت.

3) G. سنته.

## شأن ابنَى الأمير عبد الله، محمّدٍ ومُطَرِّفٍ

(كان الأمير عبد الله قد رشّح ابنه محمّداً لولاية عهده، وآثره بما عنده؛ فعظُم الأمر على أخيه مُطَرِّف، وبعُد ما بينهما كلَّ البُعْد، وقابَلَ الواحد الثانىَ بالهجران والصّدّ. فوجد مُطَرِّفٌ يوماً فارساً من فرسان محمّد؛ فاغتاله وقتله؛ ثمّ فَرِقَ من أبيه عبد الله وحَذِرَ سطوتَه، ولم يأمن صولتَه؛ فسار الى السجن وفتقَه، وحلّ مَنْ شَدّه أبوه وأوثقَه، وخرج بمن فيه من أهل الذّعارة والفساد، ولحق ببَزْنَشْتَر قاعِدة أهل الضلال والعناد، وصار عند ابن حفصون، فى حِرْز من الأمن مَصُون. ثمّ إنّ الأمير عبد الله أباه خاطَبَه بالأمان، وقال: «بِئْسَ الإسْمُ الفُسُوقُ بعـد الإيمان![1]» فقبل من أبيه، وانصرف الى أهله وذَويه. ولم يزل بعد ذلك مُطَرِّفٌ يُغْرِى بمحمّد إغراءه، ويطوى له عداوةً وبَغْضاءه، ويزعم أنّه يخاطِب ابن حفصون ويداخِله، • ويداهنه على القيام على أبيـه ويواصِله. فسجن الأمير عبد الله ابنَه محمّداً فى دار البَنِيقة، وامتحن خلالَ ذلك عين الحقيقة. فلمّا واصل فى البحث صباحَه ومساءه، لم يقْرَعْ سمعَه من جهته ما ساءه؛ فأسرع إطلاقَه، وحلّ وثاقَه؛ فدخل مُطَرِّفٌ إليه، وأجهز في الحين عليه، وتركه متخبِّطاً فى دَمِه، مُلْقًى على وجهه وفمه. فلمّا علم ذلك الأمير عبد الله، أعظَم ذلك منه، وهمّ بقتله عنه؛ فلم يعدِم من كَسَّرَ عليه لذلك؛ فتركه. وقيل: قتله فيه: والله أعلم. وكان ذلك فى سنة ٢٧٧[2].

P. ١٥٥

## شأن القاسم، أخى الأمير عبد الله

كان الأمير عبد الله قد اتّهم أخاه بالقيام عليه في المُلْك، وإيراده مَوارِد الهُلْك. فلمّا كثر بذلك الرّفع اليه، وتتابع الكلام فيه عليــه، رأى بمقتضى الرياسـة، وحُكْم التدبير والسياسة، أن يحبسـه فى دار البَنِيقة من القصر، حتّى

---

1) Cor., XLIX, 11.   2) A. et B. ٢٩٧.

يكشف من هذا الأمر. ثمّ نقله منها الى حبس الدُّوَيْرة؛ فمُنِع النّوم هنالك؛ فأرسلت لـه أمّهٌ مُرْقِداً لذلك، وأمَرَتْه أن يقسمه على ثلاثة أيّام؛ فشرب الجميع فى يوم واحد؛ فأصبح رَهْنَ الحِمَام.)

وفى سنة ٣٠٠، كـان وفاة الإمام عبد الله [بن محمّد] - رحمه الله - [ليلة الخميس] مستهلّ ربيع الأوّل، وهـو ابن اثنين وسبعين سنة. وكانت خلافتهُ خمساً وعشرين سنة، وخمسة عشر يوماً. [ودُفن فى قصر قُرْطُبَة مع أجداده الخُلَفاء - رضى الله عنه وعنهم! - وصلّى عليه أمير المؤمنين عبد الرحمن ابن محمّد - رضَه.

صِفة الإمام عبد الله بن محمّد: كان أبيض، أصهب، مُشْرَباً بحُمْرة، أزرق اقْنَى بخِضَّب بالسّواد، ربعةً الى الطول، عظيمَ الكَرَادِيس. ٥٦،

تسميةُ أولاد الإمام عبد الله: ممّن وُلد له قبل الخلافة: محمّد ابـو أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمّد - رحمهما الله -، أمّه: دُرّ؛ وأحمد، أمّه: تمام؛ ومُطَرِّف، وسليمان، أمّهما: غِزْلان؛ وأبان، لأمّ وَلَد تسمّى شأن؛ وعبد الرحمن؛ وعبـد الملك؛ والسيّدة؛ وعائشة؛ والسيّدة أخرى، أمّهنّ: غِزْلان؛ وهَشِيمة، أمّها: قُرَيْش؛ وأسماء، أمّها فتيان؛ وحَكِيمة، أمّها: مَلَك؛ والبَهَاء، أمّها: دُرّ؛ وفاطِمة، وكانت أسنّ ولده. وممّن وُلد له بعد الخلافة: العاصى لمُسْتَظْرَف، وعبد الرحمن لخَدِيع، ومحمّد الأصغر، وأحمد الأصغر، أمّهما: مَلْحة، ورُقيّة، وزينب لمَلْحة، وفاطمة لماجن، وزينب لشارِق، وفاطمة الصُّغْرَى لدُرّ.

ذِكْرُ حُجّابه ووزرائـه وكُتّابه وأصحاب شُرَطه: ألفى الإمامُ عبـد الله على الحجابة وقتَ وفاة الإمام المُنْذِر - رحمهما الله - عبد الرحمن بن أميّة بن شُهَيْد، فأمضاه عليها؛ ثمّ عزلـه، وولّى مكانَه سعيد بن محمّد بن السّليم؛ ثمّ عزله، ولم يُوَلّ بعده الحجابة أحداً. والوزراء: بزّاه بن مالك القُرَشى؛ عبّاس ابن عبد العزيز القُرَشى؛ سعيد بن محمّد بن السّليم؛ عبد الملك بن عبد الله

ابن أمية. وقاد الخيلَ بالصوائف عُبيدُ الله بن محمّد بن أبي عَبْدة. وولى الكتابة أحمدُ بن محمّد بن أبي عبْدة. وقاد بالصوائف سلّمة بن علىّ بن أبي عَبْدة؛ عبد الرحمن بن حَنْدُون بن أبي عَبْدة؛ حَفْص بن محمّد بن بَسِيل. ولى المدينة مع الوزارة محمّد بن وليـد بن غانِم. ولى المدينة مع الوزارة أصبغ بن عيسى بن فُطَيْس؛ عبد الله بن محمّد الزجّالىّ، وكان كاتباً ووزيراً؛ سليمانُ بن محمّد بن وَانْسُوس؛ أحمد بن هاشِم. وقاد الخيل جَعْفَر بن عبد الغافر. وقاد الخيل العاصِى بن عبد الله بن ثَعْلَبة؛ تَمّام بن عمرو بن عَلْقَمة (وكان وزيراً لثلاثة من الخلفاء)؛ عبد الله بن حارِث بن بَزِيع؛ إبراهيم بن خَيِير؛ محمّد ابن أمية بن شُهَيْد. وولى المدينة نَصْر بن سلَمة، وولى القضاء موسى بن زِيَاد؛ وولى الكتابة والشُرْطة والقضاء. ومن أصحاب الشُرَط موسى بن زِيَاد، ثمّ ولى مكانَه، لمّا ولى القضاء، يحيى بن زِيَاد عمّـه؛ ثمّ مات يحيى بن زِيَاد، وبقيت الشُرْطة دون والٍ سنتين؛ ثمّ وليها قاسم بن وليد الكَلْبىّ؛ فبقى عليها حتى توفى الإمام — رحمه الله!

P. 157

ومن كُتّابه: عبد الله بن محمّد الوزير؛ عُبيد الله بن محمّد بن أبي عَبْدة؛ موسى بن زِيَاد. ومن قُضاته: النّضْر بن سَلَمة القَيْسىّ؛ ثمّ موسى بن زِيَاد؛ ثمّ محمّد بن سَلَمـة أخو النَّضْر؛ ثمّ أُعِيدَ النَّضْرُ بن سلَمة ثانيةً؛ ثمّ عُزِل ووُلِى محمّد بن سَلَمة؛ ثمّ مات، وولى بعده أحمد بن محمّد بن زِيَاد اللخمىّ.]

## بعض أخبار الأمير عبد الله بن محمد — رحمه الله — على الجملـة[1]

كان الإمام عبد الله مُقْتَصِداً، يظهر ذلك فى مَلْبَسه وشكله وجميع أحواله. وكان حافظاً للقرآن، كثير التلاوة له. وكانت لـه صدقات كثيرة ونوافل

1) G. ذكر فضائله رحمه الله.

جزيلة. وكان) مُتقدِّماً فى وَرَعه وفضله، مُحبًّا للخير وأهله، [كثير الصّلاة،] دائم الخشوع والذكر الله [عزّ وجلّ،] كثير التواضُع، [منكراً للسرف ومبعدًا لأهله،] شديد الوطأة على ذَوِى الظلم والجور. [وكان] مُتَفَنِّناً فى ضروب العلوم، [بصيراً بلُغات العَرَب،] فصيحَ اللسان، حسنَ البيان [وكان لا يخلو فى أكثر أيامه من مُقاعدة وزرائه ووجوه رجاله؛ فإذا انقضى خوضُهم فى الرأى والتدبير لأسباب مملكته وما كان يحاوله من حسم علل الفتنة، خاض معهم فى الأخبار والعلوم. ولم يكن ممّن اشتغل بلَذّة، أو قارَفَ شيئا من الأنبذة فى أيام خلافته ولا قبلها. وهو ابتنى الساباط بين القصر والجامع بمدينة قُرْطُبة، رغبةً فى ٥٨ شهود الجمعة، ومحافظةً على الصلوات، وحُبًّا للصالحات. وكان يقعد فى الساباط قبل صلاة الجمعة وبعدها، فيرى الناس، ويشرف على أخبارهم وحركاتهم، ويسرّ بجماعاتهم، ويسمع قول المتظلّم، ولا يخفى عليه شئٌ من أُمور النّاس. وكان يقعد أيضاً على بعض أبواب قصره فى أيامٍ معلومةٍ، فتُرفع اليه فيه الظلامات، وتَصل اليه الكُتُب على بابٍ حديدٍ قد صنع مُشَرَّجاً لذلك؛ فلا يتعذّر على ضعيفٍ إيصالُ بطاقةٍ بيده، ولا إنهاء مظلمةٍ على لسانه. وكان أهل المكانات وذَوو المنازِل والأقدار يتحفّظون من كلّ أمر يوجب الشكوى بهم، وينقبضون عن التحامُل على مَنْ دونهم، ويهابون عقابه، ويحذرون إنكاره، ويتحرّون موافقة مَذاهبه. وكانت اللذّات مهجورةً فى أيامه، واللهوُ غيرَ مقترفٍ من جميع خاصّته وعامّته، وإعمالُ الخير وإظهارُ البِرّ والتقوى فاشٍ فى كلّ طبقة من رجاله ورعيّته. وكان — رحمه الله — كثير الاستغفار لله عزّ وجلّ، ومتحفّظاً من اليمين باسمه؛ فإذا حلف له حالِفٌ بالله، صدّقه؛ وإذا شفع به اليه شافعٌ، شفعه؛ أو خائفٌ، أمّنه؛ أو مذنبٌ، صفح عنه. ومآثِرُه كثيرةٌ، وفضائلُه محفوظةٌ مذكورةٌ.] وكان قد فتح باباً فى القصر، سمّاه باب العَدْل. وكان يقعد فيه للناس يوماً معلوماً فى الجمعة، ليُباشِرَ أحوال النّاس بنفسه، ولا يجعل بينه وبين المظلوم ستراً. وكان بصيراً باللُّغات، حافظاً لأشعار العَرَب وأيّامها وسِيَرِ الخُلفاء،

راويةً للشعر. وكانت اللذّات فى أيّامه مهجورةً؛ فانّه لم يشرب قطُّ نبيذاً ولا مُسْكِراً. واعتذر اليه يوماً بعضُ مواليه؛ فقال له: «إنّ مَخَايِلَ الأمور لَتَدُلُّ على خلاف قولك وتُنْبِئُ عن باطل تنصُّلك. ولو أقررتَ بذنبك، واستغفرتَ لجُرْمك، لكان أجْمَلَ بك، وأشْكَلَ لستر العفو عليك!» فقال: «قد اشتمل الذنبُ عليّ، وحاقَ الخطاء بي! وإنّما أنا بَشَرٌ، وما يقوم لى عذرٌ!» فقال: «مَهْلاً عليك، رُوَيْداً بك! تقدّمَتْ لك خِدْمَةٌ، وتأخّرَتْ لك تَوْبَةٌ؛ وما للذنب بينهما مَدْخَلٌ. وقد وَسِعَك الغُفْران!»

P. ١٥٦

وأملى كتاباً الى بعض عُمّاله: «أمّا بعدُ، فلو كان نَظَرُك فيا خَصَصْناك به، واهتبالُك به على حَسَب موازَرَتك بالكُتُب واشتغالك بذلك عن مُهِمّ أمرك، لكُنْتَ من أحسن رجالنا عَناء، وأتَمِّهم نظراً، وأفضَلِهم حزماً. فأقْلِلْ من الكُتُب فيا لا وَجهَ له ولا نَفْعَ فيه، واصرِفْ همّتَك وفكرتَك وعنايتك الى ما يبدو فيه اكتفاؤك، ويظهر فيه غِناؤك، إن شاء الله!»

وكتب أحَدُ الوزراء اليه كتاباً فى أمر. فوقّع فيه [خفيف]:

أنتَ يا نَضْرُ آبِدَةْ      لَسْتَ تُرْجَى لِفائِدَةْ
إنّما أنتَ عُدّةٌ      لِكَنيفٍ ومائِدَةْ

وكان — رحمه الله — تَقِيّاً نَقِيّاً. بنى الساباط من القصر الى الجامع، محافَظَةً منه على الصلوات. والتزم الصلاة مع الجماعة الى جانب المِنْبَر دائماً حتّى لقى ربّه. وكان — رحمه الله — شاعراً مطبوعاً؛ له أشعارٌ حسان. فمن قوله يتغزّل فى صِباه [منسرح]:

وَيْحِى عَلَى شادِنٍ كَحِيلٍ      فى مِثْلِه يُخْلَعُ العِذَارُ
كأنّما وَجْنَتَاهُ وَرْدٌ      خالَطَهُ النَّوْرُ والبَهَارُ
قَضِيبُ بَانٍ إذا تَثَنَّى      يُدِيرُ طَرْفاً بِهِ احْوِرَارُ
فَصَفْوُ وُدِّى عليه وَقْفٌ      ما اطَّرَدَ اللَّيْلُ والنَّهارُ

ومن قوله أيضاً فى مثل ذلك – رحمه الله – [رجز]:

يَا مُهْجَةَ المُشْتاقِ ما أَوْجَعَكْ ... ويَا أَسِيرَ الحُبِّ ما أَخْضَعَكْ
ويَا رَسُولَ العيْنِ مِنْ لَحْظِها ... بالرَّدِّ والتَّبْلِيغِ ما أَسْرَعَكْ
تَذْهَبُ بالسِّرِّ فَتَأْتِى بِهِ ... فى مَجْلِسٍ تَخْفَى عَلَى مَنْ مَعَكْ
كَمْ حاجةٍ أَنْجَزْتَ أَسْرارَها ... تَبَارَكَ الرَّحْمانُ مَا أَطْوَعَكْ[1] ١٠

ومن قوله فى الزُّهْد [كامل]:

يا مَنْ يُراوِغُهُ الأَجَلْ ... حتّى مَ يُلْهِيكَ الأَمَلْ
حتّى مَ لا تَخْشَى الرَّدَى ... وَكَأَنَّه بِكَ قد نَزَلْ
أَغْفَلْتَ عن طَلَبِ النَّجَاةِ ... ولا نَجَاةَ لِمَنْ غَفَلْ
هَيْهَاتَ يَشْغلك المُنَى ... وَلَمَا يدومُ لَكَ الشُّغَلْ
فكأَنَّ يَوْمَك لم يَكُنْ[2] ... وكأَنَّ نَعْيَك قد نَزَلْ

وله أيضا فى الزُّهْد [وافر]:

أَرَى الدُّنْيَا تَصِيرُ الى فَنَاء ... وَمَا فيها لشىء[3] من بَقَاء
فبَادِرْ بالإنَابةِ غَيْرَ وَانٍ[4] ... على شَىْء يَصِير الى فَنَاء
كَأَنَّكَ قد حُمِلْتَ على سَرِيرٍ ... وغُيِّبَ حُسْنُ وَجْهِك فى الثَّرَاء
فَنَافِسْ فى التُّقَى واجْنَحْ اليه ... لَعَلَّك تُرْضِينَّ رَبَّ السَّماء

ولم يزل – رحمة الله عليه – يرفع مَنَار الدّين، ويسلُك سبيل المهتدين، لم تمنعه الفِتَنُ عن النظر لنفسه، والعَمَلِ ليوم فاقته وحُلولِ رَمْسه. وكانوا يَعُدُّونه من أصلح خُلَفاء بني أُميّة بالأندلُس، وأَمْثَلِهم طريقةً، وأَتَمِّهم معرفةً، وأَمْتَنِهم ديانةً، إلّا أنّه كان مُنَغَّص الحال بدَوَامِ الفتنة، وتضييقِ نِطاق الخِطّة، ونُقصانِ مقدار التركية، حتّى كان يتخلّله الرِّياء تحت قِناع تَقْوَاه. والبُخل يطوِّقه طبيعةً ليست له بحظٍّ من هواه، وغُمِصَ دينه لما كان من هوان الدّماء عليه، بسبب

1) Ce vers manque dans A. 2) قد أتى. 3) B. لحىّ 4) B. وارٍ.

الفتن الطارئة حتّى من ولدَيْه، آخذاً لأكبرهما بالظِنّة. وقد صرّح الفقيه أبو
P. 161 محمّد بن حَزْم بذَمّ هذا الأمير، وقال إنّه كان قتّالاً تَهُونُ عليه الدِّماء مع
كثرة إقباله على الخيرات، وإعراضه عن المنكرات؛ فإنه احتال على أخيه المنذر
على إيثاره له، وواطأ عليه حجّامه بأنْ سَمّ له المِبْضَع الذى فَصَدَهُ بـه، وهو
نازلٌ بعسكره على ابن حفصون. ثمّ قتل وَلَدَيْه معاً بالسيف واحداً بعد واحد:
قتل محمّداً والد الناصر لدين الله، وقتل أخاه المُطَرِّف؛ ثمّ قتل أخوَيْن له معاً
أيضاً: قتل هشاماً منهما بالسيف، والقاسمَ بالسمّ.) والله أعلم بحقيقة أمره.)

## خلافة أمير المؤمنين عبد الرّحمن بن محمّد الناصر لدين الله

(نَسَبُهُ: هو عبد الرحمن بن محمّد، الذى قتله أخوه مُطَرِّف، ابن الأمير عبد
الله بن محمّد بن عبد الرحمن بن الحَكَم الرَّبضىّ بن هشام الرِّضَى بن عبد
الرحمن الداخل. كُنيَتُهُ. أبو المُطَرِّف. لَقَبُهُ: الناصر لدين الله. أُمّه: أمّ وَلَد
تُسمّى مُزْنة [1]. عُمُرُه: ثلاث وسبعون سنة وسبعة أشهر. ولى فى اليوم الذى
تُوُفِّى فيه جدّه الأمير عبد الله وبويع فيه، وذلـك يوم الخميس مستهلّ ربيع
الأوّل سنة ٣٠٠. وتُوُفِّى يوم الأربعاء لليلتَيْن خلَتَا من شهر رمضان المعظّم
سنة ٣٥٠؛ فكانت خلافته خمسين سنة وستّة أشهر وثلاثة أيّام. صِفَتُه: أَبْيَضُ،
رَبعةٌ، أشْهَلُ، حَسَن الجسم، جميلٌ، بَهِىٌّ، يُخَضِّب بالسّواد.

قُضاتُه: أحمد بن محمّد بن زِيَاد؛ ثمّ عزله وولّى أسْلَم بن عبد العزيز بن
هاشم؛ ثمّ أحمد بن محمّد بن زياد ثانيةً؛ ثمّ أحمد بن بَقِىّ؛ ثمّ مُنْذِر بن
سعيد البَلُّوطىّ.

نَقْش خاتَمه: «عبد الرّحمن بقضاء الله راضٍ». وكـان أبوه ولىّ عهد
P. 162 أبيه عبد الله وأكبر بنيه؛ فقتله أخوه مُطَرِّف، وقتله أبوه بـه. وقيل فى
ذلك كلامٌ كثيرٌ.

---

1) B. مَزِيَة.

وكان مَوْلِدُ الناصر قبل قتل أبيه محمّد بأحد وعشرين يوماً، وذلك يوم الخميس لثمان بقين من رمضان سنة ٢٧٧. وكان جدّه الأمير عبد الله يحظيه دون بنيه، ويومى اليه، ويرشّحه لأمره، وربّما أقعده فى بعض الأيّام والأعياد مَقْعَدَ نفسه لتسليم الجُنْد عليه. فتعلّقت آمالُ أهل الدولة به، ولم يشكّوا فى مَصير الأمر إليه. فلمّا مات جدّه، أجلسوه مكانَه فى الخلافة دون وَلَده لصُلْبه[1]، لما أراد الله من ضخامة الملك ونصر الإسلام وإبادة الشِرْك، اتّفق له فى ذلك ما لم يتّفق لمَلِك قبله ولا بعده[1]. وكان يسكن القصر مع جدّه دونهم، فتهيّأ إجلاسه دونهم مكانَه بغير منازعة. وقيل إنّ جدّه رمى بخاتمه إليه إبانةً منه لاستخلافه.

فكان أوّلَ من بايَعه أعمامُه أولادُ الإمام عبد الله، وهُمْ: أبان، والعاصى، وعبد الرحمن، ومحمّد، وأحمد. وتلاهُمْ إخوةُ جدّه. وهُمْ: العاصى، وسليمان، وسعيد، وأحمد. وكان أحمد متكلّمهم. فلمّا بايَعَه، اثنى عليه بكلّ جميل.

والنّاصر هذا هو أوّلُ من تسمّى منهم بأمير المؤمنين، وتلقّب بأحد الألقاب السّلطانيّة، وهو «النّاصِر» ثمّ تسمّى منهم من كان بعده من خلفائهم بامْرة المؤمنين وآثر اللّقب السّلطانىّ، وذلك حين هاجت الخلافة العبّاسيّة، وضعفت، وظهرت الدّولة التركيّة والدَيْلَميّة، فصارت إمْـرة المؤمنين لائقةً بمنصبه، وكلمةً باقيةً فى عَقِبِه. فاستهلّ الخطيبُ بجامع قُرْطُبة أحمد بن بَقِىّ بن مَخْلَد، بذكر هذا الاسم المُخلّد، يومَ الجمعة [مستهلّ ذى الحجّة] من سنة ٣١٦. وفى يوم ولايته يقول أحمد بن عبد رَبِّهِ من قصيدة [بسيط]:

بَدَا الهِلَالُ جَدِيدَا   وَالمُلْكُ غَضٌّ جَدِيدُ
يا نِعْمَةَ اللهِ زِيدِى   فَمَا عَلَيْكِ مَزِيدُ[2]

وَوُلِّىَ، والأندلسُ جَمْرَةٌ تحتدم، ونـارٌ تضطرم شِقاقاً ونِفاقاً، فأخمد نيرانها، وسكّن زَلازِلَها، وغزا غزوات كثيرة. وكان يُشَبّه بعبد الرحمن الداخل، P. ١٦٣

1—1) Manque dans B.   2) *Corr.*, d'après Makkari: إن كان فيكِ مَزِيدُ.

ومن وقت دخوله الأندلس سنة ١٣٨ الى ولاية عبد الرحمن الناصر، مات من بني أمية سبعة خلفاء وعبدُ الرحمن ثامِنُهم؛ ومات في المدّة المذكورة من بني العبّاس إثنان وعشرون مَلِكاً.)

[وفي سنة ٣٠٠، استُخلف الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين عبدُ الرحمن ابن محمّد – رحمه الله – يوم الخميس مستهلّ ربيع الأوّل سنة ٣٠٠، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً. وكُنيتُه: أبو المُطرِّف. وأمّه: أمُّ وَلَد تسمى مُزْنة. وجلس [للبيعة] في مِحْراب المَجْلس الكامِل بقصر قُرْطُبة، وتولّى أخْذَها له على الخاصّة والعامّة بَـدْرُ بن أحمد مَوْلاه، وموسى بن محمّد بن حُدَيْر صاحبُ المدينة. وأحضر أعمامَه، وأعمامَ أبيه، وطبقات قُرَيْش، وصنوف المَوَالى، وعامّة الناس؛ فبايعوا مبايعةَ رِضىً واغتباط، بوجوهٍ متهلّلة، وصدور منشرحة، وألْسِنةٍ داعيةٍ شاكرةٍ لله – عزّ وجلّ – على ما قلّده من أمرهم، وأصاره إليه من رعايتهم. والذّبّ عن حرماتهم؛ قد استبشر جميعُهم بيُمْن نقيبته وإعتلاء همّته. ورَجَوْا ما قد حقّقه الله لهم من بَرَكة دولته، وصلاح الأحوال على يديه، وتجرُّده لاستِئْصال علق الفتنة، والتمهيد الطّاعة. وكان الخلاف قد عمّ أقطارَ الأنْدَلُس، وَطبق القاصِيَ والدانِيَ منها، واستولى أهـلُ النّفاق على كُوَرِها ومَعَاقِلِها بفترة طاوَلَتْهم، ومَهَلٍ تراخت أيّامُه بهم؛ فحسم الله – عزّ وجلّ – منه على يديه ما سيأتي الخبرُ عنه، وتتّصلُ الحكايةُ له.

وعهد – رحمه الله – بالكتاب ببيعته الى الكُوَر والأطراف. وولّى في يوم مبايعته بَدْراً مَوْلاه الحِجابةَ مـع الوزارة وخُطّةِ الخَيْل، الى ما كان إليه من خُطّة البُرُد. وولّى موسى بن محمّد الوزارة، إلى ما كان إليه من خُطّة المدينة. وكان على الكتابة عبدُ الله بن محمّد الزّجّالي؛ فأقرّه عليها، وأقرّ أحمد بن محمّد ابن أبي عَبْدة على القيادة؛ وأقرّ قاسم بن وَليد الكَلْبيّ على الشُّرْطة العُلْيا؛ وكان مع ذلك خازِناً؛ فصرّف الخزانة عنه وولاّها عبد الملك بن جَهْوَر. وولّى الخزانة أيضاً محمّد بن عُبَيْدة بن مُبَشِّر، ومحمّد بن عبد الله بن أبي عَبْدة. وعزل

عنها عيسى بن شُهَيد، وولّى مكانه سعيد بن سعيد بن حُدَيْر. وولّى عمر بن محمد ابن غانِم، وعبد الرحمن بن عبد الله الزَّجَالىّ، ومحمّد بن سليمان بن وانْسُوس خُطّة العَرْض. وولّى محمّد بن عبد الله الخَزْوِىّ خِزانة السِّلاح مع العقل، وحسين بن أحمد الكاتب خزانةَ السلاح أيضاً، ويحيى بن إسحاق ومَسْلَمة بن عبد القاهر المعروف بابن الشَّرْح. ثم ولّى - رضَه - عيسى بن أحمد بن أبى عَبْدة الشُّرْطة العُلْيا، وصرَّف عنها قاسم بن وَليد الكَلْبىّ، وولى فُطَيْس بن أصْبَغ خُطّة البَيَازِرة، وصرّفها عن الحاجب بَدْر بن أحمد، الى أعمال وخُطَط ولّاها مَن استحقّ عنه من مؤمّليه ووجوه مواليه.

وأخرج - رحمه الله - عبّاس بن عبد العزيز القُرَشىّ فى قطيع من الجُنْد الى بَرَابِر كَرْكَي وجَبَل البَرَانِس؛ وأخرج القائد أحمد بن أبى عَبْدة فى من ضمّ إليه من الجُنْد إلى كورة قَبْرة لمُعاجلة من كان فى هاتَيْن الجِهَتَيْن من أهل الشرّ والفتنة. فالتقى عبّاس بن عبد العزيز بالتَّنَج بن موسى بن ذى النُّون بقَلْعة رَبَاح؛ فهزمه، وقتل كثيراً ممّن كان انضوى اليه. وورد كتابُ عُبيد الله بن فِهْر عامِلِ قلعة رَبَاح يذكر ظفره بمحمّد بن أرْذَبِلْش بناحية عَمَله؛ وكان من العُصاة المفسدين؛ فقتله، وبعث برأسه؛ •وكان أوّل رأس رُفع لمارِق فى دولة أمير ١٦٥ ع المؤمنين - رحمه الله -، وذلك يوم الأحد لعشر خَلَوْن من ربيع الآخر. وبدت تباشيرُ الصُّنْع، ودلائلُ الإقبال على أوائل نظره - رحمه الله!

ولثمان بقين من ربيع الآخر، ولّى أميرُ المؤمنين - رضَه - أحمد بن محمّد ابن حُدَيْر الوزارة والقيادة؛ وكان قبل ذلك يَلِى الشُّرْطة الصُّغْرى. وولّى هذه الشُّرْطة محمّد بن محمّد بن أبى زيد. وأجرى الرِّزْق على عبد الرحمن وعبد الله ابنَىْ بَدْر الحاجب، وذلك لكلّ واحد منهما ثلاثون ديناراً وازنة. وولّى إسماعيل بن بَدْر كتابته خاصّةً، أرتبه لها. وولّى - رحمه الله - جَهْوَر بن عبد الملك الوزارة؛ وولّاها أيضاً عبد الله بن مُضَر. وولّى عبدَ الرحمن بن بَدْر الحَيْلَ، وعبدَ الله بن محمّد بن عبد الخالِق بن سَوَادة قضاء كُورة إلْبِيرة. وهو

أوّلُ قاضٍ خرج الى كُورة فى أيّامه – رحمه الله –. ولأربع بقين من ربيع الآخر، عزل أحمد بن محمّد بن أبى عَبْدة عن الوزارة والقيادة، وابنَه عيسى بن أحمد عن الشُّرْطة العُلْيَا، وصرّف إليها قاسم بن وَليد الكَلْبيّ؛ وعزل محمّد بن وليد ابن غانم عن الوزارة، وعمر بن محمّد بن وليد عن العَرْض.

وفى يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى، افتُتِحَتْ مدينةُ إسْتِجَة، ودخلها الحاجبُ بَدْر بن أحمد والوزير أحمد بن محمّد بن حُدَيْر؛ وكان أوّلَ موضع افتُتح فى أيّام النّاصر – رحمه الله –؛ وضُبطت المدينة، وهُدم سورُها. وبقى أحمد بن محمّد الوزير قائداً بها ومُسَكِّناً لأحوال أهلها. ووَلِيَ عمالتها حَمْدُون بن بَسيل.

وفى يوم السبت لسبع بقين من جُمادى الأولى منها، ولى الوزارة محمّد بن عبد الله بن أُميّة.

ولستّ خلَوْن من جُمادى الآخرة، طُلب رجلٌ من المفسدين، يُعرف بمحمّد ابن يونُس الجَيّانيّ: كان محبوساً فى أيّام الإمام عبد الله – رحمه الله –؛ فأطلقه أمير المؤمنين • الناصر – رضَه – بعد أن عاهد الله ألاّ يواقع منكراً؛ فنكث، وخرج يبغى الفساد فى أيّامه – رحمه الله!

ولتسع بقين من جُمادى الأخرى، عُزل أحمد بن محمّد بن زِياد عن قضاء الجماعة بقُرْطُبة، وعن الصلاة. لأمور أُنكرت عليه. وتولّى القضاء أسلَم بن عبد العزيز. والصلاةَ محمّدُ بن عمر بن لُبابة الفقيهُ.]

وفيها، كانت غزاة أمير المؤمنين – رحمه الله – الى مَعاقِل جيّان، وهى أوّلُ غزواته: [برز الناصر – رضَه – من قصر قُرْطُبة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من شعبان سنة ٣٠٠، وفصل غازياً الى كُورة جيّان يوم السبت لسبع خلون من رمضان بعد بروزه بثلاثة وعشرين يوماً. واستخلف فى القصر موسى ابن محمّد بن حُدَيْر الوزيرَ صاحبَ المدينة، وعبد الرحمن بن بَدْر، و]نهض

[رضّه] فى جيوش كثيفة وعُدَد كامنة [1]. [وكان قد نزع إليه قبل فصوله محمد ابن فَرْوة صاحبُ أَبذة فى جملة فرسانه؛ فتقبّلهم أحسنَ قَبول، وأنزلهم أتمّ إنزال؛ وصاروا فى جملة رجاله ومَن يضمّه عسكره. وسار – رحمه الله – لوجهه. فلمّا احلّ بحصن مارْتُش من عَمل جَيّان، ورده الخبر بمضايقة عمر بن حفصون لأهل حاضرة رَيّة، وأنّه [ط]مع نفسه عند تخاذُلهم بانتهاز الفُرْصة فيهم. فوجّه لتلافى ذلك سعيدَ بن عبد الوارث، فى قطيع من الجُنْد، وأمره أن يغذّ • السّير، ويطوى المراحل، حتّى يحتلّ مدينة مالَقة. ويقطع بابن حفصون ١٦٧ . عمّا كان رامه منها وأطمع نفسه فيها؛ فتوصّل القائد الى الموضع، وضبطه، وحمى تلك الجهة عن ابن حفصون وحزبه.

ونهض أميرُ المؤمنين – رحمه الله – الى حصن المُنْتِلُون واحتلّه يوم الأحد للنّصف من شهر رمضان؛ وحارب سعيد بن هُذَيْل فيه حتّى افتتحه يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت منه. وأنزل سعيد بن هُذَيْل من الحصن، وأوسعه الأمان. وولّى عمله محمّدَ بن عبد الوهّاب. ثمّ تقدّم – رحمه الله – الى حصون شُمُنْتان؛ فاستأمنه عُبيد الله بن أميّة بن الشالِيَة، وإسحاق بن إبراهيم صاحبُ مَنْتِيشة، وعُكّاشة بن مُخْصَن صاحبُ وادِى بنى عَبْد الله، وسَلَمة بن عَرّام صاحبُ بَجيلة، ومُنْذِرُ بن حُرَيْز صاحبُ بَقْتِويرة، وأَفْلَح بن عَرُوس صاحبُ بَكُور، وفَحْلُون ابن عبد الله صاحبُ سَسَانة؛ ونزلوا عن معاقِلهم إليه، وكلّهم مُذْعِنٌ بطاعته ومُحَكِّم فى نفسه؛ فأوسعهم أمير المؤمنين – رحمه الله – فضله، وألبسهم عَفْوه، وأخلى تلك المواضع منهم، وقدّم أولادهم ونساءهم الى قُرْطُبة. واستعمل فى الحصون ثقاتَ رجاله. واستنزل عبد العزيز بن عبد الأعلى من حصن الشارّة،

---

1) Le *Bayān* résume ainsi le récit qui suit: وافتتح [...]سم الأدواء، وقهر الأعداء، الحصون، وشدّ برجاله كلّ حصن افتتحه. واغتنم الداء فى كورة إلبيرة وتألّفت كلمتهم واستقامت طاعتهم. وقفل بعد استصلاح كورتَى إلبيرة وجيّان وما والاها ودخل قصره، وقد استتمّ فى غزاته اثنين وتسعين يوماً.

ودحُّون بن هشام. ثمّ انتقل – رحمه الله – منها الى كُورة إلبيرة. فلما احتلّها، تداعى أهـلُ حصون تاجُلة وبَنطَلة ومَرْبِيط والبَرّاجِلة والأَسْناد الى النزول والطوع، وأخلَوا حصونهم. فأحكم الناصر – رحمه الله – أمْـرَ ذلـك الجانب كلّه، وضبط المعاقِل برجاله، وأتقن الجميع بنظره. ثمّ انتقل – رحمه الله – الى حصون وادى آش؛ فأخلى أكثرُها رهبةً له، ونزل على حصن فِنيانة يوم الخميس لأربع خلون من شوّال؛ وكان فيه من شيعة ابن حفصون مَن أغوى أهله وأضلّهم؛ فتمنّعوا من النزول، ورجوا أن يعتصموا بوعر الحصن؛ فأحاطت P. ١٦٨ العساكرُ بهم، وأضرمت أرباضهم نارًا؛ •فضرعوا فى قَبول الإنابة، على أن يُسْلِموا من كان عندهم من شيعة ابن حفصون؛ فاجيبوا الى ذلك، وتُقُبِّض على أصحاب ابن حفصون، وشدّوا وثاقاً.

ثمّ انتقل أمير المؤمنين يتقرّى تلك المعاقِل بجهة بَشيرة وأجبُلها، حتّى توغّل بالعساكر فى جَبَل الثلج، وهو ممتنع السُّلوك؛ فجازه النّاسُ، ويسّر الله ذلك عليهم، وسهّله لهم. وافتتحت حُصون تلك الجهة، ولم يَبْقَ بها مَعْقِلٌ ممتنعٌ.

واتّصل بأمير المؤمنين – رحمه الله – انّ ابن حفصون أقبل فى جماعة أصحابه الى حاضِرة إلبيرة، طامعاً فى انتهاز الفُرْصة فيها. فأخرج عبّاس بن عبد العزيز قائداً نحوه. فلمّا قرُب من مدينة غَرْناطة، أقبل ابن حفصون لما كان رجاه وطَمِع به؛ فخرج أهْلُ إلبيرة واثقين بالمدد الذى وردهم، والقائدِ المصرِخ لهم؛ فهزموا ابن حفصون، وقتلوا جماعة من رجاله، وأسروا عمر بن أيّوب حنيذه. وجُرح أحد أولاده جراحاً أثخنته.

وتقصّى أمير المؤمنين – رحمه الله – ما كان بقي من معاقِل تلك الجهة، حتّى احتلّ بحصن شُبِيلَش؛ وكان من أعظم حصون ابن حفصون منعةً، وأصعبِها مراماً، وأوعرِها مكاناً؛ وإليه كان انضوى كـلُّ مُشْرِك تفلّت من الحصون المتقدّمة الذّكر فاحتلّت العساكرُ عليه يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من شوّال؛ فقطعت ثمارهم، واستهلكت زروعهم ومعايشهم؛ وحُوصروا خمسة عشر

يوماً، حتّى نادَوْا بالطّاعـة، وضرعوا فى قبول الإنابة؛ وأسلموا أصحابَ ابن حفصون الذين كانوا عندهم؛ فتلقّى ذلك أميرُ المؤمنين – رحمه الله – بالقبول، وأُخرج إليه جميع من كان فى الحصن من المشركين؛ فأمر بضرب رقابهم حتّى أُبيحوا عن آخرهم.

ثمّ أمّ – رحمه الله – مدينةَ شَلُوبينية، وفعل فيها مثل فِعْله فيما تقدّم ذِكْرُهُ؛ وضبط برجاله كلّ حصن افتتحه. وانحسم الداء فى كورة إلبيرة، وتألّفت كلمتُهم، واستقامت * طاعتُهم. وصدر – رحمه الله – قافـلاً على طريق حصن ٦٩ أُشْتَبِين[1] وحصن بِنّة قَرّاطة؛ وكانا قد أضرّا بأهْل غرناطة وحاضرة إلبيرة، وهما فى غاية الحصانة والمنعة. فنزلت الجيوش عليهما، وأحدقت بهما؛ وحُورِبوا أشدّ مُحاربة وأنكاها عشرين يوماً. ثمّ أُخِذَتْ عليهم الحصون وشحنت بالرجال. وقفل أمير المؤمنين – رحمه الله – بعد إيعابه النّظر فى كلّ ما تخص له من استصلاح امر كورة جيّان وإلبيرة وما والاها، ودخل القصر بقُرْطُبة يوم الأضحى؛ وقـد استتمّ فى غزاته اثنين وتسعين يوماً.

وفى هذه السّنة، توفّى هشام بن محمّد القُرَشِيُّ المعروفُ بابن الشّبَّانِسِيَّةِ.

وفى سنة ٣٠١، توفّى بإشبيلية عبد الرحمن بن إبراهيم بن حَجّاج صاحِبُها، فى المحرّم؛ فاجتمع أهْلُها على تقديم أحمد بن مَسْلَمة مكانَه؛ (وكان من الشُّجْعان.) فأخرج [أمير المؤمنين] النّاصرُ [– رحمه الله –] أحمدَ [بن محمّد] بن حُدَيْر [الوزير] قائداً نحوها؛ فكان أوّلَ مَن حاربَها وأوقع بأهلها. وكان محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج عند ذلك بمدينة قَرْمُونة؛ فقصد بابَ السُّدّة، وعرض نفسه [على أمير المؤمنين] لمُحاربة أهل إشبيلية. فأخرجه لذلك مع قاسم بن وليد الكَلْبيّ؛ وحاصراها شهوراً. ثمّ خرج إليها الحاجبُ بَدْر بن أحمد؛ فدخلها يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة، وهدم

1) G. أستين.

أسوارها، واستصلح أمور أهلها، وأخرج مع نفسه سعيد بن المُنْذِر عاملاً عليها.

[وفيها، ولى محمّدُ بن سليمان بن وَانْسُوس الوزارة. وولّيها أيضاً عيسى بن أحمد بن أبي عَبْدة. وولى محمّدُ بن عبد الله الخَرُّوبيُّ، ومحمّد بن أحمد بن حُدَيْر. وقُنْد الكبير، ودُرَىٌّ مَوْلَى الناصر خُطَّة العَرْض. وعُزِل عمر بن أحمد ابن فَرَج عن السّوق، وصُرِف النظرُ فيها الى محمّد بن عبد الله الخَرُّوبى؛ وذلك فى ربيع الآخر. وولى أحمد بن مَسْلَمة الشُّرْطة العُلْيا. واستقدم محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج من مدينة قَرْمُونة، وولى الوزارة، وقعد مع الوزراء يوماً واحداً. واستقدم سعيد بن المُنْذِر من إشبيلية، وولّيها قُطَيْس بن أصْبَغ فى شعبان وأُعيد الى الشُّرْطة العُلْيا قاسمُ بن وليد الكَلْبيُّ. وولى خزانةَ المال موسى بن سليمان الخَوْلانيُّ المعروف بأبى الكَوْثَر، وعبدُ الملك بن سليمان أخوه خزانةَ السّلاح.

وفى هذه السّنة، افتتح أهْلُ الثغر حصن قَلَهُرّة؛ وكان بأيدى المشركين؛ وذلك يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلة خَلَتْ من ذى القعدة.]

وفيها، كانت مُحاصرة لُبّ بن محمّد مدينة سَرَقُسْطة، [وبنيان الرّدم عليها.

وفيها، قُتل محمّد بن عبد الملك الطّويل.

وفيها، خرج الناصر غازياً الى كُورة رَيّة والجزيرة وقَرْمونة، وهى الثّانية من غزواته: برز — رحمه الله — من قصر قُرْطُبة يوم الخميس لثمان خلون من شهر رمضان، وفصل غازياً لثمان خلون من شوّال. وتخلّف فى القصر موسى بن محمّد ابن حُدَيْر صاحب المدينة. وكانت الكتُب تُنَفَّذ الى هشام الوَلَد [رضه]، وهو صغيرٌ. فكان [أوّلُ] مقصده حصن طُرُّش، [بعد أن قدّم حاجبه بَدْر بن أحمد فى قطيع من الجُنْد الى حصن بَلْدة؛ فألفى أهله غِرّةً، وقتل منهم، وسبى، وأسر جملة كثيرةً]. واحتلّ [الناصر رضه] بجيوشه على حصن طُرُّش [يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شوّال؛] فحصر من كان فيه، [وأقام عليه خمسة أيّام. يُغاديهم الحرب ويُماسيهم، ويقطع ثمارهم، ويحطم معايشهم،] ويقتل من تظاهر منهم. ثمّ أبقى عليها من يُحاصرها، وتنقّل الى حصون رَيّة ومعاقل ابن

حفصون، يتتبّعها مَعْقِلاً مَعْقِلاً، [ويُنزل بأسه ومعرّة جيوشه بكلّ ما ينزل به منها.] وأوقع بابن حفصون ومن انحشد إليه من النصرانيّة [فى حصن طُرُّش] وقيعةً [عظيمةً] ذهب فيها كثيرٌ منهم. وبعث برؤوسهم الى قُرْطُبة. [وأُلفيت للمُشْرِك عمر بن حفصون مراكبُ فى البَحْر، كانت تميره من العدوة، فأُحرق جميعُها.] وسارع كلُّ من كان بتلك الناحية من أهْل شانو، وفجّ وسيم، وقَلَنّيرة، والقَصْر، وما انتظم بها من أحواز الجزيرة الى الدخول فى الطاعة والاعتصام بها (من الملكة). فتقبلهم الناصر [رضه] وأمّنهم، [وسكّن أحوالهم.]

وتنقّل [منها] الى حاضرة الجزيرة، [ثمّ] الى كُورة شَذُونة، [ثمّ] الى كورة مَوْرُور، حتّى أوفى على مدينة قَرْمُونة، فاحتلّها [يوم الثلاثاء] مستهلَّ ذى الحجّة. وكان حَبيب بن سَوَادة قد أظهر الخلاف فيها عند قدوم محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج قُرْطُبة، فنازلته جيوشُ أمير المؤمنين — رحمه الله — وحُوصِر بها عشرين يوماً، حتّى عضّته النكاية، وأخذت بمَخْنَقه المحاصرة، ثمّ استأمن، فأُمِّنَ، وسأل أن يُمْهَل لانتقال أهله وثَقَله الى قُرْطُبة، فأجابه الناصر — رحمه الله — الى ذلك، ولم يُرْهِقْه من أمره عُسْراً، وقفل الى قُرْطُبة، فدخلها • [يوم الاثنين] ٢ لليلتَيْن بَقِيَتا من ذى الحجّة، [وقد استتمّ فى غزاته اثنين وثمانين يوماً.]

وفى هذه الغزاة، بعث فى قاسم بن وَلِيد الكَلْبيّ صاحب الشُّرْطة، وكان قد خلف بقُرْطُبة، فسُجِن وسُجِن معه محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج، ومحمّد بن وُهَيْب، وعُبَيْد الله بن محمّد الرمانى[1]، وسكَن بن جديدة. وعُزِل ابن مَسْلَمة عن الشرطة العُلْيا، ووليها عبّاس بن أحمد بن أبى عَبْدة.

وفيها، استقوّد الناصر عيسى بن أحمد بن أبى عَبْده، وأعاده الى كُورة إشبيلية.

وفى هذه السّنة، توفّى عبد الله بن محمّد الزَّجّالىّ الوزير الكاتب، فى ربيع الأوّل، فولى رَسْمَ[2] الكتابة عبدُ الله بن بَدْر، وكان سَكَن بن إبراهيم، وعمر بن تاجيت كاتِبَيْ بَدْر الحاجب يقيمان خدمة الكتابة.

---

1) Sic in G. Peut-être الرصاق.   2) G. اسم.

وفيها، توفّى العاصى ابن الإمام محمّد – رحمه الله – فى ربيع الأوّل، وهو ابن ثلاث وستّين سنة. وتوفّى عبّاس بن عبد العزيز القُرَشىّ فى جُمادى الأولى. وتوفّى الوزير أبو الحارث سَلَمة بن علىّ، ومحمّد بن وليد بن غانِم الوزير، وأيّوب بن سليمان بن صالح الفقيه، وسعيد بن خُمَيْر الفقيه.

وفيها، قُتل ببَرْشِلُونة عبد الملك بن عبد الله بن شَبْريط. وأغار المشركون بوادِى الحامّة فى الثغر. وكانت مَلْحَمة أرنيط يوم الأحد لعشر بقين من شعبان؛ وهلك فيها غَرْسِيَة بن إذفُنْش صاحب جِلِّيقِيّة؛ وصار الأمر الى أخيه أردُون ابن إذفُنْش.]

وفى سنة ٣٠٣، كانت ولادة [أمير المؤمنين] الحَكَم [المُسْتَنْصِر بالله – أطال الله بقاءه![1] –] ابن [أمير المؤمنين] عبد الرحمن [بن محمّد – رضه – وذلك يوم الجمعة] مستهلّ رجب [وقت أذان الظهر.]

P. 173 وفيها، أغزى [أمير المؤمنين] الناصر [– رحمه الله – فى الصائفة] عمّه أبان ابن الإمام عبد الله؛ فنصل فى شوّال الى كورة ريّة، وتردّد بالجيوش فيها، ونازل حصونها، وحطم زروعها، وقطع ثمارها.

وفيها، أمحل الناسُ، وتوالى القحطُ وعمّ. [فبرز الى مُصَلّى الرَّبَض محمّد بن عمر بن لُبابة صاحبُ الصلاة، واستسقى بالناس خمس مرّات فى أيّام مختلفة؛ فلم تكن سقيا؛ وغلت الأسعار، وقلّت الميرة فى الأسواق. ثمّ برز أحمد بن أحمد ابن زِيَاد الاستسقاء بالناس يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شوّال. وهو أوّل شهر مايه؛ فنزل رَذاذٌ تماسك به بعض الزرع، وذهب الأكثرُ. وكان القحط عامًّا] شاملاً بالأندلس وأطرافها وثغورها؛ وغلت الأسعار فى جميع جهاتها.

[وفى هذه السنة، قدّم الناصر – رحمه الله – محمّد بن عبد الله الخَرّوبىّ من ولاية السوق الى ولاية المدينة، وعزل عنها موسى بن محمّد بن حُدَيْر. وولّى

[1] Cette formule se justifie par le fait que ʿArîb écrivait sous le règne d'al-Hakam II.

السوق أحمد بن حَبيب بن بهْلُول، وذلك يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شوّال؛ وفى هـذا اليوم عُزل عبد الله بن بَدْر عن الكتابة، ووليها عبد الملك بن جَهْوَر؛ وعُزل محمّد بن محمّد بن أبى زَيْد عن الشرطة الصُغْرَى ووليها يحيى بن إسحاق.

وفيها، عُزل عبد الرحمن بن بَدْر عن خطّة الخيل، ووليها عبدُ الله بن مُضَر.

وفيها، ولى المواريث قَنَدٌ ودُرِّيٌّ مَوْلَيَا أمير المؤمنين الناصر.

وفى يوم الأحد مستهلّ ذى الحجّة، قُتل عبّاس بن أحمد بن محمّد بن أبى عَبْدة صاحبُ الشرطة العُلْيَا؛ وكان أمير المؤمنين الناصر – رحمه الله – قد أرتبه على مُحاصرة مَنْت رُوبى؛ فواقعتْه ضربة فى حرب باشَرَها وغرَّر بنفسه فيها. فولّى الناصر أخاه عبد الله بن ٥أحمد بن محمّد الشرطة العُلْيا، وولّى محمّد بن محمّد ٢٤ ابن أبى عَبْدة خزانة المال.

وفيها، توفّى مروان بن المُنْذِر ابن الإمام عبد الرحمن بن الحَكَم – رحمه الله – يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خَلَتْ من جُمادى الآخرة؛ وكان قد توفّى قبله عمر ابن الإمام عبد الرحمن لستّ بقين من جُمادى الأولى.

وفيها، توفّى سعيد بن السَّلِيم؛ وكان حاجباً فى أيّام الإمام عبد الله – رحمه الله – وكانت وفاته لأربع خلون من ربيع الآخر. وتوفّى النَّضْر بن سَلَمة، وكان قاضياً فى أيّام الإمام عبد الله، وذلـك يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة. وفيها، توفّى عُبيد الله بن محمّد بن أبى عثمان لثلاث خلون من شهر رمضان. وتوفّى حَمْدُون بن بَسِيل فى شعبان، وعبد الله بن محمّد بن عبد الخالق الغسّانىّ قاضى إشبيلية لستّ بقين من جمادى الأولى. وتوفّى الفقيه خالد بن وَهْب يوم الأحد لأربـع خلون من ربيع الآخر. وفيها، توفّى محمّد بن يحيى النحوىّ المعروف بالقَلْفاط فى جمادى الآخرة؛ وكان من العلماء الحُفّاظ والشعراء الفصحاء؛ وكان هَجّاءً للناس، سبّابةً للأشراف، كثير البَذاء والسفه فى شعره.]

وفى سنة ٣٠٣، كانت المجاعة [بالأندلُس]، التى شبهت بمجاعة سنة ستّين؛

وبلغت الحاجةُ بالناس مبلغًا لا عَهْدَ لم بمثله ؛ [وبيع قفيزُ قمح بكيل سوق قرطبة بثلاثة دنانير دُخْل أربعين.] ووقع الوباء فى الناس، وكثر الموتان فى أهل الفاقة والحاجة. حتى كاد أن يُعْجَز عن دفنهم. [وكثرت صدقات أمير المؤمنين الناصر — رحمه الله — على المساكين فى هذا العام. وصدقاتُ أهل الحِسْبة من رجاله ؛ فكان الحاجب بَدْر بن أحمد أكثرَهم صدقةً. وأعظمَهم بماله مؤاساةً. ولم يمكن فى هذا العام. لضيق الأحوال فيه. أن يكون غزاةٌ أو إخراج جيش، غير أنّ الناصر — رضه — أخذ بالجدّ والحزم فى ضبط أطرافه. والتحفّظ بالمسلمين من عادية أهل الخلاف والخلعان. إذ كانوا مع استيلاء الجوع يغاورون من قَرُبَ منهم، ويغدرون على من مرّ بهم من رِفَاق المسلمين وطالبى المعاش ومُسْتَجْلِبى الميرة.

وفى هذه السنة، ولى إسحاق بن محمد القُرَشِىُّ الوزارةَ ؛ وكان ذا رأى وعَناء. وفيها. ولى محمّد بن محمّد بن أبى زيد الشُّرطة العُلْيا ؛ وكان يَلِى الشُّرطة الصُّغْرى من قَبْل.]

وفى هذه السنة. توفّى أبان ابن الإمام عبد الله [— رحمه الله — يوم الثلاثاء لليلتَيْن خَلَتا] من جمادى الآخرة. وهو ابن خمس وخمسين سنة ؛ [ودُفن بمقابر قُرَيْش فى الرَّبَض. ومات فيها لأمير المؤمنين الناصر — رضه — وَلَدٌ يُسمّى هشاماً ويُكْنَى بأبى الوليد ؛ وكان بِكْر ولده.

وتوفّى فيها أحمد بن هشام ابن الإمام عبد الرحمن بن الحَكَم — رحمه الله — يوم الجمعة لعشر بقين من شوّال ؛ والقُرَشىُّ العُثْمانىُّ الطارئُ من المشرق فى أيّام الامام عبد الله بن محمّد — رحمه الله — وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رمضان. وتوفّى القُرَشىُّ العَبْدىُّ لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شعبان. وتوفّى يحيى بن إسحاق بن يحيى بن أبى عيسى الفقيه ؛ وكانت له رحلة روى فيها الحديث ؛ ولم يكن بالثقة، غير أنّه كان نبيلاً منوّها. وتوفّى فيها الفقيه النّميرىّ، واسمه أحمد بن عبد الله بن فَرَج. وتوفّى أحمد بن بِيطَيْر الفقيه

يوم الخميس لليلتين خلتا من ذى الحجة. وتوفى فيها مُقَوّز بن عريب.]

وفيها، أُسِرَ مُطَرِّف [بن محمّد] بن لُبّ [بن قَسىّ]؛ أَسَرَه العدوُّ بالثغر.

[وفيها، توفى بالثغر عبد الله بن محمّد بن لُبّ بن •قَسِىّ؛ وكان من أهل ١٧٦ البأس والشجاعة والنكاية للعدوّ. وقتل ابنُه محمّد بن عبد الله عمّه مُطَرِّفاً.]

ووقعت بين بنى لُبّ فتونٌ وحروبٌ، واختلف أمرُهم.

[ومات فى هذا العام بقُرْطُبة جملةٌ من وجوهها وبياض أهلها، بطول الإخبارُ عنهم والاجلابُ لهم، الى من مات فى الكُوَر والمواضع البعيدة ممّن لم يأخذه إحصاء ولا عدٌّ. وكانت للعدوّ مع بنى قِسِىّ جَوْلات فى الثغر هذا العامَ.]

وفى سنة ٣٠٤، كان إغزاء [أمير المؤمنين] الناصر (لدين الله) [– رضه –] أحمدَ [بن محمّد] بن أبى عَبْدة [القائدَ] الى أرض الحرب. [وفصل يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرّم، وهو اليوم الثامن عشر من يُوليُه، وضُمّ إليه من الموالى والأجناد عددٌ كثيرٌ.] ودخل أرض المشركين؛ فنكى، وغنم، وسبى؛ وخرج [من أرض العدوّ] بالمسلمين سالمين غانمين.

[وفيها، ولى عبد الحميد بن بَسِيل الخزانة. [وفيها، غزا إسحاق بن محمّد القُرَشىُّ الى كورة تُدْمِير؛ فافتتح حصن أُورِيُوالة واستصلح أحوال أهل الكورة. وفيها، ولى قُطَيْس بن أصبغ الخزانة ولايته الأولى.]

وفيها، غزا الحاجب بَـدْر بن أحمد الى مدينة لَبْلة؛ فحاصرها وافتتحها [يوم الاثنين لعشر بقين من شهر رمضان.]

وفيها، عُزِل عبد الملك بن جهْوَر عن الكتابة، ووليها عبد الحميد بن بَسيل؛ ولم يَطُلْ أمدُ ولايته؛ ثمّ أُعيد إليها عبد الملك بن جَهْوَر.

[وفيها، ولى إسماعيل بن بَدْر العَرْضَ. وفيها، نُقل علىُّ بن حسين عن خزانة السلاح الى خطّة العَرْض، لاثنتى عشرة ليلة خَلَتْ من صفر. وفيها، ولى العَرْض محمّد •بن عبد الله بن مُضَر. ١٧٧

وفيها، توفّى مُنْذِر ابن الإمام المُنْذِر – رحمه الله – سَلْخَ شعبان؛ وكان مولده بعد موت أبيه الى ستّة أشهر؛ وعبد الملك بن حَوْزة القُرَشيّ، يوم الثلاثاء لتسع خلون من ربيع الآخر؛ وأخوه الأحْدَب، وكان يتنجّم، فى عقب ربيع الآخر؛ والعارِضُ صاحب المواريث فَتْد مولى أمير المؤمنين الناصر، يوم الثلاثاء لثلاث خَلَوْن من رجب؛ فولى مكانَه المواريثَ إسماعيل بن بَدْر.

وتوفّى المؤدِّب محمّد بن أَرْقَم يوم الجمعة لستّ خلون من رجب؛ وفيه توفّى الوَلَدُ محمّد ابن أمير المؤمنين الناصر – رحمه الله – والوَلَدُ سليمان الأكبر.

وفى عشر خَلَوْن من شوّال من هذا العام، وُلِد الوَلَدُ أبو مروان عُبيد الله شقيقُ أمير المؤمنين الحَكَم المستنصر بالله – أيّده الله!

وفيها، توفّى الفقيه الزّاهد أبو عبد الله محمّد بن أحمد [بن] الزَّرّاد لأربع خلون من جُمادى الأولى؛ مولدُه سنة ٢٤٣؛ وكان قد رَوَى علم ابن وضّاح. وتوفّى الفقيه المحدِّث طاهر بن عبد العزيز الرُّعَيْنيّ. وتوفّى أبو القاسم محمّد بن عبد السلام بن قلمون[1] ليلة الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر؛ وكان نبيلاً، مُرَسِّلاً، حسن الخطّ؛ وولى الخزانة؛ وكان له لسانٌ وبيانٌ.

وفى سنة ٣٠٥، غزا بالصائفة الى دار الحرب أحمد [بن محمّد] بن ابى عَبْدة [الوزيرُ القائدُ؛ وفصل يوم الاثنين لعشر خلون من صفر.] وخرج معه طبقات الناس من المجاهدين وأهل الديوان؛ وحشد إليه رجالُ الثغر؛ فدخل أرض العدوّ فى جمع كبير، ونازل حصن قاشْتُرُ مُورُش[2] [لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل]. وجدّ المسلمون فى مُحاربة المشركين حتّى كانوا قد أشرفوا على الظفر *بمن كان فى الحصن؛ فانحشدت النصرانيّة من جميع جهاتها مُمَدِّين لكَفَرَتهم، ومُجْلِبين على المسلمين بخَيْلهم ورَجْلهم. فتداعى [بعضُ] أهل المُدَاهَنة فى الدين من أهل الثغر الى إظهار الهزيمة وجرُّوها على المسلمين؛ فانهزم كثيرٌ

P. ١٧٨

1) G. قلوق (cf. Ibn al-Faradî, n°. 1162). 2) A. et B. قصر موسى.

منهم. و[ثبت القائد أحمد بن محمّد بنفسه، وأظهر الصبر، ودافع مدافعة الموطن. وقيل إنّه كان قد اعتقد مذهباً فى طلب الشهادة؛ فـ]استُشْهِد القائد المذكور [لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل.] و[استُشْهِد من المسلمين معه من آثر الشّهادة ورغب عن (خزي) الفِرار. [ولم يولّ المشركين دبراً، ولا أرام نكوصاً ولا فراراً.] وانعقد سائر أهل الجيش، وصاروا يداً واحدة؛ (فسَلموا) وخرجوا الى أرض المسلمين بدوابّهم وأثقالهم [وأبنيتهم.

وفيها، غزا إسحاق بن محمّد الوزيرُ الى مدينة قَرْمونة؛ فحاصر فيها حَبيب بن عمر، وضايَقَه، وأخذ بخَنْقه. ثمّ خرج إليها الحاجبُ بَدْر بن أحمد؛ فتمادى على حصارها حتّى فتحها قَسْراً، ودخلها يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الآخر.]

## ذكر موت (اللّعين) عُمر بن حفْصون

[وفى هذه السنة، هلك عمر بن حفصون، عميدُ الكافرين، ورأس المنافقين، و]مُوقِد شُعَل الفتنة، ومَلْجأ أهل الخلاف والمعصية. فعُدّ هلاكُه من أسباب الإقبال، وتباشيرِ الصُّنْع[1]، وانقطاع عِلَق المكروه. (ولمّا تُوفّي) افتُتِحتْ أُبَذّةُ إلْبيرة، [وهى المعروفة بأُبَذّة فَرْوَة]؛ وكان فيها سليمان بن عمر بن حفصون؛ فاستُنْزِل عنها، وقدِم به قُرْطُبةَ [بحيى بن إسحاق في شوّال؛ فأُنزِل وتُوُسِّعَ له. ١٧٩

وفيها، ولى الوزارة عبد الملك بن جَهْوَر يوم السبت لإحدى *عشرة ليلة خلت من شوّال. وفيها، توفّى سعيد بن عثمان بن سليمان الفقيه العَنَاقىّ[2] فى عقب المحرّم بفرّيش. وفيها، توفّيت البَهَاء بنت الإمام عبد الرحمن بن الحَكَم – رحمه الله – فى رجب؛ فلم يتخلّف أحدٌ عن جنازتها. وتوفّيت للناصر – رضه – ابنةٌ تسمّى بعائشة. وفيها، توفّى سعيد بن عبد الوارث الأيْسَر؛ وكان من أهل الشجاعة والعَناء فى الخدمة. وتُوفّى الفقيه محمّد بن إبراهيم المحدّث الحِجارىّ. وتُوفّى عُمَر بن أحمد بن فَرَج؛ وكان كاتب الرأى؛ ووَلِيَ السُّوق.]

1) A. et B. اليُمْن.  2) Ibn al-Faradî, n°. 484: الأعناقي.

وفى هذه السنة، حشد أرْذُون بن إذْفُنْش، وشانجُه بن غَرْسِيَة صاحب النّصْرانيّة، بجِلّيقيّة وبَنبَلُونة، وخرجا فى جموعهم واحتفال من كَفَرَتهم [الى مدينة تاجِرة بالثّغر الأقصى؛ فنزلا عليها فى عقب ذى الحجّة، وأقاما عليها ثلاثة أيّام.] وعاثت النّصْرانيّة فى ذلك الثّغر، وأفسدت الزّروع؛ ثمّ تنقّلت الى تُطيلَة. وبلغ العدوّ [الى نهر كالّس، وجزائر[1] مُسْقَيْرة، و] وادى طَرَسُونَة. وخلّف شانْجُه نهر إبْرُة، وقاتل حِصْن بَلْتِيرّة، وقهر[ه على] أهل الرّبَض، وأحرق المسجد الجامع؛ فكان ذلك ممّا أحفظ[2] الناصر وحرّكه لمجاهدتهم والانتصار منهم، على ما سيأتي ذِكْرُه.

## غزوة مُطُونية[3]

وفى سنة ٣٠٦، كان غزاة الحاجب بَدْر بن أحمد الى دار الحرب، وهى غزاة مُطُونية. وكان أمير المؤمنين الناصر – رضه – لمّا اتّصل به تطاوُل المشركين على من كان بإزائهم من [أهل] الثّغور [بامتناع الصّوائف عن غزوهم، والإيغال فى بلادهم بالحرب المتقدّم الذِّكْر،] أحفظه ذلك، وأذكى عزمَه، P. ١٨٠ وأكّد بصيرته فى مجاهدة أعداء الله وأعداء دينه فى هذا العام؛ فأمر[4] بالاحتفال فى الحشد وجمع الرجال[4] والتكثير من الأجناد (والفرسان الأبطال.) وعهد الى حاجبه بالغزو [بنفسه] فى الصائفة. ونُفّذت كُتُبُه الى أهل الأطراف والثّغور بالخروج الى أعداء الله، [والدّخول فى مُعسكره، والجدّ فى نكاية أهل الكفر،] والإيقاع بهم فى أواسط بلادهم، ومُجتمع نَصْرانيّتهم. فنصَل الحاجب بالجيوش، يوم الثلاثاء لخمس بقين من المحرّم؛ وانثالت إليه العساكر من كُلّ جهة في أقرب ثغور المسلمين؛ ودخل بهم دارَ الحرب، وقد احتشد المشركون، وتجمّعوا من أقاصي بلادهم، واعتصموا بأمنع أجبُلهم؛ فنازَلهم الحاجب بَدْر بن

---

1) G. جوائز. 2) B. أغضب. 3) Ce titre ne figure que dans B. 4) A. B.: بالاستنشاد والاحتفال في جَمْع الرّجال.

أحمد بأولياء الله وأنصار دينه؛ فكانت له على أعداء الله وقائعُ اشتفَتْ فيها صدورُ المسلمين، وانتصروا على أعـداء الله المشركين. وقُتِل فى هذه الغزاة من حُمَاتِهم، وأبطالهم، [وصلاة الحروب منهم]، جُمْلةٌ عظيمةٌ لا يأخذها عَدٌّ، ولا يُحيط بها وَصْفٌ. وكان الفتحُ يومَ الخميس لثلاث خَلَوْنَ من ربيع الأوّل ويومَ السبت [لخمس خَلَوْنَ من ربيع الأوّل]، فى معارك جليلة، لم يكُنْ أعظمُ منها صُنْعاً، ولا أكثرُ من أعداء الله قتيلاً وأسيرًا. وورد الكتاب بذلك على أمير المؤمنين الناصر – رضَه – يومَ الجُمْعة لإحدى عشرة ليلة خلَتْ من ربيع الأوّل؛ فأكثر من شُكْر الله [عزّ وجلّ] على ما منّ به، وفتح فيه. وقُرِئ •[كتابُ الفتح] ا فى الجوامع[1] وكُتِبَ به الى الأطراف.

[وفى يوم السبت لإثنى عشرة ليلة خلَتْ من ربيع الأوّل، فى العام المؤرّخ، وُلِد أبو الأصْبَغ عبد العزيز بن عبد الرحمن، شقيق أمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – أيّده الله!]

## غزاة الناصر (لدين الله) [–رضَه – الى بَلْدة]

وفى شهر ذي الحجّة من [هذه] السنة، غزا الناصر [رضَه] (بنفسه) مدينة بَلْدة من كُورة رَيّــة؛ [فبرز لها يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة؛ وفصل يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجّة بعد بروزه بستّة وعشرين يوماً]؛ وتخلّف فى القصر (بقُرْطُبة) ابنه ووليُّ عهده وقبلة الآمال من بعده، أمير المؤمنين الحَكَم المستنصر بالله [– أبقاه الله – ومن الوزراء موسى بن محمّد بن حُدَيْر]. فلمّا قرب الناصر [– رضَه –] من مدينة بَلْدة، قدّم من [ثقات] رجاله، [وأخنّاء أجناده] مَنْ يفحص إمْكان زرعها وموضعَ المضطرَب عليها؛ فألفى الزرع متأخّرًا؛ وأتته الأنباء بإمْكان زروع فَحْص رُعَيْن؛ فرأى التعريج إليه بعد أن أمر بابتناء صَخْرة غَوْزان[2]، لتكون موفيةً على بَسيط بَلْدة. ثمّ ارتحل الى حصن

1) A. B. مساجد الجماعات.    2) A. B. غزجان.

دُوش امَانْتِش؛ فنازَلَه وحارَبَه حتّى افتتحه. ثمّ نهض الى مدينة بَلْدة؛ فاحتلّها يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ذى الحِجّة، وأحاطت العساكر بها؛ فتداعى من كان من المسلمين فيها الى النزول بأنْفُسهم[1] وذراريهم، وذكـروا أنّهم كانوا مغلوبين على أمرهم؛ فأمّنهم الناصر، وقاتَلَ الكَفَرة المنغلقين[2] فى المدينة، حتّى أظفره الله بهم؛ فقُتِلوا عن آخِرِهم ومُلكت *المدينة، [وندب فيها الرجال]. ثمّ P. ١٨٣ انتقل الى حصون رَيّة، يتقرّاها معقلاً معقلاً، ويفتتح ما مرّ به منها. ونزل على جبل بُبَشْتَر؛ فحاصر أهله، وقطع ثمارهم، واستبلغ فى نكايتهم؛ فسأله جعفر بن عُمَر بن حفصون قَبْضَ رهائنه، استيثاقًا من طاعته[3]، على أن يؤدّى من الجباية ما فرض عليه؛ فأجابه الناصر الى ذلك، وقُبضت رهائنُ جعفر [وشيعته، وصارت فى قبضته ودَاخِلَ مُعَسْكره]. ثمّ قفل (الناصرُ لدين الله) [عن جَبَل بُبَشْتَر]، ودخل القَصْرَ لثلاث بقين من المحرّم من سنة ٧[٣٠]، وقد استتمّ فى غزاته أربعين يوماً.

وفى هذه السنة، عهد الناصر بعمل النَّوّارة إزاء باب القَصْر المعروف بباب العدْل، وإقامة مِحْراب مُصَلّى المُصَارَة بقُرْطُبة.

وفيها، تُوُفّي عبد الله بن كُلَيْب بن عبد السلام، لخمس خلون من ربيع الآخر. وفيها، تُوُفّي للناصر ابنٌ يسمّى بمحمّد، ويكنّى بأبى القاسم. وفيها، تُوُفّيت رُقَيّة ابنةُ الإمام محمّد. وتُوُفّى فيها موسى بن أَزْهَر النقيهُ الإسْتِجّيّ لثلاث خلون من ربيع الأوّل؛ وكان من أهل الفصاحة والبيان والخطّ الحسن. وتُوُفّى فيها حِزْب الله بن رباحى بن عبد الله الخُشَنِيُّ الزاهد، وكانت له رواية.]

وفى سنة ٣٠٧، [كـان احتلالُ الناصِر أمير المؤمنين بمدينة بُبَشْتَر، على ما تقدّم ذِكْرُه في العام قَبْلَه؛ ودخولُه قُرْطُبة قافلاً من غزاته فى التأريخ المتقدّم ذِكْـرُه.

وفى هذه السنة،] افتُتِح حِصْن طُرُش؛ وكان فيه عبدُ الرحمن بن عُمَر بن

---

1) A. B. بأنقالهم. 2) A. B. المغفلين. 3) A. B. نزوعاً الى الطاعة.

حفصون، فأسلم الحصن] الى رجال [أمير المؤمنين] الناصر (لدين الله)، ودخل قرطبة، فأنزل ووسّع عليه. وكان غيّر داخل * فى الحرب والفتنة مدخل أبيه، ١٨٣ وإنّما كان صاحبَ كُتُب، وكان حسنَ الخطّ، ضعيف العقل. (قال عَريب:) و[قد] صار بعد ذلك ورّاقا.

[وفيها، ولّى أميرُ المؤمنين الناصر محمّدَ بن عبد الله بن محمّد الزّجّاليّ خزانة المال لتسع خلون من شهر رمضان.

وفيها، تُوُفّي محمّد بن أحمد بن زياد، يوم السبت لأربع عشرة خلَتْ من رجب، وكان جارًا لمحمّد بن وضّاح الفقيه، فأوصى أن يُصَلّى عليه، فقام له بذلك ذكر. وفيها، مات محمّد بن سليمان بن وانْسُوس الوزير، يوم الجمعة لعشر خلَوْن من شهر رمضان. وفيها، مات حَمْدون بن بَسيل]

وفيها، أمر الناصر بقَتْل موسى بن زياد، [ليلة السبت لإثنتى عشرة ليلة خلَتْ من صفر،] وكان [قد] وُلِّيَ الوزارة فى أيّام الإمام عبد الله، وكثُرت مُطالَبتُه للناس، ورَفْعُه عليهم، [وتحكّكه بهم]، وكان يجاهر بكراهة[1] [أمير المؤمنين] الناصر، ويرفع عليه الى جدّه [رحمهما الله]، ويغرى الإمام عبد الله برجاله، فحبسه [أمير المؤمنين] الناصر [فى] يوم بيْعته، ولم يزل محبوسًا الى أن أمر بقتله، وقُتِل معه حَبيبُ [بن عمر] بن سَوّادة، وولَداه، ومحمّد بن وليد [المعروف بـ]الغليلىّ[2]، وكانت لهم ذنوب وجرائم [أحْرَدتْه عليهم].

## غزاة مويش

وفى سنة ٣٠٨، كان غزاة أمير المؤمنين الناصر الى دار الحرب، وهي غزاة مُويش، فبرز — رحمه الله — لهذه الغزاة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذى الحجّة سنة ٣٠٧، ثمّ فصل غازيًا من قصر قُرْطُبة * يوم السبت لثلاث ١٧٤ عشرة ليلة خلَتَ من المحرّم سنة ٣٠٨، [وهو اليوم الثالث من شهر حزيران،

---

1) A. B. ببغض.   2) A. B. المقيلى.

– ذلك بعد بُروزه بثلاثين يومًا.| وتخلّف فى القصر وليّ عَهْده الحَكَم [أمير المؤمنين المُستَنصِر بالله (أيّده الله). ومن الوزراء موسى بن محمّد بن حُدَيْر. فلمّا كان فى اليوم الرابع من فصوله، ونزل بمَخاضة الفَتح، ورد عليه بها كتابُ فَتحٍ من قِبَل عامل مدينة الفَرَج. يذكُر أنّ المُشرِكين من أهل جِليقيّة أتوهم في جَمْع كثير؛ فأغاروا على ما ألفوه فى بسيطهم من الدّوابّ والسّوام، ثمّ عرجوا على حصن بقربهم، يُعرف بالثُلَيمة؛ فأحدقوا به طامعين فى التغلّب عليه؛ فانحشد اليهم جميعُ أهل المدينة بفارسهم وراجلهم. وواضعوهم القتال بأثبت بصائرهم؛ فمنحهم الله – عزّ وجلّ – أكتاف الكَفَرة، وأطال أيديهم عليهم؛ فقتلوا وأسروا كثيرًا منهم، واتبعوهم من أوّل النهار الى آخره، والسيفُ يعمل فيهم، وبعثوا بجملة من رؤوسهم؛ فاستبشر الناصر بما ورده، وتفاءل باسْم المحلّة التى كان فيها عند ورود الفتح عليه].

ونهض آمًّا لوجهته، والحشودُ والعساكرُ تتلاحق به من (سائر) أقطار الأندَلُس، وجميع جهاتها. ونزل (رحمه الله) على مدينة طُلَيْطُلة؛ وخرج اليه لُبُّ بن الطَّرْبيشة صاحِبُها، مُبادرًا اليه، وغازيًا معه؛ وكان يُظهِر طاعةً تحتها معصيةٌ. ثمّ تنقّل (رحمه الله) فى مَنازِله، حتّى نزل بمدينة الفَرَج؛ فنظر لأهلها، وعزل بنى سالِم عنهم، إذ شكوا بهم. واستوزر [رضه] فى هذه الحلّة سعيدَ بن المُنْذِر. وقدّمه قائدًا وضابطًا لمدينة الفَرَج، وأغزاه مع نفسه، واستعمل على الموضع ابنَ غِزْلان [القُرَشي] *صِهرَه، [واستقضى عليهم محمّدَ بن مِسْوَر الفقيه. فصلحت أحوالُهم]، وعمّ الرضى جميعَهم؛ وخرج للجهاد أكثرُهم. ونهض [أمير المؤمنين الناصر] – رحمه الله – فى جيوش[1] تغصّ بها السُّبُل، وتضيق بها الفضاء الأوسع، حتّى احتلّ بثَغر مدينة سالِم، وأظهر [رحمه الله] التوجه الى الثَغر الأقصى. [وقدمت المُقَدِّمة نحوه]. ثمّ عرج بالجيوش الى طريق آلَبَة والقلاع، وطوى من نهاره ثلاث مراحل، حتّى احتلّ بوادى دُوَيرُّ؛ فاضطربت العساكر

P. 155

1) A. B. ajoutent كثيفة.

فيه، وباتت عليه. ثم أخرج صباح تلك الليلة [سعيدَ بن المُنذِرِ الوزيرَ، فى] جرائد الخَيْل وسُرْعان الفُرسان، الى حِصْن وُخْشُمة؛ فأغذَّ السَّيْر حتّى قرب من الحصن، وسرح الخيل المغيرة يَمْنةً ويَسْرةً، والمشركون فى سكونٍ وغفلةٍ، [إذ كان العِلْجُ الذى يلِى أمورهم قد كاتَبَ أميرَ المؤمنين (رحمه الله)، مكايدًا له فى إزاحته عن بلده بمواعيد وعدها من نفسه؛ فأظهر أمير المؤمنين (رحمه الله) قَبولَ ذلــك منهم، وأضمر الكيد بهم؛ فغشيتهم الخيلُ المغيرةُ على حين غفلة]، وأصابوا نِعَمَهم وسَوامَهم ودوابّهم مسرّحةً مُهْمَلةً؛ فاكتسحوا جميع ذلك، وانصرفوا الى العسكر سالمين غانمين. فلمّا كان فى صباح يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر، اندفعت الخيلُ فى أكملِ تعبئة، وأهْذَبِ ترتيب، وأوْكَدِ ضبط، وأبْلغِ حَزْم وعَزْم، الى حصن وُخْشُمة؛ ففرَّ عنه الكَفَرة، وأخلوه، ولاذوا بالغياض الأشِبَة، والصُّخور *المنقطعة. ودخل المسلمون الحصن، وغنموا جميع ما فيه، P. ١٨٦ وأضرموه نارًا. وبات أمير المؤمنين (رحمه الله) فى محلّته على وُخْشُمة ليلةَ السبت؛ ثمّ رحل عنها فى اليوم الثانى الى حصن قَاشْتَرُ مُورُش، وهى شَنْت أشْتَيِين، بيضة الكَفَرة، وقاعدتهم، والموضع الذى كانوا تعوّدوا فيه الاستطالة على من وردهم. فلمّا رأوا أنّ أنصار دين الله قد أظلّوهم، وأولياءه قد صمدوا نَحْوَهم، أخْلَوا الحصن وخرجوا هاربين عنه؛ فدخله المسلمون، وغنموا جميع ما فيه؛ وخرّبوا حصن القُبِيلَّة المجاور له]، ولم يَتْرُكْ لأعداء الله فى تلك الجهة نَعْمةً يأوون إليها.

[واضطرب العسكر بشرقيّ حصن قَاشْتَرُ مُورُش. وبات المسلمون ليلة الأحد بأسرّ ليلة كانوا بها، والحمدُ لله. ثمّ انتقل أمير المؤمنين (رضه) فى صبيحة اليوم الثانى من مكان المضطرب شرقيّ الحصن إلى غربيّه، ولم يكن بين الموضعَيْن إلاّ قدر مِيل؛ فكمر العسكر فى ذلك المكان يوم الأحد متقصيًا لآثار الكَفَرة، ومستبيحًا لنِعَمهم. ثمّ ارتحل الى مدينة لم أوّليّة تُعْرَف بقَلُونية، وكانت من أمّهات مُدُنهم؛ فلم تَمُرَّ الجيوش إليها إلاّ على قُرًى منتظمة وعِمارة بسيطة؛ فغنمت جميع ما كان بها، وقتلت مَنْ أدركت فيها، حتّى أوفت العساكر على المدينة؛ فألفيتْ

خالية، قد شرد عنها أهلُها الى الأجبل المجاورة لهم؛ فغنم المسلمون جميع ما
P. ١٨٧ أصابوا فيها، وعملت الأيدى فى تخريب ديارها وكنائسها. وكسر * الناصر (رحمه
الله) عليها ثلاثة أيّام، مطاولاً لنكاية المشركين، وٱنتساف نِعَمهم. ثمّ ارتحل
(رحمه الله) من مدينة قُلُونية يوم السبت لخمس بقين من صفر الى ثغر تُطيلة،
لغياث صريخ المسلمين به، إذ كان العِلْجُ شانْجُه قد ضايقهم، وتردّد بكَفَرَته عليهم؛
فأخذ الناصرُ (رحمه الله) بالرفق فى نهوضه، لِئَلاّ يعنف على المسلمين بحثّ السير
مع اتّصال سفرهم؛ فاستقبل بالجيوش قطع المفاز الأعظم، مسايرًا لوادى دُوَيْر،
وقطع فى ذلك خمس محلاّت، حتّى احتلّ حَوْز تُطيلة؛ ثمّ قدّم الخيل مع محمّد
ابن لُبّ عاملِها الى حِصْن قَلَهُرّة الذى كان اتّخذه شانْجُه على أهلها. فلمّا قصدته
الخيل، أخلاه مَن كان فيه، وضبطه المسلمون.

ثمّ نهض (رحمه الله) الى حِصن قَلَهُرّة. وكان شانْجُه قد اتّخذه مَعْقِلاً، وتبوّأه
مسكنًا. فلمّا فجأته العساكر، أخلاه العِلْجُ، وزال عنه؛ فغنمه المسلمون بأسره؛
وكسر الناصر (رحمه الله) عليه يومَيْن حتّى خرّب جميعه، وانتسف كلّ ما كان
حوالَيْه. ثمّ رحل بالجيوش يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأوّل الى دَى شَرَه،
وأجاز اليها وادى إِبْرُه؛ فخرج شانْجُه من حصن أَرْنِيط فى جموعه وكَفَرته،
متعرّضًا لمن كان فى مقدّمة العسكر؛ فتبادَرَ إليه شُجعانُ الرّجال، تَبادُرَ رشْقِ
النّبال؛ فانهزم الكفرة، وركبتْهم الخيل، تقتل وتجرح، حتّى تواروْا فى الجبال،
ولاذوا بالشعاب [1] وأيقنوا بالدّمار والهلاك [1]. وحِيزَ كثيرٌ من رؤوس المشركين؛
فتلقّوا بها أمير المؤمنين (رحمه الله)، ولا عِلْمَ عنده للمعركة التى دارت بينهم
وبين أعداء الله. واضطرب العسكر بهذا الموضع، وبات المسلمون ظاهرين على
عدوّهم، ومنبسطين فى قُرَاهم ومزارعهم.

وورد الخبر على الناصر (رحمه الله) باجتماع العِلْجَيْن أَرْذُون وشانْجُه،
P. ١٨٨ واستمداد بعضهما ببعض، طامعيْن فى اعتراض * المقدّمة، أو انتهاز فُرْصة فى

1—1) Seulement dans H.

الساقة. فأمر الناصر (رحمه الله) بتعبئة العساكر، وضبط أطرافها؛ ثمّ نهض بها مُوغِلاً فى بلاد الكفرة؛ فتطلّلوا على كُدَى مشرِفةٍ وأجْبُلٍ منيعةٍ؛ ثمّ تعرّضوا مَنْ كان فى أطراف الجيش، وجعلوا يتصايحون، ويولولون ليضعضعوا من قلوب المسلمين؛ فعهد الناصر (رحمه الله) بالنزول والاضطراب وإقامة الأبنية. ثمّ تبادر النّاسُ الى محاربة الكفرة، وقد أسهلوا من تلك الأجْبُل؛ فواضعوهم القتال، واقتحم عليهم حَشَمُ أمير المؤمنين ورجالُه وأبطالُ النّفر وحُماته، يضعون أسْلِحَتهم فيهم، ويمطرون رماحهم عليهم، حتّى انهزم المشركون، لا يلوون على مكان مضطرَبهم، ولا يهتدون لوجْهِ منقلَبهم، والمسلمون على آثارهم، يقتلون من أدركوا منهم، حتّى حجز الظّلامُ بينهم.

ولجأ عند الهزيمة أزْيَدُ من ألف عِلْجٍ إلى حصن مُويش، ورَجَوْا التمنُّع فيه. فأمر الناصر بتقديم المِظَلّ وأبنية العسكر الى الحصن؛ فأُحيط به من جميع جهاته، وحوربوا داخِلَه حتّى تُغُلِّب عليه، واسْتُخرج جميعُ العلوج منه، وقُدِّموا الى الناصر (رحمه الله)؛ فضُربتْ رقاب جميعهم بين يديه، وأُصيب فى الحصن والمحلّة التى كانت للكَفَرة بقربه من الأمتعة والأبنية والحِلْية المتقنة والآنية ما لا يُحصى كثرةً؛ وأُصيب لهم نحوُ ألف وثلاثمائة فرس. وكسر أمير المؤمنين (رحمه الله) بهذه المحلّة أربعة أيّام، يُغير جميع ما حوالَيْها من نِعَم المشركين وثمراتهم ومزارعهم؛ ثمّ انتقل (رحمه الله) يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل الى حِصْنٍ كان اتّخذه شانجُه على أهْل بقَيْرة؛ فألفاه خاليًا، قد فرّ عنه أهلُه؛ فعهد بهدمه، ولم يبرح أمير المؤمنين (رحمه الله) من محلّته هذه حتى انتقل الى حِصْن بَقَيْرة من أطعمة الكَفَرة ألف مُدْيٍ تقوية لأهله.

ثمّ انتقل • الى حصون المسلمين يُسكّنها وينظر فى مصالح أهلها؛ فكلّما ١٨٩ b. ألفى بقربها مَعْقِلاً للمشركين، هَدَمَهُ وأحرق بَسِيطَه، حتّى لقد اتّصل الحريق فى بلاد المشركين عشرة أميال فى مثلها. واجتمع عند الناس من الأطعمة (والخيرات) ما عجزوا عن حَمْله، ولم يجدوا لها ثمنًا تُباع به؛ وكان القمحُ فى العسكر [تبذل]

سنة نُقْرة بدِرْهَم، فلا يوجد مَن يشتريه، فجُمعت الأطْعِمَة وأُدْخِلت النّارُ اليها حتّى أُحرقت عن آخرها. [وقفل الناصر (رحمه الله) يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع الأوّل، حتّى انتهى الى مدينة أنْيشة، فكسر (رحمه الله) بها يومًا، ووصل رجالَ الثغر، وكساهم، وحملهم، وأذِن لهم فى الرّجوع الى مواضعهم]. وبعث الى قُرْطُبة من رؤوس الكَفَرة [التى أُصيبت فى المعارك المذكورة] أعدادًا عظيمةً، حتّى لقد عجزت الدّوابُّ عن [استيفاء] حَمْلها. ودخل (رحمه الله) القصرَ بقُرْطُبة يوم الخميس الثالث عشر من ربيع الآخر، وقد استكمل فى غزاته هذه تسعين يومًا.

[وفى هذه السنة، بعد القفل، عزل الناصر (رحمه الله) محمّد بن محمّد بن أبى زَيْد عن الشُّرْطة العُلْيا، وولّاها دُرّيًّا مَوْلاه].

وفى هذه السنة، قُتل جعفر بن عُمَر بن حَفْصون بجبل بُبَشْتر، قتله أصحابُه غيلةً، ودخله أخوه سليمان وضبطه.

[وفيها، ولى العَرْضَ عبدُ الرحمن بن عبد الله الزّجّاليُّ.

وفيها، افتتحت المُنْدات بِحَذْو قَرْطَمة[1] من كورة رَيَّة، وبُنِيَ حصن فاشْتَرْه ذَكْوان، وألزمه الرّجال والقوّة.

وفى هذه السنة، تُوُفّى أبو عمرو سَعْد بن مُعاذ بن عثمان بن حسّان بن بُخايِر النسعبانيُّ الفقيه بقرطبة فى جمادى الأولى، وكان معظّمًا فى أهْل العِلْم، P. ١٩٠

وفيها، تُوُفّى عبد الغافِر بن هاشِم بن عبد العزيز].

وفى سنة ٣٠٩، كان [غزاة أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله) الى كورة رَيَّة، وهى] غزاة طُرُّش. [وبرز لها (رحمه الله) يوم الخميس لسبع خلون من ذى الحجّة سنة ٣٠٨، وهو اليوم العاشر من أيار]، وفصل من قصر قُرْطُبة [غازيًا] يوم السبت لثمان خلون من المحرّم [سنة ٣٠٩، وهو اليوم العاشر من حَزِيران بعد بروزه الى أحد وثلاثين يومًا. وتخلّف فى القصر ولىّ عَهْده أمير المؤمنين المُسْتَنْصر

---

1) A. B. G. قرطبة. Il s'agit de *Cartama*.

بالله [أطال الله بقاءه] فسار [رضه] فى احتفال من جيوشه، وطبقات من رجاله. حتى احتلّ على حصن طُرُّش؛ وكانت النصرانية قد انحشدت إليه، وتحصنت فيه؛ فأحدقت العساكرُ به من جميع جهاته، وعهد بمحاربتهم والتضييق عليهم ونصب المجانيق على مُرْتَقىً تَصِلُ منه حجارتُه الى الكَفَرة. وكانوا فى أوّل المُنازلة لم يبْرزون للحرب، ويُظْهرون المدافعة، حتى مزّقتهم الحرب، وقلّلَتْ عددَهم، وفَلّتْ حدّهم؛ فعاذوا بالاستغلاق فى داخل حصنهم[1]. ثمّ تمادى التضييق عليهم، والحصارُ لهم، حتى أخذهم الجهد، وأشفوا على الهلاك؛ فخاطبوا أمير المؤمنين ضارعين إليه فى تأمينهم، على أن يسلموا الحصن، ويخرجوا عنه؛ فأجابهم الى ذلك، وقبل إنابتهم؛ ودخل رجالُه الحصن، وخرج عنه جميعُ من كان به من النصرانيّة داخِلَه. وهُدمت قِصابُه[2] وأُلقيت أحجارها فى النهر؛ وبُني فى موضع الكنيسة مسجدٌ جامعٌ. ونظر الناصر (رحمه الله) أيّامَ مُحاصرته لحصن طُرُّش فى توجيه القُوّاد والأجناد إلى حصن بُبَشْتر وحصن أقُوط وجَبَل الحِجارة، لمُحاربة سليمان وحفص ابنَيْ عُمَر بن حَفْصون، والتضييق عليهم، والانتقاص لعَدَدهم. ثمّ قفل الناصر (رحمه الله) من محلّته على حصن طُرُّش يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل، ودخل [قصر] قُرْطُبة [يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت منه]، وقد استتمّ فى غزاته هذه تسعة وستّين يومًا.

[وفى هذا العام، استُنزل بنو سعيد بن ناصِح بن مَسْنَة من حصون بَاغُه المعروفة بعالية وربَرّش. واستُنزل موسى بن يزيد، أخو حمصى، من الصَّخْرة التى كان بها. واستُنزل بنو مُهَلَّب من حصونهم المعروفة بقَرْذَيْرة وإشبَرْغَيْرة وغيرها، وهُدم جميعُها.

وفى هذه السنة، أمر الناصر (رحمه الله) بقتل العاصي ابن الإمام عبد الله، ومحمّد بن عبد الجبّار ابن الإمام محمّد (رحمهما الله)، إذ شهد كلُّ واحد منهما

---

1) B. بالحصن بجدار حصنهم. 2) A. R. فصبه.

على صاحبه بمُطالبة الخلافة ونَقْض البَيْعة، وكثرا فى ذلك؛ وكان لهما غَلَبان. فقُتِلا ليلة الأربعاء لثلاث خلون من رجب.

وفى ليلة الجمعة لستّ خلون من رجب، مات الحاجب بَـدْر بن أحمد؛ ووُلِّى الحجابة موسى بن أحمد بن حُدَيْر.

وفيها، مات محمّد بن عبد الله بن أُميّة الوزير؛ وعبدُ الواحد بن محمّد بن عبد الواحد بن يزيد الإسْكَنْدَرانيّ فى شوّال؛ وفيها، تُوُفِّى الفقيه محمّد بن أحمد المعروف بابن الزرّاد، ليلة الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجّة].

وفى سنة ٣١٠، كـان [غزو أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله) إلى كورة P. ١٩٣ إلْبِيرة، وهى] غزاة مُنْت رُوِيق. وبرز *لهذه الغزاة يوم الخميس لثلاث خلون من ذى الحجّة سنة ٣٠٩، [وهو الرابع من نِيسان، وفصل غازيًا من قصر قُرْطُبة يوم السبت لعشر خلون من المحرّم، وهو اليوم الحادى عشر من أيار، بعد بروزه بسبعة وثلاثين يومًا]. وتخلّف فى القصر ولىّ عهده الحَكَم المُسْتَنْصِر بالله [(أبقاه الله)، ومن الوزراء أحمد بن محمّد بن حُدَيْر. وغزا معه فى هذه السنة الحاجب موسى بن محمّد]؛ فسار [رضّه] حتّى احتلّ بحصن مُنْت رُوِيق يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من المحرّم؛ وكان جَبَلاً ممتنعًا، بعيد المرام، كثير السُّكّان من عجمة، قد لاذت به، وامتنعت فيه؛ وهو متوسّط بين كورة إلْبِيرة وكورة جيّان، وعلى طريق مدينة بَجّانة. فكان مَن سلك تلك السُّبيل من وارد أو صادر لا يسلم من عادية ذلـك الحصن. وكانوا يسفكون الدّماء، ويسلبون الأموال، [ويُخيفون السُّبُل.] فأقام عليهم أميرُ المؤمنين (رحمه الله) خمسة وثلاثين يومًا محاصرًا، حتّى أباد كثيرًا منهم، [وقطع ثمراتهم، وغيّر نِعَمَهم]. ثمّ أبقى على الحصن من رجاله وأجناده من استمرّ على مُحاصرتهم، حتّى كان لا يدخل إليهم داخلٌ، ولا يخرج عنهم خارجٌ. وتقدّم [عنه] إلى حصون كورة إلْبِيرة؛ فعمّ جميعها بالنِّكاية. ثمّ عرّج منها الى كورة رَيّة، ونزل على [جبل] بُبَشْتَر يوم السبت لسبع خلون من ربيع الأوّل]؛ فحاربهم أشدّ مُحاربة، ونكاهم أبلغ نِكاية،

وقطع ما [كان] بقى فى أسناد الجبل من الثمار، ورتّب لمحاصرتهم أكابر القوّاد.
وقصد (رحمه الله) كورة تاكُرُنّا، فاستصلح أحوال أهلها، واستوثق من ‎•‎طاعتهم، ٩٣
ونقل من رأى نقلَه إلى قُرْطُبة من وجوههم. [ثمّ وصل نظره فيها بالنظر فى كورة
مَوْرُور]، وطالَعَ فى طريقه كورة إشبيلية وقَرْمُونة، وقفل بعد إحكامه جميعَ الأمور
في تلك الجهات؛ فاحلّ قصره يوم السبت لستّ خلون من ربيع الآخر، وقد
استكمل فى غزاته هذه خمسة وثمانين يومًا.

[وفى هذه السنة، وُلى الوزارة أبو سعيد عبد الملك بن محمّد الشَّذُونيّ، يوم
الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر. ووُلى فيها الوزارة أيضاً
يحيى بن إسحاق؛ وكانت بيده الشُرْطة الصُغْرَى؛ فوُلِّيَها مكانَه محمّد بن محمّد بن
أبى زيد، وذلك يوم السبت لخمس بقين من شوّال.

وفيها، عُزل أفْلَح بن عبد الرحمن عن الخَيْل، ووُلِيهَا صاحِبُ المدينة محمّدُ
ابن عبد الله الخَرُّوبيُّ أيّاماً يسيرةً؛ ثمّ أعيد إليها أفْلَحُ.

وفيها، وُلى أحمد بن موسى بن حُدَيْر، ونُمارةُ بن سليمان الخِزانة، فى شوّال.

وفيها، وُلى أحمد بن عبد الله الخَرُّوبيُّ العَرْضَ.

وفيها، مات سالم بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن أبّا الفقيهُ؛ وعبْد
الله بن أبى الوليد ابن أخت محمّد بن الصفّار الفقيه، وكانت له رواية عن
سَحْنون؛ ومحمّد بن عبد الحكَمَ؛ وفيها، تُوُفّيت عليّة بنت الإمام عبد الرحمن
ابن الحكَمَ (رحمه الله)].

وفى سنة ٣١١، كان غــزو أمير المؤمنين الناصر (لدين الله) [رضّه] الى
مدينة بُبَشْتَر وحصون رَيّة؛ [فبرز لغزاته هذه يوم الخميس لستّ خلون من ذى
الحجّة سنة ٣١٠، وهو اليوم السابع عشرين من أذار؛ وفصل غازيًا يوم الإثنين
مستهلّ المحرّم، وهو اليوم ‎•‎الثانى عشرين من نِيسَان، بعد بروزه بخمسة وعشرين
يومًا]؛ فسار [رحمه الله] حتّى احتلّ على حصن بُبَشْتَر؛ وبادر سليمان بن عمر بن
حفصون بمُكاتبته، [راجياً لصرف عزمه عنه]؛ فأعرض الناصر عن مجاوبته،

[وقبولِ ما تعرّض له من مكايدته]، وأخذ بالجدّ والعزم فى مُحاصرته، [وقطعِ باقى ثمراته وكرماته، واصطلامِ معائشه]. وأقام عليه سبعة أيّام، يصل الغدوّ بالرواح فى التغيير والتدمير والنكاية والاستبلاغ؛ وفعل كـذلك فيما بقى من حصونه، [كحصن قرذارِش، وحصن نجارِش، وحصن ألجش، وشَنْت بيطَر؛ فخرج إليه حَفْص بن عمر بن حفصون، وتبرّأ من حصن قامَرة؛ فأمّنه أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله)، وأقرّه فى بعض حصونه، لِمَا رآه من السياسة ووجه المصلحة فيه وفى سليمان أخيه. ثمّ تقدّم إلى مَرْمَى شَاط والمُنَكَّب، وحصن مشكريل، ونهض بعساكره فى وعرٍ لم يقتحمه جيشٌ قَبْلَه]؛ فاستنزل جميع أهل تلك الحصون، واستصلح تلك الجهات. [ثمّ قصد جبل بُبَشْتر، وقد كان أهلُه أرادوا الفَتْكَ بسليمان بن حفصون، وضبطوا القصبة دُونَهُ، وأطلقوا من كان فى حبسه، وانتهبوا أكثر أمْتِعَته؛ ثمّ إنّه احتال مع بقيّة أصحابه، حتّى دخلوا المدينة، وفتحوا له بابها؛ فدخل منه متلثّماً، وأطمع السواد فى أموال القائمين عليه؛ فثاروا معه، وبادروا إلى قَتْل من ظُفر به منهم؛ فأفنى أكْثَرَهم؛ وسلّط اللهُ بَعْضَ الكَفَرة على بَعْضٍ، ليمحو آثارهم. وبقى سليمان بجبل بُبَشْتر مشغولاً بنفسه، مرتاباً ممّن حَوْلَه؛ فاحتلّ به أمير المؤمنين مرّةً ثانيةً فى غزاته هذه، وذلك يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأوّل؛ فلم •يكن لأحد من الكَفَرة إطْلالٌ عند اضطراب العسكر على ما كانوا تعوّدوه من قَبْل؛ وأرتب على الجبل أميرُ المؤمنين مَنْ وثق بـه من رجاله، وألزمهم مواضع فى جميع جهاته]. ثمّ قفل، ودخل [القصر بـ]قُرْطُبة يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأوّل، وقد استتمّ [فى غزاته] تسعة وستّين يوماً.

P. ١٦٥

[وفى هذه السنة، كانت وقيعة بَقَيْرة ومُحاصرة أهْل بَنْبَلونة لعبد الله بن محمّد ابن لُبّ؛ حتّى تغلّب عليه وعلى من كان معه، وأسرهم العِلْجُ شانْجُه؛ ثمّ قتلهم. وكان مع ابن لُبّ فى حصن بَقَيْرة مُطَرِّف بن موسى بن ذى النون، ومحمّد بن محمّد ابنُ عمّه، ووجوهُ رجالهم؛ فذهبوا فى هذه الوقيعة بأجمعهم. وشنع الحادث

فيها على الناصر (رحمه الله)، فأخرج عبد الحميد بن بَسِيل قائداً الى الثغر الأقصى، بعد أن استوزره، وكان على خزانة المال، فنهض حتّى احتلّ الثغر بجيوش كثيفة، أُخرجت معه، وحُشدت إليه من الثغر وغيره، فدخل مدينة تُطيلة وملكيا.

وفيها، افتتحت قَصَبةُ مَوْرُور.

وفيها، وُلّى محمّد بن أحمد بن حُدَيْر خطّة العَرْض، وعُزل محمّد بن محمد ابن أبى زيد عن الشُّرْطة الصُّغْرَى، ووليها يحيى بن يُونُس القَبْرسىّ[1].

وفيها، تُوُفِّى عبد الرحمن ابن الإمام المُنْذر (رحمه الله). وتُوُفِّى جَهْوَر بن عبد الملك، وهو قائد شَذُونة. وفيها، قُتل عبد الله بن محمّد بن مروان الجِلِّيقىّ، صاحب بَطَلْيَوْس، دخل عليه بعضُ أهل الموضع، فقتلوه. وفيها هلك أُرْدُون بن إذْفُنْش صاحب جِلِّيقِيَّة، وولى مكانَه فَلُويرة.]

## غزاة الناصر إلى بَنْبَلُونة

*وفى سنة ٣١٢، كان غزاة أمير المؤمنين الناصر (لدين الله) [رضه] الى دار الحَرْب، وهى الغزوة المعروفة ببَنْبَلونة؛ [فبرز (رحمه الله) لهذه الصائفة مُبكّرًا قبل ميقات الصوائف، إذ أحفظه ما دار على بنى لُبّ وبنى ذى النون بحصن بقَيْرة؛ فبرز لغزاته هذه يوم الخميس لليلتيْن خلتا من ذى الحجّة، وهو اليوم الثانى عشر من شُبَاط سنة ٣١١]. وفصل من قُرْطُبة يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرّم [سنة ١٢، وهو اليوم السابع عشرين من نِيسَان، وذالك بعد بروزه بثلاثة وأربعين يوماً]. فاحتلّ لأوّل خروجه بمَحَلّة بَالِش، وكسر بها يومَيْن، متلوّماً على المُجاهدين معه من أجناده ورعيّته، والمحشودين من أقطار كُوَره. وتخلّف [رحمه الله] بالقَصْر بقُرْطُبة ولىّ عهده الحَكَم [المُسْتَنْصِر بالله (أبقاه الله)، ومن الوزراء أحمد بن محمّد بن حُدَيْر]. وأمّ الناصرُ رضه

P. ١٩٦

1) Lecture douteuse. G. porte ici, comme plus loin: القبرى.

فى اوّل خروجه كورة تُدْمِير وكورة بَلَنْسِيَة، واستصلح أحوال أهلهما، واستنزل عبد الرحمن بن وضّاح، ويعقوب بن أبى خالد [التوبرى]، وعامِرَ بن أبى جَوْشَن، وغيرَهم، من مواضعهم التى كانوا متأمّرين فيها، ومتعاصين عن النزول منها. [وأرتب القُوّاد والجيوش على محمّد بن عبد الرحمن بن الشيخ، إذ تمنّع من النزول إليه والغزوِ معه؛ وكان بمدينة العَسْكَرِ من أحواز بَلَنْسِيَة].

ثمّ نهض [أمير المؤمنين] الناصر (رحمه الله) فى عساكر كعدد الحَصَى، حتى دخل ثَغْر تُطِيلة. وخرج إليه التُّجِيبيّون وغيرُهم، وتلقّاه عُمّال الثغر فى جنود عظيمة، وعِدّة ° كاملة؛ فدخل (رحمه الله) بلاد المُشركين [يوم السبت لأربع P. 197 خلون من ربيع الآخر] بأنفذ عَزْم، وأوكد حَزْم، وأقوى نيّة فى الانتقام لله (عزّ وجلّ) ولدينه من الأرجاس، الكَفَرَة (الأنجاس.) فحلّ من أوّل بلادهم حِصْن قَلَهُرّة؛ وكان العِلْجُ شانْجُه قد أخلاه؛ فأمر بهدمه وإحراق جميع ما فيه وحَوْله؛ [ثمّ تنقّل عنه الى موضع يعرف بِبِنْطرة ألْتة؛ وكانت حَوْلَه حصونٌ مانعةٌ؛ فأخلاها الكَفَرة، وتخلّفوا فى بَسِيطها جميعَ أمْتِعَتِهم وأطْعِمَتهم. إذ عوجلوا عن انتقالها. ولجأ عُلوجٌ منهم بأهلهم وولدهم الى ثلاثة غيران فى شفير جُرُفٍ على النهر؛ فلم يزل أهل العسكر يتعلّقون إليهم فيها، ويتسوّرون عليهم من أعاليها، حتّى فتح الله تلك الغيران عليهم؛ فقتلوا العُلوج وسبوا الذَّرارى، وغنموا الأمْتِعة. وكان ذلك أوّلَ ما أفاء الله – عزّ وجلّ – على أهل العسكر، وغنمهم إيّاه.] وهُدِمت حصونُ الكَفَرة التى كانت فى تلك الجهة؛ ولم يَبْقَ منها صَخْرةٌ قائمةٌ.

[ثمّ تنقّل – رحمه الله – من هذه المحلّة، بعد أن كرّر بها يوماً، الى حصن فالْجَش؛ فأُضرمت أرباضُه ناراً، واستُقْصيت زروعُه ونعمُه انتسافاً وتغييراً. ثمّ ارتحل رضّه الى حصن تَفالية؛ وكان من حصونهم الدارمنة؛ فأُلْفِيَت الأطْعِمة به كثيرة، والنِّعَم فيه فائضة]؛ فانتهب المسلمون جميعَ ذلك، ودأبوا فى تخريب الديار، وتغيير الآثار. ثمّ ارتحل منه الى حصن قَرْقَـل على وادى أرْغُون؛ P. 198 ثمّ اعتزم الناصر – رضّه – على الإيغال ° فى بلدهم، والتوصّل الى موضع قرارهم،

ومجتمع كفّارهم، ونكايتهم فى عقر دارهم، ومكان آمنهم؛ فأخذ فى الحزم، وعهد بضبط مُجَنّبات العسكر، وتقدّم من فجّ المُرْكُوِيرَ فى أتمّ تعبئة وأهذب ترتيب، وذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر؛] فدخلت الجيوش مواضع لم تُدْخَل قبل ذلك، [وأحرقت الحصون، وهدمت الديار،] حتّى نزل بقَرْيَة بَنْكُونشة 1)، التى إليها ينسب العِلْج، ومنها أصْلُه؛ فهدمت مبانيها، أحرق كلّ شىء كان فيها.

فجمع العِلْجُ شانَجُه كَفَرَته، واستمدّ بنصرانيته [من كلّ مكان، طمعاً أن يُغاث منه] حتّى توافى له جمعٌ رجا أن يكافح المسلمين به؛ فتطلّعت له خيلٌ على تلك الأجبل المنيفة على العسكر، [وذلك ليلة الأربعاء للنصف من شهر ربيع الآخر]؛ فأمر الناصر [رحمه الله] بالتعبئة للرجال، وشكِّ العسكر، وإتقان النظر؛ وصابح النهوض والتقدّم لوجهته، واثقاً بالله — عزّ وجلّ — ومتوكّلاً عليه؛ فسلكت الجيوش بين أجبل شامخة وشواهق منقطعة. ورجا أعداء الله مع ذلك بانتهاز الفُرْصة والاعتراض للمسلمين فى مجنّبة أو ساقة؛ فلما توسّط الجيشُ بعضَ تلك المواضع المتضايقة [على واد يُعرف بوادى رِهِبقَة]، هبطت للمشركين خيل من الأجبل؛ فجالت بينهم وبين أهل العسكر [مناوشةٌ يسيرةٌ. فعهد أمير المؤمنين — رحمه الله — برفع المِظَلّ والتعبئة للحرب]، ونهض المسلمون الى أعدائهم نهوضَ الأسود؛ فعبروا النهر إليهم، وصمّموا بالحملة عليهم، حتّى اقتلعوهم عن موضعهم، [وهزموهم]، ووضعوا سيوفهم ورماحهم فيهم، حتّى اضطرّوهم الى مُرْتَقًى وَعْر وجبل منقطع؛ فتقحّم المسلمون عليهم، وسهّل الله وعره لهم؛ فقتلوا جملة منهم، وبسطت الأرض بأجسادهم. واستمرّت الخيلُ المُغيرةُ فى بَسيطهم؛ فأصابت الغنائم والسوام وضروب النعم، وانصرفوا سالمين، لم يُصَبْ منهم غير يعقوب بن أبى خالد التوبَرىّ، ونفرٌ يسيرٌ من الحَشَم فازوا بالشهادة، وختم الله لهم بالسعادة.

---

1) B. بنكوشة. Peut-être: شنكويشة, *Sangüesa*?

واجتمع من رؤوس المشركين عَدَدٌ عظيمٌ [منع من انبعثه بها الى قُرْطُبة بمنع الطريق وبُعْد المسافة.

ثمّ ارتحل أمير المؤمنين رضه الى محلّة لُنيبرة، ثمّ الى محلّة لَغين، والجيوش لا تمرّ بموضع إلاّ اصطلمته، وتعلّفت زروعه، وهدمت قُراه وحصونه، الى أن بلغ رضه مدينة بَنْبَلُونة، فوجدها خالية مقفرةً، فدخلها - رحمه الله - وجال بنفسه عليها، وأمر بهدم جميع بنيانها، وتخريب كنيسة الكَفَرة بها، التى كانت بيعتهم موضع نُسُكهم، حتى لقد جُعلت قاعاً صَفْصَفاً. ثمّ تنقّل - رضه - منها الى صَخْرة قَيس، وكانت بها كنيسةٌ قد شيّدها العِلْج، وأتقنها. وطاول الأيّام بالتأنق فيها، والتحصين لها، فلما حلّت بها الجيوش وأخذت فى هدمها، تطلّع الكلب من جبل كان أسند إليه، طامعاً فى حمايتها، فداخله أولياء الله بأسرع من لحظة الطَّرف. حتى اقتلعوه مهزوماً مُوَلّياً، وصُرع من فرسانه ووجوه أصحابه من كان عنه محامياً ودونه مستهلكاً، وأخربت الكنيسة وما أحاط بها، وعادت القَرْيَة ناراً موقدةً.

ثمّ تنقّل منها الى محلّة اساريه، وكان فى ممرّه إليها فَجٌّ يُقال له هَرْقَلة ضيق المسلك، وعر المجاز، فرام الكَفَرة انتهاز فُرْصة من المسلمين فيه، فأمر الناصر - رحمه الله - بالتعبئة والاحتراس، ونهض على أتمّ التحفّظ والضبط، حتى جاوزت العساكر ذلك المضيق، وخرجت عنه وتظاهر أعداء الله لأهل الساقة، منسّمين لأعلى جبل، فنهضت الخيل إليهم، وهزمتهم، وقتلت طائفة منهم. وانتشعوا مُدبرين لا يلوون ولا يعرجون. وتقدّم المسلمون بعزّة القهر، وسرور النصر، حتى نزلوا مَحَلّة اساريه. ثمّ ارتحل الناصر - رحمه الله - منها الى محلّة بقَرْية مَنيِرُ، ثمّ تنقّل الى محلّه بدَى شَرّه المجاورة لشَنْت اشْتَبين، وكان] موضع [استركاح] العلج شانجُه، ومكان طانيته، فحلّت الجيوش بهذه المحلّة يوم الأربعاء لثمان بقين من ربيع الآخر، وتظاهر الكلب على الجبل، قد جمع جموعه، وحشد رجاله، واستجاش بمدود أتته من آلبَة والقِلاَع، طامعاً فى معارضة المسلمين، بغيم

بها عذره عند كَثَرَته، وأهــل مِلَّته؛ فناشبهم المسلمون الحرب، والتحم بينهم القتال؛ فهزم الله [جموع] المشركين. [وانقبضوا الى أعلى جبلهم]. وتفرّقوا فى شَعْراء متّصلة بهم. وبات أهل العسكر فى محنّتهم. وانبسطت العلافة فى القُرَى؛ فانتسفت ما فيها. [ثمّ انتقل الناصر الى محلّته بموضع يُعرف برُيبة سُرِتّه، وهو يريد قَلَهُرّة.] وتظاهر العِلجُ [بجموعه] مرّةً ثانيةً [فى الموضع الذى كان مشرفاً فيه، ومعتصماً به؛ فتبادر اليه الفرسان]؛ فانهزم أقبح انهزام. [وقُتل له رجالٌ وعُقرت له خيلٌ.]

ونقّل الناصر – رحمه الله – الى حصن قَلَهُرّة؛ فألفاه خالياً، وأمر بهدمه. ثمّ تنقّل الى حصن بَشْيرّة، وهو من حصون المسلمين المجاورة للمشركين؛ فعهد بادّخار الأطعمة عندهم، وتفريق الأموال فيهم. واحتلّ بمدينة تُطيلة. وكسر بها، وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من ربيع الآخر، ورحل عنها [قافلاً، وجعل مروره ببنى ذى النون؛ وكان يحيى بن موسى قد [استراب، و]توقّف عن الجهاد؛ فدارت عليه معرّة الجيش، حتى أذعن منقاداً، وخرج خائفاً وَجِلاً، وتلقّى أميرَ المؤمنين معترفاً بذنبه؛ فأوسعه عفوه؛ [وفعل مثل ذلك يحيى بن أبى الفتح ابن أخيه]. ودخل أمير المؤمنين [رحمه الله] قُرْطُبة يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الأولى، وقد استتمّ فى غزاته هذه أربعة أشهر.

وفى سنة ٣١٢، كانت غزاة [أمير المؤمنين] الناصر (رحمه الله) الى كورة لِبِيرة، [ومنازلتُه حصن اشتين، واستصلاحه [الأحوال بـ]كورة جيّان وما والاها؛ [فبرز – رحمه الله – لهذه الغزاة يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرّم سنة ٣١٢، وهو اليوم السابع من نِيسان]، وفصل غازياً يوم الخميس لثمان بقين من صفر، [وهو اليوم السابع من آيّار، وذلك بعد بروزه باثنين وأربعين يوماً]؛ وتخلّف فى القصر (بقُرْطُبة) ولىّ عهده الحَكَم [المُسْتَنْصِر بالله]. ومن الوزراء أحمد [بن محمّد] بن حُدَيْر، [وعلى المدينة محمّد بن عبد الله الخَرُّوبى؛

P. ٢٠٢ واستقدم *سعيد بن المنذر الوزير من كورة تُدمير، ليغزو معه. وأخرج محمّد ابن إسحاق مُديلاً له؛ فاحتلّ فى طريقه بحصن المُتْلُون من كورة جيّان، وأنزل عنه عبد الله بن سعيد بن هُذَيْل، وعزله عن سائر الحصون التى كانت بيده؛ واستعمل على الجميع عبد العزيز بن مَسْلَمة وعبد الله بن عمرو بن مَسْلَمة]، وعهد بهدم أكثر حصون جيّان وقصابها، إذ كانت متركاً لأهل الشرّ والخلاف، وضرراً على أهل الطاعة والاستقامة؛ وكذلك ما فعل بحصون إلْبيرة، حتّى احتلّ بحصن اشتبن [يوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل]؛ وكان أهلُه على مكايدة باطنة، وإظهار طاعة تحتَها مداهنةٌ؛ فعرض عليهم الناصر النزول عن حصنهم [الى البسيط حوله؛] فاضطربوا فى أمرهم، ولاذوا عن رشدهم؛ فاحتلّت العساكر بهم، [وأُخِذَ بالجدّ والعزم فى محاصرتهم،] وأُحيط بهم من جميع جهاتهم، وبُنيت عليهم ستّة حصون يقابل بعضُها بعضاً، حتّى عادوا فى مثل حلقة الخاتم [ضيقاً وحصاراً.] وبقى الناصر على محُاصرتهم خمسة وعشرين يوماً، وهو يدأب مع ذلك فى استصلاح أمور رعيّته، وتأمين سُبُلهم، وقطع المخاوف عنهم، ويشخص بنفسه الى كلّ جهة من جهاتهم.

وفى هذه الغزاة، استجلب الناصر [ولىّ عهده وعادَ أُنسه] الحَكَم [المُسْتَنصِر بالله] من قصر قُرْطُبة الى معسكره، وهو فى ذلك الوقت ابن عشرة أعوام وثمانية أشهر ونصف، إذ استوحش له، وتاقت نفسه الكريمة إليه؛ فقدم عليه [أبقاه P. ٢٠٣ الله] بهذه المحلّة مع ثقات رجاله وفتيانه؛ واستخلف [له] فى القصر *أخوه عبد العزيز ليُنَفِّذ الكُتُبَ باسمه الى وقت منصرَفه. فأنس — رحمه الله — به، وسُرّ بقربه. وقفل الناصر من هذه الغزاة [يوم الجمعة] لستّ خلون من ربيع الآخر، بعد أن أرتب الوزيرَيْن سعيد بن المنذِر وعبد الحميد بن بَسِيل على حصن اشتبن، محاصرَيْن لأهله [فى كثف من الحَشَم]. ودخل القصر [بقُرْطُبة] يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر، [وقد استتمّ فى غزاته خمسين يوماً.

وفى هذه السنة، ولى خَلَف الفتى الكبيرُ الطِّرازَ

وفى شوّال منها، ولى يحيى بن يونس القَبْرِىُّ السوقَ. إذ اعتلّ أحمد بن بهلول علّةً أبطلَتْه عن الحركة؛ ثمّ ولى يحيى بن يونس المَوَارِيثَ فى ذى القعدة، وولى عبد الله بن محمّد الغَرْوىُّ خِزانة السِّلاح.

وفيها، صُلب على الرَّصيف بباب قَصْر قرطبة الرامى المعروف بأبى نَصْر؛ وكان قد ذهب به الصوت فى الرماية والإصابة أيّام عمر بن حفصون؛ فصُلب؛ ثمّ رُمى بالنبل حتّى أُصيبت جوارحُه ومَقاتِلُه؛ وبقى فى الجذع أيّاماً؛ ثمّ أُحرق.

وفيها، تُوُفّى ابنٌ للناصر يسمّى بمحمّد. وفيها، مات ثابتُ بن حَزْم العَوْفىُّ من أهل سَرَقُسْطة، فى شهر رمضان؛ وكان كثير الرواية، بصيراً باللُّغة؛ وله رِحْلة سمع فيها من بعض الفقهاء بالمَشْرِق. وفيها، هلك فَلُويرة صاحِبُ جِلِّيقِيّة، وولى إذْفُنْش؛ ثمّ تَرَهَّب، وولّى أخاه رُذْمِير مكانَه فى سنة ١٩.]

وفى سنة ٣١٤، كان إغزاء الناصر (رحمه الله) قُوّاده بالصوائف؛ ولم يكن له غزوٌ (بنفسه) فى هذا العام لمَحْلٍ كان فيه، وقحطٍ [شديدٍ]؛ فأخرج عبد الحميد بن بَسِيل الوزيرَ الى الثَّغْر الذى ° كان به بنو ذى النون؛ فأوقع بهم، إذ كانوا قد مرقوا عن الطاعة، [وأكثروا الفساد فى الأرض، والاستطالة على من جاوَرَهم من المسلمين]؛ فقتل منهم من استحقّ القتل، [وافتُتِحت مدينة سُرِتة؛ وكان أهلها على خلاف وخلعان للطاعة؛ فدَرَّتْ جبايتها من ذلـك الوقت، وصارت بسيل سائر الكُوَر المُسْتَقيمةِ الأحوال.] ثمّ صدر عبد الحميد [بن بَسِيل] من ذلك الثغر، وقد استقامت على يدَيْه أحوالُ أهله؛ فأخرجه الناصر الى مدينة بُبَشْتَر، محاصراً لسليمان بن حفصون [فى جملة القوّاد المحاصرين له؛ وأخرج — رحمه الله — أَفْلَحَ صاحِبَ الخَيْل مَوْلاه الى سليمان بن حفصون أيضاً؛ فنازَلَه وحاصَرَه، وفتح حصن مُنْتَ رُوبى؛ وكان من أمنع معاقِله].

## ذكر قتل سليمان بن حفصون

وفى هذه السنة، قُتِلَ سليمان بن عمر بن حفصون؛ وكان قـد [ركب و]خرج [عن مدينة بُبَشْتَر] معارضاً[1] لبعض (الحَشَم) المُغاورين له من العسكر؛ فتبادَرَتْ إليه الخَيْل من الجهة التى كان فيها عبدُ الحميد [الوزيرُ]؛ فصُرِع سليمان عن فَرَسه؛ فاحتزّ رأسَه سعيدُ بن يَعْلَى العَريف [المعروفُ بالشنة؛ وكانت قد وإقعتْه قبل ذلك طعانٌ على يَدَىْ محمّد بن يُونُس العريف وبعض بنى مُطاهر العَجَم]؛ وقُطِعت يداه (ورِجْلاه)، وذلك يوم الثلاثاء مستهلّ ذى الحجّة من سنة ٣١٤. وبعث الوزير عبد الحميد برأسه وجثّته ويَدَيْه مُبَعَّضةً مُفْتَرِقةً؛ فرُفعت على باب السُّدّة [بقُرْطُبة] فى خشبة عالية؛ وكـان الفتح فيه عظيماً سارًّا لجميع المسلمين.

[وفيها، ورد الخبر بهلاك العِلْج شانْجُه صاحب بَنْبَلُونة].

وكان القحط فى هذا العام شديداً، والمَحْلُ عامًّا؛ فاستسقى بالناس (الخطيبُ) أحمد بن بَقِىّ *[صاحبُ الصّلاة] مِراراً؛ [ونُفِّذت الكُتُب الى الكُوَر فى الاستسقاء]؛ فوافَى نزولُ الغَيْث مع رفْع جثّة سليمان بن حفصون صَلِيبةً على باب السُّدّة. فقالت فى ذلك الشعراء أشعاراً كثيرةً، منها [طويل]: P. ٢٠٥

سَحابٌ يَمُورُ الغَيْثُ فيها وَدِيمةٌ ... دِماء العِدَى تَهْمِى بها وتَفُورُ

غِياثانِ فينا وإكفانٍ من الحَيَا ... ولٰكِنْ ذا رِجْسٌ وذاكَ طَهُورْ

وَذَاكَ نَجِيعٌ لَيْسَ يَقْبَلُهُ الثَّرَى ... وذا ناجِعٌ يَسْرِى بِـهِ ويَغُورُ

تَدَنَّسَتِ الدُّنْيَا [2]به فتَطَهَّرَتْ[2] ... بُطونٌ لها من رِجْسِهِ وظُهُورُ

[وفيها، ولى محمّد بن عبد الله الزّجّالىُّ الوزارةَ يوم السبت للنصف من جمادى الأُولى.

---

1) B. مغاوراً.   2—2) B. بذاك فطهّرت.

وفيها، عُزِلَ أَسْلَمُ بن عبد العزيز عن قضاء الجماعة بفُرْضَة لِعلّة أقعدته. ووُلّى أحمد بن بَقِيّ القضاء مع الصلاة.

وفيها، وُلّى أحمد بن عبد الوهّاب بن عبد الرّؤوف بخزانة المال. ووُلّى عُبَيد الله بن عبد الله الزّجّالىّ العَرْضَ. ووُلّى بخزانة السّلاح حُسَين بن محمّد بن عاصم، وأحمد بن يحيى بن حسّان، وعبد الوهّاب بن محمّد بن عبد الرّؤوف.

وفيها، تُوُفّى أَصْبَغ ابن الأمير المُنْذِر. وفيها، تُوُفّى محمّد بن عمر بن لُبَابَة الفقيه، ليلة الإثنين لخمس بقين من شعبان؛ وكان مولدُه مستهلَّ رجب سنة ٢٢٦؛ وكان عالماً بالفُتْيا، حَسَنَ الدين، مستقيمَ الحال من حداثته الى وقت وفاته.

وفيها، تُوُفّى محمّد بن عبد الله الخَرُّوبيُّ، صاحبُ المدينة، مستهلَّ صفر؛ ووُلّى المدينةَ مكانَه عيسى بن أحمد بن أبى عَبْدة بعد وفاته الى ثمانية أيّام.]

وفى سنة ٣١٥، كان غزو [أمير المؤمنين] الناصر [رضَه] الى مدينة بُبَشْتَر لمُحاربة حَفْص بن عمر بن حفصون؛ [فبرز لهذه الغزاة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة *خلت من صفَر سنة ٣١٥، وهو اليوم التاسع عشر من نِيسان، ٢٠٦ وفصل غازياً يوم الاثنين للنصف من شهر ربيع الآخر، وهو اليوم الحادى عشر من أيار، وذلك بعد بروزه باثنين وثلاثين يوماً]. وأغزى مع نفسه وَلِيّ عَهْده] الحَكَمَ [المُسْتَنْصِرَ بالله]، وهو ابنُ ثُنْتَىْ عشرة سنة، وتسعة أشهر ونصف، وتخلّف فى القصر عبد العزيز [شقيقَ وَلِيّ العَهْد، ومن الوزراء أحمد بن محمّد بن حُدَيْر، وعلى المدينة أحمد بن عيسى مُخْلَفاً لأبيه عيسى بن أحمد الوزير.] فنزل الناصر [بجيوشه وخيله وعُدَده] على [مدينة] بُبَشْتَر يوم الثلاثاء لسبع بقين من ربيع الآخر، وزاد عزماً فى البنيان عليها، والجدّ فى محاصرتها، وأرتب بها [من القوّاد] مَنْ يلازمها، وتنقّل منها الى مدينة الحَنَش؛ فاستنزل من كان فيها، وأخلاها من ساكنيها، وأمر بهدم أسوارها وتعفية آثارها؛ [وباشَرَ ذلك وَلِيُّ عَهْده مع الحاجب موسى بن محمّد مَوْلاه.

ثم أمّ الناصرُ حِصْن شَنْت يِطَر وما قرب منه من الحصون؛ فنازَلَهم]،

وقطع ثمارهم وكرومهم، [واصطلم معايشهم]؛ ثمّ تنقّل بجيوشه الى مدينة مالَقة؛ [فنظر بمثل ذلك فى الحصون المجاورة لها]، وولّى مدينةَ مالَقة عبدَ المَلك بن العاصى، وألزم معه جملة من الحَشَم لمُغاورة أهل تلك الحصون، وأمره بحمل السيف على كلّ داخلٍ إليهم أو خارجٍ عنهم. ثمّ صدر الى مدينة بُبَشْتَر؛ فاضطرب عليها ثانيةً [من ناحية لَماية]، *ورأى أنّ البُنيان بها من أنكى الأمور (للكَفَرة) وأشدّها عليهم؛ فأمر ببُنيان صَخْرة للأوّل تُعرف بالمدينة، [وقدّم لذلك أحمد بن محمّد بن إلياس، وصرف إليه كورة تاكُرُنّا، وما اتّصل بها من لَماية. وألزم عبد الحميد بن بَسِيل الوزيرَ مكاناً يشرف منه على مجمع الطُّرُق، ويحترس فيه بالمنشرين من أهل العسكر فى العلافات وطَلَب المَرَافِق، والمختلفين إليه من كلّ موضع]. وأقام بمحلّته هذه سبعة أيّام، لم يَدَعْ فيها (للكَفَرة) مرتفقاً ولا معاشاً. [ثمّ انتقل الى محلّة طَلْجيرة؛ فعهد بالبُنيان فيها، وأقام بها حتّى كمل بها شأنُ مدينةٍ ألزمها سعيد بن المُنذر الوزيرُ. ورأى الناصر صرف وَلِيّ عهده إلى قصر قُرْطُبة إيثارًا لصيانته ومعاودته الى تأدّبه؛ فوجّهه مع ثقات رجاله، وفيهم دُرَيّ بن عبد الرحمن، صاحبُ الشُّرْطة العُلْيا، ومحمّد بن أحمد بن حُدَيْر العارِض؛ فبلّغوه القصرَ وانصرفوا عن باب السُّدّة الى العسكر؛ ولم يتقدّم أحدٌ منهم الى دارِه، ولا دخل مَنْزِلَه، ولا رأى أحدًا من أهْله]. ثمّ قفل [— رحمه الله — يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة]، ودخل [قَصْرَ] قُرْطُبة يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة، وقد استكمل فى غزاته (هذه) خمسة وستّين يوماً.

P. ٢٠٧

[وفى هذه السنة، أغزى الناصر دُرَيّ بن عبد الرحمن، صاحبَ الشُّرطة، مَوْلاه، الى ابن الزيّات؛ فلمّا قرب منه، خرج هارباً؛ وظفر دُرَيّ فى وجهته هذه بهابل، قائدٍ كان لابن حفصون، وبأصحابٍ له؛ فأسرهم وأوثقهم بالحديد. وقدم بهم قُرْطُبة؛ فصُلبوا فى المَرْج الذى بين يَدَى القصر، وذلك يوم الأحد لسبع خلون من شهر رمضان.

وفيها، وُلّى فُطَيْس بن أصْبَغ الوزارةَ، وعيسى ابنه الخِزانةَ، وعبدُ الله بن محمّد بن عبد الله الخَرُّوبىُّ ٭العَرْضَ، وعُبيد الله بن عبد الله الزَّجَّالىُّ ١٠٦. المَوَاريثَ.]

## ذِكر افتتاح مدينة بُبَشْتَر

ولمّا اشتدّت المُحاصرة على حَفْص بن عمر بن حفصون [بمدينة بُبَشْتَر]، وأُحيط (به) بالبُنيان عليه من كلّ جانب، ورأى من الجدّ والعزم فى أمره ما علم ألاّ بقاء له معه فى الجَبَل الذى تعلّق فيه، كتب الى [أمير المؤمنين] الناصر، يسألُه تأمينَه والصفح عنه، على أن يخرج عن الجبل مستسلماً لأمره، راضياً بحكمه. فأخرج اليه الناصرُ الوزيرَ [أحمد بن محمّد] بن حُدَيْر، وتولّى هو وسعيدُ ابن المُنْذِر إنزالَه من [مدينة] بُبَشْتَر. ودخلها رجالُ أمير المؤمنين (الناصر) [وحَشَمُه]، يوم الخميس لسبع بقين من ذى القعدة (من السنة). واستنزل حَفْصٌ [وآلُه و]جميعُ النصارى الذين كانوا معه، وقَدِمَ بهم أحمد بن محمّد الوزير الى قُرْطُبة مع أهلهم وولدهم. ودخلها حَفْصٌ فى مستهلّ ذى الحجّة، وأوسعه أميرُ المؤمنين صفْحَه وعَفْوَه، وصار فى جملة حَشَمه وجُنْده. وبقى [الوزيرُ] سعيدُ بن المُنْذِر بمدينة بُبَشْتَر ضابطاً لها، وبانياً لما عهد اليه من بنيانه [وإحكامه منها.

وفيها، مات أحمد ابن الأمير محمّد – رحمه الله – بمدينة إسْتِجّة. وتُوُفّى الوزير محمّد بن عبد الله الزَّجَّالىُّ فى شعبان، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. وتُوُفّى العارِضُ محمّد بن أحمد بن حُدَيْر فى آخر هذا العام، وكان حدثاً، قد توجّه ذِكْرُه، وتمكّن محلّه، فعظم أسف الحاجب عمّه والوزير أبيه عليه، وولّى الناصرُ خُطّتَه أخاه موسى بن أحمد بن حُدَيْر، وهو صغيرٌ، لم يبلغ الحلم، تعزيةً لأبيه وعمّه عن المفقود، ٭وإحياء لذكره. وفيها، مات أبو سليمان داوود بن هُذَيْل ١٠٦ b. ابن مَنّان من أهل طُلَيْطُلة بقُرْطُبة، وكان راويةً للنَّسائىّ وغيره، وحمل عنه الحديث جماعةٌ من أهل قُرْطُبة].

وفى سنة ٣١٦، كان غزاة [أمير المؤمنين] الناصر الى مدينة بُبَشْتَر، بعد افتتاحها، لتدبير أمرها وإحكام ضَبْطها؛ [فنفصل من قُرْطُبة دون بُروز، يومَ الثلاثاء للنصف من المحرّم، وهو السابع من آذار؛ وأغزى مع نفسه ولىّ عَهْده الحَكَمَ المُسْتَنْصِر بالله؛ وتخلّف فى القصر ابنه عبد العزيز لِتُنَفّذ الكُتُبُ اليه، ومن الوزراء أحمد بن محمّد بن حُدَيْر، وعلى المدينة أحمد بن عيسى مخلّفاً لأبيه عيسى بن أحمد؛ وكان الحاجب موسى بن محمّد عليلاً، فلم يَغْزُ فى هذا العام. وكانت الطريق على مدينة إسْتِجّة، ثمّ الى أشُونة]. واحتلّ بحصن بُبَشْتَر يوم الأحد لعشر بقين من المحرّم؛ فدخل المدينة، وجال فى أقطارها، وعايَنَ من [شرفها و]حصانتها، وعلوّ مرتقاها، وانقطاع جبلها من جميع جهاته، ما أيْقَنَ معه ألاّ نظيرَ لها فى الأرض حصانةً ومنعةً واتّساعَ قرارة. فأكثر من حمد الله – عزّ وجلّ – على ما افتتح [له] منها، وبشّر له فيها؛ والتزم الصَّوْمَ أيّام مُقامه بها. ثمّ دبّر بُنيانَ قَصَبَتها على أحسن ما دبّره وأحكمه فى غيرها؛ وفرّق رجاله على هدم كلّ حصن كان حَوالَيْها وعلى الديارات[1] الخارجة عنها. وأمر بنبش جيفتَىْ عمر بن حفصون وابنه؛ فكشفت قبورُها؛ فأُلفِيا مدفونَيْن على ظهورها، كما يتدافن النصارى؛ وشهد ذلك عامّةُ الفقهاء الغازين مع الناصر (رحمه الله)، وأيقن [جميعُ] من شهد ذلك *بهلاكِهِما على دين النصرانيّة؛ فاستُخْرِجا من لحودها، وأُتِىَ بأعْظُمِهما [الرجسة] الى باب السُّدّة بقُرْطُبة؛ فرُفِعَتْ فى جُذُوعٍ عاليةٍ الى جنب [الملحد] سليمان بن عمر، وصاروا عِظَةً للناظرين، وقَرّتْ بهم عيونُ المسلمين.

P. ٢١٠

وقلّد الناصرُ أمْرَ مدينة بُبَشْتَر والضبطَ لها وإكمالَ البُنْيان فيها سعيد بن المُنْذِر. واستنزل أهل حصون شتّى ببطرُ وبُنارِش وجُطُّرُون وغيرها من المَعاقِل، وهبطوا من أجْبُلهم، وتفرّقوا فى بَسيطهم، واستُقْصِيَت الحصونُ خراباً ونسفاً؛ ولم يَبْقَ للنصرانيّة بتلك الجهة حِصْنٌ مذكورٌ، ولا مَعْقِلٌ مَعْمورٌ. وعادت

1) A. B. الديار.

كُورةُ رَيّة، على كثرة ما كان فيها من الحصون المانعة والمعاقل القائمة، ليس فيها جَبَلٌ مضبوطٌ، ولا بها عدوٌّ محذورٌ. واحتمل على مثل ذلك فى حصون تاكُرُنّا وحصون مَغيلة، إلّا ما وجب التمسُّكُ به منها. ونظر فى إزعاج مَنْ وجب إزعاجُه الى قُرْطُبة، ممّن كانت نفسه تائقةً الى الفتنة، ليكون الناسُ أُمّةً واحدةً، ورعيّةً ساكنةً وادعةً. وقدّم عبدَ الحميد بن بَسِيل الوزيرَ الى كُورة شَذُونة، لهَدْم حصونها، وتبسيط أهلها، وجَمْعِهم الى مدينة قَلْسَانة، التى هى قاعدةُ الكورة. وأمر باستنزال بنى داوود عن الحصون التى كانوا فيها، وولّاها من عُمّاله وثقات رجاله مَنْ يحسن السيرة فى رعيّة تلك الجهة. وكانت سفرتُه أيْمَنَ سفرة، وأجْمَعَها لكلّ خير وصلاح. والحمدُ لله! ثمّ قفل يوم الأحد لخمس خلون من صفر؛ فدخل مُنْيَةَ النّاعُورة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر، وقد استتمّ فى سفرته هذه ستّة وعشرين يوماً.

وفيها، افتتح أحمد بن إسحاق القائدُ القُرَشىُّ مدينةَ لَقَنْت من تُدْمِير، ومدينةَ قَلْيُوشة؛ واستنزل عنها وعن القِصاب التى كانت حوالَيْها بنى الشيخ، وقدم بهم ٢١١ الى قُرْطُبة، يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان. واستُنْزِل فى هذا العام بنو أبى جَوْشَن من مَعَاقِل بَلَنْسِيَة، وكانوا فى نحو ستّين رجلاً، وقد أعملوا أنفسهم فى الفتنة، وتعرّضوا لما نزل بهم من النقمة؛ فأمر الناصر بتمييز أهل الجرائر منهم، والتشريد بهم؛ فقُدّم من استحقّ القَتْلَ منهم الى المَرْج بين يدَىْ قَصْر قُرْطُبة، وضُرِبَتْ رقابُهم فيه يوم دخولهم.

وفى هذه السنة، عزل قُطَيْس بن أَصْبَغ عن الوزارة، وولى أحمد بن عبد الوهّاب بن عبد الرّؤوف المدينة وعزل عنها عيسى بن أحمد بن ابى عَبْدة؛ وقَبْل ذلك ما كان عزل جميع خُزّان المال، وكانوا خمسة، وهُمْ: سعيد بن سعيد بن حُدَيْر، وأحمد بن موسى بن حُدَيْر، وأحمد بن عبد الوهّاب المنقول الى المدينة، وخالِد بن أُميّة بن شُهَيْد، وعيسى بن قُطَيْس؛ وولّى الناصِرُ مكانَهم أربعة خُزّان، وهُمْ: محمّد بن جَهْوَر، وأحمد بن عيسى بن أبى عَبْدة، وعبد الرحمن بن عبد الله الزّجّالىّ، وأحمد بن محمّد بن أبى قابُوس.

وفيها، امر الناصرُ بإقامة دار السِّكَّة داخِلَ مدينة قُرْطُبة، لضَرْب الدنانير والدراهم؛ وولَّى الخُطَّةَ أحمدَ بن موسى بن حُدَيْر يومَ الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان؛ وأقام الضَّرْبَ فيها من هذا التأريخ من خالص الذهب والفضّة؛ وصحّح فى ذلك أحمد بن موسى وتحفّظ. وكانت مثاقيلُه ودراهمُه عيارًا محضًا.

وفيها، خرج أحمد بن إلياس القائدُ غازياً الى كُوَر الغرْب؛ فافتتح مدينة مارِدة، ومدينة شَنْتَرين بلا حرب، ونزلوا اليه بالأمان، ووفاهم غاية الإحسان.]

وفى هذه السنة، رأى الناصر أن تكون الدعوة له فى مخاطباته والمخاطبات لَهُ • فى جميع ما يَجْرِى ذكره فيه، بأمير المؤمنين، [لما استحقّه من هذا الإسْم الذى هو له بالحقيقة، ولغيره بالانتحال والاستعارة؛ فهو أبـرُّ أُمراء المؤمنين والهُداة الفاضلين، والأبرار المتّقين، من كلّ مُنْتَخَب فى المشرِق والمغرِب، وقائم بالحقّ، وسالك لسبيل الهدى والرشد]؛ فعهد الى أحمد بن بقِىّ [القاضى] صاحِب الصلاة بقُرْطُبة بأن تكون الخُطْبة يوم الجمعة مستهلّ ذى الحجّة [بذلك]. ونفذت الكُتُب الى العُمّال [فيه، بما اجتلبنا نسخته لما فيها من إيعاب القول، واستيفاء الحُجّة، وظُهور الحقيقة. و]نسخة الرسالة النافذة فى ذلك: P. ٢١٢

بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعدُ، فإنّا أحَقُّ مَن استوفى حقّه، وأجدَرُ مَن استكمل حَظَّه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، للذى فَضَّلَنا اللهُ به، وأظهر أثرتنا فيه، ورفع سلطاننا إليه، ويسّر على أيدينا إدراكَه، وسهّل بدولتنا مَرامَه؛ وللذى أشاد فى الآفاق من ذكرنا، وعُلُوّ أمْرنا، وأعلن من رجاء العالَمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا، واستبشارهم بدَوْلتنا. والحمدُ لله ولِيّ النعمة والإنعام بما أنْعَمَ به، وأهْلِ الفَضْل بما تفضّل علينا فيه! وقد رَأَيْنا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروجُ الكُتُب عنّا وورودُها علينا بذلك، إذ كلُّ مَدْعُوّ بهذا الإسْم غيرنا مُنْتَحِلٌ له، ودخيلٌ فيه، ومتّسِمٌ بما لا يستحقّه. وعَلِمْنا أنّ التمادِىَ على تَرْك الواجب لنا من ذلك حَقٌّ أضَعْناه، وإسْمٌ ثابتٌ أسْقطْناه. فأْمُرِ الخطيبَ

بِمَوضِعِك أن يقولَ به، وأَجْرِ مُخاطباتك لنا عليه، إن شاء الله. والله المستعان!
وكُتب [يوم الخميس] لليلتَين خلتا من ذى الحجّة سنة ٣١٦.

[وفيها، • عُزل أفْلَحُ ودُرّىٌّ مَوْليا الناصر عن الخَيْل والشُّرْطة. ووُلِّىَ الخَيْلَ عُبَيْدُ الله الزجّالىُّ، والشُّرْطةَ أحمدُ بن أبى قابوس. ثمّ أُعيد أفْلَحُ الى الخَيْل، ودُرّىٌّ الى الشُّرْطة بعد شهر. ٣١٣

وفيها، تولّى إبراهيم بن محمّد بن اللبرقىّ خُطّة العقل.

وفيها، عزل غالب بن محمّد بن عبد الرؤوف عن خُطّة الضِّيَاع، ووليها محمّد بن عُبَيد الله بن مُضَر، فى انسلاخ جمادى الآخرة. ثمّ عُزل عنها ابنُ مُضَر، ووليها خَلَف بن أيوب بن فَرَج الكاتب؛ وكان يكتب للحاجب موسى بن محمّد، وذلك لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجّة.

وفيها، تُوُفّى محمّد ابن الإمام المُنذِر؛ وتُوُفّى أحمد بن يحيى بن قاسم بن هِلال الفقيهُ؛ وكان منقبضاً، خيّراً، صالحاً، بصيراً بالوثائق وعِلَلها؛ وتُوُفّى سعيد ابن إبراهيم الفقيهُ، وكان يَلِى الصلاة بكُورة رَيّة؛ وتُوُفّى محمّد بن هشام القُرَشىُّ المعروف بابن الشَّبَانِسِيّة بكُورة شَذُونة، وهو وعامِلُها].

وفى سنة ٣١٧، [كان ظهورُ المَحْل، واحتباس الغَيْث، وغلاء الأسعار؛ فعهد الناصر بالاستسقاء بجامع قُرْطُبة يوم الجمعة لليلة بقيت من المحرّم، وذلك فى شهر أذار. واتّصل الاستسقاء فى الجامع ومُصَلّى الرَّبَض ومُصَلّى المُصَارة.

وفيها]، كانت غزاة الناصر الى (مدينة) بَطَلْيَوْس، لمُحاربة أهلها وابن مروان المُتَّرِى عليه فيها؛ [فبرز – رحمة الله عليه – لغزاته هذه يوم الخميس لعشر خلون من ربيع الأوّل، وهو اليوم الثالث عشرين من نيسان؛ وفصل من قصر قُرْطُبة] يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر، [وهو اليوم الرابع عشرين من أيّار، وذلك بعد بروزه بأحد وثلاثين يوماً]. و[أغزى] معه [وليّ عهده] الحَكَم [المُستَنصِر بالله]، • وابنَه مَنذِراً، وتخلّف فى القصر ابنه عبدَ العزيز [لتَنفُذ الكتُب إليه. ومن الوزراء أحمد بن محمّد بن حُدَيْر، وعلى ٣١٤ ظ

المدينة أحمد بن عبد الوهّاب بن عبد الرّؤوف]. وكان احتلالُه بالجيوش على [مدينة] بَطَلْيَوْس يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر. [وواضَعَهم الحَشَمُ القتال فى أفنيتهم وعلى أبواب دُورهم، وتقحّموا عليهم داخل أرباضهم، وقتلوا منهم فى ثانى احتلالهم عليهم جملةً بُعِثَتْ رُؤوسُهم الى قُرْطُبَة. وقُطِعت ثمارُهم، وأُحرق ما أخلوه من ديارهم خارجَ سورهم؛ وبقوا محصورين فى المدينة]. وأقام عليهم الناصر عشرين يوماً؛ ثمّ أبقى عليهم أحمد بن إسحاق فى قطيع من الجُنْد، وانتقل الى جهة مارِدة؛ فأصلح الأحوال بها، [وولّاها محمّدَ بن إسحاق، وندب معه عدّةً من الحَشَم]. ثمّ عاد — [رحمه الله] — الى [مدينة] بَطَلْيَوْس؛ فاضطَرَبت عساكرُه عليها [من غير الجهة التى كانت اضطَرَبت فيها أوّلاً]؛ وتولّى من نكايتهم وأليمِ محاصرتهم، ما أذاقهم بـه وبال عصيانهم، [وعاقبة غيّهم]، وضلالهم. ثمّ أرتب عليهم أحمد بن إسحاق [قائداً فى جيش كثيفٍ، ورجالٍ منتقين، وعُدَدٍ كاملة]، وأمره بالتشدّد فى حصرهم، والاستبلاغ فى مضايقتهم. وانتقل ناهضاً الى مدينة بَاجة؛ [فنزلها يوم الأحد مستهلَّ جمادى الآخرة]، واضطربت عساكره عليها، وتقدّم بالإعذار الى عبد الرحمن بن سعيد [بن مالك] الذى كان بها، ودَعاهُ الى الطاعة؛ فلاذ والتوى؛ فنُصِبت المَجَانيق عليه، وحُورِب أشدّ محاربة، [وقُتل من رجاله عَدَدٌ كثيرٌ. وانحطّت بعضُ أبراج المدينة بمن كان عليها؛ فضُرِبت رقابُهم بين يَدَى المِظَلّ]؛ فاستأمن عبدُ الرحمن بن مالك، و[أهله، وجميع] أهل باجة أميرَ المؤمنين (الناصر)، وخضعوا لأمره، ونزلوا على حكمه؛ فأوسعهم أمانه، [وأُخرجوا عن المدينة]، ونُقلوا الى قُرْطُبة. ودخلها الناصر، وولّاها عبدَ الله بن عمر بن مَسْلَمة، وندب معه فيها قوّةً، [وأكثف له الجمع والعِدّة]، وأمره بابتناء قَصَبةٍ [فيها]، ينفرد بها العامِلُ ويسكنُها.

P. ٢١٥

وكان مُقام الناصر على بَاجة خمسة عشر يوماً. [ثمّ انتقل منها قاصداً الى مدينة أكْشُونُبَة بقرب الساحِل الغَرْبىّ من البحر المُحيط؛ فاحتلّ بها يوم الإثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة؛ وكان قد افتتح فى طريقه حِصْن الوِقَاع، وأصاب فيه

لخَلَف بن بَكْر صاحب أُكْشُونُبة أموالاً وعدّة وسلاحاً؛ فغنم ذلك الحَشَمُ وأهلُ العسكر، وصار لهم نفلاً. ثمّ تلقّى رسلُ خَلَف بن بَكْر أميرَ المؤمنين، مظهراً للإنابة، وملتزماً للطاعة، ومتوسّلاً ببُعْد الدار والقاصية، وأخرج الى الناصر النزائل، وأقام له الوظائف، والتزم إدْرار الجباية الكاملة؛ وأظهر أهلُ ذلك الجانب فيه رغبةً شديدةً، ووصفوه بسيرة حميدة؛ فأقرّه الناصرُ عليهم. وفرض عليه من الجباية ما التزم إيراده اله في كل عام؛ وعهد اليه بحُسْن السيرة. والرفق بالرعيّة، وألّا يقبل نازعاً، ولا يكتنف هارباً؛ فالتزم جميعَ ما أُمر به، ووقف عند ما حُدّ له].

وقفل [الناصر عن مدينة أُكْشُونُبة يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة]، ودخل القصر [بقُرْطُبة يوم الأحد] لأربع عشرة ليلة خلت من رجب، وقد استتمّ في غزاته ثلاثة *وتسعين يوماً. P. ٢٠٦

## مُطالعة [أمير المؤمنين] (الناصر) لبُبَشْتَر في الشتاء

وفي هذه السنة، كانت للناصر خرجة من قَصْر الناعورة، مُطالعاً لبُبَشْتَر ومُعايناً لما قام من البنيان بها، وما تمّ من ترتيبه فيها. [وكان خروجه من مُنْيَة الناعورة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من شوّال، ونزوله بجَبَل بُبَشْتَر يوم الخميس لعشر بقين منه. فدخل المدينة، وجال فيها. وأحكم ما له قصد من أمرها؛ ثمّ صدر عنها في اليوم الثاني، ودخل القصر بالناعورة يوم الثلاثاء لأربع بقين من شوّال]؛ وكانت مدّة توجّهه وانصرافه ثلاثة عشر يوماً.

وتردّدت الفتوحات في هذا العام بوقائع كانت على أهل بَطَلْيَوْس؛ وبعث أحمد بن إسحاق من أهلها بسبعين أسيراً، قُتلوا صَبْراً بين يدى قصر قرطبة.

وافْتُتِحَتْ [فيه] مدينة شَاطِبة من بَلَنْسِية، واسْتُنْزِلَ عنها عامِرُ بن أبي جَوْشَن [على يدى دُرّيّ بن عبد الرحمن صاحب الشُّرْطة؛ واشْتَرط عامِرٌ بسكنى شَنْت بَرِيّة، حتّى يأخذ في انتقال ثَقَله وعياله الى قرطبة.

وفي هذه السنة، ولّى الناصرُ عبدَ الملك بن عمر بن شُهَيْد، وعيسى بن أحمد

ابن أبى عَبْدة الوزارةَ، وسعيدَ بن سعيد بن حدَيْر الشُّرْطة الوُسْطَى؛ ولم تكن قَبْلُ هذه الخُطّةُ، وفيها، ولى خالدُ بن أُميّة بن شُهَيْد الخزانة ولايةً ثانيةً، وولى عبدُ الرَّؤوف بن أحمد بن عبد الوهّاب خُطّة العَرْض].

وفى سنة ٣١٨، كان افتتاح مدينة بَطَلْيَوْس [وذلك أنّ أهلها وابن مروان صاحبها، لمّا أخذهم الحصار، وطاولتهم الحرب، وفنى رجالهم، واشتُحِت نِعَمهم، وقُطعت غِراتهم، ورأوا عزماً لا فترة فيه، وجدًّا لا بقاء لهم عليه، استأمنوا P. ٢١١ الناصر، وعاذوا بصفحه؛ فأوسعهم ما أوسع أمثالهم قَبْلَهم]. واستنزل ابن مروان الجِلّيقىّ وأهْلَه، وذَوِي الشوكة من صحبه، [وأسكنهم قرطبة، وألحَقَهم فى الملاحِق[1] السنيّة]؛ وملك المدينة وولّاها عُمّالَه، [وصارت بسبيل كُوَرِه].

وفيها، أخرج الناصر (لدين الله) أهل الثّقة من خَدَمَته، [والأمَنة والتصحيح من فُقَهاء مِصْرِه] إلى أهـل طُلَيْطُلة، مُعْذِراً إليهم، داعياً لهم إلى الطاعة [والدخول فيما صارت إليه الجماعة، إذ كانوا لا يؤدّون جباية، ولا يلتزمون طاعة، ولا يتناهون عن مُنْكَر ولا معصية]؛ فلاذوا بمعاذير الخادعة، وجاوبوا الناصرَ بما لم يُصْغَ إليه من غِشّهم وتربّصهم؛ فاستعزم على غزوهم، وشمّر لمناهضتهم [وإنزال بأسه بهم. وبرز للغزو فى الصائفة إليهم فى صدر ربيع الآخر سنة ٣١٨، وفى شهر نيسان من العام المؤرّخ]. وقدّم الوزير سعيد بن المُنْذِر الى مدينة طُلَيْطُلة فى جيش كثير وعَدَد جمّ، وأمره بالاحتلال عليها والمحاصرة لها، حتى ملحق الناصر بجيوشه وصنوف حَشَمه [بها]. فخرج اليها الوزير [يوم السبت لثمان بقين من ربيع الآخر، وأغذّ السير نَحْوَها]، حتى نزل بساحتها. [وأخذ فى ما حُدّ له من محاصرتها بأبلغ عزم وأتمّ حزم]؛ ثمّ فصل أميرُ المؤمنين الى [مدينة] طُلَيْطُلة [يوم الخميس] لليلتين خَلَتا من جمادى الأولى، [وهو لتاسع عشرين من أيّار؛ وأغزى مع نفسه ولىّ عَهْده الحَكَمَ المُسْتَنصِر بالله ومُنْذرًا ابْنَه؛

---

1) G. وألحقهم فى الملاحف.

وتخلّف فى القصر ابنَـه عبد العزيز لتَنَفّذ الكُتُب إليه، ومن الوزراء أحمد بن محمّد بن حُدَيْر، *وعلى المدينة أحمد بن عبد الوهّاب بن عبد الرّؤوف. P. ٢١٨

فلمّا احتلّ (رحمه الله) فى طريقه بمحلّة الغُدُر، وقرب من حصن مُوَرة الذى كان اتّخذه أهْلُ طُلَيْطُلة شَجًا على المسلمين ومستركَحًا للمفسدين، وقدّموا عليه منهم مُطَرِّفَ بن عبد الرحمن بن حبيب، قدّم إليه مَنْ أنذره وخوّفه، وأمره بالخروج عن الحصن وإسلامه. فبدر الى ذلك بِدارًا لم يجِدّ منه بُدًّا، ولا فى الامتناع طمعاً؛ ونــزل عن الحصن. وأمر الناصر بضبطه؛ ثمّ نهض بجيوشه المؤيّدة، وعزيمته الماضية، حتّى احتلّ محلّة جَرَنْكَش بقرب طُلَيْطُلة، وذلك يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خَلَتْ من جمادى الأولى. فأشرف من محلّته هذه على سَهْلة طُلَيْطُلة ونَهَرِها، وأجِنّتها وكُرومها؛ ودبّــر رأيه فى أمكن المواضع من مُحاصرتها، وأقرب الجهات الآخذة بخنق أهلها؛ فرأى النزول بمحلّة المَقْبَرة على باب المدينة أبلغ فى النكاية، وأشدّ فى المضايقة؛ فارتحل اليها فى اليوم الثانى، وأخذ فى نكاية العُصاة، بما لم يَجْرِ لهم على ظنّ]. وأقام بهذه المحلّة سبعة وثلاثين يومًا، يوالى فيها بنكايتهم، وقَطْــعِ ثمرانهم، [وتخريبِ قُراهم، وانتسافِ نِعَمهم، وتحطيمِ زروعهم.] ثمّ أمر بالبُنْيان فى جَبَل جَرَنْكَش لمدينة سمّاها بالفَتْح، [وأرتب لبُنيانها سعيد بن المُنْذِر الوزير]، وأمر بنقل الأسواق إليها، والتمدين لها، [لتكثر مَرافق أهل العسكر بها]؛ وأرتب محمّد بن سعيد بن المُنْذِر [على باب القَنْطَرة فى جُمَل من الحَشَم، وعهد إليهما بالاستبلاغ فى مُحاربة القوم. وقدم على الناصر بمحلّته على طُلَيْطُلة صاحِبُ حِصْنِ قَنِيلَش وصاحِبُ *حصن النَهْمِين، P. ٢١٩ معتصمَيْن بطاعته؛ فأمر بنقلهما إلى قرطبة، والتوسُّعِ عليهما، ومكافاةِ نزوعهما وقصدهما]. ثمّ قفل [الناصر عن مدينة طُلَيْطُلة يوم الخميس لستّ بقين من جمادى الآخرة]، ودخل القصر [بقرطبة يوم الاثنين] لأربع خَلَوْنَ من رجب، وقد استتمّ فى غزاته أحدًا وستّين يوماً.

[وفى هذه السنة، ولى المواريث طَرَفة بن عبد الرحمن صاحِب المَطْبَخ؛ وولى خِزانة السِّلاح أحمد بن أبان بن هاشم، وحَفْص بن سعيد بن جابِر.

وفيها، مات للناصر ابنٌ يسمّى محمّد. وفيها، مات أميّة بن محمّد بن أميّة ابن عيسى بن شُهَيْد. وفيها، تُوُفّى هاشم بن محمّد التُجيبىّ. وفيها، تُوُفّى محمّد بن ابراهيم بن الجبّاب الفقيه، صاحب الوثائق، يوم الإثنين لثلاث خَلَوْن من شهر رمضان؛ وتُوُفّى صُهَيْب بن مَنيع قاضى إشبيلية؛ وتُوُفّى أبو غالب مروان بن عُبيد الله بن بَسِيل].

وفى سنة ٣١٩، [أَبرز السُّرَادِق والأَبْنِيَة إلى المُضْطَرَب المعروف بفَحْص السُّرَادِق بجوفىّ النهر الأعظم؛ ثمّ برز الناصر الى هذه المحلّة لغزاة نَواها الى مدينة طُلَيْطُلة؛ ولم يتمّ عزمه عليها إذ استغنى بالقُوّاد المرتّبين على المدينة، المحاصرين لأهلها؛ وأكثف للقُوّاد بها الخَيْل والعُدّة، وأمدّهم بالسلاح، وأكّد بصائرهم فى الجدّ والعزم والاستبلاغ فى نكاية المفسدين المُغْتَرّين من أهلها].

(وفى سنة ٣١٩، كاتَبَ موسى بن أبى العافية، صاحِبُ الغَرْب، أميرَ المؤمنين الناصر، ورغب فى موالاته، والدخول فى طاعته، وأن يستميل له أهواء أهل الغَرْب المجاورين له؛ فتقبّله أحسن قَبول، وأمدّه بالخِلَع والأموال، وقوّى أَيْدَهُ على ما كان يحاوله من حرب ابن أبى العَيْش وغيره. فظهر أَمْرُ موسى من ذلك الوقت فى الغَرْب، وتجمّع له كثيرٌ من قبائل البَرْبَر، وتغلّب على مدينة جُرَاوة، وأخرج عنها الحَسَن بن أبى العَيْش بن إدريس العَلَوىّ؛ وجرتْ بينهما حروبٌ عظيمة.

P. 21

وفيها، افتتح الناصر مدينة سَبْتة؛ فشكّها بالرجال، وأتقنها بالبُنيان، وبنى سورَها بالكذّان، وألزم فيها من رَضِيَهُ من قُوّاده وأجناده؛ وصارت مِفتاحًا للغَرْب والعِدْوة من الأندَلُس، وباباً إليها كما هى الجزيرة وطَرِيف مفتاحُ الأنْدَلُس من العِدْوة. وقامت الخُطْبة فيها باسْم أمير المؤمنين الناصر، لثلاث خَلَوْن لربيع الأوّل من العام المؤرّخ).

[وفيها، اتّصل بالقُوّاد المُحاصرين لطُلَيْطُلة أنّ العدوّ بذلك الجانب عملوا على الخروج لافتراص غِرّة فى بعض ثغور المسلمين؛ فنفر إليهم الوزير أحمد بن

محمد بن حُدَيْر من قرطبة فى جملة من الحَشَم ومَنْ خفّ من المسلمين؛ فلما بلغ أعداء الله خروجُه، توقّفوا عن حَرَكهم، وقرّوا فى بلادم؛ وكفى الله المؤمنين معرّتهم. فبلغ القائد أحمد بن محمد بن حُدَيْر طُلَيْطُلة، ونازَلَها مع القُوّاد المرتّبين فيها.

وفيها. خرج بالأسطول أحمد بن محمد بن إلْياس، ويونُس بن سعيد قائدَيْن فى البحر، يوم السبت للبلتَيْن خَلَتا من جُمادى الأولى، فى عدّة، ومَرَاكِب جملة، ورجال كثير، وصنوف من البَحْريّين والمقاتلين؛ فجازا مَرْسَى الجزيرة، واحلاّ العِدْوة، وحاصرا ابن أبى العَيْش، إذ كان على مخالفةٍ لمن دخل فى طاعة أمير المؤمنين من أهلها، ومحاربةٍ لموسى بن ابى العافية وليّه ومُقيم دعوته والداخل فى طاعته؛ ثمّ حال الشتاء بينهما وبين التمادى على الحصار والمطاوَلة؛ فقفلا بالأسطُول ومن فيه.

وفيها، عُزل أحمد بن عبد الوهّاب بن عبد الرّؤوف عن المدينة، وقُدّم الى الوزارة؛ وولى ‹المدينة يحيى بن يونس القَبْرُسى›[1] وذلك فى غرّة جمادى الأولى. ثمّ عُزل يحيى بن يونُس عنها، وكانت فيه حِدّةٌ ومحارجة لأهل الجَرْم، ووليها عبد الحميد بن بَسِيل الوزير فى شوّال.

وفيها، ولى خُطّة العَرْض عبد الوهّاب بن محمد بن عبد الرّؤوف، وولى الضِّيَاع محمد بن عبد الله بن مُضَر، وعبد الله بن مُعاوية بن بُرَيْل مُشْتَرِكَيْن.

وفيها، ولّى الناصر، من تحت يدَىْ ولىّ العَهْد المستنصر بالله، أحمد بن هاشِم بن أحمد بن هاشِم مَوْلاه عمالةَ عَبْلة وفِنْيانَة من إلْبيرة.

وفيها، مات أبو الجَعْد أسْلَم بن عبد العزيز بن هاشِم بن خالد بن عبد الله بن خالد بن عبد الله بن حُسَيْن بن جَعْد بن أسلم بن أبان بن عَمْرو مَوْلَى عثمان بن عفّان (رضه)؛ وكان قاضى الجماعة بقرطبة، وله رِحْلةٌ وسَماعٌ؛ وكانت فيه صلابةٌ وإنفاذٌ للحقّ على وجوهه؛ وعُزل عن القضاء قَبْل وفاته إذ أخذه

---

1) ? cod. القبرسى.

الكِبَرُ، وضَعُفَ عن القعود للأحكام؛ وكانت وفاته يوم الأربعاء لستّ خَلَوْن من شعبان، وهو ابنُ سبع وثمانين سنة.

ومات في هذا العام فَضْل بن سَلَمة الفقيهُ البَجّانيُّ، وكان له سَماعٌ وتأليفٌ حسن؛ وتوُفّي محمّد بن فُطَيْس الفقيه المحدِّث بالْبيرة؛ وتوُفّي أحمد بن حامد الزَّجّاليُّ في جمادى الأولى.

وفيها، ماتت السيّدة ابنةُ الإمام عبد الله لثمان بقين من ذى الحجّة؛ وكانت قد نافرت أميرَ المؤمنين الناصرَ أيّام حداثته وقبل إفضاء الخلافة إليه، وهو حينئذٍ وَلَدٌ في القصر بين يدى الإمام عبد الله جدّه؛ وطالبَتْهُ وآذَتْهُ عند أبيها عبد الله الإمام؛ فلمّا ولى الناصر، لم تشكّ في معاقبته لها، ومجازاتــه لسوء معاملتها؛ فكان الأمر على خلاف ظنّها؛ وقرّب الناصر مكانها، ورفع مَنْزِلتها، واختصّها في جملة من اختصّ من أهله وبنات أعمامه، حتّى صارت أقْرَبَهُنَّ مَحَلاً منه.

P. ٢٢٢ وفيها، * توُفّي عُبَيد الله بن فِهْر، وكان متصرِّفًا في العمالات والقيادة، وذلك يوم السبت لثمان عشرة ليلة خَلَتْ من ذى الحجّة].

وفي سنة ٣٢٠، كان غزو الناصر الى [مدينة] طُلَيْطُلة، [غزاتُه الثانية التّى فُتحت فيها عليه. فبرز لهذه الغزاة في صدر جمادى الآخرة سنة ٣٢٠، في شهر حَزِيران من العام المؤرّخ، وفصل يوم السبت لأربــع عشرة ليلة خَلَتْ من رجب، وهو اليوم الحادى عشر من تموز، مع وليّ عهده الحَكَم المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين. وخلّف في القصر ابنَه عبد العزيز لتنفّذ الكُتُب اليه؛ ومن الوزراء أحمد بن محمّد بن حُدَيْر، وعبدَ الحميد بن بَسِيل، وكان صاحبَ المدينة].

وكان أهْلُ طُلَيْطُلة، لمّا دأخذهم الحصار، واشتدّ عليهم التضييق، ولازمهم القُوّاد، قــد استجاشوا بالمشْرِكين، واستنجدوهم، ورَجَوْا نصرهم لهم؛ فلم يُغْنُوا عنهم فَتيلاً، ولا كشفوا عنهم عَذاباً، ولا جلبوا إليهم إلاّ خِزْيًا وهَوَاناً. وخرج القُوّاد المُحاصِرون لهم الى الكَفَرة؛ فهزموهم، وفرقوا جموعهم، وانصرفوا مولّين.

على أعقابهم، خاذلين لمن انتصر بهم، [ورجا الغياث من قِبَلهم]. فلمّا يئس اهــلُ طُلَيْطُلة أنْ ينصرهم أحدٌ من بأس الله الذى عاجَلَهم، وانتقامه الذى طاوَلَهم، عاذوا بصفح أمير المؤمنين، وسألوه تأمينهم، وضرعوا اليه فى اغتفار ذُنوبهم؛ فخرج لاستنزال أهل طُلَيطُلة، وتوطيدِ طاعته فيها، وإحكام نظره بها. فى التأريخ الذى قدّمنا ذِكْره؛ [فنزل عليها بمحلّة جَرَنْكَش، يوم الأربعاء لخمس بقين من رجب؛ وقد كان بدر إليه ثَعْلَبة بن محمّد بن عبد الوارث مقدّمها، وتلقّاه قبل نزوله بها، *معترفاً بجهله، ومستقيلاً من زلّته؛ فعفا عنه الناصرُ، ٣٢٣ وعاد عليه بفضله. ثمّ أمّن أهْلَ طُلَيْطُلة، وخرجوا الى العسكر، ونالوا المَرافق فيه، وابتاعوا المعايش التى طال ما أجهدهم عدمُها، ومنعهم الحصار منها؛ فعرفوا غبطة ما صاروا إليه من الأمن بعد الخوف، والسعة إثــر الضيق، والانبساط بعد طول الانقباض]. ثمّ ركب الناصر [الى مدينة طُلَيْطُلة] فى اليوم الثانى من نزوله بمحلّته عليها، ودخلها، وجال فى أقطارها؛ فرأى من حصانتها، وشَرَف قاعدتها، وانتظام الأجْبُل داخلَ مدينتها، وامتناعها من كلّ الجهات بواديها ووَعْرها، (وطِيب هَوَائها وجَوْهَرِها)، وكثرة البَشَر بها، ما أكثر (له) من شُكْر الله (عزّ وجلّ) على ما منحه فيها، وسهّل له منها؛ وعَلِمَ أنّه، لولا ما أخذ به من الجدّ والعزم فى أمرها، لِمَا مُلِكَتْ مع حصانتها ومنعتها (مع اتّساعها وانفساح أقطارها)، ولِمَا اعتاده أهْلُها من مداخلةِ المُشْرِكين [ومُوَالاتِهم]، والاستمدادِ على الخُلَفاء بهم؛ فكَمْ أعْيَت الملوك، وامتنعت من العساكر، وانصرفت عنها الصوائف بغير نجح؛ ولكِنّ فَضْلَ الله (عزّ وجلّ) الذى أعطاه أميرَ المؤمنين، وصُنْعَهُ له، وتأييدَه إيّاه أجرى افتتاحها على يدَيْه. [ثمّ دبّر فيها بناء مُحْكَماً مُتْقَناً، ليكون مستقرًّا للقوّاد المُلازمين فيها، وزمامًا على ساكنيها؛ وأرتب على البُنيان بها دُرِّىّ بن عبد الرحمن قائدَه، وملأها رجالاً وعدّةً وسلاحاً. وركب إليها الناصر، وأمر بهدم ما وجب هدمه فى المدينة، وتردّد عليها ثمانية أيّام حتى أكمل فيها ما دبّره، وهذّب ما أراده. وفتحت أسوس البُنيان الذى أمر به؛

P. ٢٢٤ واطمأنت * بأهل المدينة الدار، وفتحوا الحوانيت، وانتشروا فى الأسواق؛ وانبسطوا فى أفنيتهم وأبواب مساجدهم، آمنين، والحمدُ لله]. ثمّ قفل الناصر عن محلّه بطُلَيطُلة، يوم السبت لستّ خلَوْنَ من شعبان، ودخل القصر بقُرطبة يوم السبت لعشر بقين منه، وقد استتمّ فى غزاته سنةً وثلاثين يوماً.

[وفيها، صنع الناصر لضروب رجاله ومَوَالِيهِ وصنوفِ أجناده وحَشَمِهِ ممّن شاهَدَ فتح طُلَيْطُلة معه، ووافَقَ ذلك تطهيره لبعض بنيه الأصاغر.

وفيها، عزل عن خِزانة المال محمّد بن عبد الله بن حُدَيْر، وعبد الرحمن ابن عبد الله الزّجّاليّ، ونقل أحمد بن عيسى بن أبي عَبْدة عن الخزانة الى قيادة بَجّانة. وأقرّ من الخُزّان خالِدَ بن أميّة بن شُهَيد، ومحمّد بن جَهْوَر بن عبد الملك؛ وولى مكان المعزولَيْن عنها سَكَنَ بن إبراهيم، وأحمد بن محمّد ابن مُسْتَنِير.

وفيها، ولى الخالُ سعيد بن القاسم خُطّة العَرْض.

وفيها، ولى المدينة قُطَيْس بن أصْبَغ لإحدى عشرة ليلة خلَتْ من شوّال.

وفيها، ولى العَرْضَ محمّدُ بن قاسم بن طُمْلُس. وفيها، ولى السِّكّة يحيى بن القَبْرُسيّ [1]، وذلك يومَ السبت لأربع خلَوْن من شوّال؛ وعُزل هذا النهارَ عنها أحمد بن محمّد بن موسى بن حُدَيْر.

وفيها، تُوفّي أحمد بن أبي نَوْفَل القُرَشيّ، وهو أحمد بن مُحارِب بن قَطَن ابن عبد الواحد بن قَطَن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن جَحْوان بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شَيْبان بن مُحارِب بن فِهْر، وكان مُنقبضاً مُتزهّداً، وبلغ من السنّ خمساً وسبعين سنة.

وفيها، مات الحاجب موسى بن محمّد بن حُدَيْر، للنصف من شهر صفر ليلة الأحد، بعد صلاة المغرب، وبلغ من السّن خمساً وستّين سنة. وفيها، تُوُفّى P. ٢٢٥ * عُبَيْد الله بن عبد الله الزّجّاليّ، وكان على المواريث والبُنيان، فى رمضان،

---

1) G. التبريى.

وهو ابن إحدى وأربعين سنة. وفيها، مات أحمد بن محمّد الزّجّاليّ، وكان قد تصرّف في الخدمة، وله أدوات وحركة؛ وتوفّى فيها عِمْران بن أبى عمر المُتَطَبِّب، وكان قد كفّ بصرُه، وهو من المتظرّفين المُتَطَبِّبين، وصحب الملوك، وخفّ على أمير المؤمنين الناصر؛ وكان يُوصِله ويُحْضِره مجالس راحته، وهو أعمى].

وفى سنة ٣٢١، وصل الخَبَر الى قرطبة بولاية أبى المنصور بن المعتزّ مدينة سِجِلْمَاسة، وهو غُلامٌ ابن ثلاث عشرة سنة؛ فمكث فى ولايته شهرَيْن، وقام عليه ابن عمّه محمّد بن الفتح، وأخرجه منها، وتملّكها، وتسمّى بأمير المؤمنين، وتلقّب بالشاكر لله، وذلك بعد مدّة نحو من عشرين سنة، وضرب الدنانير الشاكريّة.

وفى سنة ٣٢٢، وصل الخَبَر الى قرطبة بوفاة أمير إفريقيّة عُبَيْد الله الشيعيّ الملقّب بالمَهْدِيّ، وتقدّمِ ولده أبى القاسم الملقّب القائم بأمر الله.

وفى سنة ٣٢٣، وصل الى مدينة فاس مَيْسور الصِّنْهاجيّ قائدُ أبى القاسم الشيعيّ أمير إفريقيّة؛ فحارَبَه أهْلُ فاس سبعة أشهر، ولم يقدر عليهم؛ ثمّ حاصر ابنَ أبى العافية، واستعان عليه ببنى إدريس؛ فانجلى ابن أبى العافية الى الصحراء، وصار جميع ما كان لابن أبى العافية لبنى إدريس؛ وقد تقدّم خبر بنى إدريس.

وفى سنة ٣٢٤، ظهر أبو يزيد مَخْلَد بن كَيْداد بإفريقيّة على أبى القاسم الشيعيّ، وذلك فى جبل أوْراس، وفيه قِلاعٌ كثيرةٌ يسكنها هُوّارة وغيرُهم، وهُمْ على رأيِ الخَوارِج.

وفى سنة ٣٢٥، أمر الناصر ببناء مدينة الزّهْراء؛ وكان يصرف فيها من الصخر المنجور ستّة آلاف صخرة فى اليوم، سوى التبليط فى الأساس، على ما أذْكُرُه بَعْدُ[1].

---

1) Les développements relatifs aux années 324 et 325 manquent dans B.

P. ٢٢٦ وفى سنة ٣٢٧، *قام بالغَرْب الأقصى أبو الأنصار بن أبى عُفَيْر البَرْغَواطى بعد موت أبيه، وكان يفى بالعهد والوعد، وهو الذى بعث زمّورًا البَرْغَواطىّ رَسولاً الى الحَكَم المُستَنصِر بالله، ابن أمير المؤمنين الناصر.

وفى سنة ٣٢٩، استتمّ القائد أحمد بن محمّد بن إلياس مدينة سكْتان، وشحنها بالرجال، واتّخذ فيها الأطعمة والأسلحة، فأخرج الناصر إليها أحمد بن يَعْلَى قائداً فى ضروب من الحَشَم، ضمّهم إليه، فنفذ إليها فى صفر من هذه السنة، فلمّا كان فى غُرّة جمادى الأولى منها، وافى فَتْحٌ من قِبَل أحمد بن يَعْلَى القائد بسكْتان الحديثة، بدخول كان له منها الى جهة من عَمَل الطاغية رُذْمِير، فقَتَلَ وسبى وأسر، وأرسل مع كتابه الى قرطبة مائتىْ عِلْج أسراء، وكان هذا أوّل فتح لابن يَعْلَى أذلّ به الطاغية رُذمِير.

وفى سنة ٣٣٠، فى المحرّم من هذه السنة، طلع كَوْكَب الزُّبَانَى فى الأفق الغربىّ بقرطبة إزاء العقرب، منحرفًا عنها، يكاد يتّصل بالفلكة العُليا فى رأى العين، وكان أوّل ليلة لاح فيها للأبصار ليلة السبت لثلاث بقين من المحرّم منها، وهى ليلة ستّ عشرة خلَتْ من أكتوبر، وتمادى طلوعُه مستعلياً مكبراً فى السماء حتّى توارى[1].

وفى سنة ٣٣١، فى يوم الخميس لخمس خَلَوْن من صفر منها، دخل الوزير القائد أحمد بن إلْيَاس الى قرطبة قافلاً عن غزاته الى الثّغر التى خرج إليها فى عقب شوّال من سنة ٣٣٠ قبلها، الى ثلاثة أشهر ويومَيْن من خروجه عنها، ودخل فى سفرته هذه كُورةَ تُدْمِير، فأزال الاثيات[2] الواقع من أهلها إزالةً، وقدم برهائن بعضهم، وكان أثَرُه جميلاً.

وفيها، كان المدّ العظيم بنَهْر قرطبة، الثالم لقَنْطَرتها.

---

1) Le développement relatif à l'année 330 manque dans B. 2) B. الخَلَل.

وفى سنة ٣٣٣، أغزى الناصر لدين الله القائدَ أحمد بن محمّد * بن إلْيَاس P. ٢٢٧ الى جِلِّيقِيَّة، فدخل دار الحرب، فغنم، وأحرق جملة من حصونهم هنالك، وقفل راجعاً.

وفيها، كانت زلزلةٌ عظيمةٌ بقرطبة، ليلة الاثنين لتسع خَلَوْنَ من ذى القعدة؛ لم يُرَ قطُّ مثلُها ولا سُمع من قوّتها؛ ووقعت بعد العشاء الآخرة؛ فدامت ساعةً؛ ففزع أهل قرطبة لها فزعاً شديداً، ولجئوا الى المساجد فيها، وضجّوا بالدعاء الى الله تعالى فى كشفها، حتّى أغاثهم وصرفها عنهم. وفى صبح ليلة الزلزلة، هبّت ريحٌ عاصفٌ ردفتْها أخرى؛ فاقتلعا كثيراً من شجر الزيتون والتين وغيرها من الأشجار والنخيل، وأطَارَا كثيراً من قُرْمُد السُّقُف. ونزل إثْـرَ ذلك مَطَرٌ وابلٌ طَبَّقَ الأرض، وبَـرَدٌ غليظٌ، فقتل كثيراً من الوحش والطير والمواشى، وأتلف ما أصاب من الزرع، وأساء التأثير.

وفى سنة ٣٣٤، [1]فى المحرّم، هبّت بقرطبة ريحٌ عاصفٌ من ناحية القِبْلة ونزل بَرَد غليظ.

وفيها[1]، ظهر بأُشْبونة رَجُلٌ يزعم أنّه من وَلَد عبد المُطَّلِب وأنّ أمّهُ مَرْيَم ابنة فاطِمة؛ وادّعى مع النسب أنّه نبىٌّ وأنّ جِبْرِيلَ يَنْزِل عليه، وسنّ لأتباعه سُنَنَا، وشرع لهم شرائعَ، منها حلْقُ الرأس وغير ذلك ممّا لا يُعْقَل؛ ثمّ وقع عليه البحث، فخَفِيَ أثَرُهُ.

وفيها، أخرج الناصر قاسم بن محمّد قائداً الى عِدْوة الغَرْب بحَرْب بنى محمّد الأدَارِسة الحَسَنِيّين للذي[2] بدا من خِلافهم عليه فى هذه السنة، ونَقْضِهم للطاعة، بعد ما قَدّمَ الكُتُبَ الى محمّد بن الخَيْر عظيمِ زَنَاتة وغيره من وُلاته بالغَرْب، يأمرهم بالاستعداد لذلك والمعونة عليه. وأجاز قاسم البَحْر الى سَبْتة فى النصف من ربيع الأوّل؛ فلمّا تبيّن ذلك لكبير بنى محمّد، وهو أبو العَيْش بن

1—1) Manque dans B. 2) A. الذي (D. الذين).

عُمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب (رضه)، أسرع الى تحقيق الطاعة •للناصر، فعقد له الأمان على نفسه، وأنفذ P. ٢٢٨
اليه ابنَه محمّدَ بنَ أبى العَيْش الى قرطبة، موكِّداً لطاعته، فاحتفل السلطان لدخوله احتفالاً عظيماً، وركب الوافدُ محمّدٌ مع مُسْتَقْبِلِهِ من قِبَلِ الناصر القائدِ أحمد بن يَعْلَى فى أهبة[1] راقت العيون وملأت الصدور. ووصل الى قصر الزَّهْراء، وقعد له الناصر أفخم قعود، فأوصله الى نفسه، وأبلغ فى تكريمه، ثمّ خرج عنه فى مثل الهَيْئة التى دخل عليها. ودخلت بدخول محمّد بن أبى العَيْش فى هذا النهار على الناصر رُسُلُ لبنى عمّه الأدارِسة أُمَرَاء الغَرْب. وانعقد فى هذا النهار كتابُ أمانٍ محمّد بن إدريس. ودعا الناصر أيضاً محمّد بن أبى العَيْش، فبالغ فى تكريمه، وأقام بقرطبة بقيّةَ هذه السنة فى تكرمة. وانصرف الوَفْدُ المذكور بعد التزامهم للطاعة للناصر، وذلك فى خَبَرٍ طويل.

وفى عقب شوّال، قدم رسولُ الخَيْر بن محمّد بن خَزَر الزّناتىّ أميرِ الغَرْب ومعه رسولُ حُمَيْد بن يَصَل الزّناتىّ، يُعَرِّفانِ الناصر بما كان من دخولهما مدينة تَاهَرْت، وأنّهما أقاما فيها الدعوة له.

وفى منسلخ شوّال، قدم على الناصر رَسُولان من أبى يزيد مَخْلَد بن كَيْداد المعروف بصاحِب الحِمار، القائمِ بإفريقيَة على أبى القاسم الشيعىّ، برسالة منه يخبر بتغلّبه على القَيْرَوان ورَقّادة وعَمَلِهما، وإيقاعه بأصحاب الشيعىّ فيها، وما يعتقده من ولاية الناصر، ويأوى إليه من اعتقاد إمامته. واتّصلت كُتُبُ أبى يزيد ورُسُلُه على قرطبة من ذلك الوقت الى حين وفاته.

وفى سنة ٣٣٤، جلس الناصر لدين الله لوَداع رُسُل أهْل القَيْرَوان الواردين عليه من قِبَلهم وقِبَل أبى يزيد مَخْلَد بن كَيْداد اليَفْرَنىّ الناجم بأرض إفريقيَة فى ذلك الوقت، محتسباً فى جهاد مُلوك الشيعة المُتَنَزّين على إفريقيَة •من آل P. ٢٢٩

---

1) B. أُهْبَة.

عُبَيْد الله الداعى، وكان له فى القيام عليهم وقائعُ شنيعةٌ، فوصلوا الى الناصر فى هذا اليوم، وهُمْ ثلاثة نفر، أَوْجَهُهم تميم بن أَبى العَرَب التَّمِيمىُّ، فكلّمهم بما تقتضيه رسالتهم، ودفع اليهم أَجْوِبَةَ مَنْ أَرْسَلَهم، وأَذِنَ لهم فى الانصراف الى بلدهم، ووصلهم وكساهم، فانطلقوا لسبيلهم.

وفيها، وصل الى قرطبة رُسُلُ مَلِكِ الروم الأكبر قُسْطَنْطِين بن ليون صاحب القُسْطَنْطِينة العُظْمى، بكُتُب من مَلِكهم الى الناصر، فقعد الناصر على سرير المُلْك بقصر قرطبة[1] لدخولهم عليه، ولِمَن تكامَلَ بالباب من وُفُود البلاد، بعد أن أمر باستقبالهم بالعُدَد والأجناد. واستوى الناصر على سريره، وقعد على يمينه ابنُه الحَكَم، وقعد سائر أولاده عن يمينه ويساره، وقعد الوزراء والحُجّاب على منازلهم صُفوفاً. فدخل الرُسُلُ، وقد قدّموا الهدايا بين أيديهم، وقد دَهشوا لهَوْل ما عاينوه من جلالة المُلْك ووفور الجَمْع، فصقعوا[2] بين يدَى الخليفة، فأشار إليهم أن لاّ، فدفعوا اليه كتابَ مُرْسِلهم قُسْطَنْطِين. وكان الكتاب مَصْبُوغاً بلون سَماوىّ، مكتوباً بالذهب.

وفيها، كان السيل العظيم بقرطبة، وبلغ الماء فى البُرْج المعروف ببُرْج الأَسَد، فهدم من آخِر القنطرة، وثلم الرَّصيفِ وغَيْرَه.

وفيها، قدم على الناصر محمّدُ بن محمّد بن كُلَيْب من القَيْرَوان، فحكى أَنَّ أبا القاسم بن عُبَيْد الله الشيعىّ هلك بالمهديّة، وهو محصورٌ من أبى يَزيد، وأَنَّ شيعته قدّمتْ ولده إسماعيل مكانَه، وأَنّه فارسٌ شُجاعٌ، أَبِىُّ النفس، أقدم على أبى يزيد وجموعه، ولاقاه بمدينة سُوسة، فانهزم أبو يزيد أمامَه الى القَيْرَوان.

وفى عَقِب صَفَر منها، ولى خزانة السِّلاح عبد الأعلى بن هاشم المتوفّى فى المحرّم منها.

وفى سنة ٣٣٥، كان ابتداء بناء مدينة سالِم بالثَّغر الأوْسط. *وفى كتاب ٣٣٠.

---

1) B. .الزهراء  2) B. .فصّعقوا

ابن مسعود: فى سنة ٣٢٥، ابتنى الناصر مدينة سالم القديمة المعطِلِ بالثغر الأوسط الشرقى، المواجِهة لبلد قَنْبِيلة (دمرها الله تعالى)، وهى يومئذٍ خالية مُقْفِرةٌ. وأرسل لذلك غالباً مَولاه فى جيش جرّده معه من الحضرة، وأنفذ العَهْد إلى قُوّاد الثغر بالاجتماع إليه لبُنيانها؛ فسارعوا الى أمره، وبُنيت أحسن بناء؛ ونُقِلَ إليها البنّاؤون من بلاد الثغر للاختطاط لديارها والرباط بها؛ فتمّ ذلك فى صفر من هذه السنة. واطمأنّت الدار بمن نزلها من المسلمين؛ واكتمل بناؤها وعمرانها على مُرور الأيّام؛ فنفع الله المسلمين بها، وصيّرها شجًا فى حلوق الكافرين.
قال: ووافى فى إثر كتابِ القائد ابن حُدَيْر وابن هاشم كتابٌ من قِبَل عامر بن مطرّف بن ذى النون الى الناصر بما فتح الله له فى المُشركين، وقتلِهِ العَدَد الكثير منهم، وبعثه برؤوسهم؛ فتمّت الفتوح، وعمّت الفروح، وعزّ الإسلام، واستبشر الأنام، وطابت الأيّام، بحَمْدِ وليّ الإنعام، الذى منه يُرْجى التمام، عَزّ وَجْهُه!

وفيها، كان القحط الكائن بقرطبة.

وفيها، وصل الى قرطبة أيّوب بن أبى يزيد مَخْلَد بن كَيْدَاد اليَفْرَنىّ الأباضىّ رسولاً من والده أبى يزيد؛ فقعد له الناصر قعوداً؛ فأوصله الى نفسه، وكرّم لقاءه، وأمر بإنزاله فى قصر الرُّصافة؛ وقد أُعِدّ له فيه من الفَرْش والوِطاء[1] والغطاء والآنية والآلة [2]ما يُعَدّ لأمثاله[2]؛ فأقام هنالك تحت نـزل واسع وكرامة موصولة.

وفى سنة ٣٢٦، فى يوم الجمعة التاسع من المحرّم منها، ورد كتابُ قَنْد مَوْلَى الناصر، القائدِ يومئذٍ بطُلَيْطُلة، بفَتح فَتَحَه اللهُ على يده فى أعداء الله أهْل جِلّيقيّة؛ فقُرِئ فى المسجد الجامع بقرطبة والزّهْراء؛ وبُعِثَ من ذلك برؤوس وخَيْل أُصيبت[3] لأعداء الله.

---

1) Manque dans A. 2—2) B. ما أبهتَهُ. 3) B. أُخِذت.

وفيها، عزل الناصر عبدَ الله بن محمّد *عن السِّكّة، وسخط عليه لتقصير P. ٢٣١
ما كان فيه وأمر بسَجنه. وقدّم عبد الرحمن بن يحيى بن إدريس الأَصَمّ، ونقل
السِّكّة من مدينة قرطبة الى الزَّهْراء.

وفيها، خرج الكاتب جعفر بن عثمان المُصْحَفيّ الى مَيُورقة وذواتها لإصلاح
ما فسد من حالها.

وفيها، وصل حُمَيد بن يَصَل المِكْناسيّ الى قرطبة قاصداً الى الناصر من
بلده من الغَرْب، فاستُقْبِل بالجيش والزينة، وكرم الناصر مَوْرِدَه، وأجمل مَوْعِدَه.

وفى سنة ٣٣٧، فى النصف من المحرّم، قعد الناصر بقصر الزَّهْراء قُعوداً
بَهِيّاً، فدخل اليه حُمَيد بن يَصَل، ثمّ وصل بعده منصورٌ وأبو العَيْش، ابنا
ابن أبي العافية، ودخل معهما حَمْزة بن إبراهيم، صاحب جَزَائر بنى مَزْغَنّا،
فوصلهم وكساهم، وأذِنَ لهم فى الانصراف الى بلادهم.

وفيها، صُلِبَ بقرطبة عليّ بن عَنَرة، من أهل أشُونة، بعد أن قُطعت
يداه ورِجْلاه، وكان من المُفْسِدين فى الأرض بِقَطْع السُّبُل.

وفيها، كانت وقيعة أُرْنِقَيْرة على العدوّ (دمّره الله).

وفى سنة ٣٣٨، كان قدوم رُسُل ملك الروم الأكبر صاحب القُسْطَنْطِينة
على الناصر، راغباً منه إيقاع المُوالفة واتّصال المكاتبة، فتأهّب الناصر لورودهم
عليه، وأمر بتلقّيهم فى الجيش والعِدّة، وجلس لهم الناصر الجلوس المشهور الذى
ما تهيّأ مثله لمَلِك قبله فى جلالة الشأن، وعزّة السلطان، ووَصْفُ ذلك
يطول. ودفعوا كتابَ مَلِكهم فى رَقّ مصبوغ سماوىّ مكتوب بالذهب، وكان
على الكتاب طابعُ ذَهَبٍ، وَزْنُه أربعة مثاقيل، على الوَجْه الواحد منه صورة المسيح
(عليه السلام)، وعلى الآخر صورة قُسْطَنْطِين المَلِك وصورةُ وَلَده.

وفيها، أمر الناصرُ أحمدَ بن يَعْلَى وحُمَيْدَ بن يَصَل المِكْناسىّ بالخروج الى
بنى محمّد الأدارِسة الحَسَنيّين أمراء الغَرْب فنصلا *بمن ضُمّ إليهما من الجيش P. ٢٣٢

الى الخضْراء؛ وكان خروجُهما من قرطبة للنصف من رجب. وفى عقبه، قدم على الناصر رسولٌ من بعض الحَسَنيّين. يذكر طاعتهم إليه، وانقيادهم لأمره فى هَدْم[1] مدينة تِطّاون التى أنكر عليهم بِناءها؛ فعقد لهم فى أوّل شعبان، وأمر بمجاوبتهم؛ ثمّ وصل محمّدُ بن أبى العَيْش الحسنىّ الى الناصر من أبيه أبى العيش؛ فأقبل عليه الناصر، وأبلغ فى تكْرِمته؛ ثمّ ورد الخبر بوفاة أبى العَيْش، فأوصل الناصرُ ابنَه محمّدًا الى نفسه، وعزّاه عن والده، وعقد له على عَمَله، ووصله، وخلع عليه وعلى الوافدين معه، وصرفهم. فخرج محمّد مبادراً الى عَمَله بالعَرْب. وكان، عند وفاة أبيه أبى العيش، قصد ابنُ عمّه قَنّون الى بَلَده؛ فاحتوى على ماله وأهله. ولمّا بلغ البَرْبَرَ إقبالُ محمّد بن أبى العَيْش الى بلده من قِبَل الناصر، رجعوا الى عيسى بن قَنّون، وقد خرج عن تِيكِيسَاس؛ فقطعوا به، وكسروه، وسلبوه ما كان أخذه لابن عمّه، وقتلوا أكثر أصحابه؛ فلم يخلص إلاّ فى سبعة فوارس.

وفيها، وصل الى قرطبة أحمدُ بن الاطْرَابُلُسىّ رسولُ البُورِىّ بن موسى بن أبى العافية بكتاب يذكر أنّه صحّ عنده أنّ الخَيْر بن محمّد بن خَزَر الزناتىّ وصل الى تاهَرْت، فحاربها؛ فاستنصر أهلها بمَيْسُور قائد الشيعىّ؛ فالتقوا؛ فدارت الدائرة على ابن خَزَر أوّلَ نهارهم، ثمّ كانت الكَرّة لزَناتة؛ ودخل الخَيْرُ أميرُهم مدينةَ تاهَرْت وملكها فى غُرّة ذى القعدة، وأخذ قائدَ الشيعىّ أسيرًا فى عِدّة من أصحابه؛ ووقع فى يده عبد الله بن بكّار اليَفْرَنىّ الذى توجه الى الشيعىّ برأس أيّوب بن أبى يزيد؛ فأرسل به الى يَعْلَى بن محمّد بن صالح اليَفْرَنىّ ليقتله بوالده بعدما كان أخذ كلّ ما عنده؛ فلم يَرْضَ يَعْلَى بذلك، ولا رآه كُفُوًا لعَبْده، فكيف لوالده؛ ودفعه المذكور الى رجل من البَرْبَر كان قد قتل ابنه، فقتله به. ودخل يَعْلَى بن محمّد وِهْرَان، فملكها.

P. ٢٢٣

---

1) B. ويعطونه هدم.

وفيها، جرت قصّة الوَلَد عبد الله بن الناصر التى أراد الله بها ابتلاء أبيه فيه؛ فعجّل الوثوبَ به وبأصحابه آخِر هذه السنة، عجّل عليهم فيها بأفظع العقاب؛ فقتّلهم؛ وتأنّى بابنه عبد الله مُدَيْدةً الى أن طوّقه الحُسام فى آخر سنة ٣٢٨؛ وكان الحَكَم أخوه ذكر عنه أنّه يريد القيام على أبيه؛ فقَبِلَ قولَه فيه. وكان عبدُ الله من أهل العِلْم والذّكاء والنُّبْل.

وفى سنة ٣٢٩، أخرج الناصر قائدَه أحمد بن يَعْلَى نحو جِلِّيقيّة، رجاء فى انتهاز فُرْصة من العدوّ؛ فأعانه الله عليها، واقتحم على غفلة؛ فافتتح ثلاثة حصون، وسبى نحواً من ألف سبية، وانصرف آخِر رجب من السنة.

وفيها، ورد الخبر بهلك رُذْمِير بن أُرْدُون صاحب جِلِّيقيّة؛ فملّكت الجلالقة ابنه أُرْدُون، ونازعه أخوه غَرْسِيَة؛ فجرى بينهم اختلافٌ أظفر الله به المسلمين.

وفيها، وصل الى قرطبة ابنا البُورىّ بن موسى بن أبي العافية أمير الغَرْب. وورد رسولُ الأمير الخَيْر أمير زَنَاتة وكبير أمراء الغَرْب الى الناصر، يذكر ما أتاح الله له من دخول مدينة تاهَرْت، وظفره بمَيْسور وعبد الله بن بكّار اليَفْرَنىّ قُوّادِ الشيعىّ؛ فقُرِئ كتابُه بجامعَىْ قرطبة والزّهراء. ثمّ ورد كتابُ عبد الرحمن ابن عبد الله الزّجّالىّ من جهة شَذُونة، يذكر أنّ بنى محمّد الأدارِسة بالغَرْب زحفوا الى حُمَيْد بن يَصَل قائد الناصر، ونزلوا عليه، والتقوا به؛ فكانت الدائرة على بنى محمّد، وانصرفوا مفلولين.

وفى سنة ٣٤٠، كانت للمسلمين غزوات على الروم، نصرهم الله فيها. منها فَتْحٌ على يد قائد بَطَلْيَوْس بجِلِّيقيّة، هزمهم أقبح هزيمة، قتل جملة من *حُماتهم [٢٢٤] ومقاتلتهم، وسبى من نسائهم وذراريهم نَيِّفاً على ثلاثمائة رأس؛ ووصل ذلك السبى الى قرطبة لثلاث خَلَوْن من المحرّم؛ وفَتْحٌ آخَرُ على يدى أحمد بن يَعْلَى قائد الناصر؛ وفَتْحٌ آخَرُ على يدى رَشِيق قائد الناصر على طَلَبِيرة؛ وفَتْحٌ آخَرُ على يدى يحيى بن هاشِم التُّجيبىّ.

وفى غُـرّة جُمادى الآخرة، وهو الثامن من أُكْتُوبر، هبّت بقرطبة ريحٌ عاصفٌ، وتتابع البَرْق، واشتدّ الهَوْل، ونزلت صاعِقةٌ فى دار أحمد بن هاشم ابن عبد العزيز، فقتلت امرأةً، وأبطَلت أُخْرَى.

وفى سنة ٣٤١، كان للمسلمين غَـزْوٌ فى الروم، نصرهم الله فيه، وفُتوحات ومُنوحات.

وفى آخر جُمادى الأولى، وردت الأخبار بأنّ زيرى بن مَناد الصّنهاجيّ عامِلَ الشيعيّ على تاهَرْت أسر سعيد بن خَزَر زعيمَ زناتة وكبيرَها.

وفى هذا الوقت، ورد كتاب ابن يَعْلَى قائد الأُسْطُول بقبضه لرَهْن محمّد ابن إدريس الحسنيّ كبير أُمراء الأدارِسة.

وفى آخر جُمادى الآخرة، وصل الى قرطبة فَتُوح بن الخَيْر بن محمّد بن خَزَر كبيرُ أُمراء زَناتة بأرض الغَرْب، وافدًا الى الحضرة، ومعه وجوهُ أهـل تاهَرْت ووِهْران؛ وأُدخلت بين يديه الرؤوس التى احتزّها للقُوّاد المشارِقة ووجوهِهم من رجال إسماعيل الشيعيّ العُبَيْدى، يَقْدُمُها رأسُ مَيْسُور الخَصِيّ ورأس محمّد بن مَيْمون وغيرها من رؤوس أعلام الشيعة، وعشرة من بُنودهم، أُدخلت مُنَكَّسةً، معها عِدّة من طبولهم؛ فرُفعت هذه الرؤوس والبُنود والطبول على باب قصر قرطبة، وأُقيمت له ولمن جاء معه الكرامات الواسعة.

وفى سنة ٣٤٢، قدمت رُسُل هُونُو[1] مَلك الصَّقالِبة على الناصر.

وفيها، خرج القائد أحمد بن يَعْلَى غازيًا الى جِلِّيقيّة؛ فمنحه الله فى الكُفّار القتل للرجال، والسبى للذُرّيّة والعيال، وإحراق القُرى، وانتساف النِّعَم؛ فقُرِئ كتابُه يوم الجمعة لليلتَيْن بقيتا من ربيع الأوّل بقرطبة؛ * وقُرِئ معه كتابُ القائد غالِب، يذكر عظيم ما فتح الله عليه ومنحه من نكاية المشركين؛ ثمّ دخلت الرؤوس الى قرطبة، ومعها النَّوَاقِيس والصُّلْبان، فقرّتْ عيونُ أهل الإسلام. P. ٢٣٥

1) A. B/ هَرْنُو.

وفى سنة ٣٤٣، ولّى الناصر مدينة طُلَيطُلة القائد أحمد بن يَعْلَى، وصرف عنها محمّد بن عبد الله بن حُدَير.

وفيها، فصل القائد حُمَيد بن بَصَل، المستأمِن الى الناصر، بالجيش الذى ضمّه اليه الى بلاد الغَرْب، وخرج معه القُرَشِيُّ السُّلَيمانىُّ المستأمِن الى الناصر أيضًا، الذى كان أميرًا على مدينتَىْ تَنَس[1] وأَرْشْقُول وما بينهما من أرض إفريقيَة؛ فأخرجه عنها قُوّاد الشيعىّ. وإسمُهُ علىُّ بن يحيى، ينتسب الى علىّ بن أبى طالب (رضه).؛ فكان خروجُهما من بين يدى الناصر بعد أن خلع عليهما خِلَع الوَداع، بعد خِلَع تقدّمت له عليهما بيوم قبل وصولهما من دراريع الديباج والخزّ وعمائم الشَّرْب المذهّبة وغير ذلك. ودفع لحُمَيد سبعة عشر ألفًا للنفقة على الجند، ومن أحمال الكسوة سبعة أحمال.

وفيها، وصل الى قرطبة وَفْد أَزْدَاجَة من البَرْبَر الذين انحاشوا الى الطاعة؛ فكسام الناصر ووصلهم. وورد كتابُ فَتحٍ من حُمَيد بن بَصَل قائدِ الناصر بالعِدْوة بما فتح الله عليه من مدينة آسْلان وانتشار الدعوة الأمويّة بنواحيها.

وفيها، قدم الحُجّاج؛ فذكروا أنّه وقع بفُسْطاط مِصرَ حريقٌ عظيمٌ احترق فيه ستّة عشر ألفًا بين دار ومَسْكَن.

وفى سنة ٣٤٤، وردت قُوّاد الثغور لسبع خلون من ربيع الآخر على الناصر، وفيهم غالب، ومُطَرِّف، ومحمّد بن يَعْلَى، وعُبَيد الله بن أحمد بن يَعْلَى، وهُذَيْل ابن هاشِم التُّجيبىُّ، ومروان بن رَزِين، وعامر بن مُطَرِّف بن ذى النُّون، يذكرون أنّهم دخلوا الى أرض العدوّ، وقصدوا حِصْناً من بلد * قَشْتِيلة؛ [236 ].] فتغلّبوا على أرباضه، وقتلوا جماعة من أهله، وقفلوا عنه؛ فوافَتْهم جموعُ النصرانيّة؛ فأيّد الله المسلمين، وانهزم المشركون أمامهم مقدار عشرة أميال، يقتلونهم كيف شاؤوا؛ فاحْصِى أنّه قُتل منهم مقدار عشرة آلاف. وكانت هذه الوقيعة بينهم لليلة

---

[1] A. et B. تونس.

بقيت من ربيع الآخر منها، فقُرِئ كتابُهم بهذا الفتح الجليل بقرطبة؛ ثمّ وردت الى قرطبة الرؤوس المحتزّة فى هذه الهزيمة نحو خمسة آلاف رأس؛ فأمر الناصر برفعها على الخشب حوالَىْ سُور قرطبة.

ولسبع خلون من جُمادى الأولى، كانت بقرطبة زلزلةٌ عظيمةٌ ظاهرةُ المرّة؛ وعادت زلزلةٌ أُخرى مثلها يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منها، وذلك عند الظُّهر.

وفيها، ثقّف الناصر أُمور الخِدْمة السُّلْطانيّة، ووزّعها بين وزرائه؛ فقلّد الوزير جَهْوَر بن أبى عَبْدة النظَر فى كُتُب جميع أهْل الخِدْمة؛ وقلّد الوزير عيسى ابن فُطَيْس النظَر فى كُتُب أهْل الثُّغور والسواحِل والأطراف وغير ذلك؛ وقلّد الوزير الكاتب عبد الرحمن الزَّجّالىّ النظَر فى تنفيذ كلّ ما يخرجه من العهود والتوقيعات، وينفّذ به الأمر أو الرأى وغير ذلك؛ وقلّد الوزير محمّد بن حُدَيْر النظَر فى مَطالِب الناس وحوائجهم، وتنجيز التوقيعات لهم. فالتزم القوم ما أُلزموا؛ فاعتدل بهم ميزانُ الخِدْمة، وسَهُلت مَطالِبُ الرعيّة.

وفيها، ورد كتاب يَعْلَى بن حُمَيْد قائدِ العِدْوة من قِبَل الناصر بما فتح الله عليه فى قائد الشيعىّ مَعَدّ بن إسماعيل صاحب إفريقيّة من هزيمته له وقتله مَن قتل من رجاله وغير ذلك. ووصل الى قرطبة ابن عمّ حُمَيْد بن يَصَل، ومعه ستّة وثلاثون من وجوه كُتَامة وغيرهم من القبائل المستأمِنين اليه من عسكر الشيعىّ؛ فأمر الناصر بانزالهم، وجلس لهم على سريره بقصر الزَّهْراء يوم الثلاثاء P. ٢٢٧ لأربع خلون منه؛ فوصلوا إليه؛ فرأوا مَقامًا جليلاً، وكلّموه، فردّ عليهم جميلاً[1]، وأحسن موعدهم، وأمر بالخِلَع عليهم، ووُصِلوا بِصلات جَزْلات، وأُمِرُوا بالرجوع الى القائد حُمَيْد بن يَصَل.

وفيها، أمر الناصر بإطلاق اللعن على مُلوك الشيعة بجميع منابر الأنْدَلُس، وإنفاذِ كُتُبه بذلك الى العُمّال بسائر الأقطار.

1) Manque dans B.

وفى سنة ٣٤٥، وَطِئ غالب، قائدُ أُسْطُول الناصر، أرض سَوَاحِل إفريقية من عَمَل الشيعيّ.

وفيها، قَدِمَ محمّد بن حُسَيْن رسولاً كـان من الناصر الى الطاغية أُرْدُون ابن رُذْمِير مَلِك جِلِّيقِيَّة، ومعه حَسْدَاى بن شَبْروط اليهوديّ، بكتابه الى الناصر، راغباً منه فى الصلح؛ فأسعفه الناصر فى ذلك على اختيار وَلَده الحكم، واشترط على الطاغية شروطاً؛ وانصرفت رُسله بذلك.

وفيها، قُتل محمّد بن أبى العَيْش الإدريسيّ أميرُ الغَرْب.

وفيها، خرج قاسم بن عبد الرحمن الى حُمَيْد بن يَصَل قائد الناصر بالغَرْب من قرطبة بأحد عشر حِمْلاً من المال وأحمال العُدَّة، تقويةً على النَّسَبِ عن الدولة المروانيّة بالغَرْب، وذلك لخمس خَلَوْن من صَفَر منها. ولمّا كان يوم النصف منه، ورد كتاب حُمَيْد بدخوله مدينة تِلِمْسان.

وفى سنة ٣٤٦، قدم الى الناصر أمراء بنى رَزِين ومن التفّ إليهم؛ فوصل الى الناصر كبيرُهم مروان بن هُذَيْل بن رَزِين الثائرُ بالسَّهْلة المنسوبة اليهم؛ فأُدْنُوا وأُكْرِمُوا.

وفيها، برز القائد غالب الناصريّ الى فَحْص السُّرَادِق غازيًا الى دار الحَرْب؛ ففُتِح عليه فى بلاد المُشركين؛ وفَتَح الحصون وقتل المقاتلة واكتسح بسيط عدُوّ الله غَرْسِيَة بن شَانْجُه مَلِكهم، وخرّب قُرَاه، ورجع بالمسلمين ظاهرين. وكذلك برز القائد أحمدُ بن يَعْلَى للغزو الى بلد العدوّ تالِيًا للقائد غالب؛ فورد كتابُه ٨٠ يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر بفتح عظيم تهيّأ له فى غزوه الى جِلِّيقِيَّة، وأنّه ثخن فى قتلهم، وحزّ من رؤوسهم أربعمائة، واستاق من الماشية والكُرَاع ما فات الإحصاء.

وفى سنة ٣٤٧، أوّلَ المحرّم، أمر الناصر صاحبَ الشُّرْطة القائدَ أحمد بن يَعْلَى بالخروج غازيًا فى الأسْطُول الى بلد الشيعيّ مَعَدّ بن إسماعيل صاحب

إفريقية؛ فبرز ابن يَعْلَى الى محلّة الرَّبَض لغزاته هذه يوم الخميس لثمان خلون منه؛ وكان بروزه فخمًا، خرج اليه من النَّظّارة من أهل قرطبة رجالهم ونسائهم وأبنائهم وولدانهم خلقٌ لا يُحْصيهم إلاّ خالِقُهم؛ فانتشروا بأكتاف الرَّبَض على عادتهم؛ فأخذ السَّفَلة منهم والغَوْغاء يتقاذفون بالحجارة حاكين لِصَنْفَى القتال؛ فدخل فى عَرْضهم قومٌ من الطَّنْجيّين من جُنْد السلطان حَشَوا الضراب بينهم، حتى حَمِيَ وَطِيسُه، وقد تكنّف صنْفَيْهم مِن النَّظّارة الرجال والنساء خلقٌ عظيمٌ. فلم يَكُ إلاّ ساعةٌ، ودارت بينهم جَوْلةٌ ظهر فيها أحَــدُ صِنْفَيْهم؛ فمالوا على مغلوبيهم، وانبسطوا عليهم؛ فامتدّ الطَّنْجيّون بغالب شَرّهم وجَهْلِهم إلى نَهْب مَغْلُوبيهم من الرجال، وتخطّوْهم إلى من حَوْلَهم من النَّظّارة، وانبسطوا على النساء؛ فسلبوهنّ ثيابَهنّ، وفضحوا كثيرًا منهنّ؛ فجعل المُجَرَّدات من النساء يَتَوارَيْنَ فى الزرع المُكْتَلّ، حياء من الناس، وترقّباً لوقت تفرّقهم. وشَرْحُ ذلك يطول.

وفى جُمادى الآخرة منها، ورد كتابُ قائد الأُسْطُول أحمد بن يَعْلَى من مدينة آسْلاَن من عَمَل تِلِمْسان، يذكر أنّ جَوْهَرًا قائدَ مَعَدّ بن إسماعيل صاحب إفريقية قَتَلَ يَعْلَى بن محمّد بن صالح اليَفْرَنيّ صاحبَ مدينة آفكّان غدرًا، وأنّ ابن عمّه انتصب مكانَه بإقامةِ (1 من جِلّة 1) قومه له، • ورجع القائد المذكور P. ٢٢٩ الى قرطبة ومعه وَلَدُ ابْنِ قُرّة، ابْنِ عمّ يَعْلَى بن محمّد المتقدّم الذكر، المقدّم بعده فى قومه بنى يَفْرَن؛ فبُولِغ فى إكرامه.

وفى سنة ٣٤٨، فى أوّل ربيع الآخر منها، خرج علىّ بن يحيى الحَسَنىّ الى شَرْشَل مَكانِهِ من العِدْوة قائدًا، بمن انضمّ إليه من الحَشَم، لمُكافحة أصحاب الشيعىّ صاحبِ إفريقيَة.

وفى أوّل ذى القعدة منها، أوصل الناصر الى نفسه حَرِيز بن مُنْذِر فى جماعةٍ من وُجوه الموالى والعُرَفاء ورجال الجُنْد، يأمرهم جميعًا بالخروج الى مدينة

1—1) Manque dans A.

سنة من أرض العدوة، مع بدر الفتى الكبير صاحب السيف، لتنفيذ العدد فيها من أجل جولان جوهر قائد معد الشيعى صاحب القيروان بأرض العدوة؛ فنفذوا لأمره، ومكثوا كذلك الى أن أمنت الحادثة؛ فانصرفوا مع القائد بدر، آخر ذى الحجة من السنة.

وفى سنة ٣٤٩، كان ابتداء علة الناصر، وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر، وذلك نصفَ النهار منه، طرقت أمير المؤمنين الناصر علتُه الصعبة من الريح الباردة؛ فأرجفت به، وخيفَ عليه، وأكبّت الأطباء على معالجته، إلى أن ظهر عليه تجفيفٌ[1]؛ فتجشّم[2] القعود لخاصته فى العشر الأول لجمادى الأولى. فوصل إليه الفتيانُ الأكابر، وصاحبُ الطراز، وخواصُّ أكابر العبيد كمُظفّر وذويه؛ فاستبشر أهلُ المملكة بما بدا لهم من انحطاط مرضه، وسألوا الله كمال عافيته؛ والقضاء قد سبق بموته من علته؛ فلم تُفارقْه، تخفّ حيناً وتثقُلُ حيناً، إلى أن قضت عليه فى سنة ٣٥٠ التى بعد هذه.

## بعضُ أخبار الناصر (رحمه الله) على الجُملة.

كان الناصر (رحمه الله) ملكاً أزال[3] اللأواء؛ وحسمَ الأدواء، وقهر الأعادى، وعدل فى الحاضر والبادى؛ قد أسّس الأسوس؛ وغرس الغروس، ٢٤٠ واتّخذ المصانع والقصور، وترك أعلاماً باقيةً الى النفخ فى الصور. فاعتبِرْ بالزهراء كم بها من قصر مَشيد، وآثار ملوك صيد؛ قد عادت معاهدُها بعدَهم[4] دارسة، وآثارُها دونهم طامسة؛ تُنفِى الرياحُ بجنباتها، وتبكى الغيومُ على عرَصاتها. ولمّا ولى الناصرُ لدين الله، اعتزّ رُكنُ الدين، واحتمى ذِمار المسلمين، وقام الجهادُ على ساق، وخمدت نارُ الخلاف والشقاق، ودخل الناسُ

1) Dozy, *Corr.*, propose تخفيف. 2) Glose marginale dans B.: التجشم : التكلف.
3) A. et B. أدال. 4) B. معاهدهم بعدها.

فى طاعته أفواجاً، واستنفروا[1] الى دعوته أفرادًا وأزواجاً. فناهيك من فضلِ أعطاهُم، وعدلٍ أكنفهم به وغطّاهم، وتكرِمة أنالهم إيّاها، ومسرّةٍ أبدى لهم محيّاها؛ قد ملكَ سبتة وما يليها من الأقطار، وطرَدَ عنها ملوكَ الأدارِسة طرْدَ الليل النهار، وبثّ عُمّاله وقوّاده فيها. وطاعت له البرابرُ فى جميع نواحيها، واعتصموا بحَبْله، ولاذوا بفَضْله وعَدْله. وكان اصطفى مَوْلاه بَدْراً، وجعله شمْسًا لمُلْكه وبَدْراً، وقلّده خُطّة الحِجاب، وجعل له السّفْىَ والإيجاب، فشدّ مُلْكه بقوّةٍ ساعِدٍ، [2]وسَعْدٍ مُساعِدٍ[2]؛ ثمّ قدّم موسى بن حُدَيْر، فكمل به المُلْك واتّسَق[3]، واتّفَقَ له من الجِدّ ما اتّفق، فقاد عسكراً مَجْراً، وجرّ الدُّنيا جرًّا.

ومن قول ابن عبد ربّه فيه [بسيط]:

| | |
|---|---|
| قَدْ أوْضَحَ اللهُ لِلإسْلامِ مِنْهاجا | والناسُ قَدْ دخلوا فى الدِّينِ أفْوَاجا |
| وَقَدْ تَزَيّنَت الدُّنيا لساكِنِها | كأنّما أُلْبِسَتْ وَشْيًا ودِيباجا |
| يا ابْنَ الخَلائفِ إنّ المُزْنَ لَوْ عَلِمَتْ | نَداكَ ما كان مِنْها الماء ثجّاجا |
| والحَرْبُ ولَوْ عَلِمَتْ بأسًا تَصُولُ به | ما هيّجَتْ من حُمَيّاكَ الذى اهْتاجا |
| مَاتَ النِّفاقُ وأَعْطَى الكُفْرُ ذِمّتَهُ | وذَلّت الخَيْلُ إلجاماً وإسْراجا |
| وأصْبَحَ النَّصْرُ معقوداً بِألْوِيَةٍ | تَطْوِى المَرَاحِلَ تَهْجِيراً وإدْلاجا |
| إنّ الخِلافةَ لنْ تَرْضَى وَلا رَضِيَتْ | حتّى عَقَدْتَ لها فى رأسِكَ التّاجا |

P. ٢٤١ • ومن مَناقِبه، أنّه لم يَبْقَ فى القصر الذى هو من مَصانِع أجداده ومَعالِم أوّليّته بنيةٌ إلاّ وله فيها أثرٌ مُحْدَثٌ، إمّا بتجديد أو بتزييد. ومن مَناقبه، كَثْرةُ جوده الذى لم يُعْرَف لأحدٍ قَبْلَه من أجواد الجاهليّة والإسلام، حتّى قيل فيه (رحمة الله عليه) [كامل]:

---

1) B. واستبقوا.     2—2) Manque dans A.

3) A. واتسق. On peut également penser à وانْتَسَق.

يا ابْنَ الخَلائفِ والعُلَى لِلْمُعْتَلِي    والمَجْدُ يُعْرَفُ فَضْلُهُ لِلْمُفْضِلِ
نَوَّهْتَ بالخُلَفاء بَلْ أَخْمَلْتَهُمْ    حتى كأَنْ نَبِيلَهُمْ لَمْ يَنْبُلِ
أَذْكَرْتَ بَلْ أَنْسَيْتَ مَا ذَكَرَ الوَرَى    مِنْ فِعْلِهِمْ فَكَأَنَّهُ لَمْ يُفْعَلِ
وأَتَيْتَ آخِرَهُمْ وَشَأْوُكَ فَائِتٌ    لِلآخِرِينَ وَمُدْرِكٌ لِلأَوَّلِ
تَأْبَى فِعَالُكَ أَنْ تُعَدَّ لِآخِرٍ    مِنْهُمْ وَجُودُكَ أَنْ يُعَدَّ لِأَوَّلِ

وكَمْ للناصر (رحمه الله) من غَزَوات مذكورة، وفتوحات مشهورة، يبقى فى الأعقاب فخرُها، ولا يَبْلَى على مَرِّ الأحقاب أثَرُها.

وقد نظم ابن عبد رَبّه فى غزواته أُرجُوزةً من سنة ٣٠١ الى سنة ٣٢٢. وقد أطال الشُعَراء فى مدحه، وأطنبوا فى شكره؛ [1] ولولا أنّ الناس مكتفون بما فى أيديهم منها، لأعْدَنا هُنا ذِكْرَها أو ذِكْرَ بعضها؛ ولكن المَذْهَب هنا الاقتصار، والإيجازُ والاختصار [1].

. حكاية. ومما ذُكر من إفضاله، مع بعض عُمّاله، قال حيّان بن خَلَف: كان محمّد بن سعيد المعروف بابن السَّلِيم قد احتجن أموالاً كثيرة بتصرُّفه فى كبار الولايات فى المدّة الطويلة؛ فعلِمَ ذلك منه الناصر؛ فعرض له مِراراً فى أن يُساهِمَه فيه عن طِيب نَفْس منه، [2] وهو مَلِكُه، ولو شاء لأخذه منه، ولكن أبى ذلك كَرَمُ طبعه [2]. فقال فى مجلسه يوماً: «ما بالُ رجالٍ من خاصّتنا توسّعوا فى دُنيانا، فطَفِقوا يحتجنون الاموال، ويُضيعون تَعَهُّدَنا [3]، وهم يرَوْنَ غليظَ مَؤُونتنا فى الإنفاق على شؤوننا التى يَقْدُرّتنا عليها صلاحُ أحوالهم ورَفاهِيَةُ عَيْشِهم. ويعلمون أنّ أمير المؤمنين عُمَر بن الخطّاب (رضه)، قُسْطاسُ [4] الموَازين، P. ٢٤٣ قاسَمَ عُمّالَه أرباحَهم فى [5] تجاراتهم؛ فجعلها [5] فى بيت المال، وهُوَ مَن هُوَ، وهُمْ من هُمْ، والأُسْوَةُ فى فِعْله!» فسكت ابن السَّلِيم عنه وغالَطَه [6] فى تعريضه كأنّه

---

1—1) B. résume ainsi : .تركنا ذلك اختصاراً    2—2) Manque dans B.
3) A. لعبدنا (Corr. .(تعهّدنا    4—4) A. .قسطا من
5—5) A. .عالاتهم فصيّرها    6) A. .وخالطه

يعنى غَيْره. فازداد الناصرُ حَنَقًا عليه وغيظًا، فقال له يومًا فى بعض مجالسه الخاصّة معه، وقد أخذ الشرابُ منه، وشقّ تفّاحةً بسكّين فى يده: «وَددتُ أن اشُقّ هاكذا رأسَ مَنْ أعْرِفُ له مالاً كثيرًا غلّه دوننا، ولم يُسْهِمْ بيت المال منه!» فطار عقلُ ابن السَّلِيم، ولم يَخْتَلِجْه الشكُّ فى أنّه المَعْنِىُّ به، فقام بين يدَيْه، وقال: «يا أمير المؤمنين! طال ما عَرَّضتَ بى! فسكتُّ، بَلَى والله! إنّ عندى مالاً كثيرًا، وهو دون ظَنِّك فيه، حُطْتُه بالتقتير، وأعددتُه للدّهْر العثور، ولستُ والله أعطيكَ منه دِرهمًا، فما فَوْقَه، ورأيُك فِىّ جميلٌ إلاّ أنْ تستحلّ[1] (وأعوذُ بالله!) أن تَمُدَّ يَدَكَ إليه بغير جنايةٍ جَنَيْ عليك! فإنّ الأنْفُسَ مُحْضرة الشُّحّ[2]». قال: فخجل الناصر وأطرق يتلو قَوْل الله تعالى: «إنْ يَسْئَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أضْغانَكُمْ[3].» ثمّ أقبل على ابن السّلِيم يؤنّسه ويُسكّن جأْشَه، الى أن اعتدل مَجْلِسُه، فجعل يُمْعِنُ فى الشُّرْب طَلَبًا للسُّكْر للذى خامَرَهُ من الذُّعْر. فقال له الناصر: «خَفِّضْ عليك، يا محمّد، فلا سبيل إليك!» فلمّا سَكِرَ ابن السّلِيم، تَهَوَّعَ، فقذف، وابتدره الوُصَفاء بالطسْت والمَناديل، فأقبل الناصر وأخذ برأسه يمسكه، ويقول له: «استفرِغْ ما فى مِعدَتِك وتَأَنَّ بنفسك!». فأنكر ابن السّلِيم كلامه بين الخَدَم، وصرف اليه رأسه، وإذا به الناصر. فما تَمالَكَ أن خرّ إلى رِجْلَيْه يُقَبِّلُهما، ويقول: «يا أبْنَ الخلائف! إلى هُنا انتهيْتَ P. ٢٤٣ من بِرّى!» وجعل يدعو له، ويُعَظِّم شكره، فقال له الناصر: «لَيْتَنى أخرج كَفافًا من شأنى معك الليلةَ: تأنيساً بإخافة وإلطافاً بجفوة». ثمّ أمر له بكسوة، وانقلب الى أهله. فكان هذا ممّا يُعَدُّ من كَرَمه وفضله. فلمّا مضت أيّامٌ، أرسل ابنُ السّلِيم الى الناصر بمائة ألف دينار دَراهِمَ، فقَبِلَها الناصر، وشكر فَضْلَه[4] وعوّضه بكبير الولايات، وصَحِبَتْهُ منه النعمةُ العريضة الى حين وفاته.

. حكاية. ومازحَ الناصر (رحمه الله) يوماً وزيره أبا القاسم لُبّاً، فقال له:

---

1) B. تستحيل.  2) Allusion à *Coran*, IV, 128.

3) *Coran*, XLVII, 37.  4) B. فعله.

«يا لُبُّ اهْجُ الوزيرَ عبد الملك بن جَهْوَر!» فامتنع عليه، فقال لابن جَهْوَر: «فاهْجُهُ أنتَ، إذ أَبَى هو مِن هَجْوِك». فقال: «يا أمير المؤمنين، أتوقّع عِرْضى منه، وأصونُ نفسى عنه!» فقال الناصر: «فأنا أهْجُوه.» فقال [سريع]:

لُبٌّ أبو القاسِمِ ذُو لِحْيَةٍ طَوِيلةٍ فى طُولِها مَيلُ

ثمّ قال لابن جَهْوَر: «لابُدّ لك من تذييل هذا البيت، فَدَعِ الاعتذار.» فقال:

وعَرْضها مِيلانِ إن كُسِّرَتْ والعَقْلُ مأفونٌ ومدْخُولُ
لَوْ أنّه احتاج الى غَسْلِها لم يَكْفِهِ فى غَسْلِها النِّيلُ

فضحك الناصر، وقال لِلُبّ: «إنّه قد سبب لك القَوْلَ، فقُلْ!» فقال لُبّ:

قَالَ أَمِينُ اللهِ فى خَلْقِهِ لى لِحْيَةٌ أَزْرَى بِها الطُّولُ
وابنُ عُبَيْرٍ قَالَ قَوْلَ الّذى مَأْكُولُهُ القَرْظِيل[1] والنُّولُ
لولا حَيائى مِن إمامِ الهُدَى نَخَسْتُ بالمِنْخَسِ «شُو قُولُ[2]»

فلمّا بلغ لُبٌّ الى قوله «شُو» سكت، فقال له الناصر: «قُولُ». فأتمّ له على نحو ما أضمر، فقال له: «أنت هَجَوْتَهُ، يا مَوْلاى!» فضحك الناصر، وأمر له بصلة.

وكان الناصر قد خرج يوماً على فرس أَبْلَق[3] فى هيئة جليلة[3] والوزراء قد حفّوا به، فقال ابن عَبْد رَبِّهِ فى ذلك مُرْتجلاً[4] [سريع]:

P. ٢٤٤

بَدْرٌ بَدَا مِنْ نَحْوِ أَبْلَقٍ يَحْسُدُ فِيهِ المَغْرِبَ المَشْرِقُ
لَوْ يعلَمُ الأَبْلَقُ مَنْ فَوْقَهُ[5] لاختالَ من عُجْبٍ به الأَبْلَقُ
إمامُ عَدْلٍ باسِطٌ كَفَّهُ يَرْزُقُ منها اللهُ مَنْ يَرْزُقُ
عادَ به الدَّهْرُ الّذى قَدْ مَضَى وجَدّ واللهِ[6] بـه المُخْلَقُ

---

1) A. القرطيل B. القرصيل. 2) C'est le roman *Iŭ šûlo* (= *su culo*).

3—3) Manque dans A. 4) A. من قصيدة.

5) A. B. تحته. La bonne leçon est donnée par C. 6) A. B. وجدّد الله.

وكان، لمّا ترعرعَ ابنُه الحَكَمُ بن عبد الرحمن، ولاّه العَهْد من بَعْده. وكان له أخٌ اسمُه عبد الله؛ فحسده على ذلك، واجتمع عليه قومٌ، وأراد قتل أخيه؛ واتفق مع أصحابه أن يبادروه؛ فافتضحوا وقُتلوا جميعاً، كما تقدّم. وأمّا الوَلَد عبد الله، فذُكِر أنّه أخرجه أبوه الناصر ثانى يوم عيد الأضحى؛ فذُبِح بين يديه [1](رحمه الله)؛ وكان عالماً فاضلاً[1].

وكان الناصر أمر ببناء الصَّوْمَعة العظيمة فى سنة ٣٤٠، وشرع في بنائها؛ وهى الشهيرة التى لا صومعة تعدلها. وكان الذى دعاهُ الى بنائها ...... حدث فى القديمة؛ فهُدمت الى قواعدها ......... وبنيت بِصَخْر الحجارة المنقولة إليها على العَجَل؛ وجمع لها ......... فجاءت فائقة الصنعة. وقد كانت الأُولى ذات مَطْلَع واحد؛ فصيّر لهذه مَطْلَعَيْن، وفصل بينهما بالبناء؛ فلا يلتقى الراقون فيها إلاّ بأعلاها. ولكلّ مَطْلَع منها مائة درج وسبعة أدراج؛ وطولُها ثمانون ذراعاً بالرَّشَّاشيّ الى وقوف المؤذِّن؛ وفى أعلى ذِرْوة المنار ثلاث رُمّانات تُغْشِى النَّوَاظِر بشعاعها، وتخطف الأبصار بالتماعها: الأُولى مفروغة من الذَّهَب، والوُسْطَى من الفضّة، والثالثة من الذَّهَب أيضاً؛ وفَوْقها سُوسانةٌ من الذَّهَب المَحْض مُسَدَّسةٌ؛ وفَوْق السُّوسانة رُمّانـةٌ صغيرةٌ من الذَّهَب؛ ثمّ طَرَفُ الزُّجّ، وفيه تأريخٌ مكتوبٌ بالذَّهَب. وزِنَةُ كلّ رُمّانة من الثلاثة المذكورة قنطارٌ واحدٌ فما دونَه، ودَوْرُ كلّ واحدة ثلاثة أذرع ونصف. وكمل بناء الصَّوْمَعة فى جُمادى الأُولى؛ فذلك ثلاثة عشر شهراً[2].

وكان الناصر زاد فى المَسْجِد الجامع بقرطبة زيادتَه المشهورة، [3]المتّصلة بزيادة ابنه الحَكَم بَعْدَه[3]، وفيها القَبْوُ الكبيرُ الذى يَصْطَفّ المؤذّنون أمامَه يوم

---

1—1) Seulement dans C. 2) Tout le passage qui précède depuis le début de l'alinea est inédit et ne figure que dans le ms. C, où quelques fins de lignes du début sont à peu près effacées. 3—3) Ce passage d'une importance extrême pour l'étude archéologique de la grande-mosquée de Cordoue est seulement donné par C.

الجُهْمة للأذان، وهو من أعجب البنيان. وإذ قد وقع ذِكـرُ المسجد الجامع بقرطبة، فالواجبُ أن نذكر أوّلَ مَنْ أحدَثَهُ ومَنْ تولّى بناءه من ملوك بنى أميّة. على سبيل الاختصار، فنقول:

## ذِكر مَسْجِد قُرْطُبة الأعْظَم

ذكر الرّازيّ عن الفقيه محمّد بن عيسى أنّه قال: لمّا افتتح المسلمون الأنْدَلُس. استدلّوا بما فعل أبو عُبَيدة وخالِد (رضهما) عن رأى أمير المؤمنين عُمَر بن الخطّاب (رضه) من مُشاطَرة الرُّوم فى كَنَائسهم مِثْل كنيسة دِمَشْق وغيرها ممّا أخذوه صُلْحًا. فشاطَرَ المسلمون أعاجِمَ قُرْطُبة فى كَنِيستهم العُظْمَى التى كانت بداخلها، وابتنى المسلمون فى ذلك الشَّطْر مسجداً جامعاً. وبقى الشطْرُ الثانى بأيدى الروم، وهُدِمَتْ عليهم سائـرُ الكنائس. فلمّا كثر المسلمون بالأنْدَلُس، وعَمُرت قرطبة ونزلها أُمراء العَرَب بجيوشهم. ضاق عنهم ذلك المسجد، وجعلوا يُعلِّقون منه سَقائفَ، فنال الناسَ من الضيق مَشَقّةٌ عظيمةٌ. فلمّا دخل عبدُ الرحمن بن مُعاوية الأندلس، وسكن قرطبة، نظر فى أمر الجامع، * وتوسيعه، ٢٤٥ وإتقانِ بنائه، فأحضر أعاجِمَ قرطبة، وسألهم بَيْعَ ما بقي بأيديهم من الكَنِيسة المذكورة، وأوسع لهم البَذْلَ فيه، وفاءً بالعهد الذى صُولحوا عليه، وأباح لهم بناء كَنَائسهم التى كانت هُدِمَتْ عليهم فى وقت الفتح بخارج قرطبة. وخرجوا عن الشَّطْر، فاتّخذه[1] وأدخله فى الجامع الأعْظَم[2]. وكان شروع عبد الرحمن الداخل فى هَدْم الكنيسة وبناء الجامع سنة ١٦٩، وتمّ بناؤه، وكملت بلاطاتُهُ، واشتملت أسوارُه فى سنة ١٧٠، فذلك مدّةُ من عامٍ كاملٍ، فقيلَ إنّ النَفَقَة التى أنفق الإمامُ عبد الرحمن بطول هذه السنة فى بناء الجامع ثمانون ألفًا بالوَازِنة. وفى ذلك يقول البَلَوىُّ (رحمه الله) [طويل]:

1) Manque dans A. 2) A. الأعظم. 3) A. واحد.

وَأَبْرَزَ فى ذاتِ الإلـهِ وَوَجْهِهِ   ثمانينَ ألفا من لُجَيْنٍ وعَسْجَدِ
فأنفقها فى مَسْجِدٍ أُسُّه التُّقَى   وَمَنْهَجُه[1] دِينُ النبيِّ مُحَمَّدِ

ثمّ زاد ابنُه هشام صَوْمَعة ، كان ارتفاعُها أربعين ذِراعاً الى موضع الأذان وبنى بآخِرِ المسجد سَقائفَ لصلاةِ النساء؛ وأمر ببناء الميضأةِ بشرقىّ الجامع. وأقام الجامع على هَيْئَته تلك الى أيّام عبد الرحمن بن الحَكَم؛ ثمّ زاد عبد الرحمن بن الحَكَم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الزيادة المُنْتَظِمة بالأرْجُل، طُولُها خمسون ذراعاً، وعَرْضُها مائة وخمسون، وعَدَدُ سَوَارِيها ثمانون سارية؛ وكان الفراغ من هذه الزيادة فى جُمادى الأولى سنة ٢٣٤. ثمّ زاد الأمير محمّد بن عبد الرحمن أنْ أمر بإتقان طُرَر[2] الجامع، وتنميق نقوشه، وبإقامة المَقْصُورة، وجعل لها ثلاثة أبواب؛ فلمّا كمل ما أمر به فى الجامع، دخله وصلّى فيه رَكَعات خَشَعَ فيها. فقال فى ذلك موسى بن سعيد [طويل]:

لَعَمْرِى لقد أبْدَى الإمامُ التواضُعَا   فأصْبَحَ للدُّنيا وللدِّينِ خَاشِعا[3]
بَنَى مَسْجِدًا لم يُبْنَ فى الأرض مِثْلُه   وصلّى به شُكْرًا لذى العَرْش راكِعا
P. ٢٤٦ فطُوبَى لمن كانَ الأمير محمّد   لـه إذْ دَعَـا فيه الى الله شافِعا

ثمّ زاد الأميرُ المُنْذِرُ بن محمّد البَيْتَ المعروف ببَيْت المال فى الجامع؛ فوضع فيه الأموال المُوَقَّفة لغُيَّاب[4] المسلمين؛ وأمر بتجديد السِّقاية وإصلاح السَّقائف. ثمّ زاد أخوه الأمير عبد الله بن محمّد ساباطًا معقودًا على حَنَايا، أوْصَلَ به ما بَيْن القصر والجامع من جِهَة الغَرْب؛ ثمّ أمر بستارةٍ من آخر هذا الساباط الى أن أوصلها بالمحراب؛ وفتح إلى المقصورة باباً كان يخرُج منه الى الصلاة؛ وهو أوّلُ من اتّخذ ذلك من أمراء بنى أُميّة بالأندلس (رحمهم الله).

رَجْعُ الخَبَرِ الى ذِكْر الناصر. قيل إنّه أنفق فى صَوْمعة المسجد وفى تعديل

1) B. وشِرْعَتُه. 2) Vocalisé dans B. 3) A. جامعا.

4) La correction de Dozy لِغِيبات semble injustifiée.

المسجد وبنيان الوَجْهِ للبلاطاتِ الأحد عشر بلاطاً سبعة أمْدادٍ وكَيْلَيْن ونصف كَيْل من الدراهم القاسمية. وجُمْلةُ ما أنفق عبد الرحمن الناصر فى بناء مدينة الزَّهْراء وقُصورها خمسة وعشرون مُدْياً من الدَّراهم القاسميَّة وستَّة أقْفِزة وثلاثة أكْيَال ونصف.

## ذِكْرُ بناء مدينة الزَّهْراء بقُرْطبة (أعادها الله للإسلام بفضله)

ابتُدِئَ بنيانها فى أيَّام الناصر من أوَّل سنة ٣٢٥. وكان يُصْرَف فيها كلَّ يوم من الصَّخْر المنجور ستَّة آلاف صَخْرة سِوَى التبليط فى الأسوس؛ وجُلِبَ إليها الرُّخام من قَرْطاجَنَّة إفريقيَة ومن تُونُس، وكان الأُمَناء الذين جلبوه عبدُ الله بن يُونُس، وحَسَن القُرْطُبِىّ، وعلىّ بن جعفر الإسْكَنْدَرانىّ؛ وكان الناصر يَصِلُهم على كلّ رخامة بثلاثة دنانير، وعلى كلّ سارية بثمانية دنانير سِجِلْماسيَّة. وكان فيها من السَّوارِى أربعة آلاف سارية وثلاثمائة سارية وثلاث عشرة سارية، المجلوبة منها من إفريقيَة ألف سارية وثلاث عشرة سارية. وأهدى إليه مَلِكُ الرُّوم مائة وأربعين سارية؛ وسائر ذلك من رخام الأنْدَلُس. وأمَّا الحَوْض الغريب المنقوش المذَهَّب بالتماثيل، فلا قيمةَ له، جَلَبَهُ ربيعُ الأسْقُف من القُسْطَنْطِينة من مكان ٢٤٢ الى مكان حتَّى وصل فى البَحْر؛ ووضعه الناصر فى بيت المَنام فى المَجْلِس الشرقىّ المعروف بالمُؤْنِس؛ وكان عليه إثنا عشر تِمْثالاً من الذَّهَب الأحمر مرصَّع بالدُّرّ النفيس العالى ممَّا صَنَعَه بدار الصَّنْعة بقصر قُرْطُبة. وكان المتولِّى لهذا البنيان المذكور ابنُه الحَكَم، لم يَتَّكِل الناصر فيه على أمين غيره. وكان يُخْبَز فى أيَّامه كلّ يوم بِرَسْم حِيتَان البُحَيْرات ثمانى مائة خُبْزة، وهذا من أعْظَم الأشياء إلى ما فوق ذلك.

وكان الناصر قد قسم الجِباية على ثلاثة أثلاث: ثُلُثٌ للجُنْد، وثُلُثٌ للبناء، وثُلُثٌ مُدَّخر. وكانت جباية الأنْدَلُس يومئذٍ من الكُوَر والقُرَى خمسة آلاف ألف

وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار؛ ومن المُسْتَخْلَص والأسواق سبع مائة ألف دينار وخمسة وستّين ألف دينار.

وممّا قيل فى آثار مدينة قُرْطُبة وعِظَمِها حين تكامل أمْرُها فى مدّة بنى أميّة (رحمهم الله تعالى) إنّ عِدّة الدُّور التى بداخلها للرعيّة دون الوزراء وأكابر أهل الخِدْمة مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار؛ ومساجدُها ثلاثة آلاف؛ وعِدّة الدُّور التى بقصرها الزّهْراء أربعمائة دار، وذلك لسُكْنَى السلطان وحاشيته وأهل بيته. وعَدَدُ الفِتْيان الصّقالِبة ثلاثة آلاف وسبع مائة وخمسون. وعِدّة النساء بقصر الزّهْراء الكبار والصغار وخَدَم الخِدْمة ستّة آلاف وثلاثمائة امرأة؛ وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رِطْل ينقسم من عشرة أرطال للشخص إلى ما دون ذلك، سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحِيتان. وعَدَدُ حمّاماتها ثلاثمائة حمّام؛ وقيل إنّها المبرّزة للنساء[1]. وكان عَدَدُ أرباض قُرْطُبة (أعادها الله للإسلام) فى ذلك الوقت ثمانية وعشرين رَبَضاً، منها مَدِينتان: الزّهْراء والزاهِرة. وأمّا البِيلة التى كانت فى المَجْلِس البَدِيع، فإنّها كانت من تُحَف قَيْصَر اليُونانىّ صاحب القُسْطَنْطِينة، بعث بها للناصر مع تُحَف كثيرة سَنِيّة. فسُبْحانَ من لا يبيد مُلْكُهُ ولا ينقطع عِزُّه!.

P. ٢٤١

وفى سنة ٣٥٠، تُوفّى الناصر (رحمه الله)، وذلك فى صدر رمضان منها. ووُجِدَ بخطّه تأريخٌ قال فيه: «أيّام السرور التى صَفَتْ لى دُونَ تكدير[2] فى مدّة سُلْطانى[2] يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا.» فعُدّت تلك الأيّام؛ فوُجِد فيها أربعة عشر يوماً. فأعْجِبْ أيّها العاقل[3] لهذه الدنيا، وعدم صَفائها، وبُخْلها[4] بكمال الأحوال لأوليائها. إنّ الخليفة الناصر ملك خمسين سنة وسبعة أشهر وثلاثة أيّام، ولم يَصْفُ له من الدّنيا إلاّ أربعة عشر يوماً! فسبحانَ ذى العزّة العالية، والمملكة الباقية، تبارَكَ اسمُهُ وتعالَى جَدُّه!

---

1) B. للناس.  2—2) Manque dans A.
3) B. الغافل.  4) A. وبحلها.

ومِمّن رثاه، جعفر بن عثمان المُصْحَفىّ. فقال [طويل]:

ألا إنّ أيامًا هَمَتْ بإمامها ... لَجائرةٌ مُشْتَطّةٌ فى احتكامها

فلَمْ يُؤْلِم الدّنيا عِظامُ خُطُوبها ... وأحْداثِها إلاّ قُلُوبَ عِظامِها

تأمّلْ فهَلْ من طَالِعٍ غيْرَ آفِلٍ ... لَهُنّ وهَلْ من قاعِدٍ لقِيامِها

وعَايِنْ فهَلْ من عائشٍ برَضاعِها ... من الناس إلاّ ميّتٌ بفِطامِها

كأنّ نفوسَ الناسِ كانت بنَفْسِهِ ... فلمّا تَوارَى أيْقنَتْ بحِمامِها

فطَارَ بها يَأْسُ الأسَى وتَقاصَرَتْ ... يَدُ الصّبْرِ عن أعوالِها واحْتِدامِها

## خلافة الحَكَم بن عبد الرحمن المُسْتَنْصِر بالله

نَسَبُه: الحَكَم بن عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحَكَم بن هِشام بن عبد الرحمن الداخل. •كُنْيَتُه: أبو المُطَرِّف. ٢٤٩٠:١ أمّهُ: اسْمُها مَهْرَجان. عُمُرُهُ: ثلاث وستّون سنة وسبعة أشهر. بُويِعَ بعد موت أبيه لثلاث خلَوْنَ لرمضان سنة ٣٥٠. وتوفّى ليلة الأحد لثلاث خَلَوْن من صَفَر من سنة ٣٦٦؛ فكانت دولتُه خمس عشرة سنة، وسبعة أشهر، وثلاثة أيّام. لَقَبُه: المُسْتَنْصِر بالله. صِفَتُه: أبْيَضُ مُشْرَب بحُمْرةٍ، أعْيَنُ، أقْنَى، جَهِيرُ الصوت، قصيرُ الساقَيْن، ضَخْم الجِسْم، غليظُ العُنُق، عظيمُ السّواعِد، أفْقَمُ.

قُضَاتُه: مُنْذِر بن سعيد البَلّوطىّ قاضى أبيه؛ ثمّ أبو بكر محمّد بن السَّلِيم.

نَقْشُ خاتَمِه: الحَكَمُ بقضاء الله رَاضٍ.

وافتتح خلافته بالنظر فى الزيادة فى المسجد الجامع بقُرْطُبة؛ وهو أوّل عهدٍ أنْفَذَهُ؛ وقلّد ذلك حاجِبَه وسَيْفَ دولته جَعْفَر بن عبد الرحمن الصِّقْلَبىّ؛ وذلك لأربع خَلَوْن لرمضان من السنة، وهو اليوم الثانى من يوم خلافته. فكان أوّلَ ما عَهِدَ إليه تقديمُ النظَر فى سَوْق الصُّخور التى هى أُسُّ البنيان؛ فابْتُدِئَ بانتقالها فى رمضان المذكور. وكان قُطْرُ[1] قُرْطُبة قد كثر به الناس؛ فضاق الجامعُ عن

[1] A. قصر.

حملهم، ونالهم التعبُ في ازدحامهم، فسارعَ المُسْتَنصِر الى الزيادة فيه، فخرج لتقديرها، وتفصيلِ بُنيانها، وأحضر لها الأشياخ والمُهَنْدِسين، فحدّوا هذه الزيادة من قِبْلة المسجد الى آخِر الفضاء مادًّا بالطُّول لأحد عشر بلاطاً. وكان طولُ الزيادة من الشمال الى الجنوب خمسة وتسعين ذراعاً، وعَرْضُها من الشرق الى الغرب مثل عَرْض الجامع سواء، وقطع من حِذا ساباط القصر المتّخذ لخروج الخليفة الى الصلاة الى جانب المِنْبَر بداخل المقصورة، فجاءت هذه الزيادة من أحسن ما زِيدَ في المسجد (١ قَبْلُ وأشَدِّه وأتْقنه ١).

• ذِكْرُ الحُبُس الذي حبّس المُسْتَنصر بالله على الجامع بقُرْطُبة • لمّا كملت زيادته، أحضر الفقهاء والعُدول الشُّهَداء وأعيانَ الناس • ووُجوهَهم وقُضاتَهم P. ٢٥٠ وأئمّتَهم. فحمِدَ اللهَ، وأثنى عليه، وجدّد شكره على توفيقه، لإجراء هذه البِنْيَة الكريمة على يديه، وأنّه تلقّى هذه النِّعْمة العظيمة بأن حبّس رُبْعَ جميع ما جرّته إليه الوراثة عن أبيه أمير المؤمنين في جميع كُوَر الأنْدَلُس وأقاليمها على ثغور الأنْدَلُس كافّةً تُفرّقُ عليهم غِلاّت هذه الضِّياع عاماً بعد عام على ضَعَفائهم إلاّ أنْ تكونَ بقُرْطُبة مَجاعةٌ، فتُفرّق فيهم إلى أن يَجْبُرَهم الله. وجعل القَبْضَ والنَّظَرَ في هذا الحُبُس الى حاجِبِه وسَيْف دولته جعفر، وجعل دَفْعَ ذلك الى وزيره وكاتبه عيسى بن فُطَيْس. وأشهد الحاضرين على ذلك، وأشهد أيضاً بعتْقِ كلّ مملوكٍ له من الذُّكْران، وخرج غازياً الى بلاد المُشْرِكين.

وفي سنة ٣٥١، غزا الحَكَم المُسْتَنصِر بالله بلاد الرُّوم، ففتح بها حصوناً كثيرةً ومُدُناً جليلةً، وسبى وغنم، وانصرف غانماً ظافراً.

وفيها، وفد عليه أبو صالح زَمُّور البَرْغَواطيُّ رسولاً من مَلِك بَرْغَواطة أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار، فسأله الحَكَمُ عن أنساب بَرْغَواطة ومذاهبهم، فأخبره بما تقدّم في الجُزْء الأوّل.

---

1—1) Manque dans A.

وكان الحَكَم قد أنفذ الكتب فى محرّم من سنة ٣٥١ الى جميع الولاة والقوّاد والعمّال بأقطار الأندلس، يأمرهم بارتباط الخيل، والتيلم عليها، والاستعداد بالعُدَد[1] والأسلحة والآلات برسم الجهاد فى سبيل الله.

وفيها، عُزل عبدُ الله بن بَدْر عن شُرْطة المدينة بقرطبة، وولّاها محمّد بن جَهْوَر، وأنفذ له سِجلاً بذلك بخطّ يده.

٣٥١

وفيها، استُحجب جعفر الصَقْلبيّ الفتى الكبيرُ الناصريُّ.

وفيها، وفد على المُسْتَنْصِر بالله أُرْدُون بن إذفُونْش الأحْدَبُ، من ملوك الجلالقة، المُنازِع لابن عمّه شَانْجُه بن رُذْمِير سابِقه الى ولاية مُلْكهم؛ فبالغ فى إكرامه فى خبرٍ طويل. وكان للفُصَحاء فى ذلك مقامات وأشعار يطول الكتابُ بذكرها. [2]فمن قول عبد الملك بن سعيد من قصيدة[2] [كامل]:

مَلِكُ الخلافة[3] آيةُ الإقبال ... وسُعودُه موصولةٌ بتَوالى
فالمُسْلمونَ بعزّةٍ وبرفعةٍ ... والمُشركونَ بذِلّةٍ وسَفالِ
ألقتْ بأيديها الأعاجمُ نَحْوَه ... مُتوقّعينَ لصَوْلةِ الرِّئْبالِ
هذ أميرُهم أتاهُ آخِذاً ... مِنْه أواصِرَ ذِمّةٍ وحِبالِ

وفيها، وصل قُرْطُبة أرسال شَانْجُه بن رُذْمِير، مُنازِع الطاغية أُرْدُون ابنِ عمّه مَلِك الجَلالِقة. ومعهم عبد الرحمن بن جَحّاف قاضِى بَلَنْسِيَة، وأيّوب بن الطُّويل وغيرهما؛ فتوصّلوا كلّهم الى المُسْتَنصِر فى ربيع الآخر. وأوصلوا كتاب شانْجُه بن رُذْمِير بجواب ما خُوطِبَ فيه وبيعته التى عقدها على نفسه وجميع أهل مملكته لأمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله، فى خبر طويل.

وفيها، وُلِد للخليفة الحَكَم وَلَدٌ ذَكَرٌ من حَظِيّته التى سمّاها جعفرًا أمّ وَلده؛ فسمّاه عبدَ الرحمن. وسُرّ به سروراً عظيماً. إذ كان لا يُولَد له. وقالت فى ذلك الشعراء والأدباء. فأكثروا.

---

1) Manque dans A. 2—2) B. فيها. 3) A. الخليفة.

وفيها، ظهر تَعَنُّتُ الجلاَّلِقة بكلّ جهة.
وفيها، كان المَدُّ الطامى بنهر قُرْطُبة.

وفى سنة ٣٥٢[1]، كانت غزوة شَنْت أشْتِين، غزاها الحَكَمُ المُسْتَنْصِر بالله.

وفى سنة ٣٥٣، كانت بقُرْطُبة مجاعة عظيمةٌ؛ فتكفّل الحكَمُ بضُعَفائها ومساكينها بما نُقيمُ أرماقهم، وأجْرَى نَفَقاته عليهم بكلّ رَبَض من أرباض قُرْطُبة وبالزَّهْراء.

P. ٢٥٢ وفيها، قُرِئ بالجامعَين: قُرْطُبة والزّهراء، فَتْحُ وَرَدَ من قِبَل سَعْد الجَعْفَرى مَوْلَى الخليفة الحكَم، القائد بالجَوْف، بذكر ما أتاحه الله على يدَيْه فى أهل جِلِّيقيّة، وأفاءه على المسلمين بسَعْد إمامهم الزَّكِيّ.

وفيها، كان ازدحام الناس بالمسجد الجامع بقُرْطُبة وتَضاغُطُهم حتى كادت النفوس تتلف؛ فأمر المُسْتَنْصِر بالله بتوسعته والزيادةِ فيه؛ فاتى القاضى مُنْذِر ابن سعيد الى المسجد الجامع، ومعه صاحب الأحباس والفقهاء والعُدولَ بما اجتمع قِبَله من أموال الأحباس؛ فنظروا فى الزيادة فيه.

وفيها، أنفذَ المُسْتَنْصِرُ بالله أحمد بن نَصْر لبُنيان مدينةِ بثغر طُلَيْطُلة، وتشييدِها، وتوثيقِ أمورها؛ وجعَلَ بين يدَيْه أحمالَ أموال.

وفيها، تحرّك الحكَم من قُرْطُبة الى المَرِيّة تَوَقُّعاً لما يصدر من صاحب إفريقيَة الحادِّ لأهْل الأندلس، ولمعايَنةِ ما استكمله بها من الحصانة ومُطالعة حالِ[1] رابِطة القبطة ومُشارفة حال الرعايا بتلك الجهة.

وفيها، كان خَبَرُ اللِّص الذى سرق بَيْت المال الذى للسيل[2] بداخل المسجد الجامع بقُرْطُبة فى شوّال.

وفى سنة ٣٥٤، نزل الغَيْثُ بقُرْطُبة؛ فرَوِيَت الأرض، وطاب الحَرْثُ، وسرّت النفوس.

1) Manque dans A. 2) Manque dans B.

وفيها، وُلِد هشام بن الحَكَم. قال ابن حيّان: كان الخليفة الحَكَم شديدَ الكَلَف بطَلَب الوَلَد لعُلُوّ سِنّه، فبُشِّر فى بعض خَلَواته باشتمال أمّ وَلَده على حَمْل، فسُرّ به، وبقِىَ يترقّبه، فأتته به أوّل خلافته، ثمّ مات طِفلاً، فأحزنه. فلمّا بُشِّر بهذا، فرح به، فاستبشَرَ جعفَر بن عثمان وزيرُه ببُشْراه، وأرسل اليه فى التهنئة بذلك أبياتاً، وهىَ [وافر]:

| | |
|---|---|
| هَنِيًّا للأنام وللإمامِ | كَريمٌ يستفيدُ على كِرامِ |
| مُرَجًّى للخلافة وَهْوَ ماءٌ | مأمولٌ لآمالٍ عِظامِ |
| أضاء على كريمَتِه ضِياءُه | فلَمْ تَعْلَمْ بغاشيةِ الظَّلامِ |
| وَلِمْ لا يُستَضاء بجانبَيْها | وبيْن ضُلُوعِها بَدْرُ التّمامِ |

٥٣

قال: فلمّا ولدت جاريتُه جعفَرٌ ابنَها هشاماً الملقّب بالمؤيّد، بُشِّر الخليفة الحَكَمُ بطُلوعه، وجعفَر بن عثمان عنده فى خُلْوة، فارتاح لارتياحه، فقال على البديهة يهنّئه [منسرح]:

| | |
|---|---|
| إطلّع البَدْرُ من حِجابِهْ | واطَّرَدَ السّيْفُ من قِرابِهْ |
| وجاءنا وارِثُ المَعالى | لِيُثْبِتَ المُلْكَ فى نِصابِهْ |
| بَشَّرَنا سَيّدُ البَرايا | بنِعْمة الله فى كِتابِهْ |
| لَوْ كنتُ أُعطِى البَشِيرَ نفْسِى | لَمْ أقضِ حَقًّا لِما أتَى بِهْ |

وفيها، كَمُلت القبّةُ المُبْتاةُ على المِحْراب فى الزيادة بالمسجد، وذلك فى شهر جُمادى الآخرة منها.

وفيها، شُرِع فى تنزيل الفُسَيفساء بالمسجد الجامع، وكان مَلِكُ الرُّوم بعث بها الى الخليفة الحَكَم. وكان الحَكَم قد كتب له فى ذلك، وأمره بتوجيه صانعها إليه، اقتداءً بما فَعَلَهُ الوليدُ بن عبد الملك فى بُنيان مسجد دِمَشْق، فرجع وَفْدُ الحَكَم بالصانع، ومعه من الفُسَيْفساء ثلاثمائة وعشرون قنطارًا، بعث بها مَلِك الرُّوم هَدِيّةً، فأمر الحَكَم بإنزال الصانع، والتوسيع عليه، ورتّب معه جملةً من

مَمَاليكه لتعلّم الصناعة؛ فوضعوا أيديهم معه فى الفُسَيْفِساء المجلوبة، وصاروا يعملون معه؛ فأبدعوا، وأَرْبَوا عليه، واستمرّوا بعد ذلك منفردين دونَ الصانع القادِم، إذْ صدر راجعًا عند الاستغناء عنه، بعد أن أجزل له المُسْتَنصِر الصِّلة والكسوة. وتداعى الى هذه البِنْية كلُّ صانع حاذق من أقطار الأرض. وركب الحَكَم المُسْتَنصِر بالله فى العشر الوسط لشوّال من الزَّهْراء الى الجامع، ودخله، P. ٢٥٤ ونظر الى الزيادة وما تمّ فيها، وأمر بإقلاع السوارِى الأربع التى كانت فى عِضادة المِحْراب القديم الفائقة التى لا نظير لها، وصيانتها إلى أن تُوضَعَ فى المِحْراب الجديد عند إتقان إحكامه وإكماله.

وفى سنة ٣٥٥، فى المحرّم، أمر بوضع المِنْبَر القديم الى جانب المِحْراب، ونَصْبِ المَقصورة القديمة. ونُصِب فى قِبْلة هذه الزيادة مَقصورةٌ من الخشب، منقوشة الظاهر والباطن، مُشرّفة الذِرْوة، طولها خمسة وسبعون ذِراعًا، وعَرْضُها اثنانِ وعشرون ذِراعًا، وعُلُوُّها الى الشّرَفات ثمانية أذْرُع. وكان الفراغ من هذه الزيادة ونَصْبُ المقصورة فى رجب من السنة.

وفى يوم الجمعة لثمان خَلَوْنَ منه، قُرِئَ كتابُ فَتحٍ من قِبَل سعادة الجُعَيْفرِىّ، القائد بمدينة الفَرَج، يذكر ما فتح الله له وأُتيح على يدَيْه من أعداء الله المُشْرِكين.

وفى يوم الأربعاء لأربع خَلَوْنَ من ربيع الأوّل منها، نفذت الكُتُب الى عُمّال الثّغر الأدنى والأقصى فى ارتباط الخيل، والتكثيرِ منها، وجَوْدةِ القيام عليها لِمَا يؤمّل من الجهاد بعون الله.

وفى يوم الجمعة لثلاث خَلَوْنَ منه، قُرِئَ بقُرْطُبة والزَّهْراء كتابُ فَتحٍ ورد من قِبَل الوزير يحيى بن هاشِم، وكتابُ فَتح ورد من قِبَل سَعْد الجَعْفَرىّ، وكتابُ فَتح ورد من قِبَل حَرِيز بنْ هابِل، يذكرون ما منحهم الله وفتح على أيديهم من قِبَل أعداء الله المُشْرِكين، وأنّ كلّ واحد منهم نهض الى ما قِبَله من بلادهم، فقتل وسبى، واكتسح وأثخى، وانصرف سالماً غانماً.

وفى أوّل رجب منها، ورد كتاب من قَصْر أبى دَانِس على المُسْتَنصِر

بالله، يذكر فيه ظُهورَ أُسْطُول المَجُوس بِبَحْر الغَرْب بقرب من هذا المكان، واضطرابَ أهل ذلك الساحل كلّه لذلك، لتقدُّم عادتهم بطُرُوق الأندلس من قَبْله فيا سلف، وكانوا فى ثمانية وعشرين مَرْكباً؛ ثمّ ترادفت الكُتُب من تلك ٣٥٥ السواحل بأخبارهم، وأنّهم قد أضرّوا بها، ووصلوا الى بَسِيط أُشْبُونة. فخرج إليهم المسلمون، ودارت بينهم حربٌ، اسْتُشْهِد فيها من المسلمين وقُتِل فيها من الكافرين. وخرجت أُسْطُولُ إشْبِيلِيَة، فاقتحموا عليهم بِوَادِى شِلْب، وعطلوا عِدّةً من مراكبهم، واستنقذوا من كان فيها من المسلمين، وقتلوا جملةً من المُشْرِكين، وانهزموا إثْرَ ذلك خاسرين. ولم تزل أخبار المَجوس تَصِلُ الى قُرْطُبة فى كلّ وقت من ساحِل الغَرْب، الى أن صرفهم الله تعالى.

وفيها، أغزى الحَكَمُ القائدَ غالِباً، ففتح الله له فى المُشْرِكين، وانصرف سالماً غانماً.

وفيها، أمر الحَكَم لابن فُطَيْس بإقامة الأسْطُول بنَهر قُرْطُبة، واتّخاذ المَرَاكِب فيها على هَيْئة مَرَاكِب المَجُوس (أهلكهم الله) تأميلاً لركوبهم إليها.

وفى سنة ٣٥٦، عَهِدَ الخليفة الحَكَم بمُخاطبة العُمّال بِكُوَر الأنْدَلُس، يُعنّفهم على جُرْأتهم ويُحذّرهم من سَطْوَته وعقوبته، إذ اتّصل به أنّ بعضهم قد استزادوا زيادات فاحِشات يُعامِلون بها الرعيّة ظُلْماً لهم، فأنكر ذلك عليهم.

وفيها، كانت غَزَوات للمسلمين انجلَتْ عن هزائم للمُشْرِكين.

وفيها، ولّى أمير المؤمنين الحَكَمُ محمّدَ بن عبد الله بن أبى عامِر (1 الذى رأس بَعْدُ وتلقّب بالمنصور1) وِكالة أبى الوليد هِشام بن الحَكَم، وفوّض إليه فى جميع شؤونه، فتحرّكت حالُه فى الدولة.

وفى النصف من شوّال، قعد الخليفة الحَكَم على السرير بالزَّهْراء قُعوداً بهيًّا احتفل فيه، وأوْصل الى نفسه رسولَيْن وَصَلاَ من أُمراء الغَرْب الأدارِسة؛

---

1—1) Manque dans B. Il s'agit d'une glose d'un copiste.

فأوصلا كتابيهم، يذكرون أنهم على محبة صادقة ومودة مستحكمة مع التزامهم للطاعة واعتيادهم للولاية، فأدنى رسوليهم، وألطف جوابيهما.

وفي يوم الجمعة لأربع بقين من شوّال، قرئ كتاب فتح ورد من قبل القائد غالب، يذكر ما منّا الله له في كفرة قشتيلة من القتل والأسر؛ فسرّ الخليفة بذلك ودخلت الرؤوس قرطبة.

وفي يوم السبت بعده، أنفذ الخليفة الحكم كتبه الى القوّاد وللعمّال بأقطار ملكه، بإنكار ما اتصل به من أنّ بعضهم يسفك دماء بعض بلا عهد ولا مشورة، وأنّ ذلك عظُمَ عنده، وتبرّأ الى الله ممن أقدم عليه.

وفيها، أجرى الماء إلى سقايات الجامع والميضأتين اللتين مع جانبيه: شرقيه وغربيه، ماء عذبًا جلبه من عين بجبل قرطبة، خرق له الأرض، وأجراه في قناة من حجر متقنة البناء، محكمة الهندسة، أودع جوفها أنابيب الرصاص لتحفظه من كلّ دنس. وابتدئ جري الماء من يوم الجمعة لعشر خلون لصفر من السنة؛ وفي جري الماء الى قرطبة يقول محمّد بن شخيص في قصيدة له، منها [بسيط]:

وقد خرقت بطون الأرض عن نطف ... من أعذب الماء نحو البيت تجريها
طهر الجسوم إذا زالت طهارتها ... ريّ القلوب إذا حرّت صواديها
قرنت فخرًا بأجر قلّ ما اقترنا ... في أمة أنت راعيها وحاميها

وابتنى بغربيّ الجامع دار الصدقة، اتخذها[1] معهدًا لتفريق صدقاته[2] (رحمه الله تعالى). ومن [3]مستحسنات أفعاله وطيبات[3] أعماله، اتخاذه المؤدّبين يعلّمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالَيْ المسجد الجامع وبكلّ ربض من أرباض قرطبة؛ وأجرى عليهم المرتبات، وعهد إليهم في الاجتهاد والنصح، ابتغاء وجه الله العظيم؛ وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبًا، منها حوالَيْ المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها في كلّ ربض من أرباض المدينة. وفي ذلك يقول ابن شخيص [بسيط]:

---

1) B. استمدّها. 2) الصدقة. 3—3) B. محسّنات.

وسَاحَةُ المَسْجِدِ الأَعْلَى مُكَلَّلةٌ    مَكَاتِباً لليَتامَى من نَوَاحِيها
لَوْ مُكِّنَتْ سُوَرُ القُرْآنِ مِنْ كَلِمٍ    نادَتْكَ يَا خَيْرَ تالِيها ووَاعِيها

وَوُجِدَ بخطّ الخليفة المُسْتَنْصِر بالله: «ابْتُدِئَ بُنيان الجامع (صانه ١ الله) يوم P. ٢٥٧ الأحد لأربع خلَوْنَ من جُمادى الآخرة سنة ٣٥١، وكَمُلَ سنة ٣٥٥. وبلغت النَّفقة فيه الى مائتَيْ ألف وأحــد وستِّين ألفاً وخمسمائة وسبعة وثلاثين ديناراً ودِرْهَم ونِصْف» (وقع «ونصف» فى الأصل المنقول منه هذا ١. وقال إنّه نقله مُنْدَرِسًا، ثمّ إنّه تعرّف بعد ذلك صِحّتَه من الثِقات أنّــه «ونِصْفُ» صحيح؛ وكذلك قال وَقَعَ بخطّ الحَكَم – (رحمه الله).

وفى سنة ٣٥٧، فى العشر الآخِر من رمضان، احتلّ الوزيرانِ القائدان غالب بن عبد الرحمن وسعيد بن الحَكَم الجَعْفَرِىُّ بجيوش الثَّغر بالصائفة على حِصْن قَلَهُرّة؛ فأقاما بساحته مُــدّةً استظهرا بها على تمكين بُنيان الحِزام فيه والزيادة فى ارتفاع البُرْج الكامن بذُرْوته فانْتَهَيَا من ذلك الى الإرادة، وقفلا بالعسكر، وقد وَثِقا للحصن بالأمَنَة.

وفى سنة ٣٦٠، فى محرّم منها، قعد الخليفة المُسْتَنْصِر بالله على السرير بقَصْر قُرْطُبَة على جَرْيِ العادة من الاحتفال والزينة؛ فأوصل الى نفسه عيسى بن محمّد ومحمّد بن العالى وحسن بن علىّ رُسُل بنى محمّد الحسنيّين أمراء الغَرْب؛ فأوصلوا كتاب مُرْسِليهم، وذكــروا ما هم عليه من الطاعة، وطلبوا بَعْثَةَ رُمَاةٍ تقويةً لهم لما يتوقّعونه من حَرَكة قائد مَعَدّ الشيعىّ نَحْوَهم؛ وتقرّبوا بإهداء خَيْلٍ وجِمالٍ وغير ذلك؛ فقُبِلت منهم.

وفى صدر رمضان منها، وقع الإرجاف بتحرُّك المَجُوس الأُرْدُمانيّين (لعنهم الله)، وظهورهم فى البحر، ورَوْمِهم سواحل الأَنْدَلُس الغَرْبيّة على عادتهم؛ فأزعج السلطانُ قائدَ البَحْر بالخروج الى المَرِيّة، والتأهّب لركوب الأُسْطول منها الى إشْبِيلِية، وجَمْع الأساطيل كلّها للركوب الى ناحية الغَرْب.

• ذِكْرُ مَقْتَل زِيرِى بن مَناد، قائدِ الشيعىّ على تِيهرت • وفى يوم السبت، لاثنتىْ عشرة ليلة بقيت لشهر رمضان منها، ورد • الخبرُ على المُستنصر بالله بقتل زِيرى بن مَنَاد عامِل مَعَدّ الشيعىّ وقائده على الغَرْب، قتلَهُ جعفر ويحيى ابنا علىّ المعروف بابن الأندلسىّ، الخالفانِ على مَعَدّ فيمن استظهرا به عليه من زَناتة، وَجَدُوه بناحية الغَرْب فى حرب دارت بينهم شَهِدَها بنو خَزَر وغيرهم من رؤساء القبائل القائمين على زيرى بدعوة الحَكَم المستنصر بالله، فتُتِحَ لهم فى قتله أعْظَمُ الفتوح. ووصل علىّ البَغدادىّ كاتِبُ جعفر المذكور بكتابه الى المُستنصر وذكر اهتياج الحرب العظيم بين أهل الدَّعْوَتَيْن بالغَرْب. P. ٢٥٨

• ذِكْرُ[1] فراق جَعْفَر بن علىّ المعروف بابن الأندلسىّ صاحب المَسيلة لمَعَدِّ ابن إسماعيل الشيعىّ صاحب إفريقِيَة، وتقرّبِهِ الى الحَكَم المُستنصر بانضمامه إلى زَناتة المُنحاشين الى دَعْوة بنى أمية، وتألُّبِ جماعتهم على زيرى بن مَنَاد الصِّنهاجىّ عامِلِ مَعَدّ الشيعىّ على حَرْب بلاد الغَرْب وقَتْلِهم لزيرى عند انقضاضه عليهم صادًّا[2] لهم عن طريقهم، مُتقرّبين بقتله إلى الحَكَم • وسبق جعفر ويحيى أخوه وذَوُوهما بالعبور[3] الى الأندلس مُهْدِيِين[4] رأس زيرى، خالعيْن للدعوة الشيعيّة، مُتقلّدين للدعوة الأمويّة الجَماعِيّة. فكان لهما فى ذلك قَبولٌ ورِفعةٌ عظيمةٌ من الخليفة.

وقد ذكر محمّد بن يوسف الوَرّاق خبَرَهما، قال: وهما ابنا علىّ بن حَمْدُون؛ وجدّهما الأكبر عبد الحميد كان الداخل الى الأندلس من الشأم، ونزل بكُورة إلْبيرة؛ ثمّ تنقّل حفيدُه حَمْدُون، جدّ جعفر هذا، الى بِجَاية، وصحب أبا عبد الله الشيعىّ الداعِىَ، ودخل فى مَذْهَبه. فلمّا تغلّب الشيعىّ على إفريقِيَة، ظهر علىّ بن حَمْدُون؛ ثمّ ازداد ظهورًا فى أيّام عُبَيد الله المَهْدِىّ وحُظْوةً، وضمّه الى ابنه أبى القاسم ولِىّ عهده؛ فازداد حُظْوةً لدَيْه، وخرج معه الى أرض • الغَرْب؛ فأمره ببناء مدينة المَسيلة، وولّاه عليها؛ فبنى بها الى أن هلك فى فتنة أبى يَزيد، P. ٢٥٩

1) A. ذكر خبر. 2) A. صاد. 3) B. بالنوز. 4) B. مقدّمين.

سقط من جُرْف عالٍ، فاندقّت يداه ورجلاه، سنةَ ٣٣٤. وتولّى جعفرُ هذا ابنُه المَسيلة من بعده؛ فلم يزل متولّياً لها، رفيع المنزلة عند سلطانه، الى أن قَتَلَ محمّدَ بن الخَيْر بن خَزَر الزَّناتيُّ القائمَ بدعوة بنى أُميّة زيرى بنَ مَناد؛ فخاف جعفرٌ من صاحب إفريقيَة؛ فبادَرَ الى الفرار بنفسه مع أخيه يحيى وجميع أهله وماله سنة ٣٦٠؛ فصار عند بنى خَزَر أُمَراء زَناتة؛ فشقّ جعفرٌ الصحراء معهم قاصدين لزيرى؛ فالتقوا معهم، ودارت بينهم حربٌ صعبةٌ انجلَتْ عن قَتْل زيرى وخلقٍ من رجاله؛ واحتوى الزَّناتيّون فيها على جميع عسكر زيرى، وأدركوا ثأرهم منهم. ولمّا أنْ تمّ لأمر لأُمَراء زَناتة وجعفر بن علىّ عَلَى ما أمّلوه من الفتح فى عدوّهم زيرى بن مَناد، بادَرَ جعفر بمُراسلة الحَكَم الى الأَنْدَلُس، مُلقياً بنفسه عليه، معتصماً بدعوته؛ ثمّ أرسل اليه أخاه يحيى؛ ثمّ سار اليه بنفسه، فحُظِىَ عنده.

قال ابن حَمَادُه: وفى ربيع الآخر من سنة ٣٦٠، التقى يوسف بن زيرى الصِّنْهاجىُّ، المُشْتَهر اسْمُهُ ببُلُقّين، مع محمّد بن الخَيْر أمير زَناتة؛ فهزمه بُلُقّين ابنُ زيرى، وقتل جماعة من أهله ورجاله. فلمّا أيقن محمّد بن الخَيْر أن عَدُوَّه قد أحاط به، اتّكأ على سَيْفه، فذبح به نفسه، أَنَفَةً مِنْ أنْ يملكه بُلُقّين؛ فأتى بأمر عظيم سار ذِكْرُه بأرض الغَرْب. وملك بُلُقّين بن زيرى إثْرَ ذلك الغربَ، وقتل زَناتة، وهدم مدينةَ البَصْرة (¹ وغيرها من مُدُن الغَرْب¹)، ولم يَثْنِ عِنانَه عن مدينة سَبْتة؛ ومنها رجع، وإليها كان انْتِهاؤه؛ وصدر عاجزًا عنها.

وفى ذى القعدة منها، خاطب المُسْتَنْصِر بالله قُوّاده وعُمّاله بكُوَر الأَنْدَلُس فى استقدام كِبارها وأعلام رجالها لمشاهدة دخول يحيى بن علىّ * بن حَمْدون وبنى خَزَر أُمَراء زناتة القادمين برأس زيرى بن مَناد الصِّنْهاجىّ قائدِ مَعَدّ بن إسماعيل الشيعىّ وبرؤوس أعيان أصحابه. فلمّا كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خَلَتْ من ذى القعدة منها، خرج صاحبُ السِّكّة والمواريث، وقاضى

P. ٢٦٠

1—1) Manque dans A.

إشبيلة محمّد بن أبي عامر لتَلَقّي جعفر بن عليّ ويحيى أخيه، ومعه أربعة من عِتاق الخَيْل وبَغْلٌ أشْهَبُ، مُنْتَقاةٌ من دَوَابِّ الخليفة، بسُروج الخلافة ولُجُمها؛ ومعه الأخْبِيَةُ الديباجيّة وغير ذلك. فاحلّ ابنُ أبي عامر بالمَرْسَى الذى خرج فيه جَعْفَر وبقربة من مالّقة. ثمّ وصل بعد ذلك للوافدين خَيْلٌ وبغالٌ من قِبَل الخليفة، وهَوَادِج وكسوات وعَمّاريّات لعيال جعفر؛ ثمّ قدموا الى قرطبة ببروز عظيم، واحتفال لدخولهم جسيم، حتّى وصلا الخليفة. وقد ذكرت الشعراء شأن فِراق جعفر وأخيه يحيى لسلطانهما مَعَدّ بن إسماعيل ومَسيرهما الى الخليفة الحَكَم، واعترافهما بحقّه فيما مَدَحَتْ به الخليفة الحَكَم وأكثرت فى ذلك. وقال يوسف ابن هارون [كامل]:

وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِغَفْلَةِ المُسْتَنصِرِ ... إذْ أكْثَفَ الجَيْشَ اللُّهَامَ لِجعفَرِ
وَلَوَانّ مَنْ أهْوَاهُ أبْرَزَ وَجْهَهُ ... قَامَتْ لَوَاحِظُهُ مَقَامَ العَسْكَرِ

وفى يوم السبت لليلتَيْن بقيتا من ذى القعدة منها، جلس الخليفة الحَكَم فوق السرير جلوساً بهيًّا، وأوصل الى نفسه أجناد الكُوَر ووجُوهَ أهلها، الذين استدعاهم لمُشاهدة جعفر بن عليّ ومَن أتى معه من أمراء زَناتة، وأمرهم بالانصراف الى بلادهم؛ فانصرف جُنْدُ دِمَشْق، وهُمْ أهْل إلْبيرة، وجند حِمْص، وهُمْ أهْل كُورة إشبيلة، وجُنْدُ قِنّسْرين، وهُمْ أهْل جَيّان، وجُنْدُ فِلَسْطِين، وهُمْ أهل شَذُونة، وغير هؤلاء.

وفى سنة ٣٦١، هاجت بالغَرْب حروبٌ مع حَسَن بن قَنّون الحسنيّ وقُوّاد الحَكَم المُسْتَنصر بالله.

P. ٣٦١ بعض أخبار حَسَن بن • قَنّون الحسنيّ أمير الغَرْب مع قُوّاد الأندلس فى هذه السنة. كان المستنصر بالله دعا محمّد بن قاسم الناظر فى الحَشَم، وأمَرَهُ بالخروج الى مدينة سَبْتة فى رمضان من هذه السنة، قائداً على من يضمّه إليه من طوائف الأجناد، للذى بدا من نَقْض حَسَن بن قنّون، وانحرافه الى دعوة مَعَدّ صاحب

إفريقية واستدعائه من دنا منه من أحزابه، مستعيناً بهم فيما اعتزم عليه من نفاقه على الحَكَم، وإعلانه بإيقاع الدُّعاء للشيعيّ مَعَدّ على منابر عَمَله. فأوصى الحَكَم قائدَه محمّد بن قاسم باستعماله جِدَّه وجُهْدَه فى مُقاورة[1] ابن قنّون، وأمَرَه، إنْ أظهره اللهُ تعالى، أنْ يأخذ بالعَفْو والصَّفْح، وإصلاح البلاد، واستصلاح الرعيّة؛ وأمره أن يستعين بمن دخل فى الطاعة الأمويّة. فكان عُبُورُه البَحْرَ الى سَبْتة لإحدى عشرة بقيت من شوّال منها؛ وتكاملت الجيوش والأساطيل بسَبْتة. وفى يوم السبت لأربع خَلَوْنَ من ذى القعدة ورد كتابٌ على المُستنصر بالله بفَتْح طَنْجة، فتحها قائدُه على البحر عبد الله بن رُمَاحِس[2]. يذكر أنّه نازَلَها بالأسطول غُرّةَ ذى قعدة، ودعا أهلها الى الطاعة والعَوْد الى الجماعة؛ فأساؤوا الردَّ عليه؛ وكان حَسَنُ بنُ قنون داخِلَها يَشُدُّ عزائمهم؛ فلمّا كان يوم الخميس، خرج حَسَن لقتال العسكر الخارج إليه من سَبْتة [3]الى تِطّاوِن[3]. وأبرز من طَنْجة عَدَداً كثيراً من جند الغَرْبيّين وأنصاره؛ فانهزموا أمام جيش الحَكَم، وولّوا مُدْبِرين؛ فلمّا رأى ذالك حَسَن، فرّ هارباً فى خاصّة من أصحابه، لا يلوى على أحد. ولم يعرج على ما كان له ولأصحابه بطَنْجة من أموال وأخبية وأمتعة؛ فلمّا أمعن فى فراره، وأسلم أهل طنجة، خرج شيخهم ابن الفاضل الى القائد ابن رُماحِس مع جماعة وجوه طَنْجة، وهم ينادون «الطاعة لله ولأمير المؤمنين الحَكَم» ثمّ تقدّم ابن الفاضل الى القائد رُماحِس وطلب منه الأمان لأهل بلده، فأعطاه إيّاه، ودخل طَنْجة. ونهب ما كان بها لحَسَن بن قنّون وأصحابه؛ وأنفذ القائدُ كتابه بالفتح الى الحضرة.

P. [illegible]

وورد كتاب القائد محمّد بن قاسم على المُستنصر بأنه لتسع بقين من ذى القعدة، يذكر أنّه التقى مع حَسَن بن قنّون؛ فدارت بينهما حَرْب شديدة، أجلت عن هزيمته، وقَتْلِ كثير من شيعته؛ وفرّ فيمن بقى معه الى جَبَل حصين؛ فتبعه

---

1) B. محاربة.

2) A. B. رياحيف. Il s'agit de l'amiral Ibn Rumāḥis, bien connu par ailleurs.

3—3) Manque dans B.

الجندُ، وانتضوا عليه؛ فدارت بينهم حَرْب يسيرة؛ ثمّ انهزم أيضاً، وخلّف أثقاله، وفرّ، لا يلوى على شىء؛ فصار الجَبَلُ بأيدى الجند، ونهبوا ما فيه؛ ثمّ نهضوا فى اليوم الثانى الى مدينة دَلُول[1]؛ فتحها الله لهم. ولحق بهم القائدُ محمّد بن قاسم فى العسكر؛ فقصد مدينة آصِيلاً، فدخلوا؛ ودخل القائد الى جامعها، فوجد فيه مِنْبراً جديداً موسوماً باسْمِ الشيعىّ مَعَدّ بن إسماعيل؛ فأمر بإحراقه بالنار. بعد أن خلع من أعلاه اللوح المنقوش فيه اسم مَعَدّ؛ وكان فيه من الغُلُوّ ما فى ذكره أمرٌ كبيرٌ؛ فأمر باقتلاعه، وأرسَلَه مع كتاب الفَتح الى المُستنصر. وانصرف العسكر الى مدينة دَلُول؛ فأمر بهدمِ أسوارها، وبضربِ بيوتها ناراً، وتَرْكِها عِبْرةً. واستولى العسكر على ما كان بها، واستوسعوا فى أطعِمَتها وما ترك فيها حَسَنٌ المذكور.

وفى سنة ٣٦٢. قُتِلَ القائد محمّد بن قاسم بتَحْص مَهْرَان على يدَىْ حسن ابن قَنّون، يوم الأحد لسبع بقين من ربيع الأوّل؛ وقُتل فى ذلك اليوم جملةٌ من الجند الذين كانوا معه نحو الخمسمائة من الفُرسان الأبطال[2] الأندلسيّين الأنجاد، ومن رَجّالتهم نحو الألف.

P. ٢٦٢ وفى غُرّة جُمادى الآخرة، دخل الى قُرْطُبة جَمْعٌ من مَضمودة ممّن كان مع حَسَن بن قَنّون، وهم سبعون رَجُلاً، نزعوا الى الطاعة.

وفيها، استدعى المُستنصر بالله غالِبَ بن عبد الرحمن، وأمره بحَرْب حَسَن ابن قَنّون الحسنىّ عندما تَفَاقَم أمره، وقتل الجند. وورد على المُستنصر بالله كتابُ فَتحٍ من قِبَل القوّاد بمدينة آصِيلاً، أنّهم التقوا مع حَسَن بن قَنّون. فدارت بينهم حَرْب شديدة انهزم فيها حَسَنٌ وقُتل كثيرٌ من حُماته. وقدم الى قُرْطُبة حنون بن إدريس صاحب مدينة العِدْوة الأندَلُسيّة من فاس، ورسولُ عبد

---

1) Vocalisé dans B. C'est sans doute le زلول de Bakrī.

2) Manque dans A.

الكريم صاحب مدينة القَرَوِيِّين من فاس، يرغبان فى طاعة أمير المؤمنين المُستنصر، والقيام بدعوته؛ فكرّم رسولَهما، وأجمل موعودهما.

وفى شعبان منها، خوطب القائدُ غالبٌ بأنّه بُعِثَ إليه بعشرة آلاف دينار لصِلات الخارجين إليه من أصحاب حَسَن بن قَنُّون، يُوَزِّعها عليهم بحسب مقاديرهم؛ وقُرِنَ بها من فاخر الكسوة والسيوف المُحَلّاة عددٌ كثيرٌ للخِلَع عليهم.

وفيها، أرسل المُستنصر بالله الوزير يحيى بن محمّد التُّجيبيّ الى الغَرْب بعَسْكَرٍ، مَدَدًا للقائد غالب، وجامعاً لليد معه على الخالع الطاغية حَسَن بن قنّون؛ فكان ذلك فى خَبَرٍ طويل.

وفى أواخر ذى القعدة، ورد على المُستنصر كتابُ القائد غالب يذكُر صُنْعَ الله تعالى فى افتتاحه حصن الكَرَم، وهرَب المخذول عنه حَسَن بن قنّون مع صِهْره صاحب البَصْرة علىّ بن خَلُوف وغيرهما.

وفى منتصف ذى الحجّة، ورد كتاب صاحب الشُّرطة، قاضى القُضاة بالغَرْب محمّد بن أبى عامر، يذكر تعييدَ الناس يوم الخميس، وقيامَ الخطبة فى المُصَلّيات هنالك للمُستنصر بالله، وسرورَ المسلمين بذلك، وابتهاجهم به.

وفيها، كانت حروبٌ مع الحَسَنِيّين يطول ذِكْرُها، انجلَتْ عن مَقْتَل خَلْق كثير من • أصحاب حَسَن بن قنّون الحسنيّ؛ وحُزّ مِنْ رؤوس مشاهيرهم مائة رأس؛ وتُرِكَ أكثرُهم صريعاً. وقُتِلَ فى الهزيمة محمّد بن أبى العَيْش الكنامىّ[1] وكان من حَسَن محلّ أخيه تارةً ومحلّ أبيه تارةً أخرى. P. 262

وفى سنة ٣٦٢، افتتح غالِبٌ، قائدُ الحَكَم المُستنصر بالله، مدينةَ البَصْرة التى كان انتزى فيها محمّد بن حنّون الحَسَنِيّ، وذلك أنّ أهل البلد قاموا عليه، وقتلوا نائبه وخليفته عليهم، وابتدروا لمخاطبة القائد غالب، يستجلبونه إليهم؛ فوصلهم، وملك المدينة، وخاطب الخليفة بخبرها، وأدرج كتاب أهلها طَيّ كتابه.

---

1) A. الكناني.

وفي يوم الخميس منتصف صَفَر، ورد كتابُ غالب على المُستنصر، يذكر مُنصرَفَه عن بلد البصرة وأخذه رَهْنَهم، ويذكر أنّه قد صار الى الطاعة جميعُ أهل الغَرْب وعامّة قبائل البَرْبَر، ولم يَبْقَ فيه غيرُ الخائن حَسَن بن قَنّون، وأنّه قد صار من ضيق أمره في غُمّة. ووصل أهـلُ البَصْرة الى قُرْطُبة الدافعين لأميرهم حَسَن، الداخلين في الطاعة.

وفيها، ورد الخَبَر السارّ على المُستنصر بالله بإذعان الحَسَن بن قَنّون الحَسَنيّ، ودخوله في طاعته، فشهد الخليفة[1] صلاةَ الجمعة منسلخ جُمادى الآخرة، فقعد بجامع قرطبة. وأعلم الوزراء بخضوع حَسَن بن قَنّون المُتزى عليه بالغَرْب، وأنّه ورد عليه كتابُ غالب بذالك، وأنّه يُوَجِّه إليه ابنه عليّ بن حَسَن المذكور، وأنّ الخُطْبة قامت بدعوته في قَلْعة حَجَر النَّسْر؛ فاستبشر الوزراء وهنّوه، وغبطوه وأعلنوا بالشُكر لله تعالى والدعاء للخليفة. وأطالوا في ذالك.

وفي سنة ٣٦٤، قدم على المُستنصر قائدُه غالبُ بن عبد الرحمن قافلاً من عِدْوة الغَرْب، ومعه حَسَن بن قَنّون وشيعتُه بنو إدريس الحَسَنيّون ملوكُ الغَرْب، المستنزَلون من معاقلهم الى الأنْدَلُس، حافّين بشيخهم المُشْتَهِر بجَنّون، واسْمُه أحمد بن عيسى، صاحبُ مدينة الأقلام وما ولاها؛ ومعه إخْوَتُه وبنو عمّه وبنوهم وأهلوهم؛ فأمر باحتمال هؤلاء الأشراف من الحَمّة. في ظلام ليلة الخميس لأربع خلون من المحرّم. الى الدُور التي أُخْلِيَتْ لهم بقُرْطُبة؛ فأرسل النَوْمُ معهم ثِقاتهم من فِتْيانهم ومَوَاليهم، حتّى [2]أدّتهم الى[2] الدُور المُعَدّة لهم، بعد أن فُرِشَت مجالسها بشيء يطول ذِكْرُه.

وفيها، كان اعتلال الخليفة الحَكَم، في ربيع الأوّل؛ واحتجب عن جميع ممكنته إلى أن خفّف وَصَبُه. وظهر لخاصّته يوم الجمعة لليلة بقيت من ربيع الآخر منها. وفي عَقِب ربيع المذكور، أعتق الحَكَمُ نحواً من مائة رقبة من عبيد، له

P. ٢٦٥

1) Manque dans A.  2—2) B. أدتهم.

فيه لبعضهم[1] تدبيرٌ، ولباقيهم[2] عِتقٌ بَتْلٍ ومُؤجَّلٍ، خُلِّصَ به جميعُهم من الرِّقّ؛ وعُقِدَتْ بذلك وثائق. فكان أوَّلُ مَن أوقع شهادته فيها أبو الوليد هشام بن الحَكَم، ثمّ الفقهاء أهلُ الشُّورَى، ثمّ العُدولُ.

وفيها، حبّس الحَكَمُ حوانيت السَّرّاجين بقُرْطُبة على المُعَلِّمين لأولاد الضُّعَفاء.

وفيها، أسقط الحَكَمُ سُدُسَ جميع المَغارِم عن الرعايا بجميع كُوَر الأندَلُس، شُكراً لله على أنظاره له.

وفيها، كان جَيَشان العدوّ — خَذَلَه الله — ومُنازَلَتُه بعض حصون المسلمين.

وفيها، كان الظفر بأبي الأحْوَص مَعْن بن عبد العزيز التُّجيبيّ؛ فقبض عليه رشيق. وبعثه مكبولاً الى قرطبة مع عشرة من أصحابه؛ وكان يظاهر المشركين ويَدُلُّهم على عَوْرات المسلمين؛ فأخَذَهُ الله.

وفي سنة ٣٦٥، خرج من قرطبة جَعْفَر ويحيى، ابنا عليّ بن حَمْدُون بن الأندلسيّ، قائدَيْن الى الغَرْب من العِدْوة، وبين أيديهما الألوِيَة والطبولُ مُذيلَيْنِ[3] للوزير يحيى بن محمّد بن هاشم.

وفيها، كان الإعلان ببيعة أبي الوليد هشام بن الحَكَم، وأنْ تُؤخَذ له من الخاصّة والعامّة بقرطبة وسائر كُوَر الأندلس، وما الى طاعته من بلاد الغَرْب. وذِكْرِه في الخُطْبة على المنابر في الجُمُعة والأعياد. وذلك مستهلّ جمادى الآخرة: قعد أمير المؤمنين الحَكَمُ بقصره، وافتتح الكلام بما عزم عليه من تقليد ابنه عَهْدَه الخلافة من بعده؛ فالتزمت بيعتُه، وأُخرِجَت نظائر من كُتُب البيعة ليُوقِعَ شهادته كلُّ مَن التزمها؛ وتولّى إعطاءها للناس على مراتبهم المنصورُ محمّد بن أبي عامر، وهو يومئذٍ صاحب الشُّرطة والمواريث، وميسور الفتى الجعفريّ الكاتب.

1) B. بعضهم. 2) B. ثانيهم. 3) A. مزيلين. B. مزملين.

وفيها، خرج الوزير يحيى بن محمّد بن هاشم قائداً الى سرَقُسْطة، وبين يديه الطبول والبنود.

وفيها، نفذ عهد الحكَم الى الوزير صاحب المدينة جعْفر بن عثمان المُصْحَفى باطلاق أبى الأحْوَص التُّجيبىّ من سجن المُطْبَق مع أصحابه؛ فصفح الحكَمُ عنهم.

وفى سنة ٣٦٦، توفّى أبو علىّ البَغْدادىّ، صاحب النوادر، المعروف بالقالىّ، منسوبٌ الى قالى قَلا من ديار المشرق.

وفيها، مات محمد بن يحيى الأخوىّ، وأبو مروان الأديب المُرادىّ، وعبد الملك بن سعيد؛ فكانت تسمّى سنة الأدباء.

وكمل بناء المسجد سنة ٣٦٦؛ وكان المنبر الذى صنعه الحكَم مُدْخَلاً من عُود الصَّنْدَل الأحمر والأصفر والأبَنُوس والعاج والعود الهِنْدىّ؛ قام على الحكَم (رحمه الله) بخمسة وثلاثين ألف دينار وسبعمائة دينار وخمسة دنانير؛ وكان تمامُه فى خمسة أعوام.

وَوُجِد بخطّ المستنصر الله تأريخُ وفاة قاضيه وقاضى أبيه مُنْذِر بن سعيد البَلّوطىّ، وأنه توُفّى يوم الخميس لليلتَيْن بقيتا من ذى قعدة من سنة ٣٥٥؛ وكان مولدُه سنة ٢٧٣؛ فكان عُمْرُه اثنى وثمانين سنة. وكان فى هذا القاضى مُنْذِر دُعابةٌ يُعرِّض بها ويتعرَّض له بها؛ فكتب اليه قومٌ من أهل المَجانة والظَّرْف [خفيف]:

P. ٢٦٧ • قُلْ لِقاضِى الجماعة البَلُّوطى  ما ترى فى خريدةٍ كالخُوطِ
ناكَها الثوابَ قومٌ ظِرافٌ  هَلْ تَرَى سيِّدِى بذا مِنْ سُقُوطِ

فوقّع لهم فى كتابهم: «لا مُتَرَدة». فقال له من حضر: «ما هذا؟». فقال: «أردتُ لا أرى ذلك». فقالوا: «لا يُفْهَم عنك إلاّ غيْرُه». فقال: «كُلّ يجاوبُ على مُعْتَقِده»!. فكان له (رحمه الله) نَوَادِرُ مستحسنةٌ، وغرائبُ مستملَحةٌ.

## ذِكر اتّصال محمّد بن أبي عامر بخِدْمة الحَكَم المُسْتَنْصِر

قال بعض المؤرّخين: كان اتّصال ابن أبي عامر بالحَكَم، فيما حدّثني به ابن حُسَيْن الكاتب والأديب أبو إسحاق بن محمّد الإفليلي وغيرهما من المَشْيَخة أنّ الحاجب جعفر بن عثمان المُصْحَفِيّ، القائمَ بدولة الحَكَم، خلا في بعض الأيّام بالقاضي محمّد بن إسحاق بن السَّلِيم، فشكا اليه ابن السليم تَجْوِيد محمّد بن أبي عامر ووصف له حاله. فلمّا طلب الحَكَمُ له وكيلاً لولده عبد الرحمن الدارج في حياته، ذكر له جعفر ابنَ أبي عامر بخَيْر، ووصف لأمّ عبد الرحمن جماعةً اختارَتْ منهم ابن أبي عامر، وذلك باختيار جعفر له؛ فنصبه الحَكَمُ لخدمتها وخدمةِ ابنها عبد الرحمن.

فلمّا مات عبد الرحمن، بقي في خِدْمة أمّه السيّدة، وكانت قد وَلَدَتْ هشامَ بن الحَكَم؛ فصُرِف ابن أبي عامر لوكالته. وكان تقدّمه أوّلاً لوكالة الولَد عبد الرحمن يوم السبت لتسع خلون من ربيع الأوّل سنة ٣٥٦؛ وأُجْرِيَ عليه في ذلك الوقت خمسة عشر دينارًا في الشهر مُرَتَّباً بالموازنة. فبدا من نُصْحه وحُسْن نَظَره ما عُرِف له؛ ثمّ استأثر الله بعبد الرحمن؛ فصُرِفَ الى وكالة هشام، يوم الأربعاء لأربع خلون لرمضان سنة ٣٥٩. وكان قد تقدّم للنظر في أمانة دار السِّكّة يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت لشوّال من سنة ٣٥٦. كانت ولايته أوّلاً لوكالة، وأضاف اليه الخِزانة؛ ثمّ قدّمه على خُطّة المَوَارِيث يوم P. ٢٦٨ الخميس لسبع خلون من المحرّم سنة ٣٥٨. واستقضاه على كُورة إشْبِيلِيَة ولَبْلَة وأعمالها يوم الأربعاء لاثنتيْ عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة سنة ٣٥٨ المذكورة. وفي سنة ٣٦١، قدّم الحَكَمُ المُسْتَنْصِرُ بالله محمّدَ بن أبي عامر على الشُّرطة الوُسْطَى في جمادى الآخرة، وأهاب به الى الأمانات بالعِدْوة؛ فاستصلحها واستمال أهْلَهَا، وجعله قاضِيَ القُضاة بالغَرْب من العِدْوة؛ وأمر عُمّاله وقُوّاده ألّا يَتَنَاوَلوا شَيْئًا دونَه، إلّا بمَشُوَرته؛ ثمّ أضاف اليه الحَكَمُ النَّظَرَ في الحَشَم، وهو في عِلّته التي مات فيها بالفالِج.

وقيل أيضاً إنّ سبب ظهوره كان خدمته للسيّدة صُبح البشكنسيّة، أمّ عبد الرحمن وهشام؛ فكانت أقوى أسبابه فى تنقيل المُلك عمّا قبل إليه[1]؛ فإنّه استمال هذه المرأة بحُسنِ الخدمة، ومُوافقةِ المسرّة، وسعةِ البذل فى باب الإتحاف والمهاداة، حتّى استهواها، وغلب على قلبها؛ وكانت الغالبة على مولاها، وابنُ أبى عامر يجتهد فى برّها والمثابرة على مُلاطفتها؛ فيُبدع فى ذلك، ويأتيها بأشياء لم يُعهَد مِثلُها. حتّى لقد صاغ لها قصرًا من فضّة وقت ولايته السكّة[2]، عَمِلَ فيه مُدّةً. وأنفق فيه مالاً جسيماً؛ فجاء بديعًا، لمْ ترَ العيونُ أعجبَ منه؛ وحُمِلَ ظاهرًا لأعيُن الناس من دار ابن أبى عامر، وشاهدَ الناسُ منه منظراً بديعاً. لم ترَ العيون أعجبَ منه؛ فتحدّث الناسُ بشأنه دهرًا. ووقع من قلب المرأة موقعاً لا شيء فوقه؛ فتزيّدتْ فى برّه، وتكفّلتْ بشأنه، حتّى تحدّث الناس بشغفها به. وقال الحَكَمُ يومًا لبعض ثقاته: «ما الذى استلطف به هذا الفتى حُرَمنا حتّى ملك قلوبهنّ، مع اجتماع زُخرُف الدنيا عندهنّ، حتّى صرنَ لا يصفنَ إلاّ هداياه، ولا يرضينَ إلاّ ما أتاهنّ؟ إنّه لساحرٌ عليمٌ، أو خادمٌ لبيبٌ! وإنّى لخائفٌ على ما بيده!» ثمّ سُعِيَ به الى الحكم، وقيل عنه إنّه قد أسرع فى إتلاف[3] مال السكّة الموقوف قِبَله؛ فأمره الحَكَمُ بإحضاره ليشاهِدَ سلامتَه[4]؛ فاضطرّ الإسراع إلى ذلك، وقد استهلك[5] جملةً من الأموال[5]؛ فألقى نفسه فى جبرها [6]على الوزير ابن حُدَير فى إسلافه إيّاها[6]؛ وكان صديقًا له؛ فياسَره فيه؛ وحمل المال اليه من وقته؛ فتمّم بـه ما قِبَله، وارتفعت الظِنّةُ عنه؛ فأكذب الحَكَمُ ما رُفعَ[7] اليه عنه، وازداد عجَباً به. وأقرّه على حاله؛ فردّ ابنُ أبى عامر المالَ لابن حُدَير من حينه، والصق بالحكَم، وصار فى عداد كُفاته.

واشتغل قلبُ الحَكَم، آخرَ أيّامه، بأمر العدوة ومَن جرّده إليها من عساكره لحرب الأدارسة وغيرهم، واغتمّ لِمَا خرج من يده فى ذلك الوجه من الأموال.

P. ٢٦٨

1) Manque dans A. 2) Manque dans A. 3) Manque dans A.

4) B. براءته. 5—5) كثيراً منه. 6) B. جبره et إيّاه. 7) A. وقع.

فقلّد ابنَ أبي عامر قضاء القُضَاة بالغَرْب، وجعله عَيْنًا على العسكر، وأوعز إليه في مُهِمّاته؛ فسار ابن أبي عامر الى هنالك؛ فحُمِدت سيرتُه[1]، وصَحِبَ حينئذٍ وجوه العسكر وأشياخ القبائل وملوكهم؛ فكانت تلك الحركةُ أوّلَ ظهوره، وبعد رجوعه منها، لم يَزَل يزداد نُبْلاً، ويرتقى مَنْزِلةً، وهو مع ذلك كلّهِ يغدو إلى دار جعفر بن عثمان المُصْحَفِيّ وزير الدولة ويروح، ويختصّ به، ويدعى نصيحته.

وفى سنة ٣٦٦، تُوفّى الحَكَم المُسْتَنْصِر بالله بعد اِتّصال عِلّته؛ وجعفر بن عثمان يُدَبِّر[2] سلطانه إلى حين وفاته، ليلة الأحد لثلاث خلون لرمضان من السنة المؤرّخة.

## خلافة هِشام بن الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر والدولة العامِرِيّة

[3]نَسَبُهُ: تقدّم فى خلافة أبيه وجدّه[3]. كُنْيَته: أبو الوليد. لَقَبُه: المؤيّد بالله. أُمّه: صُبْح البَشْكُنِسِيّة، أمّ وَلَدٍ؛ وكان سيّدها الحَكَم يُسمّيها «جعفر»، وكانت مُغَنِّيَةً[4] حَظِيّةً عنده، وتُوفّيت فى خلافة ابنها هشام. بويع له يوم الإثنين لأربع خلون من صفر سنة ٦٦ بعَهْدٍ من أبيه، وهو ابنُ إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر؛ وخُلِع يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، سنة ٣٩٩؛ فكانت خلافته الأولى، الى أن قامت الفتنة، ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر وعشرة أيّام. وفى الخلافة الثانية سَنَتَيْن وعشرة أشهر؛ الجميع الذى كَمُل له فى المرّتين ستّة وثلاثون سنة وشهران وعشرة أيّام. صِفَته: أبْيَضُ، أشْهَلُ، أعين، خفيفُ العارضَيْن، لِحْيَتُه الى الحُمْرة، حَسَنُ الجسم، قصيرُ الساقَيْن، مائلٌ الى العبادة والانقباض، مُقْبِلٌ على تلاوة القرآن ودَرْسِ العلوم، كثيرُ الصدقات على أهل السِّتْر من الضُّعَفاء والمساكين.

---

1) A. آثاره. 2) A. يدير. 3—3) Manque dans B. 4) Manque dans B.

قُضَاتُه: محمّد بن السَّلِيم، ألفاه قاضياً لأبيه فأقرّه على ولايته؛ ثمّ أبو بكر ابن زَرْب؛ ثمّ محمّد بن يحيى التميميّ عُرِف بابن بَرْطال، وغيرهم.

نَقْشُ خاتَمِه: «هشام بن الحَكَم، بالله يَعْتَصِم». وتولّى عَقْدَ الشهادة على الناس فى البيعة بين يديه وَكِيلُه وصاحبُ شُرْطَته الوُسْطَى والسِّكَّة والمواريث أبو عامر محمّد بن أبي عامر، بعد ما كان قاضي الجماعة محمّد بن إسحاق بن السَّلِيم يأخذها على من شهد المجلس من الأعْمام وأبنائهم والوزراء وطبقات أهل الخِدْمة ورجالات قُرَيْش وأعلام أهل الحَضْرة.

فلمّا كان يوم السبت السادس من جلوس هشام، وهو العاشر لصفر سنة ٣٦٦، قلّد الخليفة هشام حجابته وزيرَ أبيه الأخَصَّ أبا الحسن جعفر بن عثمان المُصْحَفِيّ. وفى هذا اليوم، أنهض الخليفة هشام محمّدَ بن أبى عامر الى خُطّة الوزارة، نقله إليها عن شُرْطَته الوُسْطَى وأجراه رسيلاً لحاجبه جعفر فى تدبير دولته؛ فساذه محمّد شأواً، وجرى الى غايةٍ برّز *فيها دُونَهُ، سابقاً فى الحلبة، وتخلّف جعفر عن مداه.

P. ٢٧١

ومن أخبار جعفر بن عثمان المُصْحَفِيّ: هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نَصْر بن فَوْز بن عبد الله بن كُسَيْلة القَيْسِيّ. كان لطيف المنزلة من الحَكَم المُسْتَنْصِر بالله، قديم الصُّحْبة، قريب الخاصّة؛ وكان أوّلُ سَبَب ذلك تأديبَ والده عثمان بن نَصْر للحَكَم فى صِباه، واستخدمه فى أيّام والده الناصر، واستكتبه، ورقّاه الى خُطّة الشُّرْطة الوُسْطَى والنظر فى عِدّةٍ من الأعمال والكُوَر. فلمّا أفضت الخلافة الى الحَكَم، قلّده، بعد ثلاثة أيّام من خلافته، خُطّة الوِزارة، وأمضاه على الكتابة الخاصّة؛ ثمّ جمع له الكتابة العُلْيا بالخاصّة، وولّى ابنَيه الأعمال الكبار. وكان جعفر بن عثمان أحد شُعَراء الأندلس المُحْسِنين، المتصرّفين فى أنواع الشِّعْر من المديح والأوصاف والغَزَل، غايةً فى كلّ ذلك فى الرِّقّة والإبْداع والحُسْن. وقد تقدّم قولُه مُرْتَجِلاً: «هيّأ للإمام وللأنام» وقوله مُرْتجلاً: «تطلّع البَدْرُ من حجابه[1]» وغير ذلك.

1) Voir supra, p. ٢٣٧.

قال ابن بسّام: كان جعفر بن عثمان رَجُلاً بلغ المنتهى، وسُوِّغَ بُرْهةً من دَهْرِه ما اشتهى، دونَ مَجْدٍ تنزّع من دَوْحِه، ولا فَخْرٍ نشأ بين مَغْداه[1] ورَوْحِه. فسَمَا دُونَ سابقة، وارتقى الى رتبةٍ لم تكن لبَيْتَتِهِ[2] مُطابِقة؛ فلم يزل يستقلُّ ويضطلِع، وينتقل من مَطْلِع الى مطلع، حتّى التاح فى أُفُقِ الخلافة، وارتاح إليها بعطفها كنشوان السُّلافة؛ وحجب الإمام، وانسكب برأيه ذلك الغمام. فأدرك بذلك ما أدرك، ونصب لأمانيه الحبائل والشَّرَك، واقتنى وادَّخر، وأزرى بمن سواه وسخر. واستعطفه محمّد بن أبى عامر، ونَجْمُه غايرٌ لم يَبْلُغْ، ٢٧٣ وسِرُّه مكتومٌ لم يَبُحْ؛ فما أقبل عليه ولا عَطَف، ولا جنا من رَوْضة دنياه زَهْرَةَ أَمَلٍ ولا قَطَف؛ وأقام فى تدبير الأندلس، وهو يَجْرِى من السعد فى مَيْدان رَحْب، ويكرع من العزّ فى مشرب عَذْب. وكان له أَدَبٌ بارِع، وخاطِرٌ إلى نَظْمِ المحاسن مُسارِع. فمن ذلك ما بعثه عليه إيناسُ دَهْره وإسْعادُهُ، وقاله حين أَلِفَتْهُ سَلْمَاهُ وسُعادُه [طويل]

لِعَيْنيكِ فى قَلْبِى علَىَّ عُيُونُ  وبَيْنَ ضُلُوعِى للشُّجُونِ فُنُونُ
لَئِنْ كان جِسْمى مُخْلَقًا فى يَدِ الهَوَى  فحُبُّكِ غَضٌّ فى الفُؤادِ مَصُونُ

وله، وقد أصبح يومًا عاكفًا على حُمَيّاه، هائمًا بإجابة دُنْياه، مرتشفًا ثُغُورَ الأُنس متنسّمًا رَيّاه، والمُلْكُ يُغازِله بطَرْفٍ عَليل، ويُبرم من أُنسه كلَّ نَجيل، والسَّعْدُ قد عقد عليه أىَّ إكْليل، يَصِفُ لَوْنَ مُدامِه، وما يعرف منها دون نِدامِه؛ فقال [كامل]:

صَفْراءُ تَبْرُقُ فى الزُّجاجِ فإنْ سَرَتْ  فى الجسم دبّتْ مِثْلَ صِلٍّ لادِغِ
عَبَثَ الزمانُ بجُسْمِها فتستَّرتْ  عن عَيْنِه فى ثَوْبِ نُورٍ سابِغِ
خَفِيَتْ[3] على شُرّابِها فكأنّما  يَجِدُونَ رِيًّا فى إناءٍ فارِغِ

واستمرّ فى حجابته، ومرّ بين سَمْعِ الدهر وإجابته، والنفوسُ العَلِيّةُ من تناهى حاله متغيّرة، وفى تكيُّف سعده متحيّرة. ولم يزل لنجاد تلك الخلافة مُعْتَقِلاً، وفى

---

1) B. مقدارٍه. 2) B. لبنيته. 3) A. خفيق.

مَطالعها مُتَنقِلاً، الى أن تُوُفِّىَ الحَكَمُ؛ فانتصم عِقْدُه المُحْكَم، وانبرت اليه النوائب، وتسدّدت له الخطوب بسهامٍ صوائب؛ واستولى عليه الكَسَل، وأسرعت اليه الذوابل والأَسَل، وتعاوره الإدبار، وساوره من المكروه ما فيه اعتبار؛ وانتقل الى المنصور ذلك الأمْر، واختصّ بـه كما اختصّ • يزيد أخوه الغُمْر، وأناف فى تلك الخلافة كما شبّ قبل اليوم عن طَوْقه عَمْرو؛ فاعتقل بتلك النجاد، واستبدّ به دون أولئكَ الأمجاد، وانبرى الى المُصْحَفِىّ بصدرٍ كان قد أوغره، وجدٍّ سامٍ طال ما استنصره؛ فأباده ونكبه، وسلب جاهه وانتهبه، واقتصّ من تلك الإساءة، وأغصّ حلقه بكلّ مساءة، وألهب جوانحه حَزَناً، ونهب له مُدّخرًا ومختزَناً، ودمّر عليه ما كان حاط، وأحاط بـه من مكروهه ما أحاط؛ فبقى سِنين فى مهوى النكبة، وجوَى تلك الكربة، ينقله المنصور معه فى غَزَواته، ويعتقله بين أظفار التضييق أو فى لَهَواته، وهو يستعطف ويستميل، فلا يتحقّق له رجاء ولا تأميل، الى أن تكوّرتْ شَمْسُه، وفاضت بين أنياب المحَن نَفْسُه؛ فاغتِيلَ فى المُطْبَق، ونفذ فيه أمْرُ الله وسَبَق.

P. ٢٧٣

## بعض أخبار المنصور محمّد بن أبى عامر فى ابتدائه

نَسَبُه: هو أبو عامرٍ محمّد بن أبى حَفْص عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن عامرٍ بن أبى عامرٍ محمّد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الداخل الى الأندلُس مع طارقٍ؛ وكان له فى فتحها أثرٌ جميلٌ؛ وكان فى قومه وَسِيطاً؛ وقد ذكره محمّد بن حُسَيْن الشاعر العالم بأخبار الأندلُس فى بعض أمداحه للمنصور هذا، فقال [طويل]:

وَكُـلُّ عَدُوٍّ أنت تَهْدِمُ عَرْشَهُ ... وَكُـلُّ فُتُوحٍ عنك يُفْتَحُ بَابُها
وإنّك من عبد المَلِيك الذى له ... حُلَى فَتْحِ قَرْطَاجَنَّةٍ وانْتِهابُها
جَنَاها أبـو مَرْوانَ جَدُّك قابضًا ... بـكـفّـةٍ تـلـيدٌ طعنُها وضِرابُها
فإنْ سَنَحَتْ فى الشِرْكِ من بَعْدِ فَتْحِهِ ... فُتُوحٌ فَمَصْرُوفٌ إليـك ثَوَابُها

•وجدُّه عبد الملك هو الذى دخل مع طارق ونزل الجزيرة الخضراء لأوّل ٢٧٤ r.
الفتح؛ فساد أهلَها، وكَثُرَ عَقِبُه فيها؛ وتكرّرت فيهم النباهة والوجاهة؛ وجاوَرَ الخلفاء منهم بقُرْطُبة جماعةٌ أحَدُهم أبو عامِر محمّد بن الوليد، الذى عُرِف آلُ عامِر طرًّا به. وساد بعده ولده عامِر، وتقدّم عند الخلفاء، ووُلِّيَ الأعمال، ومات بقُرْطُبة؛ وباسْمِهِ نَقَشَ محمّد السِكّك، ورقم الأعلام. وكان عبد الله المُكَنّى بأبى حَفْص، والدُ محمّد المنصور، من أهل الدين والزُهْد فى الدنيا والقعود عن السلطان؛ سمع الحديث، وأدّى الفريضة، ومات منصرفاً من حَجّة بمدينة إطْرَابُلُس المغرب؛ وأصهر التّميميّين المعروفين بقُرْطُبة ببني بَرْطال؛ فنكح بُرَيْهة بنت يحيى بن زَكَرِيَاء؛ فولدت له أبا عامر المنصور، وأخاه يحيى. وكانت أمُّ عبد الله، والدِ المنصور، بنتَ الوزير يحيى بن إسحاق، وزيرِ الناصر لدين الله وطبيبِه.

وكان محمّد هذا حَسَن النشأة، ظاهر النجابة، تتفرّس فيه السيادة؛ سلك سبيل القُضاة فى أوّليّته، مقتفياً آثار عُمُومته وخُؤُولته؛ فطلب الحديث فى حداثته، وقرأ الأدب، وقيّد اللُغات على أبى عليّ البغداديّ، وعلى أبى بكر بن القُوطِيّة؛ وقرأ الحديث على أبى بكر بن مُعاوية القُرَشيّ، راويةِ النَّساءىّ، وغيره من رُؤَساء أهل المشرق؛ وبرع بروعاً أدناه، مع نوازع سَعْدٍ وبوادِرِ حَظٍّ، من الحَكَم المُسْتَنْصِر؛ فقرّبه وصرّفه فى مُهِمّ الأمانات وأصنافها؛ فاجتهد وبرز فى كلّ ما قلّده، واضطلع بجميع ما حمّله.

وكان الحَكَمُ، لشدّة نظره فى الحَدَثان، يتخيّل فى محمّد بن أبى عامر أكثر الصّفات المُجْتَمِعة الى النسب والبلدة. وكان يَجِدُ القائم عليهم[1] من الجزيرة الخضراء، أصفر الكفّين. فيقول لخاصّته: «ألَا تَرَوْنَ صُفْرة كفّيْهِ؟» فإذا قالوا له: «أرِحْ نفسك منه!» يقول: «لو كانت به شَجّةٌ، لكانت تَكْمِلَة صِفاته». فكان •من قدر الله أن حدثت الشجّة بمحمّد بعد موت الحَكَم بضربة غالب ٢٧٥ r.

1) Manque dans A.

الناصِرِيّ له، وبها تمّ الأثَرُ فيه؛ كما أنّ الحَكَمَ قد كان وقف فى الأثَر على البُقْعة التى بُنِيَتْ فيها الزاهِرة؛ وكانت ملوكُ المروانيّة تتخوّف ذلك، وكان ألْهَجهُمْ[1] بشأنها الخليفةُ الحَكَم؛ فنظر فى أمرها، وهى البُقْعة المعروفة بألَش (بفتح اللام)، وهى بغربيّ قُرْطُبة؛ ووجد انتقالَ المُلْك إليها؛ فأمر حاجبه جعفراً بالسَّبْق اليها والشروع فى بنائها طمعاً فى مزيّة سَعْدها، وأن لا يُخْرِجَ الأمْرَ عن يد ولده؛ وأنفق عليها مالاً عظيماً؛ فكان من غريب الأمور أنّ محمّد بن أبى عامر تولّى النظر فى شأنها مع من نظر فيها، وهو يومئذٍ فى حال النُبُوّة والاحتياج، ولا يُعْلَم يومئذٍ به. فسُبْحانَ من يُؤْتى مُلكه من يشاء.

ثمّ رُفِعَ[2] الى الحَكَم أنّ البُقْعة بغير ذلك الموضع، وأنّها بشرقيّ مدينة قُرْطُبة؛ فأنفذ ثِقَتَه محمّد بن نَصْر بن خالد للوقوف عليها، وانتهى الى منزل أبى نَدْر المسمّى بألُش (مضمومة اللام)، وأصاب هنالك عجوزاً مُسِنّةً وافقته على حدّ الارتياد، وقالت له: «سمعنا قديماً أنّ مدينةً تُبْنَى هنا، ويكون على هذا البئر زوالُ مَلِكها». فعاد إليه محمّد بن نَصْر بالجَلِيّة؛ فلم تَطُل المدّة حتّى بناها ابن أبى عامر، وتبوّأ أرجاء ذلك البئر قرارةً. وكان المنصور على ثِقة[3] من سرعة انتقال المُلْك اليه، لا يشكّ فى ذلك لأنّه تمكّن من مُطالعة ما كان عند الحَكَم؛ فوقف على الجَلِيّة.

ولم يزل الحَكَم يُقَدِّم محمّدًا ويُؤْثِره، الى أن وَلِيَ العَهْدَ ابنُه هشامٌ؛ فزاد مقداره لخاصته بولِيّ العَهْد ومكانه من السيّدة والدته؛ فاحتاج الناس اليه وغَشَوْا بابَه؛ فأنساهم من سلف من أصحاب السلطان سعةَ إسعافه، وكَرَمَ لقائه، وسُهُولةَ حجابه، وحُسْنَ أخلاقه، فعَرُضَ جاهُه، وعُمِرَ بابُه. واتّسع فى بناء داره بالرُّصافة، واتّخذ الكُتّاب الجِلّة، واستصحب سَراة الصحابة. وكانت مائدتُه موضوعةً *لمن P. ٢٧٦ ينتاب دارَه. وهمّته تترامى الى وراء ما يناله؛ وهو فى هذا كلّه يغدو إلى دار جعفر بن عثمان المُصْحَفيّ ويروح، ويُصبح ببابه ويختصّ به.

---

1) A. الجهر.   2) A. et B. ورفع.   3) B. بقين

ثمّ اتصلت عِلّة الخليفة الحَكَم من الفالِج، وجعفر يُدير سلطانه. ووقع إرجافٌ بموت الحَكَم؛ فأشار محمّد بن أبى عامر على جعفر بن عثمان باستركاب ولىّ العَهْد هشام فى ذلك اليوم فى الجيش، إرهابًا لأهل الخلاف؛ ففعل وركب فى الناس رَكْبَتَهُ المشهورة، ومحمّد بن أبى عامر بين يديه، قد كساه الخزّ، ونقله الى أكابر أهل الخِدْمة. وأمر ولىّ العَهْد هشامٌ فى ذلك اليوم (وهو العاشر لصفر من سنة ٦٦) بإسقاط ضريبة الزَّيْتون المأخوذة فى الزيت بقُرْطُبة، وكانت الى الناس مُسْتَكْرَهةً؛ فسُرُّوا بذلك أعظم سرور. ونُسِب شأنها الى محمّد بن أبى عامر، وأنّه أشار بذلك؛ فأحبّوه لذلك. ولم تزل الهِمّة تحْدُوه: والجِدُّ يحْظِيه، والقضاء يُساعده، والسياسة الحَسَنة لا تُفارقه، حتّى قام بتدبير الخلافة، وأقعد من كان له فيها إنافة، وساس الأمور أحسن سياسة، وداس الخطوب بأخشن دياسة؛ فانتظمت له الممالِك، وأَنْصحت به المسالِك، وانتشر الأمن فى كلّ طريق، واستشعر اليُمْنَ كلُّ فريق. وأسقط جعفراً المُصْحَفِيَّ، وعمل فيه ما أراده.

فأوّلُ عُرْوة فصمها من عُرَى المملكة عُرْوةُ الصَّقَالِبة الخَدَم بالقصر موضع الخلافة، وكانوا أبْهَى حُلَل المملكة، وأخصّ عددها، عُنِي الخلفاء بجمعهم والاستكثار منهم؛ وكانوا خاصّة الناصر والحَكَم بعده، حتّى لقد ظهرت منهم فى زمن الحَكَم أمورٌ قبيحةٌ أغْضَى عنها مع إيثاره العَدْل [1] وإطراح الجور بالجملة [1]. وكان يقول: «هُمْ أُمَنَاؤنا وثِقاتُنا على الحُرَم؛ فينبغى للرعيّة أن تَلِينَ لهم، وترفق فى مُعاملتهم؛ فتَسْلَمَ من مَعَرّتهم، إذ ليس *يمكننا فى كلّ وقت الإنكار عليهم.» P. ٢٧٧

ولمّا مات الحَكَم، كان الصَّقَالِبة أكثر جَمْعاً وأحَدّ شوكةً، يظنّون أن لا غالب لهم وأنّ المُلْك بأيديهم. وكانوا نَيِّفاً على ألف مجبوب؛ فحَسْبُك بما يتبعهم؛ وكان رأسهم فائق المعروف بالنِّظامِيّ، صاحب البُرْد والطِّراز؛ ويليه صاحبه جوْذَر صاحب الصاغة والبَيازِرة؛ وإليهما كان أمر الغلمان الفحول بخارج القصر. وكان قد جرى بين فائق وجوْذر مع الحاجب جعفر المُصْحَفِيّ إثْرَ موت الحكم

1—1) Manque dans B.

ما أذكُره: وذلك أنه لمّا تُوُفّى الحَكَم، خفى موته على وزيره جعفر وسائر أهل المملكة لطول تردُّده فى العلّة، وتفرّد بعلم ذلك فى وقته خادِماه الخاصّان بـه: فائق وجوذَر؛ فاستظهرا بكتمان ذلك. وتقدّما فى ضبط الدار. وخلَوَا للتشاور، وقد عزما على ردّ الأمر للمُغيرة بن الناصر، أخى مولاهما الحَكَم، خَشْيَةً من انتثاره على ابنه هشام، لصغر سنّه، وإنكار الناس لتقديمه على أن يُقرّ ابن أخيه هشامًا على العهد بعده؛ فيمنّا على المُغيرة بسَوْق الخلافة إليه، وبَفيا لمولاهما بارتقاب كِبَرِ ولده[1]، ويكون الملك فى أيديهما بحاله[1]؛ وكان رأيًا حسنًا لو أراد الله به.

فلمّا اتّفقا على ذلك، قال جوذَر لفائق: «ينبغى أن نُحضِر جعفر بن عثمان الحاجب، فنضرب عنقه؛ فبذلك يتِمُّ أمرنا». فقال له فائق: «سُبحانَ الله يا أخى! تُشير بقتل حاجب[2] مولانا وشيخ من مشيختنا دون ذَنب، ولعلّه لا يخالفنا فيما نريده، مع افتتاحنا الأمر بسَفْك الدم.» فأرسلا فى جعفر بن عثمان؛ فحضر؛ ونعيا إليه الحَكَم، وعرضا عليه ما أجمعا عليه من الرأى. فقال لهما جعفر: «هذا، والله! أسَدُّ رأي وأوْفَقُ عَمَل؛ والأمْر أمركما؛ وأنا وغيرى فيه تَبَعٌ لكما. فاعزما على ما أردتما، واستَعِينا بمشورة المشيخة؛ فهى أسى للخلاف، وأنا أسير الى الباب، فأضبطه بنفسى؛ وانفذا أمركما الىّ بما شئتما.» وخرج عنهما؛ فضبط * باب القصر، وتقدّم فى إحضار أصحاب[3] الهاشميّة مثل زياد بن أفلح مولى الحَكَم، وقاسم بن محمّد، ومحمّد بن أبى عامر، وهشام بن محمّد بن عثمان، وأشباههم؛ واستدعى بنى برزال، إذ كانوا بطانته من سائر الجند. واستحضر سائر قوّاد الأجناد الأحرار؛ فاجتمع له من هذه الطوائف ما شدّ رُكنه وقوّى أيده؛ فنعى لهم الخليفة: وعرّفهم مذهب الصّقالبة فى نكث بيعة هشام؛ وأقبل يثبّت أصحابه، وقال لهم: «إن حَبَسْنا الدولة على هشام، أمِنّا على أنفسنا، وصارت الدُّنيا فى أيدينا؛ وان انتقلت الى المُغيرة، استبدل بنا، وطلب شِفاء أحقاده». فأشار عليه أصحابه بقتل المُغيرة قبل أن يبلغه موت أخيه، فتمكّنه الحيلة. فعمل

* f. ٢٦١ r.

1—1) Manque dans B. 2) A. كاتب. 3) A. أصحابه.

رأيهم، فتوافقوا[1] فيما بينهم النهوضَ الى قتله، فكعُّوا وجبنوا، فبدرهم محمد بن أبى عامر وقال: «يا قوم إنّى أخاف فساد أمركم، ونحن تبعٌ لهذا الرئيس (وأشار الى جعفر)، فينبغى ألّا نختلف عليه. وأنا أتحمّل ذلك عنكم إن أجذبني إليه[2]، فخلّصوا عليكم!» فأعجب جعفرًا والجماعة ما كان منه. وولّوه شأنه، وقالوا له: «أنت أحقّ بتولّى كِبْره لخاصّتك بالخليفة هشام ومحلّك من الدولة.» فأرسل جعفر معه طائفةً من الجُنْد الأحرار، ووَثِقَ بهم لذلك.

## مقتل المغيرة بن عبد الرحمن الناصر (رحمه الله)

فركب محمّد بن أبى عامر الى المغيرة من ساعته، وركب معه بَدْر القائد مولى الناصر فى مائة غلام من غلمان السلطان، ووقف لهم خارجَ باب دار المغيرة. وأحاط سِوَاهُ من أصحاب محمّد بجهاتها، واقتحم محمّد عليه، فوجده مُطْمَئِنًّا على غير استعداد، فنعى اليه أخاه الحَكَم، وعرفه بجلوس ابنه هشام فى الخلافة، وأنّ الوزراء خشوا خلافه. فأنفذوه لامتحان القصّة. فاشتدّ ذُعْره، ثمّ استرجع عليه، واستبشر بمُلْك ابن أخيه، وقال: «أَعْلِمْهم أنّى سامعٌ مطيعٌ P. ٢٧٩ وافٍ ببيعتى، فتوثّقوا منّى كيف شئتم!» وأقبل يستلطف ابن أبى عامر، ويناشده الله فى دمه، ويسأله المراجعة فى أمره، حتّى رقّ لـه محمّد، وكتب الى جعفر يَصْدُقه عنه ويصف له الصورة التى وجده عليها من السلامة والطمأنينة. ويستأذنه فى شأنه. فردّ عليه جعفر يلومه فى التأخير، ويعزم عليه فى التصميم. ويقول له: «غررتنا من نفسك، فانفذْ لشأنك، أو فانصرفْ، نرسل سِوَاك.» فخبى محمّد لجوابه، وعرض الرقعة على المغيرة، وجعلها بيده، وزال عن وجهه: وأدخل عليه تلك الطَّبَقَة، فقتلوه خَنْقًا فى مجلسه، وعلّقوا جسده فى مخدع يتّصل بمجلسه، كهيئة المُخْتَنِق من تِلْقاء نفسه، وذلك كلّه بمعاينة حُرَمه. ثمّ أشاعوا أنه خنق نفسه، لمّا أكرهوه على الركوب لابن أخيه، فطاح دَمُه على هذه الصورة.

---

1) A. فتدافعوا.    2) A. انفذنى.

وكان سِنُّه يومَ قُتِل سبعاً وعشرين سنة. ثمّ تقدّم محمّد بإخفاء ذلك. وأمرَهم بدفنه فى مجلسه، وأن يسدّوا أبوابهم، فيأمنوا بذلك على وَلَده ونعمته.

وعاد ابن أبى عامر الى جعفر بالقِصّة، فطابت نفسه، وصيّر محمّدًا الى جانبه. وشكره. ووصل الحادث على المُغيرة الى جَوْذَر وفائق، فدَهِشا، وسُقِطَ فى أيديهما. وقال جَوْذَر لفائق: «قد نصحتُ لك، فلم تسمع منّى!» وكان أكمل دهاء منه. فانكفَئا الى جعفر، فأظهرا له السلامة والاستبشار بما أتاه، والاعتذار ممّا رأياه. وقالا له: «إنّ الجَزَعَ أذهلنا عمّا أرشدك الله اليه. فجزاك الله عن ابن مَوْلانا خيرًا، وعن دولتنا وعن المسلمين!» فأظهر لهما بعض القَبول. وانغمس جعفر فى الشغل بأمر البيعة أيّاما. وفى نفسه للصّقالبة ما لا تهنّيه معه عِيشةٌ، وفى أنفسهم له أبرَحُ لَوْعةٍ.

وأجلس جعفر * هشام بن الحَكَم للبيعة بالخلافة صبيحة يوم الإثنين لأربع خلون من صفر سنة ٣٦٦؛ ودعا الناسَ ابنُ أبى عامر للبيعة، فلم يختلف عليه اثنان. فكان لابن أبى عامر فى أخذها أثرٌ كبير، تذاكره[1] الناسُ، وعلا شأنه ومكانه، وبعُد فى الناس صيتُه. ٣٠ r. ١٠

## بعض أخبار الصّقالبة مع ابن أبى عامر

وذلك أنّه لمّا تمكّنت الوَحْشة ما بين جعفر والصقالبة، انحرفوا عنه، وكرهوا ولاية هشام. فأخذ جعفر حِذْرَه منهم، وأذكى العيونَ؛ وبلغه أنّ جَوْذَرا وفائقا يدبّران على دولة. وبدسّان فى ذلك الى بعض من فى قيادتهما من وجوه الغلمان والفحولة؛ وكان الدخول والخروج اليهما على باب الحديد؛ فأمر الحاجب جعفر المُصحفىّ بسدّه بالحَجَر. وصيّر دخول الناس على باب السُّدّة. فحسم شرّ الصقالبة. وصيّرهم تحت الرّقبة. ونظر جعفر فى إزالة الغلمان الفحولة عن رَسْم هذَيْن الصّنيعَيْن بمواطاة محمّد بن أبى عامر؛ ودسّ محمّدا الى من طلبهم

[1] B. تذاكره.

له؛ فتقدّم عليهم محمّد بن أبي عامر، فكان يطأ عَقِبَهُ منهم خمسمائة غلام، فاشتدّ بهم أزْرُه، وفخم أمره، وقدّمهم في الإنزال والعطاء، فأحبّوه[1]؛ ثمّ انقلب بنو بِرزال الى محمّد بن أبي عامر، وصاروا في قيادته. فاعتزّ بالطائفتين، وقهر عدوّه، وتبعه سائر الجُنْد. فهان أمرُ الصقالِبة عنه.

ثمّ ان جَوْذَراً الفتى استأذن السلطان في الخروج الى داره مستعفياً من الخدمة، وهو يظنُّ أنّه لا يُجاب الى ذلك، فأذن له في الخروج، فاشتدّ وعيدُ أصحابه، وزاد كلامهم، وكان أجسرهم على ذلك دُرِّيّ الفتى الصغير، لِما فيه من التمرّد والجهالة، فحرّك جعفر ابنَ أبي عامر لإزالته والراحة منه، [2]وقال: «حاوِلْ عليه!»[2] فدسّ الى رعيّته بِسِيَاسة، وأمرهم بالشَّكْوَى به وبعُمّاله، ووعدهم العُدْوَى عليه والإراحة من جوره، فسارعوا الى ذلك. ورفع الحاجب جعفر قصّته الى السلطان، وقد أحكم ابن أبي *عامر شأن التدبير عليه، فخرج التوقيع P. 281 بالجَمْع بين دُرِّيّ وبينهم، والنظر في مَصَالحهم، فاستدعى دُرِّيّ الى بيت الوزارة، فلمّا أشرف على الدار، ورأى مَنْ أُعِدّ فيها، أحسّ بالشرّ، فخنس راجعاً، فمنعه ابن أبي عامر، وقبض عليه، فتجاذبا، فبطش دُرِّيّ بابن أبي عامر، وقبض على لحيته، فصاح محمّد بن أبي عامر بمن حضر من الجُنْد، فاحتشم الأندلسيّون دُرِّيّاً، وأسرع بنو بِرزال الى إجابته، فتقدّموا الى دُرِّيّ، فأوجعوه ضَرْباً، ولحقته ضربة بصفح السيف، أزالت عقله، وحُمِل للوقت الى داره، فعُوجِل من ليلته بالقتل. وأمر في الوقت فائقاً وجماعةً من كبارهم بالخروج إلى ديارهم والتزامها، فخرجوا إليها. وانحصدت شوكةُ الصقالِبة حينئذٍ، وفُلّ حدُّهم، وتجرّد ابن أبي عامر لطلبهم، فاستخرج منهم أموالاً جمّةً. وآلَتْ حالُ فائق الى أن صُيِّر الى الجزائر الشرقيّة، فمات هنالك.

وفي خروج الصّقالِبة من القَصْر، يقول سعيد الشَّنْتَرِينيّ الشاعر [سريع]:

---

1) Manque dans A. 2—2) Manque dans A.

أَخْرَجَ من قَصْرِ إِمَامِ الهُدَى    كُلَّ فَتًى مُنْبَسِطٍ جَائِرِ
فَمَنْ رَأَيْنَا مِنْهُمُ قَالَ لا    مَسَاسِ (1 بِفِعْلِ النَّاسِ بالسَّامِرِ 1)
فَخَفَّ ظَهْرُ المَلِكِ المُرْتَضَى    قَدْ خَفَّ مِن ثِقْلِهِمُ الظَّاهِرِ
وَسَالَ مَاءُ العِلْمِ مِن وَجْهِهِ    مُذْ (2 زَالَ من جَهْلِهِمُ 2) الخَائِرِ
فَلازَمَ الإِقْرَاءُ (3 فى قَصْرِهِ    مَعَ الوَزِيرِ الخَيِّرِ الطَّاهِرِ

وقَلَّدَ جعفر المُصْحَفِيُّ أَمْرَ القصر والحَرَم، بعد إخراج هاؤلاء الفتيان، سُكَّرًا صاحبهم؛ فسكن أنفس الصقالِبة. وأَجْرَاهم على الطاعة؛ فأصغوا اليه الى أن استهاجهم جَوْذَر الفَتَى عظيمُهم عند الظهور الذى هَمَّ به.

فلمّا تمّ لابن أبى عامر تدبيرُه فى الصقالِبة، جعل يتوصّل الى تقلّد جيش المملكة، والقيام بجهاد العدوّ دون الجماعة؛ وكان العدوُّ جاس بلاد المسلمين، وطمع فى انتهاز الفُرْصة فيهم؛ فأَنِف ابن أبى عامر من ذلك، وأشار على الحاجب جعفر بتجهيز الجيش والاعتداد للجهاد، وعرض القيام به على جميع الأكابر؛ فكلّهم كَعَّ عنه إلّا ابن أبى عامر؛ فإنّه بادر اليه على أن يختار مَنْ يخرج معه من الرجال، ويتجهّز لغزوه بمائة ألف دينار. فاستكثر ذلك بعضُ من حضر؛ فقال له محمّد بن أبى عامر: «خُذْ ضِعفَها وامْضِ! ولْيَحْسُنْ غَناؤك!» فخَامَ المعترض عن ذلك، وسلّم الجيش والمال الى ابن أبى عامر.

## غزوة محمّد بن أبى عامر الأُولى

فخرج لثلاث خلون من رجب من سنة ٣٦٦، ودخل على الثَّغر الجوفِىّ. فنازل حصن الحامّة من جِلِّيقِيّة؛ فحاصره، وأخذ رَبَضَه، وغنم وسبى؛ وقفل بالسّبى والغنائم الى قُرْطُبة الى ثلاثة وخمسين يوماً. فعظم السرور به، وأخلص الجند له، لما رأوا من كثرة جوده، وكرم عِشْرته، وسَعَة مائدته؛ فأحبّوه والتفّوا به؛ وكثر إحسانه اليهم وإفضاله عليهم، الى أن أدرك بهم سُؤْلَه، وبلغ مأمُولَه.

1—1) A. فعل الناس بالشاكر. 2—2) A. مال من ظلّهم. 3) A. الميدان.

## ذكر نكبة الحاجب جعفر بن عثمان

وذلك أنّه. لمّا سمت الحال بمحمّد بن أبي عامر، واستتبّ أمره، أعمل الحيلة والتدبير فى إسقاط جعفر بن عثمان، والانفراد بالدولة؛ فلم يجد لذلك سبباً أقوى من مُظاهرة الوزير أبي تمّام غالب الناصرىّ، صاحب مدينة سالم والثغر الأدنى، شيخ الموالى فاطبةً، وفارس الأندلس يومئذٍ غير مُدافِع له؛ وكان بينه وبين الحاجب جعفر بن عثمان عداوةٌ ومنافسةٌ. والتاثت حالُ غالبٍ صدرَ دولة هشام فى سنة ولايته لمّا ملك جعفر أمرها. وبان تقصيرُ غالبٍ فى مدافعة أعداء الله. وخاف أن يصل أمره الى الخلاف والمعصية؛ فأشار ابن أبي عامر فى استصلاحه ورَعْيِ ذِمامِه. ولم يزل ابن أبي عامر يقوم بشأنه. ويخدمه داخل الدار عند السيّدة أمّ هشام وسائر الحُرَم؛ حتّى تمّ مُرادُه فيه كىْ يستعين به على إهلاك المُصْحَفِىّ؛ فأنهض غالباً الى خُطّة الوزارتين، وأنفذ اليه كتابَ الخليفة بذلك، وأمره بالاجتماع مع ابن أبي عامر على التدبير على الصوائف، على أن يُدبّر ابنُ أبي عامر جيْشَ الحَضْرة، ويُدبّر غالبٌ جيْشَ الثغر.

## غزوة ابن أبي عامر الثانية

وخرج محمّد بن أبي عامر بالصائفة يوم الفِطْر من سنة ٣٦٦؛ فاجتمع مع غالب بمدينة مجْرِيط. وأصلَ معه من التظافر على جعفر ما أصاب به النُّكْتة من قلبه؛ واتّفقا وتوافقا. وخدم ابن أبي عامر غالباً فى سفره هذا خِدْمةً مَلَكَ بها نفسه؛ فمال اليه غالبٌ بكُلّيّته. واستمرّا فى غزوهما، وافتتح حِصْنُ مُولَة، وظهرا فيه على سَبْيٍ كثير، وغنم المسلمون أوسع غنيمة. وكان أكثرُ الأمر[1] فيها لغالب؛ فتجافى عنه لابن أبي عامر. وسار معه الى ثَغْره، ومنه فارَقَه، بعد أن أبلغ فى مواطأة محمّد بن أبي عامر على عدوّه جعفر بما أراده؛ وقال غالب لابن أبي

1) A. الأثر.

عامر عند وَداعه: «سيظهر لك بهذا الفتح إسْمٌ عظيم وذِكْرٌ جليلٌ، يُشْغِلهم السرور بـه عن الخَوْض فيما تُخفيه من قصّة. فإيّاك أن تخرج عن الدار حتّى تعزل ابن جعفر عن المدينة وتتقلّدها دُونَه!» فاعتقد محمّد ذلك.

وخاطب غالِب الخليفةَ هشاماً بحسن مَنَاب ابن أبي عامر في هذه الغزوة، ونسب السَّعْيَ والاجتهاد اليه، وشكره، وشدّ عَضُدَه عند الخليفة؛ وعاد محمّد ابن أبي عامر الى حضرة قُرْطُبةَ منصرفًا بالسَّبْي والغنائم. فاستمال محمّد بهذا الفتح قلوبَ العامّة والخاصّة، وتعرّفوا فيه يُمْنَ النقيبة؛ فبَعُدَ صيتُه، وهان عليه أمر جعفر وغيره، وشرع في هَدْمه. فخرج أمر الخليفة يوم وروده بصرْف محمّد بن جعفر بن عثمان عن المدينة * وتقليدها ابن أبي عامر. فخرج محمّد نحو كُرْسِيّها في هذا اليوم، والخِلَعُ عليه، ولا عند جعفر عِلْمٌ بذلك؛ وكان محمّد بن جعفر جالساً في مجلسها في أُبّهَةٍ، إذ صَعِدَ ابنُ أبي عامر نحوه؛ فولّى محمّد بن جعفر ناكصاً على عَقِبه، وأُتبع بدابّته. P. ٢٨٤

وملك ابنُ أبي عامر الباب بولاية الشُّرْطة؛ والجَيْشَ بِقَوْدِه له؛ والدار بعناية الحُرَم به؛ فملك على جعفر بذلك وُجُوهَ الحيلة، وخلاه، وليس في يده من الأمر إلاّ أقلّه. فضبط محمّد المدينة ضبطاً أنْسَى أهْلَ الحضرة مَنْ سَلَفَ مِن أفراد الكُفَاة وأولي السياسة، وقد كانوا قَبْله في بلاء عظيم، يتحارسون الليل كلّه، ويُكابِدون من رَوْعات طُرّاقه ما لا يُكابِد أهلُ الثغور من العدوّ. فكشف الله ذلك عنهم بمحمّد بن أبي عامر وكفايته، وتنزّهِهِ عمّا كان يُنْسَب لابن جعفر. فسدّ باب الشفاعات، وقمع أهْلَ الفِسْق والذعارات، حتّى ارتفع البأس، وأمن الناس، وأُمِنت عادية المتجرّمين من حاشية السلطان؛ حتّى لقد عثَرَ على ابن [1] عَمٍّ له يُعْرَف بعَسْقَلاجة [1]؛ فاستحضره في مجلس الشُّرْطة وجَلَده جلدًا مُبَرّحًا كان فيه حِمامه؛ فانقمع الشرّ في أيّامه جُمْلةً. واستخلف ابن أبي عامر على

1—1) Manque dans A. qui donne simplement على ابن له.

المدينة ابنَ عمّه عمرو بن عبد الله بن أبى عامر؛ فسلك فى أجل الشرّ سبيله، بل أربى عليه فى ذلك

وكاتبَ جعفر غالبًا يستخلصه، ويستميله، ويخطب بنته لابنه؛ فتجدّدت بينهما ألفةٌ، وجرى عَقْدٌ فى المُناكحة. وانكشف ذلك لابن أبى عامر؛ فكاتبَ غالباً يُنشده العَهْدَ، وألقى أهْـلَ الدار *عليه فى فَسْخ المُصاهَرة؛ فكاتبوه فى ٢٨٥ ذلك؛ فانحرف الى ابن أبى عامر، وحلّ عُقْدة جعفر فى نكاحه، وأنكح ابن أبى عامر أسْمَاء ابْنَته؛ فكانت أحْظَى نسائه.

## غزوة ابن أبى عامر الثالثة[1]

فلمّا تمّ هذا العَقْدُ، خرج اليها؛ فدخل على طُلَيْطُلة غُرَّةَ صفر من سنة ٣٦٧؛ فاجتمع مـع صِهْره غالب؛ فعظّمه وجرى الى موافقته. ونهضا معاً؛ فافتتحا حِصْن المال وحصن زنبق[2]، ودوّخا مدينة شَلَمَنْقة وأخذا أرباضها. وقفل ابن أبى عامر الى قُرْطُبة بالسَّبْى والغنائم، وبعَدَدٍ عظيم من رؤوس المُشركين، الى أربع وثلاثين يوماً من خروجه؛ فزاد له السلطان فى التنويه، وأنهضه الى خُطّة الوِزَارتَيْن، سوّى فيها بينه وبين غالب، ورفع راتِبَه الى ثمانين ديناراً فى الشهر، وهو راتبُ الحجابة. واستقدم السلطان غالباً لاستهداء أسْمَاء إلى زَوْجها محمّد؛ فبالغ فى إكرامه؛ ووقع زِفافُ أسْمَاء فى مَشْهَدٍ بَعُدَ العَهْدُ بمثله شُهْرَةً وجلالةً؛ وزُفّت إليه ليلة النَّيْرُوز من قَصْر الخليفة؛ فهو الذى تولّى مـع حُرَمه أمْرَها. وكانت أسْمَاء هذه تُوصَف بجَمالٍ بارعٍ وأدبٍ صالحٍ؛ وحَظِيَتْ عند ابن أبى عامر؛ فلم يفارقها. وقلّده الخليفة خُطّة الحجابة مـع جعفر مشتركًا. ثمّ سخط الخليفة على جعفر بن عثمان المُصْحَفِىّ، وصرفه عن الحجابة يومَ الإثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٦٧؛ وأمر بالقبض عليه وعلى ولده

1) Ce titre manque dans A, qui l'incorpore au texte un peu plus loin.

2) Leçon fournie par B. — A donne رىسق, sans points diacritiques.

وأسبابه، وعلى ابن أخيه هشام؛ وصُرفوا عمّا كان بأيديهم من الأعمال، وطُلبوا بالأموال. فتوصّل ابن أبى عامر بمحاسبتهم الى استصفاء أموالهم، وانتهاكِ حُرَمهم، وتَرْديد النكبات عليهم، حتى مزّقهم كلّ مُمَزّق. وسارع الى قتل هشام ابن أخى جعفر فى المُطْبَق، إذ كان أشَدَّ آلِ عثمان عداوةً له؛ وأُخرِج الى أهله ميّتاً.
P. ٢٨٦ واستمرّت • النكبة على جعفر سِنِينَ عِدَّة، يُحْبَس مرّةً ويُطْلَق أُخرى. وممّا حُفظ له فى ابن أبى عامر، مُستعطفًا له [متقارب]:

عَفَا الله عَنْكَ ألا رَحْمَةٌ[1] تَجُودُ بعَفْوِكَ ان ابْعَدَا

لَئن جَلّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ فَأَنْتَ أَجَلُّ وأَعْلَى يَــدَا

أَلَمْ تَــرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَه وَمَولىً عَفَا ورَشِيدًا هَدَى

ومُفْسِدَ أَمْــرٍ[2] تلافيتَه فَعَاد فَأَصْلَحَ مــا أفْسَدَا

أَقِلْنِي أَقَالَكَ مَنْ لم يَزَلْ يَقِيكَ ويَصْرِفُ عنكَ الرَّدَى

وكان جعفر بن عثمان فى مِحْنته أخْوَرَ النّاس، أرْأَمَهم للذُّلّ، وأحبّهم فى الحياة؛ انتهى به الاستخذاء لمحمّد بن أبى عامر، والطمع فى الحياة، أن كتب إليه يعرض نفسه عليه لتأديب ابنَيْه عبد الله وعبد الملك؛ فقال ابن أبى عامر: «أراد أن يستجْهِلني ويُسْقِطني عند الناس؛ وقد عَهِدوا منّى ببابه مُؤمّلاً، ثمّ يَرَونه اليومَ بِدِهْلِيزي مُعلّماً.»

ثمّ جدّ ابن أبى عامر فى مكروهه، وأدقّ حسابه، وأمر بإحضاره الى مجلس الوزراء بقصر الخلافة، لِيُناظَر بين أيديهم فيما ادُّعِيَ عليه من الخيانة؛ فتردّد الى هذا المجلس مِرارًا، وأقبل آخر مرّة اليه، ووابِــقٌ الضاغطُ يزعجه، والبُهْر والسِنّ قد هاضاه، وقصّرا خُطّاه، والموكّل به يحذوه ويستحِثّه؛ فيقول له جعفر: «يا بُنيّ رِفقًا؛ فستُدْرِك ما تريد! ويا لَيْتَ أنّ الموت يبَع، فأغْلَى الله سومَه!» حتى انتهى بــه الى المجلس، والوزراء جُلوس، فجلس فى آخِر المجلس دون أن

1) B. ـعطفة  2) B. ـمن قد

يسلّم؛ فسرع اليه الوزير محمّد بن حفص بن جابر، وكان من حزب ابن أبي عامر؛ فعنّفه، واستجهله، وأنكر *عليه ترك التسليم، وجعفر معرضٌ عنه. فلما ٨٧ أكثر عليه، قال له جعفر: «يا هذا جهلتَ المبرّة، فاستجهلتَ عالِمَها وكفرتَ اليد، فقصّرت بمُسْدِيها.» فاضطرب ابنُ جابر من قوله، وقال: «هذا هو البَهتُ بعينه! وأيُّ أياديك الغرّاء التي مننتَ بها؟ أيدَ كذا أم يدَ كذا» ؛ وعدّد أشياء، فأنكرها عليه الحاجب، وقال: «هذا لا يُعرَف؛ والمعروفُ دفعي عن يُمْناكَ القَطْعَ، وشفاعتي فيها الى الماضي (رحمه الله) حين استخوَنك في مال كذا!» فأصرّ ابن جابر على الجحد؛ فقال جعفر: «أَنشُدُ اللهَ مَنْ له عِلْمٌ بما ذكرتُ أن يتكلّم!» فقال الوزير ابن عيّاش: «قد كان بعضُ ما ذكَرْتَه؛ وغير هذا أَوْلَى بك، يا أبا الحسن!» فقال: «أحرَجَني الرّجُل، فقلْتُ.» ثمّ أقبل الوزير محمّد بن جهْور على محمّد بن جابر، فقال له: «أوَما علِمْتَ أنّه من كان في سَخَط السّلطان، تَحامَى السّلام على أوليائه لأنّهم إنْ ردّوا عليه، أسخطوا السلطان لتأمينهم مَنْ أخافَه؛ وإن تركوا الردّ، أسخطوا الله، وتركوا ما أمر به؟ فكان الإمساكُ أوْلَى! ومِثْلُ هذا لا يخفى على أبي الحسن.» فخجل ابن جابر وأسفَرَ وجهُ جعفر وتهلّل. ثمّ أخذ القوم في مناظرته على المال؛ فقال: «قَدْ واللهِ استنفدتُ ما عندي من الطارِف والتالِد، ولا مَطْمَعَ فيّ في درهم، ولو قُطِعْتُ إرْبًا إربًا!» فصُرِفَ إلى محبسه في مُطْبَق الزّهْراء؛ فكان آخِرَ العهْد به.

وله، وقد أودعه المنصورُ المُطْبَق، والشجونُ تُسْرِع اليه وتَسْبِق، معزّياً لنفسه، ومُجْتَزِياً في يومه بإسعاد أمْسِه؛ فقال [متقارب]:

| | |
|---|---|
| *أُجارِي الزمانَ على حالِهِ | مُجاراةَ نَفْسِي لأنفاسِها |
| إذَا نَفَسٌ صاعِدٌ شَفَّهَا | تَوارَتْ بـه بينَ جُلّاسِها |
| وإنْ عَكَفَتْ نَكْبَةٌ لِلزّمانِ | عَكَفْتُ بِصَدْرِي على رَأْسِها |

٢٨٨

ومن بديع ما حُفظ له في نكبته، قولُه (رحمه الله) يَسْترِيح من كربته [طويل]:

صَبَرْتُ عَلَى الأَيَّامِ لَمَّا تَوَلَّتِ ... وأَلْزَمْتُ نَفْسِى صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتِ
فَيَا عَجَباً لِلْقَلْبِ كَيْفَ اصطِبَارُهُ ... ولِلنَّفْسِ بَعْدَ العِزِّ كَيْفَ اسْتَذَلَّتِ
وما النَّفْسُ إِلاَّ حَيْثُ يَجْعَلُهَا الفَتَى ... فَإِنْ طُمِعَتْ تَاقَتْ وإِلاَّ تَسَلَّتِ
وَكَانَتْ عَلَى الأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً ... فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِى عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتِ
وَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسِ مُوتِي كَرِيمَةً ... فَقَدْ كَانَتِ الدُّنْيَا لَنَا ثُمَّ وَلَّتِ

وكان مِنْ هلاكه فى مَحْبَسه هذا عَلَى يقين؛ وذلك أنّه لمّا أُمِرَ بــه الى المُطْبَق، ودّع أهْله ووَلَدَه ووَداعَ الفُرْقة، وقال: « هذا وقت إجابة الدعوة! وأنا أرتقبه منذ أربعين سنة! » فسُئِل عمّا ذكره؛ فقال: « رُفِع على فــلان أيّامَ الناصر وسُعِىَ به إليه؛ فأشرفتُ على أعماله؛ فآلَ أمْره الى ضَرْبه وتَغَيُّرِ نِعْمته وإطالةِ حَبْسه. فبينا أنا نائم ذاتَ ليلةٍ، إذ أتاني آتٍ؛ فقال لى: « أَطْلِقْ فلانًا؛ فقد أُجِيبَتْ دعوتُه فيك؛ ولهذا أمرٌ أنت لا بُدَّ لاقِيهِ! » فانتبهتُ مَذْعوراً، وأحضرتُ الرَّجُلَ، وسألْتُه إحْلالي؛ فامتنع عليَّ؛ فاستحلفتُه على إعْلامي بما خصَّنى به من الدُّعاء؛ فقال: « نَعَمْ! دعوتُ الله أن يُميتَك فى أَضْيَق السجون كما أعْمَرتَنيهِ حِقْبَةً. » فعلمتُ أنّه قد وجبتْ دعوتُه، وندمتُ حيث لا ينفع الندم، وأطلقتُ الرجل؛ ولم أزل أرتقب ذلك في السجن. » فما لبث فى السجن إلاّ أيامًا، وأُخرِج ميّتاً، وأُسْلِم الى أهْله. فقيل: قُتِل خَنْقاً فى البيت المعروف ببيت البراغيث فى المُطْبَق؛ وقيل: دُسّت إليه شَرْبَةٌ مسمومةٌ.

قال محمّد بن إسماعيل، كاتب المنصور: « سِرْتُ مع محمّد بن مَسْلَمة الى الزَّهْراء لتسليم جسد جعفر الى أهله وولده، والحضور على *إنزاله فى ملحده؛ P. ٢٨٩ فنظرتُ إليه ولا أثَرَ فيه، وليس عليه شيء يُواريهِ غير كساء خَلَقٍ لبعض البوّابين، سَتَرَهُ به. فدعا له محمّد بن مَسْلَمة بغاسل؛ فغسله (والله!) على فَرْدِ بابٍ اقْتُلِع من ناحية الدار، وأنا أعتبر من تصرُّف الأقدار؛ وخَرَجْنا بنَعْشه إلى قبره، وما معنا إلاّ إمام المسجد المُسْتَدْعى للصلاة؛ وما تجاسر أحَدٌ على النظر إليه. »
ثمّ قال: « وإنّ لِى فى شأنه لَخَبَرًا ما سمع بمثله طالبُ وعْظٍ، ولا وقع فى مسمع

ولا تصوّر لِلحَظِّ، وقفتُ له فى طريقه، أيّامَ نهيه وأمره، أرومُ أن أناوله رقعةً كانت به مختصّة؛ فوالله ما تمكّنتُ من الدنوّ منه بحيلة، لكثافة موكبه، وكثرة من حفّ به؛ وأخذ الناسُ السِّكَكَ عليه وأفواهَ الطُّرُق، ينظرون إليه ويُسلِّمون عليه، حتّى ناولتُ رقعتى بعضَ كُتّابه الذين نَصبَهُمْ جَناحَيْ مَوْكِبِهِ لأخذ القِصَص؛ فانصرفتُ، وفى نفسى ما فيها من الشَّرَق بحاله والغَصَص؛ فلم تَطُل المدّة حتّى غضب عليه المنصور، واعتقله، ونقله معه فى الغزوات ذليلاً وحمله. واتّفق أن نزلتُ بجِلِّيقيّة فى بعض المنازل إلى جانب خِبائه فى ليلة نهى فيها المنصورُ عن وقد النيران ليخفى على العدوّ أثرُه، ولا ينكشف له خبرُه؛ فرأيت — والله! — ابنه عثمان يُسفُّه دقيقاً قد خلطه بماء يُقيم به أَوَدَه، ويُمسك به رَمَقَه بضعف حالٍ، وعَدَم زاد ومال، وسمعتُه يقول [طويل]:

تأمّلتُ صَرْفَ الحادِثاتِ فلَمْ أَزَلْ ... أراها تُوافى عِنْدَ مَقْصَدِها الحُرّا ٢٩٠

فلله أيّام مَضَتْ لسبيلها ... فإنّى لا أَنْسَى لها أبداً ذِكْرا

تجافَتْ بها عنّا الحوادِثُ بُرْهَةً ... وأبْدَتْ لنا منها الطلاقةَ والبِشْرا

لَيالِيَ لَمْ يَدْرِ الزّمانُ مَكانَنا ... وَلَا نَظَرَتْ منّا حَوادِثُه الشَّزْرا

وَمَا هذِهِ الأيّامُ إلاّ سَحائبٌ: ... عَلَى كُلِّ أرضٍ تُمْطِرُ الخَيْرَ والشّرّا

وكان ممّا أُعينَ به ابنُ أبى عامر على جعفر بن عثمان المُصْحَفِيّ مَيْلُ جِلّة[1] الوزراء اليه وإيثارهم له عليه، وسَعْيُهم فى تَرَقّيه، وأخذُهم بالعَصَبيّة فيه؛ فإنّهم، وإن لم تكن لَهُم حَمِيّة أعرابيّة، فقد كانت سَلَفيّة سُلْطانيّة، يَقْتفى القومُ فيها آثار سَلَفِهم، ويمنعون بها ابتذال شَرَفِهم؛ غادروها سِيرةً، وخلّفوها عادةً أثيرة، تَتَناحُ الخَلَفُ فيها تَناحَ أهْل الديانة، وصانوا بها مراتبهم أعظم صيانة؛ ورأوا أنّ أحداً من التوابع لا يدرك فيها غاية، ولا يلحق لها راية. فلمّا أحظَى المُسْتَنصِر بالله جعفر بن عثمان واصطنعه، ووضعه من أثَرَته حيث وضعه، حسدوه وذمّوه، وخصّوه بالمطالبة وعمّوه. وكان أسرَعَ هذه الطائفة الى مُهاودة المنصور عليه، والانحرافِ

1) Manque dans A.

عنه إليه، آلُ أبي عَبْدة وآلُ شُهَيْد. وآلُ جَهْوَر، وآلُ فُطَيْس؛ وكانوا فى الوقت أزِمّة المُلْك وقُوّام الخِدْمة، ومصابيح الأمّة؛ فأحظوا محمّد بن أبى عامر مُشايعةً، ولأسْبابِ المُصْحَفِيّ مُنازعةً، وشادوا بِناءه، وقادوا الى عُنْصُره سَناءه، حتّى بلغ الأمل، والتحف بِمُناه واشتمل. وعند التيام هذه الأمور لابن أبى عامر، استكان جعفر بن عثمان للحادِثة، * وأيقن بالنكبة، وزوال المرتبة، وكفّ عن اعتراض محمّد وشركته فى التدبير، وانقبض الناس عن الرواح اليه والتبكير. وانثالوا على ابن أبى عامر؛ فخفّ مَوْكِبُه، وغار من سماء العزّة كَوْكَبُه، وتوالى عليه سَعْيُ ابن أبى عامر وطَلَبُهُ حتّى محاه، وهتك ظِلاله وأضحاه. ومن قوله [كامل]:

P. ٢٩١

لا تأمَنَنَّ من الزّمانِ تَقَلُّباً ... إنّ الزّمانَ بأهْلِهِ يتقَلّبُ
ولَقَدْ أراني والليوثُ تهابُني ... وأخافَني من بعد ذاك الثّعْلَبُ
حَسْبُ الكَريمِ مَهانةً ومَذَلّةً ... ألاّ يزال الى لَئيمٍ يَطْلُبُ

وكان قوله هذه الأبيات لمّا سيق الى مجلس الوزارة للمُحاسبة، وواثق الضاغط يُزْعِجه ويستحثّه، وهو يقول له: «رِفقاً بى، يا واثق، فستُدْرِك ما تحبّه وتشتهيه، وترى ما كنتَ ترتجيه!» [1] وقد تقدّم ذلك [1].

## استبداد ابن أبى عامر بالمُلْك وتغلّبه عليه

لمّا قتل ابن أبى عامر جعفر بن عثمان، انفرد بشأنه، ورمى الغَرَض الأبعد من ضَبْط السلطان والحجْر عليه والاستبداد بالمملكة وأمور الدولة؛ جرى فى ذلك مَجْرَى المتغلّبين على سُلطان بني العبّاس بالمشرق من أمراء الدَّيْلَم، حتّى أورث ذلك عَقِبَه. فأخذ ابن أبى عامر فى تغيير سِيَر الخُلفاء المَرْوانيّة فى استجرار

1—1) Manque dans B.

الأمر لنفسه وسَبَكِ الدولة على قالَبه؛ فأدّاه ذلك الى مُضادّة (1 ما كانوا عليه؛ فعوّضَ باللين غِلْظةً، وبالسكون حركةً، وبالإناةِ بَطْشَةً، بالمُوادَعة مُحارَبةً؛ فجعل أهلُ الرأى من مصادِر أموره وموارِدها يغصّون بخروجها عن حدِّ الصواب وقانون 1) التدبير لها؛ وربّما فاوَضَ جِلّتهم الرأيَ، فيُشيرون عليه من الوجه الذى عرفوه، والقانون الذى حمِدوه؛ فيعدل عن ذلك الى المَذْهَب الذى شرعه، والطريق الذى نهجه، والخطر الذى لا يجهل اقتحامه؛ فيبهتُ القَوْمَ من حُسْن ما يقع له.

قال الفتحُ بن *خاقان «فَرْدٌ نابهٌ على من تقدّمه، وصرّفه واستخدمه؛ فإنّه P. ٢٩٢ كان أمضاهم سِناناً، وأذكاهم جناناً، وأتمّهم جلالاً، وأعظمهم استقلالا. فآلَ أمْرُه الى ما آلَ، وأوهم العقولَ بذلك المآلِ؛ فإنّـه كان آيةَ الله فى اتّفاق سَعْدِه، وقُرْبِهِ من الملك بَعْدَ بُعْدِه؛ بهر برفعة القدر، واستظهر بالأناة وسَعَةِ الصدر، وتحرّك فلاحَ نَجْم الهَدْو، وتملّك فما خفق بأرضه لواء عدوّ، بعد خمول كابَدَ منه غَصَصًا وشَرَقاً، وتعذّر مأمولٍ طارَدَ فيه سَهَرًا وأرقاً، حتّى أنجز لـه الموعود، وفرّ نَحْسُه أمام تلك السعود. فقام بتدبير الخلافة، وأقعد من كان له فيها أنافة؛ وساس الأمور أحسن سياسة، وداس الخطوب بأخشن دِياسة؛ فانتظمت له الممالك، واتّضحت به المسالك؛ وانتشر الأمن فى كلّ طريق، واستشعر اليُمْن كلّ فريق. وملك الأندلس بِضْعاً وعشرين حِجّة، لم تدْحَض لسعادتها حُجّة، ولم تزخر لمكروه بها لُجّة؛ لبست فيها البهاء والإشراق، وتنفّست عن مثل أنفاس العِراق. وكانت أيّامه أحمد أيّام، وسهامُ بأْسه أسدّ سهام. غزا شاتياً وصائفاً، ومضى فيما يروم زاجراً وعائفاً؛ فأوغل فى تلك الشعاب، وتغلغل حتّى راع ليث الغاب، ومشى تحت ألويته صِيدَ القبائل، واستجرت فى ظِلّها بِيضَ الظُّبى وسُمْرَ الذوابل؛ وهو يقتضى الأرواح بغير سوم، *ويتتضى الصفاح P. ٢٩٣

1—1) Le ms. B. permet de rétablir ce passage qui, par suite d'une déchirure, est lacunaire dans A.

على كلّ روم، ويتلف من لا ينساق للخلافة وينقاد، ويختطف منهم كلّ كوكب وقّاد، حتّى استبدّ وانفرد، وأنِسَ إليه من الطاعة ما نفر وشرد. وانتظمت له الأندلُس بالعدْوة، واجتمعت له اجتماعَ قُرَيْش فى دار النّدْوة؛ ومع هذا، فلم يخلع اسم الحجابة، ولم يَدَع السَّمْع لخليفته والإجابة، ظاهرٌ يخالفه الباطن، واسْمٌ تنافره مواقِعُ الحُكْم والمَوَاطِن. وأذلّ قبائل الأندلُس بإجازة البَرْبَر، وأخمل بهم أولائك الأعلام الأكابر، فإنّه قاومهم بأضدادهم، واستكثر من أعدادهم، حتّى تغلّبوا على الجُمْهور، وسلبوا منهم الظهور، ووثبوا عليهم الوثوب المشهور، الذى أعاد أكثر الأندلُس قفرًا يبابًا، وملأها وَحْشًا وذِئابًا، وأعراها من الأمان، بُرْهةً من الزمان. وعلى هذه الهَيْئة، فهو وابنه المُظَفَّر كانا آخِرَ سَعْد الأندلُس، وحدّ السرور بها والتأنُّس. وغزواته فيها شائعة الإثـر، رائعة كالسيف ذى الأثْر، وحَسَبُه وافِر، ونَسَبُه مَعَافِر. ولذا قال يفخر [طويل]:

رَمَيْتُ بنفسى هَوْلَ كُلِّ كَريهةٍ[1] — وخَاطَرْتُ والحُرُّ الكَرِيمُ مُخاطِـرُ
وما صاحِبِى إلاّ جَنانٌ مُشَيَّعٌ — وأسْمَرُ خَطِّىٌّ وأبْيَضُ باتِـرُ
وإنّى لَزَجّاء الجيوشِ إلى الوَغَى — أُسُودٌ تُلاقِيهَـا أُسودٌ خَوَادِرُ
لَسُدْتُ بنفسى أهْلَ كُـلِّ سِيادةٍ — وكَاثَرْتُ حتّى لَمْ أجِدْ مَنْ أُكاثِرُ
وما شِدتُ بُنْياناً ولاكِنْ زِيادةً — على مَا بَنَى عَبْدُ المَلِك[2] وعامِرُ
رَفَعْنا المَعَالِى بالعَوَالِى حَدِيثةً — وأوْرَثَناها فى القَدِيمِ مَعَافِـرُ

P. ٢٦٤ * وكانت أُمُّه تَمِيميّةً، فحاز الشَّرف من طَرَفَيْه، والْتَحَفَ بِمِطْرَفَيْه. قال القَسْطَلِّىُّ [طويل]:

تَلاقَتْ عَلَيْه مِنْ تَمِيمٍ ويَعْرُبٍ — شُموسٌ تلألا فى العُلَى وبُدُورُ
مِنَ الحِمْيَرِيِّينَ الّذِينَ أكُفُّهُمْ — سَحائبُ تَهْمِى بالنَّدَى وبُحُورُ

وتصرّف قبل ولايته فى شتّى الولايات، وجاء من التحدّث بمُنْتَهَى أمْره

1) A. كريمة. 2) A. et B. عبد العزيز.

بآيات، حتى صحّ زَجْرُه، وجاء بصبحه فَجْرُه، يُؤثَرُ عنه فى ذلك أخبار، فيها عَجَبٌ واعتبار. وكان أديباً مُحْسِناً، وعالِماً مُتَفَنِّناً. فمن ذلك قولُه، يمنّى نفسه بمُلْك مِصْر والحجاز، ويستدعى صُدورَ تلك الأعجاز [خفيف]

مَنَعَ العَيْنَ أنْ تذوقَ المَنَاما ... حُبُّها أنْ تَرَى الصَّفَا والمَقَامَا

لِي دُيونٌ بالشَّرْقِ عِنْدَ أُناسٍ ... قَـدْ أحَلُّوا بالمَشْعَرَيْنِ الحَرَامَا

إنْ قَضَوْها نالُوا الأمانِي وإلاّ ... جَعَلوا دُونَها رِقَـابـاً وهَامَا

عَنْ قَرِيبٍ تَـرَى خُيولَ هِشامٍ ... يَبْلُغُ النِّيلَ خَطْوُها [1] والشَامَا

وفى سنة ٣٦٨، أمر المنصور بن أبى عامر ببناء قصره المعروف بالزاهرة، وذلك عند ما استفحل أمْرُه، واتّقد جَمْرُه، وظهر استبدادُه، وكثر حُسّادُه، وخاف على نفسه فى الدخول إلى قصر السلطان، وخشى أن يقع فى أشْطان. فتوثّق لنفسه، وكَشَف له ما سُتِر عنه فى أمسه، من الاعتزاز عليه؛ ورفع الاستناد إليه؛ وسما الى ما سَمَتْ إليه الملوك من اختراع قَصْرٍ ينزل فيه، ويحُلّه بأهله وذويه، ويضمّ إليه رياسته، ويتمّم بـه تدبيره وسياسته، ويجمع فيه فتيانه وغلمانه. فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة، الموصوفة بالقصور الباهرة: وأقامها بطَرَف البلد على نَهَر قُرْطُبَة الأعْظَم، ونسق فيها كلّ اقتدار مُعْجِز ونَظَم. وشرع فى بنائها فى هـذه السنة المؤرّخة، وحشد إليها الصُنّاع والفَعَلة، وجلب اليها الآلات الجليلة، وسَرْبَلها بَهَاء يردّ العيون كليلة؛ وتوسّع فى اختطاطها، وتولّع بانتشارها فى البسيطة وانبساطها، وبالغ فى رفع أسوارها، وثابر على تسوية أنجادها وأغوارها. فاتّسعت هـذه المدينة فى المدّة القريبة، وصار من الأنباء الغريبة. وبُنِيَ مُعْظَمُها فى عامَيْن.

P. ٢٩٥

وفى سنة ٣٧٠، انتقل المنصور بن أبى عامر اليها، ونزلها بخاصّته وعامّته؛ فتبوّأها وشحنها بجميع أسلحته، وأمواله وأمتعته، واتّخذ فيها الدواوين والأعمال،

1) B. وطْؤها.

وعمل داخلها الأفراء، وأطلق بساحتها الأرحاء. ثمّ أقطع ما حولها لوزرائه وكُتّابه، وقوّاده وحُجّابه؛ فاقتنوا بأكنافها كبار الدور، وجليلات القصور، واتخذوا خلالها المستغلّات المفيدة، والمنازه المشيدة. وقامت بها الأسواق، وكثرت فيها الأرفاق؛ وتنافس الناس فى النزول بأكنافها، والحلول بأطرافها، للدنوّ من صاحب الدولة، وتناهى الغلوّ فى البناء حوله، حتى اتّصلت أرباضها بأرباض قرطبة، وكثرت بحوزتها العمارة، واستقرّت فى بحبوحتها الإمارة. وأفرد الخليفةَ من كلّ شىء إلاّ من الإسم الخلافي، وصيّر ذلك هو الرسم العافِى. ورتّب فيها جلوس وزرائه، ورؤوس أمرائه، وندب إليها كلّ ذي خُطّة بخطّته، ونصب على بابها كُرسيّ شرطته، وأجلس عليه والياً على رسم كُرسيّ الخليفة، وفى *صِفَة P. ٢٩٦ تلك الرتبة المنيفة. وكتب الى الأقطار بالأندلس والعدوة بأنْ تُحْمَل الى مدينته تلك أموالُ الجبايات، ويقصدها أصحاب الولايات، وينتابها طُلاّبُ الحوائج، وحذّر أن يَعُوجَ عنها الى باب الخليفة عائج. فاقتُضِيَتْ لَدَيْها اللُّبانات والأوطار، وانحشد الناس اليها من جميع الأقطار. وتمّ لمحمّد بن أبى عامر ما أراد، وانتظم بلَبَةِ أمانيه المراد؛ وعطّل قَصرَ الخليفة من جميعه، وصيّره بمعزِلٍ من سامعه ومُطيعه، وسدّ بابَ قصره عليه، وجدّ فى خَبَرِ ألاّ يَصِلَ إليه، وجعل فيه ثِقَةً من صنائعه يَضْبُط القصر، ويبسط فيه النّهْيَ والأمر، ويُشرِف منه على كلّ داخل، ويمنع ما يحذره من الدواخل؛ ورتّب عليه الحُرّاس والبوّابين، والسُّمّار والمتنابين، يلازمون حِراسة مَن فيه ليلاً ونهارا، ويراقبون حركاتهم سِرًّا وجهارا؛ وقد حجر على الخليفة كلّ تدبير، ومنعه من تملّك قبيل أو دبير. وأقام الخليفةُ هشام مهجورَ الفِناء، محجورَ الغَناء، خَفِيّ الذِكْر، عليلَ الفِكْر، مسدودَ الباب، محجوبَ الشخص عن الأحباب، لا يراه خاصٌّ ولا عامّ، ولا يُخاف له بأس ولا يُرْجَى منه إنعام، ولا يُتَعَهَّد منه إلاّ الإسمُ السلطانىّ فى السكّة والدَّعْوَة، وقد نسخه ولبس أُبّهتَه، وطمس بَهْجَتَه. وأغنَى الناسَ عنه، وأزال أطماعهم منه، وصيّرهم لا يعرفونه، وأمرهم أنّهم لا يذكرونه.

واشتدّ مُلْكُ محمّد بن أبي عامر منذ نزل قصْر الزاهرة، وتوسّع مع الأيّام في تشييد أبنيتها، حتّى كملت أحسن كال، وجاءت في نهاية الجمال، نقاوةَ بِناء، وسَعَةَ فِناء، واعتدالَ هواء رقّ أديمُه، [1]وصقالة جوّ اعتلّ نسيمُه[1]، ونضرة بستان، وبهجة للنفوس فيها افتتان. وفيها يقول صاعِد اللُّغويّ [بسيط]:

| | |
|---|---|
| يا أيُّها المَلِكُ المَنصُورُ من يَمَنٍ | والمُبْتَنِى نَسَبًا غيْرَ الّذى انْتَسَبَا |
| بِغَزْوةٍ فى قُلوبِ الشِّرْكِ رائعةٍ | بيْنَ المنايا تُناغى السُّمْرَ والقُضُبَا |
| أما تَرَى العيْنَ تَجْرِى فَوْقَ مَرْمَرِها | زَهْواً فَتُجْرِى على أحسائها الطَّرَبَا |
| أجْرَيْتَها فطَمَا الزاهِى بجرْيَتِها | كمَا طَمَوْتَ فَسُدْتَ العُجْمَ والعَرَبَا |
| تَخَالُ فيه جُنودَ الماء رافِلَةً | مُسْتَلْئِمات تُرِيكَ الدِّرْعَ واليَلَبَا |
| تَحُفُّها من فُنُونِ الأيْكِ زَاهِرةٌ | قد أورقَتْ فِضّةً إذ أثْمَرَتْ ذَهَبَا |
| بَديعةُ المُلْكِ ما يَنْفَكُّ ناظِرُها | يَتْلُو على السَّمْعِ مِنْها آيةً عَجَبَا |
| لا يُحْسِنُ الدّهرُ أن يُنْشِى لَهَا مَثَلاً | وَلَوْ تَعَنّتَ فيها نَفْسَهُ طَلَبَا |

P. ٢٩٧

ودخل عليه عمرو بن أبي الحُبَاب فى بعض قصوره من المُنْية المعروفة بالعامِريّة، والرّوْضُ قد تفتّحت أنوارُه، وتوشّحت بجادُه وأغوارُه، وتصرّف فيها الدهرُ متواضِعا، ووقف بها السعد خاضِعا، فقال [بسيط]:

| | |
|---|---|
| لا يَوْمَ كاليوْمِ فى أيّامك الأُوَلِ | بالعامِريّةِ ذَاتِ الماء[2] والظُّلَلِ |
| هَوَاؤُها فى جَميعِ الدَّهْرِ مُعْتَدِلٌ | طِيباً وإنْ حلّ فَصْلٌ غيْرُ مُعْتَدِلِ |
| ما إنْ يُبالِى الذى يَحُلُّ ساحتَها | بالسَّعْدِ ألاّ تَحُلَّ الشَّمْسُ بالحَمَلِ |

وما زالت هذه المدينة رائقة، والسعود بلبّتها متناسقة، تزلوحها الفتوح وتغاديها، وتجلب إليها منكسرةً أعاديها، لا تزحف منها راية إلاّ إلى فتح، ولا يصدر عنها تدبير إلاّ الى نجح، الى أن حان يَوْمُها العصيب، وقُيِّض لها من المكروه أوفر نصيب. فتولّتْ فقيدة، وخلَتْ من بهجتها كلّ عقيدة.

---

1—1) B: وصفا له جوٌّ فاعتلّ نسيمه. 2) B. الظلّ.

وأشاع ابن أبى عامر أنّ السلطان فوّض إليه النظر فى أمر المُلْك، وتخلّى
له *عنه لعبادة ربّه. وانبثّ ذلك فى الرعيّة حتّى اطمأنّوا اليه، مع قوّة ضَبْطه P.٢٩٨
وسُرْعة بَطْشه. فانتظم له ذلك كلّه وأكثرُ منه، بعد أن حصّن قصر الخليفة فى
هذا الوقت بالسور الذى أدار حَوْلَه، وعمل الخَنْدَق المُطيف بـه من جانبَيْه،
والأبواب الوثيقة بالأحراس والسُّمّار الذين وضعهم بأنقابه. ومنع الخليفةَ من
الظهور، ووكّل بأبوابه من يمنع وصول خَبَر اليه أو أمْرٍ من الأمور إلّا عن إذنه؛
فإنْ عُثِرَ على أحد من الناس فى تجاوُز هذا الحدّ، عاجَلَه ونكّل به. والأخبار
عنه فى هذا المعنى واسعة جدًّا، غَيْرَ أنّ الاختصار فى ذلك أنّ ابن أبى عامر
بلغ من ذلك مَبْلَغاً لم يبلغه قطُّ مُتغلّبٌ على خليفة، لأنّه احتوى على الملك كُلّه،
وصيّر الخليفةَ قُبْضةً فى يده، حتّى أنّه لم يكن يُنفَذ له أمْرٌ فى داره ولا حُرَمِه إلّا
عن إذنه وعلمه. وجعل مُتَوَلّى قصره من قِبَله مَن يَثِقُ بـه، وصيّره عيناً على
السلطان، لا يخفى عليه شيء من حركاته وأخباره.

ولمّا ترقّى ابن أبى عامر الى هذا القدر، عمل فى مكروه القائد الكبير غالب
الناصرىّ صِهْرِه، والتوطئة لأسباب هدمه. فرأى أن يَبْنِيَ عليه ضِدًّا له من
أصحاب السيوف والحِرابة المشهورين، لأنّ غالباً كان يستطيل على ابن أبى عامر
بأسباب الفُرُوسيّة، ويُبايِنه[1] بمعانى الشجاعة، ويَعْلُوه من هذه الجهة التى لم يتقدّم
لابن أبى عامر بها معرفة. فلم يجد لذلك مِثلَ جعفر بن علىّ بن حَمْدُون
المعروف بابن الأندَلُسِيّ شدّةَ بأسٍ، ورَبْطَ جأشٍ، ونباهةَ ذِكْرٍ، وجلالةَ قَدْرٍ.
فجدّ فى استجلابه، وهو مُقيم بالعِدْوة. وآلُ علىّ ممّن أطاع الخليفة هشاماً من
زَناتة؛ فبعث ابن أبى عامر اليه، وتواترت كُتُبُه إليه؛ فأسلم العمل الى أخيه
يحيى، وعبر الى الأندلس *بجيشه؛ فنزل قَصْر العُقاب، بعد أن أعدّ له ما يصلح P. ٢٩٩
فيه. فاستوزره أبى عامر؛ فعظم شأنه[2]، وأحلّه محلّ الأخ فى الثِقَة، وقدّمه على
الكُفاة[3]؛ فوجد عنده ما أحبّه. وفَوْقَ ما قدّره؛ فاعتدل بالبَرابِرة أمْرُه، وقَوِىَ

---

1) A. ويفايقه.  2) A. منانه, corrigé en منابه.  3) B. الكافة.

ظهرُه، وكانت هذه القطعة من البَرْبَر نحو السِّتمائة. وما زال بعد ذلك يستدعيهم ويتضمّن الإحسانَ إليهم، والتوسعة عليهم، إلى أن أسرعوا الى الأندلس، وانثالوا على ابن أبي عامر، وما زالوا يتلاحقون، وفرسانهم يتواترون، يجيء الرجل منهم بلباس الخَلَق على الأعجف، فيبدَّل لـه بلباس الخزّ الطِّرازيّ وغيره، ويركب الجواد العتيق، ويسكن قصراً لم يتصوّر لـه فى منامه مِثْله، حتّى صاروا أكثرَ أجنادِ الأندلس. ولم تزل طائفة البَرْبَر خاصّةَ ابن أبي عامر وبطانته، وهُمْ أظهر الجُنْد نعمةً، وأعلام منزلةً.

ولمّا علم غالب بإدْناء جعفر، علم الغَرَضَ فيه؛ ففسد ما بينهما، ووقع بينهما مَعارِكُ وفِتَنٌ كان الظفر فيها لابن أبي عامر على غالب. ومات، وهو يقاتِله مع النصارى؛ وكان قد استجلبهم إليه فى خَبَر طويل. فوُجِدَ غالِبٌ مقتولاً فى مجال الخَيْل، وابن أبي عامر كاد أن ينهزم له. فقيل إنّ قَرَبوس سرجه قتله. وقيل غير ذلك. فكان ذلك أكبر سَعْدِ ابن أبي عامر؛ ولم يَبْقَ له بعد ذلك مَنْ يخاف منه.

ولمّا فرغ ابن أبي عامر من غالب، دبَّر الحيلة فى حتْفَ جعفر بن عليّ، الذى أقامه أكبرَ مُعِينٍ فى أمر غالب؛ فواطأ على قتله أبا الأحْوَص مَعْن بن عبد العزيز التُّجِيبيّ فارِسَ العَرَب، فى طائفة من أصحابه الأندلسيّين؛ فقتلوه غِيلةً؛ ثمّ قتل ابن أبي عامر بعد ذلك أبا الأحْوَص، وانفرد وحده.

وفى سنة ٣٧١، تسمّى ابن أبي عامر بالمنصور، ودُعِى له على المنابر بـه، استيفاء لرسوم الملوك؛ فكانت الكُتُب تُنْفَذ عنه: من «الحاجب المنصور أبي عامر محمّد بن أبي عامر الى فلان». وأخذ الوزراء بتقبيل يده؛ ثمّ تابعهم على ذلك وجوهُ بنى أميّة؛ فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم يقبّلون يده، ويحوّلونه عند كلامه ومخاطبته. فانقاد لذلك كبيرُهم وصغيرُهم؛ وإذا بدا لأبصارهم طفلٌ من ولده، قاموا اليه، فاستبقوا ليده تقبيلاً، وعمّوا أطرافه لثماً. فساوى محمّدُ بن أبي عامر الخليفةَ فى هذه المراتب، وشاركه فى تلك المذاهب. ولم يجعل فَرْقاً بينه

٢٠٠

وبنه إلاّ فى الاسْم وَحْده فى تصدير الكُتُب عنه ، حتّى تنامت حالُه فى الجلالة ، وبلغ غاية العزّ والقدرة .

قال حيّان بن خَلَف : وقرأتُ فى بعض الكُتُب أنّ محمّد بن أبى عامر ، لمّا حجب هشاماً عن الناس واستبدّ بالأمر دونه ، ظهرت فيهم بقُرْطُبة أقوال مُعْرِضة أفشَوْا بينهم فيها أبياتاً فاحشةً . فمن ذلك ما قيل على لسان هشام الخليفة فى شكواه لهم [وافر] :

أَلَيْسَ مِنَ العَجَائبِ أنّ مِثْلِي يَرَى مـا قَـلَّ مُمْتَنِعاً عَلَيْهِ
وتُمْلَكُ[1] باسْمِهِ الدُّنيا جَميعاً وما من ذاك شىءٌ فى يَدَيْهِ

وممّا قيل فى تقديم هِشام ، وهو صغيرٌ لم يبلغ الحُلُم ، وفى قاضيه ابن السَّليم [سريع] :

اقْتَرَبَ الوَعْدُ وحَانَ الهلَاكْ وَكُلُّ ما تَكْرَهُهُ قَـدْ أَتاكْ
خَلِيفَةٌ يَحْضُرُ[2] فى مَكْتَبٍ وأُمُّـه حُبْلَى وَقَاضٍ يُنَاكْ

يريد بذلك شَغَفَ أُمّ هشام بابن أبى عامر ، لأنّها كانت تُتَّهَمُ به ، وهى أوصلته الى حيث وصل من الحال التى لم يتمكّن لأحد قَبْلَه ولا بَعْدَهُ مِثْلُها ، فسلب هشاماً مُلْكَه وجُنْدَه ومَالَه .

وفى سنة ٣٧٢ ، قُتِلَ جعفر بن علىّ بن حمدون المعروف بابن الأنْدَلُسِىّ ؛ وذلك أنّ المنصور عزم — بزَعْمه — على إكرام جعفر المذكور ليلة الأحد لثلاث خلون من شعبان من السنة ، مَكْرًا منه ، وحيلةً لقتله ؛ فانتخبه ساقى المجلس بكأس ؛ فقال له ابن أبى عامر : « اسْقِها أعزّ الناس علىّ » . فأمسك الساقى حَيْرةً لكثرة من ضمّ المجلس من العِلْية ؛ فزجره ابن أبى عامر وقال : « ناوِلْها الوزير أبا أحمد ! عليك لعنة الله ! » فقام جعفر ، فتناولها على قَدَمه ، واستخفّه الطَّرَب حتّى قام يَرْقُص ؛ فلم يَبْقَ أحَدٌ بالمجلس إلاّ فعل كفعله ، وأميلت إليه الكؤوس

P. ٢٠١

1) B. وتتوكل . 2) A. يلعب .

حتّى ثَقُل وانصرف فى جوف الليل مع بعض غلمانه، فخرج اليه مَعْن وأصحابه، فلم يكن فيه امتناع لِما كان عليه من السُّكْر، فأخذَتْه السيوف حتّى برد، وحُزّ رأسه ويده اليُمنى، وحُمِلا الى ابن أبي عامر سِرًّا. فأظهر ابن أبي عامر الحُزْن عليه.

وفى سنة ٣٧٥، جهز المنصور جيشاً كثيفاً، وبعثه الى العِدْوة، فحاصر حَسَن ابن قَنّون الشريف الحَسَنىّ. وكان حاوَلَ الخروج من الدعوة المروانيّة، واجتمع اليه خَلْقٌ من أهل الغرب، وظهر أمره، فوصله الجيش العَرَمْرَم[1]، فلم يجد ملجأً إلّا الاستسلام للأمان. فأمّنه قائــد الجيش، وحمله الى قُرْطُبة مرقّباً. فلم يُمْضِ ابن أبي عامر أمانه، وأمر بقتله لَيْلاً فى الطريق بغياً وتعدّياً، لأنّ أمانَ قائده أمانُه، فقال من شاهد قتله أن هبّتْ عليهم ريحٌ عاصفٌ فى تلك الليلة التى قُتِل فيها غدْرًا ذلك الشريفُ، صبّتهم على وجوههم، وسلبتهم أثوابهم، واحتملتْ رداء حَسَن المقتول، فلم يجدوه، وأظلم عليهم الأُفُق حتّى خافوا على أنفسهم.

وفيها تفرّق بنو إدْريس فى البلاد، وملك ابن أبي عامر الغَرْب، وأخرج منه من كان بقِي به من الأدارِسة. فقيل فى ذلك [كامل]:

| | |
|---|---|
| جَلَّتْ مُصِيبَتُنَا وَضَاقَ المَذْهَبُ | فِيمَا أَرَى عَجَبٌ لِمَنْ يَتَعَجَّبُ |
| حتّى أقولَ غَلِطتُ فيما أَحْسَبُ | إنّي لَأُكْذِبُ مُقْلَتَيَّ فِيمَا أَرَى |
| وَيَسُوسُ ضَخْمَ المُلْكِ هذَا الأَحْدَبُ | أيكونُ [2]حيًّا من[2] أُمَيَّةَ وَاحِدٌ |
| أَعْوادُهُ فِيهِنَّ فَرْدٌ أَشْهَبُ | تَمْشِي عَسَاكِرُهُمْ حَوَالَيْ هَوْدَجٍ |
| مِنْكم ومـا لوجُوهها تَتَغَيَّبُ | أَبَنِي أُمَيَّةَ أَيْنَ أقمار الدُّجى |

P. ٢٠٢

ثمّ قام بعد ذلك فى الغَرْب على ابن أبي عامر زيرى بن عطيّة المَغْراوىّ، ونكث طاعته بعد الحُبّ الشديد والوَلاء الأكيد، وطعن على ابن أبي عامر تغلّبه

1) Manque dans A. 2—2) Leçon fournie par la *Hulla* d'Ibn al-Abbar. A et B.: حىّ ابناء. Dans le ms. B, le second et le troisième vers sont intervertis.

على هشام وسلبه مُلكَه. فأنفذ له ابنُ أبى عامر واضحاً الفتى فى جيش كثيف، فقاوَمَه بالغَرْب، ودارت بينهم حروبٌ عظيمةٌ. ثمّ أردفه ابنُ أبى عامر بولَده عبد الملك، وهبط ابن أبى عامر الى الجزيرة الخضراء، يمدّهم بالقوّاد والأجناد. وسار عبد الملك بن أبى عامر من طَنجة الى زيرى بن عَطيّة، ودارت بينهم حربٌ، لم يسمع بمثلها قطُّ. ثمّ انهزم زيرى ومَن معه، ونجا مُثخَناً بالجراح. وملك ابن أبى عامر بلاد الغَرْب الى سنة ٣٩٧.

[1] وكان أوّلُ من ملك سَبْتة من بنى أُميّة وملك منها الغَرْب [1] عبدَ الرحمن الناصر، [2] وسَبَبُ ذلك أنّه [2] وجّه إليها أُسطولاً. فلمّا حلّتْ بسَبْتة، أعلن أهلُها بدعوته، وبادروا الى طاعته، يَوْمَ الجمعة صدْرَ ربيع الأوّل من سنة ٣١٩. ثمّ تتابعت البلاد بالطاعة، ثمّ تكاثر ورودُ وفودها عليه وعلى الحَكَم ابنه، ثمّ التاثتْ طاعتها على ابن أبى عامر، فوجّه واضحاً فتاهُ، فسكن فى جَبَل أبى حَبيب عاماً فى الأخبية، ثمّ وجّه بابنه عبد الملك إليها، فالتقى بزيرى وهزمه، وغدره ابنُ عمّه الخَيْر بن مُقاتِل، فطعنه برمح فى قَفَاه وهرب. ومات بعد ذلك زيرى من الجُرْح بعد ما لقى جُموعَ صِنهاجة، أصحاب إفريقية، وهزَمَهم.

وانصرف عبد الملك بعد ما استقامت له الطاعة بالغَرْب، فوجد أباه فى غَزاته بلاد البشاكِنة، مُنصَرِفاً عنها. والتقى به بسَرَقُسْطة، وهى التى تُسمّى بغزاة البَيَاض، سنة ٣٧٩. P. ٣٠٢

وفى سنة ٣٧٩، قتل المنصورُ بن أبى عامر عبدَ الرحمن بن مُطَرِّف صاحِبَ سَرَقُسْطة والثَغْر الأعلى، وسبب ذلك أنّه، لمّا فكّر عبدُ الرحمن فى شأن مَنْ أتلفه ابنُ أبى عامر من كبار رجال الدولة، علم أنّه لم يَبْقَ غَيْرُه، وخَشِىَ أن تُلحِقه بالجماعة. فسوّل له القَدَرُ المُتاحُ التدبيرَ على محمّد، وقرّب عليه مأخَذَه وَلَدُه عبدُ الله بن المنصور.

---

1—1) A—A. وكان سبب تملّك بنى أمية مغرب العدوة أن. 2—2) Manque dans A.

## ذكر تدبير عبد الرحمن بن مُطَرِّف مع عبد الله بن المنصور فى القيام عليه

وذلك أنّ عبد الله بن محمّد بن أبي عامر كان مقيماً بسَرَقُسْطة عند عبد الرحمن، متغيّرَ النفس على أبيه لإحظائه عبدَ الملك أخيه. وكان عبد الله يرى أنه أشجع وأفهم وأرجل وأفرس من أخيه عبد الملك، وأنّ أباه غَبَنَ الظالم له فى التسوية بعبد الملك، فكيف فى تقديمه عليه. فكان فى قلبه على أبيه سعيرُ نار، أذكاها عبدُ الرحمن بن مُطَرِّف وأضرمها. فتَوَطَّنا على الوثوب بالمنصور فى أوّل فُرصة، على أن يقسما مُلْكَ الأندلس: فالحضرة لعبد الله، والثغر لعبد الرحمن. وشَرَعا فى إحكام سبيل ذلك والتماس وجهه؛ وساعَدَهما عليه جماعةٌ من وجوه أهل قُرْطُبة من الجُنْد والخَدَمة وغيرهم، فيهم الوزير عبد الله بن عبد العزيز المَرْوانيّ صاحب طُلَيْطُلة. فانبثّتْ أراجيفُ شنيعةٌ تحقّقَ المنصور صحّتها، ولم يشكّ فيها؛ فاستدعى ابنه عبد الله من سَرَقُسْطة، واستأنف له كثيراً من التقديم والمبرّة، خديعةً ومغالطةً؛ وصرف المروانيّ عن طُلَيْطُلة صَرْفاً جميلاً؛ ثمّ صرفه عن الوزارة بعد مُدَيْدة، وألزمه داره. ثمّ خرج ابنُ أبي عامر غازياً الى قَشْتِيلة؛ فتوافت اليه أمداد الثغور، فيهم عبدُ الرحمن بن مُطَرِّف ورجال سَرَقُسْطة؛ فلمّا صاروا بوادى الحِجارة، أطبق أهْـلُ الثغور على الشكوى بعبد الرحمن، بدسيسةٍ من ابن أبي عامر لهم فى ذلك، *حيلةً منه؛ وذكروا أنّه يحتبس أرزاقهم، ٣٠٤ ويَحتَجِن لنفسه. فصرفه المنصور عن سَرَقُسْطة مُنْسَلَخَ صفر من سنة ٧٩ المذكورة، وقلّدها مكانَه [1] ابنَ أخيه عبد الرحمن بن يحيى [1] الملقّب بِسِماجة، إطماعاً لقومه التُّجيبيّين فى المحافظة. ولبث عبد الرحمن فى العسكر متردِّداً الى أن قُبض عليه يومَ الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل. وسخط عليه المنصور، وأمر بحسابه؛ ثمّ قُتِلَ بعد ذلك بالزاهرة بين يدي المنصور.

---

1—1) A. ابن عبد الرحمن يحيى.

واستدعى المنصورُ ابنَه عبد الله الى عسكره خوفَ أنْ يُحدِث حَدَثاً بأَنفه؛ فوافى العسكرَ، فرفق به أبوه، وأمّل استصلاحه، وقد تباعد ذلك عليه لِسُقْم سريرته وشدّة حِقْدِه. ونازل المنصور أثناء ذلك مدينة شَنْت أشْتَبِين؛ فلما اشتغل المسلمون بالقتال، فرّ عبد الله بن المنصور من العسكر فى ستّة نفر من غلمانه؛ فلحق بعدوّ الله غَرْسِيَة بن فرذلند صاحب آلبَة؛ فقبله وأجاره على أبيه؛ فتحرّك المنصور لغزو غَرْسِية ومُطالبته بإسلام ابنه إليه، وأقسم له أنّه لا يقلع عنه حتّى يُمْكِنه من ولده. وأصرّ غَرْسِيَة على الامتناع من ذلك؛ فهزم المنصورُ غَرْسِيَة، وفضّ جمعه، واشتقّ بلد آلبَة، وافتتح حِصْن وُخْشُمة عنوةً، أسكنه المسلمين؛ فضرع غَرْسِيَة فى مُسالمته على ما شاء من شروطه فى عبد الله وغيره؛ فعقد له المنصورُ على ذالك؛ فوكّل غَرْسِيَة بعبد الله جماعةً من العُلُوج؛ وحُمِل عبدُ الله وأصحابُه على البغال. وخرج سَعْد الخادِم يستقبل عبد الله؛ فدنا من سَعْد وهو على بَغْلٍ فارِهٍ، مُرْتَفِع الحِلْيَة، عليه ثَوْبُ وَشْيٍ عجيب الصنعة، وهو مُتَطَلِّقٌ، قَوِىُ الرجاء فى الإقالة. * فقبّل سَعْد يَدَه، وآنسه، وهوّن عليه الخَطْبَ؛ ثمّ تخلّف عنه بقرب الوادِى الجوفىّ، ووكّل به من قتله؛ فحفّ به الموكّلون وأعلموه بموته

P. ٣٠٥

## ذكر مقتل عبد الله بن المنصور

ولمّا أعلموه بأن حلّ به ما كان يحذره، أمروه بالنزول؛ فلم يمتنع لهم. وترجّل، ومشى الى السيف مُنْطَلِقاً؛ فظهرت منه عند الموت صرامةٌ، عجب لها من شاهَدَه؛ وتقدّم إليه ابن خفيف الشَّرْطىّ؛ فضرب عنقه صَبْراً عند غروب الشمس من يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٣٨٠. وأنفذ المنصور رأسَ ابنه الى الخليفة مع كِتاب الفَتْح؛ ودُفِن جسدُه فى الموضع الذى قُتِل فيه. وكان سِنُّه يومَ قُتِل ثلاثاً وعشرين سنة، وذلك فى غزوته الخامسة والأربعين. ثمّ إنّ ابنَ أبى عامر استثقل سَعْدًا وابْنَ خفيف، ولم يزل

حاقداً عليهما، حتّى قتلهما بعد الامتحان. وازداد ابنُ أبى عامر بما فعله بابنه هيبةً، ومُلِئتْ قلوبُ الناس منه ذعرًا.

وممّا حُكى فى أمر عبد الله المقتول، قال الوزير أبو عمر بن عبد العزيز: لمّا قتل المنصور ابنه، ارتاع الناس لذلك، وأوحشهم فعلُه، فتكلّموا فى ذلك كثيراً، ورجموا فيه الظنون، ولم يتوجّه لأحد فيه سَبَبٌ يقضى بقتله. ثمّ تحرّك المنصور إثْرَ ذلك فى بعض غزواته، فلمّا احتلّ بقلْعة رَباح، قال المُخْبِر: دُعِينا الى الطعام، فلمّا كُنّا فى وسط الطعام، وقد استفاض الحديث فى عبد الله المقتول، فقال من حضر على لسان واحد: أيّدَ الله المنصور! لقد صِرْتَ من قتله فى غايةٍ يعدم الصبرُ فى مِثْلِها. فما سَبَبُ ذلك؟» قال: «لا أعلم له سَبَباً إلاّ أنّى لمّا عُرِضَتْ أمُّه، عَلِقْتُ بها، وتمكّن من قلبى حبُّها تمكّناً لم أقدر أن أسلو عنه. فابتعتُها، متجاوزَ النهاية فى ثمنها، وجعلتُها عند قريبة لى. وكنتُ كلّ يومٍ أخطر عليها أتعرّف استبراءها، فلمّا أحسّتْ بحُبّى لها، وكَلَفى بها، توَخّتْ رِضَائى، وذكرَتْ لى أنّها قد استبرأتْ، وهى كاذبة فى ذلك، تريد بذلك موافقةَ مَسارّي واستعجالَ مُرادي، فدخلتُ بها، وهى لم تستبرأ، فكنتُ شاكّا فيه.» وكان مولده سنة ٣٥٨.

حكاية زَطَرْزُون البرْبَرى مع المنصور. — وجرتْ للمنصور غِبَّ ذلك مع رجل من أعيان البربر اسمه زَطَرْزوُن بن نزار البِرْزالِىّ نادرةٌ، وذلك أنّه قال يوماً، وقد بسطه فى بعض المجالس: «يا مولاى لِمَ قتلتَ عبد الله ابنك؟» ووصف شجاعته وخصاله، فقال له المنصور: «لا يَسُؤْك ذلك! فلو لم أفعل لقَتَلَنى. ما كان من ولدى! وبهذا اتّهمْتُ أمّه وكانت أمَةَ سَوْءٍ. وقد قالوا إنّ الأرحام الرديّة تُفْسِد الذُرّيّة». فقال الجاهل زَطَرْزُون: «كذا يا مولاى؟ [1]فحَرَامُ أمّه وحِرْمُ أبيه[1]»؛ فخجل المنصور وقال: «شَقِينا بهذا الملعون فى حياته وبعد موته!» وعلم ما كان عليه زَطَرْزُون من الجهالة، فأعرض[2] عنه. وصارت كلمته مأثورة فى الناس مدّةً طويلة.

---

1—1) B. فحرامه وحرام أبيه. — 2) B. فتغافل.

وكان المنصور آيةً من آياتٍ فاطرة دهاء ومَكْرًا وسياسةً: عدا بالمَصَاحِفة على الصَّقالِبة حتّى قتلهم وأذلّهم، ثمّ عدا بغالب الناصِرىّ على المَصَاحِفة حتّى قتلهم وأبادهم، ثمّ عدا بجعفر بن الأَنْدَلُسِي على غالب حتّى قتله، ثمّ عدا بنفسه على جعفر وقتله، ثمّ انفرد بنفسه وصار يُنادى صُرُوفَ الدَّهْرِ: «هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟» فلمّا لم يَجِدْه، حمل الدهر على حكمه، فانقاد له وساعَدَه، فاستقام أمره، منفردًا P. ٣٠٧ بمملكةٍ لا سَلَفَ له فيها. ومن أوضح الدلائل على سعده أنّه لم يُنْكَبْ قطّ فى حربٍ شَهِدَها، وما توجّهت قطّ عليه هزيمة، وما انصرف عن موطن إلّا قاهرًا غالبًا، على كثرة ما زاول من الحروب، ومارس من الأعداء، وواجه من الأُمَم. وإنّها لَخاصّةٌ ما أحسبُ شركه فيها أحدٌ من الملوك الإسلاميّة. ومن أعظم ما أُعين به، مع قوّة سعده، وتمكّن جِدِّه، سعةُ جوده وكثرة بذله، فقد كان فى ذلك أُعجوبة الزمان، وأوّلُ ما اتّكأ على أرائكِ المُلْك وارتفق، وانتشر عليه لواء السعد وخفق، حطّ صاحِبَهُ المُصْحَفِىّ، وأثار له كامِنَ حِقْده الخَفِىّ، حتّى أصاره للهموم لَبِيسا، وفى غيابات السجون حبيسا، فكتب إليه يستعطفه [بسيط]:

هَبْنِى أسأتُ فأينَ العَفْوُ والكَرَمُ ... إذْ قادَنِى نَحْوَكَ الإذْعانُ والنَدَمُ
يا خَيْرَ مَنْ مُدّت الأَيْدِي إلَيْه أَمَا ... تَرْثِى لِشَيْخٍ نَعَاهُ عِنْدَكَ القَلَمُ
بالغْتَ فى السُّخْطِ فاصْفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ ... إنَّ المُلوكَ إذَا مَا اسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا

فما زاده ذلك إلّا حَنَقاً وحِقْدا، ولا أفادته الأبيات إلّا تضرّماً ووَقْدا. فراجعه بما أيْأَسَه، وأراه مَرْمَسَه، وأطبق عليه محبسَه، وضيّق [1] تروّحه من المحنة وتنفّسه[1]:

الآنَ يا جَاهِلاً زلّتْ بِكَ القَدَمُ ... تَبْغِى التَّكَرُّمَ لَمَّا فَاتَكَ الكَرَمُ
أغْرَيْتَ[2] بى مَلِكاً لَوْلَا تَثَبُّتُهُ ... مَا جَازَ لى عِنْدَه نُطْقٌ ولا كَلِمُ
فايْأَسْ مِنَ العَيْشِ إذْ قَدْ صِرْتَ فى طَبَقٍ ... إنَّ المُلُوكَ إذَا مَا اسْتُنْقِمُوا نَقَمُوا
نَفْسِى إذا سَخِطَتْ لَيْسَتْ بِراضِيَةٍ ... وَلَوْ تَشَفَّعَ فِيكَ العُرْبُ والعَجَمُ

1—1) B. تخنّقه وتنفّسه.    2) A. أغريب.

وكان من اخبار المنصور الداخلة فى أبواب البِرّ والقُرْبة، بنيانُ المسجد الجامع والزيادة فيه سنة ٣٧٧. وذلك أنّه، لمّا زاد الناس ببقُرْطُبة، وانجلب ٣٠٨ إليها قبائلُ البَرْبَر من العِدْوة وإفريقية، وتناهى حالُها فى الجلالة، ضاقت الأرباض وغيرُها، وضاق المسجد الجامع عن حَمْل الناس؛ فشرع المنصورُ فى الزيادة بشرقيّه حيث يتمكّن الزيادة لاتّصال الجانب الغَرْبىّ بقصر الخلافة. فبدأ ابن أبى عامر هذه الزيادة على بلاطات تمتدّ طولاً من أوّل المسجد الى آخره؛ وقصد ابن أبى عامر فى هذه الزيادة المبالغة فى الإتقان والوثاقة دون الزَّخْرَفة؛ ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودةً ما عدا زيادة الحَكَم. أوّلُ ما عمله ابن أبى عامر تطييبُ نُفوس أرباب الدُّور والمُستَغَلّات الذين اشتُرِيتْ منهم للهَدْم لهذه الزيادة، بإنصافهم من الثَّمَن أو بمُعَاوَضةٍ. وصنع فى صَحْنه الجُبَّ العظيمَ قَدْرُه، الواسعَ فناؤُه. وابن أبى عامر رتّب إحراق الشمع فى المسجد الجامع زيادةً للزيت؛ فنطابق بذلك النُّورانِ. وكان عَدَدُ سَوَارِى الجامع، الحاملة لسَمَائه واللاصقة ببنائه وقِبابه ومَنَاره، ما بَيْنَ كبيرةٍ وصغيرةٍ، ألف سارية وأربعمائة سارية وسبع عشرة سارية. وعَدَدُ ثُرَيَّات الجامع، ما بين كبيرة وصغيرة، مائتان وثمانون ثُرَيَّة؛ وعَدَدُ الكُؤوس سبعة آلاف كأس وأربعمائة كأس وخمس وعشرون كأساً. وَزِنة مَشَاكِى الرَّصاص للكؤوس عشرة أرباع أو نحوها؛ وَزِنة ما يحتاج إليه من الكتّان للفتائل فى كلّ شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار؛ وجميع ما يحتاج إليه الجامع من الزيت فى السَّنة خمسمائة رُبْع أو نحوها، يصرف منه فى رمضان خاصّةً نحوُ نصف العَدَد. وممّا كان يختصّ برمضان المعظَّم ثلاثة قناطير من الشمع، وثلاثة أرباع القنطار من الكتّان المُقَصَّر[1]، لإقامة الشمع المذكور؛ والكبيرة من الشمع تُوقَدُ بجانب الإمام يكون وَزْنُها من خمسين إلى ستّين رِطْلاً، ٣٠٩ يحترق * بعضها بطول الشهر، ويعمُّ الحَرْقُ لجميعها ليلة الخَتْمة. وكان يخدم الجامع المذكور بقُرْطُبة فى دولة ابن أبى عامر وينصرّف فيه من أئمّة، ومقرئين،

---

1) A. المقطّن.

وأُمَناء، ومؤذّنين، وسَدَنة، ومُوقِدين وغيرهم من المتصرّفين مائة وتسعة وخمسون شخصاً. ويُوقَد من البَخور ليلةَ الخَتْمة أربع أواقٍ من العَنْبَر الأشهب وثماني أواق من العُود الرَّطْب.

ومن ذلـك: بُنيانُ قنطرةٍ على نَهْر قُرْطُبة الأعْظَم. ابتدأ المنصور بُنيانَها سنة ٣٨٧، وفرغ منها فى النصف من سنة ٨٩؛ وانتهت النفقة عليها الى مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار؛ فعظمت بها المَنْفَعة، وصارت صَدْراً فى مَناقِبه الجليلة. وكانت قطعةَ أرْضٍ لشيخٍ من العامّة، ولم يكن للقنطرة عُدُولٌ عنها؛ فأمر المنصور أُمَناءه بإرضائه فيها؛ فحضر الشيخ عندهم، وأخـذ حَذَرَهُ منهم؛ فساوَموه بالقطعة وعرّفوه وجه الحاجة إليها، وأنّ المنصور لا يريد إلّا إنصافه فيها. فرمامَ الشيخ بالغَرَض الأقصى عنده (فيما ظنّه[1]) ألّا تخرج عنه بأقَلّ من عشرة دنانير ذهباً، كانت عنده أقصى الأمنيّة، وشَرَطَها صِحاحاً. فاغتنم الأمَناء غفلتَه، ونقدوه الثَّمَن، وأشهدوا عليه؛ ثمّ أخبروا المنصور بخَبَره؛ فضحك من جهالته، وأنِف من غَبْنه، وأمر أن يُعْطَى عشرة أمثال ما سأل، وتُدْفع له صِحاحاً كما قال. فقبض الشيخ مائة دينار ذهباً؛ فكاد أن يخرج عن عقله وأن يُجَنّ عند قبضها من الفرح؛ وجاء مُحْتَفِلاً فى شكر المنصور. وصارت قصّتُه خَبَراً سائراً.

ومن ذلك أيضاً: بنيان قنطرة على نَهَر إسْتِجَة، وهو نَهَر شَنِيل؛ فتجشّم لها أعظم مؤنة. وسهّل الطُّرُقَ الوعرة والشِّعاب الصَّعْبة.

ومن ذلك: إنّه خطّ بيده مُصْحَفاً كان يحمله معه فى أسفاره، يَدْرُسُ فيه

P. ٢١٠ *ويتبرّك به. ومن قوّة رجائه، إنه اعتنى بجَمْع[2] ما عَلِقَ بوجْهه من الغُبار فى غزواته ومَوَاطِن جهاده؛ فكان الخَدَم يأخذونه عنه بالمَنادِيل فى كلّ منزل من منازله، حتّى اجتمع له منه صُرّةٌ ضخمة عَهِدَ بتصييره فى حَنوطه عند موته؛ وكان يحمله حيث ما سار مع أكفانه، توقّعاً لحُلُول منيّته؛ وقد كان اتّخذ الأكفان من أطْيَب مَكْسَبِه من الضَّيْعة الموروثة عن أبيه، وغَزْلِ بَناتِه. وكان يسأل الله تعالى أن يتوفّاه فى طريق الجهاد؛ فكان كذلك.

---

1) Manque dans B.  2) A. et B. بجميع.

وكان المنصور متّسماً بصحّة باطنه. واعترافه بذنبه، وخوفه من ربّه، وكثرة جهاده. وإذا ذُكّر بالله ذكَر، وإذا خُوِّف من عقابه ازدجر، ولم يزل متنزّهاً عن كلّ ما يَفتَتِن به الملوك سوى الخمْر، لكنّه أقلع عنها قبل موته بسنتين. وكان عدْلُ المنصور في الخاصّة والعامّة، وإطّراحُه المهاودة، وبَسْطُه الحقّ على الأقرب فالأقرب من خاصّته وحاشيته، أمراً مضروبٌ به المثَلُ.

ومن عدله أنّه وقف عليه رجلٌ من العامّة يوماً بمجلسه؛ فناداه: «يا ناصر الحق! إنّ لي مَظلِمةً عند ذلك الوصيف الذى على رأسك!» وأشار الى الفتى صاحب الدَّرَقة، وكان له فَضْلُ محلٍّ عند ابن أبى عامر؛ ثمّ قال: «وقد دعوته الى الحاكم، فلم يأتِ!» فقال المنصور: «أوَعبد الرحمن بن فُطَيْس بهذه المنزلة من العجز والمهانة، وكنّا نظنّه أمضى من ذلك؟ اذكُرْ مَظلِمَتَك، يا هذا!» فذكر الرجل مُعامَلَةً كانت جاريةً بينهما قطعها من غير نَصَف؛ فقال المنصور: «ما أعظَمَ بليّتنا بهذه الحاشية!» ثمّ نظر الى الصِّقْلبيّ، وهو قد ذَهِلَ عقلُه؛ فقال: «ادفع الدَّرَقة الى فلان، وانـزل *صاغراً، وساوِ خَصْمك فى مقامه، P. ٢١١ حتّى يرفعك الحقُّ أو يضعَك!» ففعل، ومُثِّلَ بين يدَيْه؛ ثمّ قال لصاحب شُرْطته الخاصّ به: «خُذ بيد هذا الظالم الفاسق، وقدِّمْه مع خصمه الى صاحب المظالم ليُنفِّذ عليه حُكْمَه بأغلظ ما يُوجبه الحقُّ من سجن أو غيره!» ففعل ذلك، وعاد الرجلُ إليه شاكراً؛ فقال له المنصور: «قد انتصفتَ أنتَ؛ فاذهبْ لسبيلك. وبقيَ انتصافى أنا ممّنْ تهاوَن بمنزلتى.» فتناول الصقلبيَّ بأنواعٍ من المذلّة، وأبعده عن الخدمة.

ومن ذلك، قصّةُ فتاه الكبير المعروف بالمَيُورْقيّ مع التاجر المغربيّ؛ فإنّهما تنازعا فى خُصومة توجّهت فيها اليمينُ على الفتى المذكور، وهو يومئذ أكبر خدَم المنصور، وإليه أمْرُ داره وحُرَمه؛ فدافَعَ الحاكمَ، وظنّ أنّ جاهه يمنع من إحلافه. فصرخ التاجر بالمنصور فى طريقه الى الجامع متظلّماً من الفتى؛

فوكّل به فى الوقت مَن حمله الى الحاكم؛ فأنصفه منه، وسخط عليه المنصور، وقبض نِعمته منه ونَفَاهُ.

ومن ذلك، قصّة محمّد، فَصّاد المنصور وخادمه وأمينه على نفسه؛ فإنّ المنصور احتاجه يوماً الى الفَصْد، وكان كثير التعهُّد له؛ فأنفذ رسوله الى محمّد؛ فألفاه الرسول محبوساً فى سجن القاضى محمّد بن زَرْب، لِحَيْفٍ ظهر منه على امرأته، قدّر أنّ سبيلَه من الخِدْمة يُنْجيه من العقوبة. فلمّا عاد الرسول الى المنصور بقصّته، أمر بإخراجه من السجن مع رقيب من رُقَباء السجن، يلزمه الى أن يفرغ من عمله، ثمّ يُعيده الى محبسه. ففعل ذلك على ما رسمه، وذهب الفاصد الى شكوى ما ناله؛ فقطع عليه المنصور، وقال له: «يا محمّد، إنّه القاضى وهو فى عَدْله، ولو أخذنى الحقُّ، ما أطَقْتُ الامتناع منه! عُدْ الى محبسك أو اعترف بالحقّ؛ فهو الذى يُطْلقك.» فانكسر * الحاجم، وزال عنه ريحُ العناية. P. ٣١٢
وبلغت قصّتُه للقاضى؛ فصالَحَه مع زَوْجه، وزاد القاضى شِدّةً فى أحكامه.

ومن دَهَائه، قال ابنُ حَيّان: كان جالساً فى بعض الليالى، وكانت ليلةً شديدةَ البَرْد والريح والمَطَر؛ فدعا بأحَــد الفُرْسان، وقال له «انهَضْ الى فجّ طَلْيَارِش وأقِمْ فيه؛ فأوّل خاطر يَخْطُرُ عليك، سُقْهُ إلىّ.» قــال: فنهض الفارس، وبقى فى الفجّ فى البرد والريح والمطر واقفاً على فرسه، إذ وقف عليه قُرْبَ الفجر شيخٌ هَرِمٌ على حمار له، ومعه آلَةُ الحَطَب؛ فقال له الفارس: «إلى أين تذهب، يــا شيخ؟» فقال: «وراء حَطَب.» فقال الفارس فى نفسه: «هذا شيخٌ مسكينٌ نهض الى الجبل يسوق حطباً. فما عسى أن يريد المنصور منه؟» قال: فتركتُه. فسار عنّى قليلاً، ثمّ فكّرتُ فى قول المنصور، وخِفتُ سطوته؛ فنهضتُ الى الشيخ، وقلتُ له: «ارجع الى مولانا المنصور.» فقال: وما عسى أن يريد المنصور من شيخ مِثْلى؟ سألتك بالله أن تتركنى لطلب معيشتى!» فقال له الفارس: «لا أفعل» ثمّ قدم به على المنصور، ومثّله بين يَدَيْه، وهو جالس، لم يَنَمْ ليلَه تلك. فقال المنصور للصّقالِبة: «فَتّشوه!» ففُتّش؛

فلم يُوجَد عنه شيء؛ فقال: «فتشوا برذعة حماره!» فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور، يحزمون[1] عنه الى أصحابهم من النصارى ليقبلوا ويضربوا فى إحدى النواحى المعلومة. فلمّا انبلج الصبح، أمر بإخراج أولائك النصارى الى باب الزاهرة، فضُربت أعناقهم، وضُربت رقبة الشيخ معهم.

ومن ذلك قصّة الجَوْهَرىّ التاجر، وذلك أنّ رجلاً جَوْهَرِيّاً من تجار P. ٣١٣ المَشرِق قصد المنصور من مدينة عَدَن بجَوْهر كثير، وأحجار نفيسة، فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه، ودفع الى الجَوْهَرِىّ التاجر صُرّته، وكانت قِطْعة يمانيّة. فأخذ التاجر فى انصرافه طريق الرَّمْلة على شطّ النهر، فلمّا توسّطها، واليومُ قائظٌ، وعَرَقُه مُنْصَبٌّ، دَعَتْه نفسه الى التبرّد فى النهر، فوضع ثيابه وتلك الصُّرّة على الشطّ، فمرّت حِدَأَةٌ، فاختطفت الصُّرّة، تحسبها لحماً، وصاعدت فى الأفق بها ذاهبةً، فقطعت الأفق الذى تنظر اليه عينُ التاجر، فقامت قيامتُه، وعلم أنّه لا يقدر أن يستدفع ذلك بعَدْوَى ولا بحيلة، فأسرّ الحزنَ فى نفسه، ولحقته لأجل ذلك عِلّةٌ اضطرب فيها. وحضر الدفعُ الى التجار، فحضر الرجل لذلك بنفسه، فاستبان له ما بــه من المهانة والكآبة، وفقد ما كان عنه من النشاط وشدّة العارضة. فسأله المنصور عن شأنه، فأعلمه بقصّته، فقال له: «هلاّ أتيتَ إلينا بحدثانِ وقوعِ الأمر؟ فكُنّا نستظهر على الحيلة، فهل هُديتَ الى الناحية التى أخذ الطائر اليها؟» قال: «مرّ مُشْرِقاً على سَمْت هذا الجنان الذى يلى قَصْرَك!» يعنى الرملة، فدعا المنصور شُرْطيّه الخاصّ به، فقال له: «جئنى بشيخة أهل الرملة الساعة»، فمضى، وجاء بهم سريعاً، فأمرهم بالبحث عمن غيّر حال الإقلال منهم سريعاً، وانتقل عن الإضاقة دون تدريج، فتناظروا فى ذلك، ثمّ قالوا: «يا مولانا! ما نعلم إلاّ رجلاً من ضُعَفائنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم، ويتناولون السَّقْىَ[2] بأقدامهم عجزاً عن شراء دابّة، فابتاع

---

1) A. يحدمون. 2) A. السبق; B. يتناوبون السبق.

P. ٢١٤ اليومَ دابّةً، واكتسى هو وولده كسوةً متوسّطةً.» فأمر بإحضاره من • الغد، وأمر التاجرَ بالغُدُوّ الى الباب؛ فحضر الرجل بعيْنه بين يدَى المنصور، فاستدناه، والتاجر حاضرٌ، وقال له: «سَبَبٌ ضاع منّا وسَقَطَ إليك: ما فعلتَ به؟» فقال: «هو ذا يا مَوْلايَ!» وضرب بيده الى حُجْزة سراويله، فأخرج الصُّرّة بعيْنها؛ فصاح التاجر طَرَباً، وكاد يطير فَرَحاً؛ فقال له المنصور: «صِفْ لى حديثَها.» قال: «نَعَم! بينا أنا أعمل فى جِنانى تحت نَخْلة، إذْ سقطَتْ أمامى؛ فأخذتُها، وراقنى منظرُها؛ فقلت إنّ الطائر اختلسها من قَصْرك لقُرْب الجوار؛ فاحترزتُ بها، ودَعَتْنى فاقتى الى أخذ عشرة مثاقيل عُيُوناً كانت معها مصرورةً، وقلت: أقلُّ ما يكون فى كَرَم مَوْلاىَ أن يسمح لى بها.» فأعجب المنصور ما كان منه، وقال للتاجر: «خُذْ صُرّتك، وانظُرْها، واصْدُقْنى عن عَدَدِها.» ففعل وقال: «وحَقِّ رأسك، يا مَوْلاىَ، ما ضاع منها شىء سوى الدنانير التى ذكرها، وقد وَهَبْتُها له.» فقال له المنصور: «نحن أولى بذلك منك، ولا نُنْقِص عليك فرحتك. ولولا جمْعُه بين [1]الإقرار والإنكار[1]، لَكان ثوابُه مَوْفُورًا عليه.» ثمّ أمر للتاجر بعشرة دنانير عِوَضاً من دنانيره، وللجنّان بعشرة دنانير ثواباً لتأنّيه عن إفساد ما وقع بيده، وقال: «لَوْ بدأنا بالاعتراف قبل البَحْث، لأوسعناه جزاء!» قال: فأخذ التاجر فى الثناء على المنصور، وقد عاوَدَه نشاطُه، وقال: «والله! لأبُثّنّ فى الأقطار عظيمَ ملكك، ولأُبيِّنَنّ أنك تَمْلِكُ طَيْرَ عَمَلك كَمَا تَمْلِكُ إنسها[2]؛ فلا تَعْتَصِمْ منك ولا تؤذِي جارَك!» فضحك المنصور، وقال: «اقْصِدْ فى قولك! يغفر الله لك!» فعجب الناس من تلطُّف المنصور فى أمره، وحيلته فى تفريج كُرْبته.

P. ٢١٥ وكان المنصور أشدَّ الناس فى • التغيُّر على من عَلِمَ[3] عنده شىء من الفَلْسَفة والجَدَل فى الاعتقاد، والتكلُّم فى شيء من قضايا النجوم وأدلّتها، والاستخفاف بشيء من أمور الشريعة. وأحرق ما كان فى خزائن الحَكَم من كُتُب الدَّهْريّة

1—1) A. الإصرار والإقرار. 2) B. بشرها. 3) Manque dans A.

والفلاسفة، بحضر كبار العلماء، منهم الأَصيلىّ وابنُ ذكوان والزُّبَيديُّ وغيرُهم؛ واستولى على (1حرق جميعها1) بيده.

وممّن أوقع به المنصور فى مثل هذه المعاني المُنْكَرة: محمّدُ بن أبى جُمْعة، بلغه عنه قولٌ من الإرجاف فى القطع على انقراض دولته؛ فقطع لسانه، ثمّ قتله وصلبه؛ فخرستْ أَلْسُنُ جميعهم لذلك؛ وكذلك أيضاً عبد العزيز بن الخطيب الشاعر، وكان أرفع أهل هذه الطبقة منزلةً؛ وكان مقدّماً فى أصحاب المنصور، حتّى فسد ضميره عنه، وبقى مدّةً يلتمس غرّةً منه، حتّى قال فى بعض أبيات من شعره أفْرَطَ فيها [كامل]:

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتِ ٱلأَقْدَارُ فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الوَاحِدُ القَهَّارُ
فَكَأَنَّمَا أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَكَأَنَّمَا أَنْصَارُكَ الأَنْصَارُ

فأمر بضربه خمسمائة سوط، ونُودِيَ عليه باستخفافه (2)، ثمّ حبسه، ونفاه بَعْدُ عن الأندلس.

وفى سنة ٣٨١، رشّح المنصور وَلَدَه عَبْدَ المَلِك للولاية، وقدّم أخاه عبدَ الرحمن للوزارة. وترك اسْمَ الحجابة، واقتصر على التسمّى بالمنصور، وأن يُكتب: «من المنصور أبى عامر (وفّقه الله) إلى فلان.» بحذف اسْمِ الحجابة، ويُذكر اسْمُ ولده عبد الملك بخُطّة الحجابة والقيادة العُلْيا وسائر خُطَط المنصور، سلّم فيها لابنه عبد الملك، وصحّتْ له الحجابة من يومئذٍ. وبعد هذا، استبدل المنصور جُنْدَ الأندلس بالبَرْبَر؛ فأقام لنفسه جنداً اختصّهم باستصناعه، واسترقّهم بإحسانه، نسخ بهم فى المدّة القريبة جُنْدَ الخليفة الحَكَم (رحمه الله)، كما فعله فى سائر أموره.

P. ٢١٦ واتّفق * فى ذلك الوقت أن تحرّك بُلُقِّين بن زِيرى الصِّنْهاجىّ الى المَغْرِب فى جموعه، وأوقع بقبائل زَناتة طالباً ثأر أبيه زيرى؛ فهربوا أمامه كلّهم الى سَبْتة، وضاقت عليهم أرض العِدْوة؛ فقيل لابن أبى عامر: «قد أمكنك الله

1—1) A. جميع حرقها. 2) A. باستخفافه.

من اصطناع فُرْسان زَناتة، واعتقادِ المِنَّة عليهم. فأَرْسِلْ إليهم، يأتوك سِراعاً، فَتِجدُ إحسانك إليهم مكاناً!» فعمل ابن أبى عامر على ذلك، وأَنفذ كُتُبَه الى قبائل العِدْوَة يستدعيهم، ويتضمّن الإحسان إليهم، والتوسعة عليهم، حتّى كثروا بالأندَلُس؛ فحسُنت أحوالهم، وكثُرت أموالهم؛ وما زالوا خاصّته وبطانته إلى أن هلك، وانقرضت الدولة العامريّة. وقد صار بالأَندَلُس منهم القبائل بِأَسْرِها، وكاثروهم حتّى [1]نَفَّذَ قضاءه[1] الله عليهم بأيديهم.

وفى سنة ٣٨٦، عَهِدَ المنصور أن يُخَصَّ بتسويده من بَيْن سائر الناس كافّةً فى المُخاطبات، وأن يرفع ذلك عن سائر أهْل الدولة مع الاقتصاد فى مراتب الأَدْعِيَة؛ فنفّذ الكُتُبَ بذلك، وجرى العَمَلُ عليه بقيّةَ حَيَاته؛ وخوطب هذا الوقتَ بالمَلِك الكَرِيم؛ واسْتُبْلِغ فى تكريمه وتعظيمه.

## غزوة شَنْت يَاقُوب على سبيل الاختصار

وعند تناهى المنصور ابن أبى عامر فى هذا الوقت على الاقتدار، والنصر على الملوك الطاغية (دمّرها الله)، سما الى مدينة شَنْت يَاقُوب قاصيةِ غَلِيسِيَّة، وأعظمِ مَشاهِدِ النصارىّ الكائنة ببلاد الأَنْدَلُس وما يتّصل بها من الأرض الكَبِيرة. وكانت كَنِيسَتُها عندهم بمنزلة الكَعْبة عندنا؛ فبها يحلفون وإليها يحجّون من أقصى بلاد رُومة وما وراءها؛ ويزعمون أنّ القَبْرَ المزورَ فيها قَبْرُ يَاقُوب الحَوَارِىّ أحد الإثنَىْ عشر (رحمهم الله)؛ وكان أخصّهم بعيسى (عليه السلام)، وهُمْ يسمّونه أخاه لِلُزومِهِ إيّاهُ. وقد زعم جماعةٌ منهم أنّه ابنُ يوسف النّجّار. وشَنْت P. ٢١٧ يَاقُوب هى مَدْفَنُ يَاقُوب؛ فهُمْ يسمّونه أخا الربّ (تعالَى اللهُ عن قولهم عُلُوًّا كبيراً). ويَاقُوب بلسانهم يَعْقُوب؛ وكان أُسْقُفاً ببيت المَقْدِس؛ فجعل يَسْتَقْرِى الأَرَضِين داعياً لمن فيها؛ فجاز الى الأَنْدَلُس حتّى انتهى الى هذه الناحية؛ ثمّ عاد

---

1—1) B. أيديهم.

الى ارض الشأم، فقُتِلَ بها، وله مائة وعشرون سنة شمسيّة. فاحتمل أصحابه رِمّته، فدفنوها بهذه الكنيسة التى كانت أقصى أثره. ولم يطمع أحدٌ من ملوك الإسلام فى قصدها، ولا الوصول اليها، لصعوبة مَدْخَلها وخُشُونـة مكانها، وبُعْد شُقّتها.

فخرج المنصور إليها من قُرْطُبة غازياً بالصائفة يوم السبت لستّ بقين من جُمادى الآخرة سنة ٣٨٧، وهى غزوته الثامنة والاربعون. ودخل على مدينة قُورِيَّة. فلمّا وصل المنصور الى مدينة غَلِيسيَّة، وافاه عَدَدٌ عظيم من القوامس المتمسّكين بالطاعة، فى رجالهم، وعلى أتمّ احتفالهم، فصاروا فى عسكر المسلمين، وركبوا فى المغاورة سبيلهم. وقد كان المنصور تقدّم فى إنشاء أسْطُول كبير فى الموضع المعروف بقَصْر أبى دَانِس من ساحل غَرْب الأنْدَلُس، وجهّزه برجاله البَحْريّين وصنوف المترجّلين، وحمل الأقوات والأطعمة والعُدَد والأسلحة، استظهاراً على نفوذ العزيمة، الى أن خرج بمَوْضع بُرْتُقال على نهر دُوِيْرُهْ، فدخل فى النهر الى المكان الذى عمل المنصور على العبور منه، فعقد هناك من هذا الأسْطُول جِسْراً بقرب الحِصْن الذى هناك. ووزّع المنصور ما كان فيه من الميرة على الجُنْد، فتوسّعوا فى التزوّد منه إلى أرض العدوّ.

ثمّ نهض يريد شَنْت يَاقُوب، فقطع أَرَضين متباعدة الأقطار، وقطع بالعبور عدّة أنهار كبار وخلجان يمدّها البحر الأخْضَر. ثمّ أفضى العسكرُ بعد ذلك الى بسائط جليلة من بلاد فَلْطَارِش ومبايبطة[1] والدير وما يتّصل بها، ثمّ أفضى الى *جبل شامخ شديد الوَعْر، لا مسلك فيه، ولا طريق لم تهتدِ الأدِلّاء الى سِوَاه. فقدّم المنصور الفَعَلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه، فقطعه العسكر وعبروا بعده وادى مِنْيُهْ، وانبسط المسلمون بعد ذلك فى بسائط عريضة وأَرَضين أريضة، وانتهت مغيرتهم الى دَيْر قَسْطان وبسيط بلبنوط[2] على البحر المُحيط، وفتحوا حصن شَنْت بَلَايُه، وغنموه، وعبروا سِبَاحَةً الى جزيرة من

P. ٢١٨

1) B. مَبْلَيِسبطة. 2) B. ببلونة.

البحر المُحيط لجأ إليها خلقٌ عظيمٌ من أهل تلك النواحى؛ فسَبَوْا من فيها ممّن لجأ إليها. وانتهى العسكر الى جبل مراسية[1] المتّصل من أكثر جهاته بالبحر المُحيط؛ فتخلّلوا أقطاره، واستخرجوا من كان فيه، وحازوا غنائمه. ثمّ أجاز المسلمون بعد هذا خليج لورقى فى معبرَيْن أرشدَ الأدِلّاء إليهما؛ ثمّ نهر ايله؛ ثمّ أفضوا الى بسائط واسعة العِمارة، كثيرة الفائدة، منها بسيط اوْنَبَة وقَرْجيطَة ودَيْـر شنت بَرِيّة[2]. ثمّ انتهوا الى خليج ايلِيّاه؛ وهو من مشاهِد ياقُوب أيضاً صاحب القَبْر، يَتْلُوْ مَشْهَدِ قبره عند النصارى فى الفضل، يقصد نُسّاكهم له من قاصِى بلادهم ومن بلاد القِبْط والنُّوبة وغيرها. فغادره المسلمون قاعاً. وكان النزول بعده على مدينة شَنْت يَاقُوب البائسة، وذلك يوم الأربعاء لليلتَيْنْ خَلَتا من شعبان؛ فوجدها المسلمون خاليةً من أهلها؛ فحاز المسلمون غنائمها، وهدموا مَصَانعها وأسوارها وكَنِيستها، وعفَوْا آثارَها. ووكّـل المنصور بقبر ياقوب من يحفظه ويدفع الأذى عنه؛ وكانت مصانعُها بديعةً مُحْكَمَةً؛ فغُودِرَتْ هَشِيماً، كأنْ لم تَغْنَ بالأمس، وذلك يوم الإثنين أو الثلاثاء بعده. وانتسفَتْ بُعُوثُه بعد P. ٢١٩ ذلك سائرَ البسائط، وانتهت الى جزيرة شَنْت مانكش[3] مُنْقطَع هذا الصقع على البحر المُحيط، وهى غايةٌ لم يبلغها قَبْلَهم مسلمٌ، ولا وَطِئَها لغير أهلها. قَدَمٌ. فلم يكن بعدها للخيل مجالٌ، ولا وراءها انتقالٌ.

وانكفأ المنصورُ عن باب شَنْت يَاقُوب، وقد بلغ غايةً لم يبلغها مسلمٌ قبله. فجعل فى طريقه القَصْدَ على عَمَل بَرْمُنْد بن أُرْذُون ليستقريه عائثاً ومُفْسِداً، حتّى وقع فى عمل القَوَامِس المُعاهَدين الذين فى عسكره؛ فأمر بالكفِّ عنها، ومـرّ مجتازاً حتّى خرج إلى حِصْن مَلِيقُه من افتتاحه. فأجاز هناك القَوَامِسَ بجُمْلَتهم على أقدارهم، وكساهم، وكسا رجالهم؛ وصرّفهم الى بلادهم. وكتب بالفتح من مَلِيقُه. وكان مَبْلَغ مَنْ أكْسَاهُ ابنُ أبى عامر فى غزاته هذه من ملوك الروم ولمن حسن

---

1) B. مرامِية.

2) Les vocalisations de ces noms géographiques sont reproduites d'après B.

3) B. فانكَشر.

عَناؤه من المسلمين أَلفَيْن ومائتَيْن وخمساً وثمانين شُقَّة من صنوف الخَزّ الطِّرازىّ، وإحدى وعشرين كساء من صوف البَحْر، وكسائَيْن عَنْبَرِيَّيْن، وأحد عشر سِقلاطُوناً، وخمس عشرة مُرَيَّشات، وسبعة أنماط ديباج، وثَوْبَىْ ديباج رُومِىّ، وفَرْوَيْ فَنَك. ووافى جميع العسكر قافلاً الى قُرْطُبة سالماً غانماً، وعظمت النعمة والمِنّة على المسلمين. والحمد لله.

ولم يجد المنصور بشَنْت ياقوب إلّا شيخاً من الرُّهْبان جالساً على القبر، فسأله عن مُقامه، فقال: «أُوَانِسُ يعقوب.» فأمر المنصور بالكفّ عنه.

قال الفتح بن خاقان: وتمرّس المنصور ببلاد الشِرْك أَعْظَمَ تمرُّس، ومحا من طواغيتها كلَّ تَعَجْرُف وتَغَطْرُس، وغادرهم صَرْعَى البِقاع، وتركهم أَذَلَّ من وَتِد بِقاع، ووالى على بلادهم الوقائع، وسدّد الى أكبادهم سِهام الفجائع، وأَغصّ بالحمام أرواحهم، ونغّص بتلك الآلام بُكورَهم ورَوَاحَهم. ومن أوضح الأمور هنالك، وأفصح الأخبار فى ذلك، أنّ أحد رُسُله كان كثير الانتياب، لذلك P. ٣٢٠ الجَناب، فسار فى بعض مسيراته الى غَرْسِيَة صاحب البَشْكُنْش، فصادفه فى يوم فِصْح، فوالى فى إكرامه، وتناهى فى بِرّه واهتمامه، فطالت مُدّته فلا متنزّه إلّا مرّ عليه مُتَفَرِّجاً، ولا موضع إلّا سار إليه مُعَرِّجاً، فحلّ فى ذلك أكثر الكنائس هنالك، فبينا هو يجولُ فى ساحتها، ويُجيل العَيْنَ فى مساحتها، إذْ عرضت له امرأة قديمةُ الأَسْر، قويةٌ على طُول الكَسْر، فكلّمَتْه، وعرّفَتْه بنفسها وأعلمته، وقالت له: «أيرضى المنصور أن ينسى بتنعُّمه بُؤْسَها، ويتمتّع بلبوس العافية وقد قَصَتْ لُبوسَها؟» وزعمت أنّ لها عِدّة من السِّنين بتلك الكنيسة مُحْبسة، وبكلِّ ذُلٍّ وصَغَارٍ مُلْبَسة، وناشَدَتْه الله فى إنهاء قصّتها، وإبراء غُصّتها، واستحلفتْه بأَغْلَظ الأيمان، وأخذت عليه فى ذلك أوكد مواثيق الرحمان. فلمّا وصل الى المنصور، عرّفه بما يجب تعريفه به وإعلامه، وهو مُصْغٍ إليه حتّى تمّ كلامُه. فلمّا فرغ، قال له المنصور: «هَلْ وقفتَ هنالك على أمرٍ أنكرتَه، ثمّ لم تقِفْ على غير ما ذكرتَه؟» فأعلمه بقصّة المرأة، وما خرجت عنه اليه، وبالمواثيق التى

أخذت عليه؛ فعتبه ولامَه، على أن لم يبدأ بها كلامَه؛ ثمّ أخذ فى الجهاد من فوره، وعرض مَنْ من الأجناد فى نَجْده وغَوْره؛ وأصبح غازياً على سَرْجه، مباهياً مَرْوان يَوْمَ مَرْجه، حتّى وافى ابن شانْجُه فى جمْعه؛ فأخذَتْ مهابتُه ببصره وسَمْعه؛ فبادَرَ بالكتاب إليه يتعرّف ما هى الجنيّة، ويحلف له بأعظم أليّة، ما جنا ذَنْباً، ولا نبا عن مَضْجَع الطاعة جَنْباً. فعنّف أرساله، وقال لهم: «كان قد عاهَدَنى ألاّ يَبْقى بأرضه مأسورةٌ ولا مأسور، ولـو حَمَلَتْه فى حواصِلِها النسور؛ P. ٣٢١ وقد بلغنى * بعدُ مُقامُ فُلانة المُسْلِمَة[1] بتلك الكنيسة. ووالله! لا أنتهى عن أرضه حتّى أكتسحَها!» فأرسل اليه المرأة فى إثنتَيْن معها، وأقسم له أنّـه ما أبصرهُنّ، ولا سمع بهن، وأعلمه أنّ الكنيسة التى أشار بعلْمها، قد بالغ فى هدمها، تحقيقاً لقوله، وتضرّع له فى الأخذ بطَوله. فاستحيى منه، وصرف[2] الجيوشَ عنه، وأوصل المرأة الى نفسه، وألحـق توحّشَها بأُنسه، وغيّر سوء حالها، وعاد بـمواكب نُعْماهُ على جَدْبها وإمحالها، وحملها الى قوْمها، وكَحَلَها بما كان شَرَدَ من نَوْمها.

وحدّث شُعْلَة، قال: قلتُ للمنصور ليلةً طالَ فيها سَهَرُه: «قـد أفْرَطَ مولانا في السَّهَر، وبَدَنُه يحتاج إلى أكثر من هذا النوم؛ وهو يعلم ما يُحَرِّكه عَدَمُ النوم من عِلّة العَصَب!» فقال لى: «يا شُعْلة، إنّ المَلِكَ لا ينام إذا نامت الرعيّة! ولَوْ استوفيتُ نَوْمى، لَمَا كان فى دُور هذا البلد العظيم عَيْنٌ نائمةٌ!»

وكان المنصور يزرع فى كلّ سنة ألفَ ألفِ مُدْيٍ من الشعير قَصيلاً لدَوَابّه الخاصّة به؛ إذا قدم من كلّ غَزْوة من غَزَواته، لا يحلّ عن نفسه حتّى يدعو صاحِبَ الخيل، فيُعْلِمه مـا مات منها وما عاش؛ وصاحِبَ الأبْنِيَة، فيُعلِمه بما وَهَى من أسواره ومَبَانيه وقصوره ودُوره. وكان له دَخَالَةٌ في كلّ يوم إثنى عشر ألف رطل من اللحم، حاشى الصيد والطير والحيتان. وكان يصنع فى كلّ عام إثنى عشر ألف تُرْس عامريّة لقَصْرَى الزاهرة والزهراء. وابتنى المنصور على

1) A. المسيلة. 2) Ici prend fin le ms. A et le texte édité par Dozy.

طريق المُباهاة والضخامة بمدينة الزاهرة[1] بذات القصور، والمتنزهات المخترعة كذات الواديَين، ومُنية السرور، والأرطانية، وغيرها من منشآته البديعة.

قال ابن حزم: كُنّا مع المنصور، في يوم صقيل الجوّ، في الزورق، في النهر الذى بين يدى الزاهرة، في نفر من وزرائه، ومنظرٌ يفتن بأمامه وورائه، ونحنُ على مؤانسة قد امتدَّ طنبها، وارتشف بها لعسُ المسرّة وشنبها، وانحشر إليها لهوُ الدنيا ولعبُها؛ وهو يستبدع ذلك النشيد، ويتطلّع منها إلى المزخرف والمشيد، ويُصوّب نظرَهُ ويُصعّده في قصوره المشرقة، ومصانعه المونقة، وقد قيّدت الألحاظَ جمالاً، وجدّدت في الحياة آمالاً. فقال المنصور: «وَيْهاً لكِ! يا زاهرة الحُسْن. لقد حسُنَ مَرْءاكِ، وعبِق ثَرَاكِ، وراق منظرُكِ، وفاق مخبرُكِ، وطاب تُرْبُكِ، وعذُبَ شِرْبُكِ! فليتَ شِعْرِى مَن المَريد الذى يَعْدِمُكِ، ويُوهِن رُكْنَكِ ويُهْدِمُكِ، ويخلِى ميدانَكِ، ويَضْوِى قضبَكِ وأفنانَكِ! فبؤساً له إذ لا يروقه حُسْنُكِ، فيكُفُّ عن تغييركِ! ألا تَسْبيهِ بهجةُ منظرِكِ، فكيف عن محوِ أثرِكِ!» قال: فاستعظمْنا ذلك منه، وأنكرنا ما صدر عنه، وظنَنّا أنّ الراحَ غلبت عليه، وخيّلت ذلك عليه؛ فأفرط الكلُّ مِمّا في استنكار ما جاء به، وفاهَ بأمره وسَبَبه؛ فقال: «واللهِ! كأنّكُمْ لا تعلَمون ذلك! نَعَم! سيظهر عليها عدوُّنا في أقرب مُدّة، فيهدم هذا كلّه ويُعْدِمه. وكأنّى بحجارتها في هذا النّهر!» فأخذنا بـه طريق التسكين والتهدين، وعجِبْنا لِمَا ذكره من ذلك النبأ المُبين.

وعند فَراغه من ابتناء الزاهرة، غزا غزوةً أبعد فيها الإيغال، وغال فيها من عُظَماء الروم من غال، وحلَّ من أرضهم ما لم يُطْرَق، وراع منهم ما لم يُرَع قطُّ ولم يُفْرَق، وصدر صدْراً سمى به على كل حَسْناء عَقيلة، وجلاَ به كلَّ صفحة للحُسْن صَقيلة، ودخل قُرْطُبة دخولاً لم يُعْهَد، وشُهِدَ له فيه يَوْمٌ لم يُشْهَد. وكان ابن شُهَيْد مُتخلِّفاً عن هذه الغزوة لِنقرس عَدَاهُ عائدُهُ، وجفاهُ مُنتجعُه ورائـدُه.

1) B. الزهراء.

وابنُ شُهَيْد هذا أحد حُجّاب الناصر، وله على ابن أبي عامر أيادٍ مُحْكمة الأواصر. وكان كثيراً مّا يُتحِفُه، ويَصِلُه ويلطفُه. فلما صدر المنصور من غَزْوَته هذه، نَسِيَ مُتاحفتَه، وأغفل مُلاطفتَه، فكتب إليه [خفيف]:

أنا شَيْخٌ والشَّيْخُ يهْوَى الصَّبَايَا ... بالنَّفْسِ تَقِيكَ صَرْفَ الرَّزايَا

ورَسُولُ الإلٰهِ أَسْهَمَ في الْفَيْـ ... ـءِ لِمَنْ لَمْ يُخِبْ فِيهَا المَطايَا

فاجْعَلْنى (فُدِيتَ!) أَنْعَكِحُ مَعْرو ... نَكَ وابْعَثْ بها عِذَابَ الثَّنايَا

هُوَ عُرْفٌ فإِنْ تَحَوَّل صِهْراً ... كَـانَ وَاللهِ آيَـةً فى البَرايَا

فبعث اليه بعقيلة من عقائل الروم، يَكْنُفُها ثلاث جَوارٍ كأنّهُنّ نجوم سَرارٍ، وكتب [خفيف]:

قَـدْ بَعَثْنا بِهَا كَشَمْسِ النَّهارِ ... فى ثَلاثٍ مِنَ المَهَى أَبْكارِ

فاجْتَهِدْ واتَّئِدْ فإنَّكَ شَيْخٌ ... خَفِيَ اللَّيْلُ عن بَيَاضِ النَّهارِ

صانَكَ اللهُ عن كَلَالِكَ فيها ... فَمِنَ العارِ كَلَّةُ المِسْمَارِ

فافْتَضَّهُنّ جميعاً فى ليلة واحدة، وكتب إليه [خفيف]:

قَدْ فَضَضْنا خِتَامَ ذَاكَ السِّوَارِ ... واصْطَبَغْنا من النَّجِيعِ الجارِى

ونَعِمْنا فى ظِـلِّ أَنْعَمِ لَيْـلٍ ... وَلَهَوْنـا بالبَدْرِ ثُمَّ الدَّرارِى

وقَضَى الشَّيْخُ ما قَضَى بِحُسامٍ ... ذِى مَضَاءٍ عَضْبِ الظُّبَى بَتّارِ

فاصْطَنِعْنى فَلَسْتُ أَجْزِيكَ كُفْراً ... واتَّخِذْنى سَيْفاً عَلَى الكُفّارِ

قال حيّان بن خَلَف: وُجِدَ بالمنصور عَزْمٌ أَزْعَجَه الغَزْو بعض البروج المُهِمّة؛ فأبرز أموالاً عظيمةً، وتقدّم إلى الناس فى البُكُور للزاهرة؛ فاستَبَقوا، وقد طرقه فى ليله وَجَعٌ حَمَاهُ عن الغَمْض؛ فلم يمنعه من إنفاذ عزيمته، وقَعَدَ للنظر فى شأنه بأعلى مُنْيَته المُسَمّاة باللؤلؤة، وقـد صحّ على الكَيّ عَزْمُه، وكان أَقْرَبَ أبوابِ الراحة منه؛ فأقبل بوَجْهه على من تحته، يَفْرِى الفَرِيَّ فى شأنهم؛ وقد ناوَلَ الطبيبُ فى خِلال ذلك رِجْلَيْه؛ فحمل عليها عِدّةَ كَيّاتٍ، ثمّ أمال

شِنَّه نحوه، وأمكنه من يَدَيْه معاً واحدةً بعد أُخرَى، وما زَوَى وَجْهَه، ولا فَقَدَ نصحاً له كلامُه، بل كان يتناوَل أوامِرَه من وَعْده ووَعِيده بأنفذ من الإشفى، ويحملهم من وروده على الأَوْفَى فالأَوْفَى، وإنَ تَنَ لحمه المكوىّ لَيَتْبَثُ فيهم آخِذاً بخَوَاشِيمِهم، وهُمْ لا يَعْلَمون.

وفى سنة ٣٩٢، تُوُفِّي المنصور ابن أبي عامر (رحمه الله) ليلة الإثنين لثلاث بَقِينَ لرمضان المعظَّم، وهو ابن خمس وستّين سنة وعشرة أشهر؛ كان له من الولد الذكور يَوْمَ وفاته إثنان، وهُمَا عبد المَلِك وعبد الرحمن الناصر؛ فكانت مدّة قيامه بالدولة منذ تقلّد الحجابة الى أن تُوُفِّي خمساً وعشرين سنة، وأربعة وأربعين يوماً. وترك من الأموال الناضّة بالزاهِرة أربعة وخمسين بيْتاً. وكان عَدَدُ الفرسان المُرْتَزِقين بحضرته ونواحيها، الذين حارب بهم الحروب، عشرة آلاف وخمسمائة، وأجناد الثغور قريباً من ذلك.

ولله دَرُّ القائل فيه [كامل]:

آثـارُهُ تُنْبِيكَ عَنْ أخْبَارِهِ حَتَّى كَأَنَّكَ بالعُيُونِ تـرَاهُ
تَاللهِ مـا مَلَكَ الجَزِيرَةَ مِثْلُهُ حَقًّا وَلَا قَـادَ الجُيُوشَ سِوَاهُ

وذُكِرَ أنّ هذَيْن البيتَيْن قد نُقِشا فى رُخامة على قبره (رحمه الله). وكانت عدّة غزواته سبعاً وخمسين غزوة، باشَرَها كلّها بنفسه، وهو فى أكثرها يشكو عِلَّة النِّقْرِس — عفا الله تعالى عنّا وعنه!

كَمُلَ السِّفْرُ الأوّلُ بحمد الله تعالى
وحُسْن عونه وتوفيقه ويُمْنه. وصلّى الله على سيّدنا محمّد
نبيّه وعَبْده.

HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD
ET DE L'ESPAGNE MUSULMANE

INTITULÉE

# KITĀB AL-BAYĀN AL-MUGHRIB

HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD
ET DE L'ESPAGNE MUSULMANE

INTITULÉE

KITĀB

# AL-BAYĀN AL-MUGHRIB

PAR

IBN 'IDHĀRĪ AL-MARRĀKUSHĪ

ET

FRAGMENTS DE LA CHRONIQUE DE 'ARIB

NOUVELLE ÉDITION PUBLIÉE

D'APRÈS L'ÉDITION DE 1848—1851 DE

R. DOZY

ET DE NOUVEAUX MANUSCRITS

TOME II

HISTOIRE DE L'ESPAGNE MUSULMANE
DE LA CONQUÊTE AU XI^E SIÈCLE

PAR

G. S. COLIN & É. LÉVI-PROVENÇAL

DAR ASSAKAFA

BEYROUTH - LIBAN.